



173

المعتقدات الدينية لدى الشعوب

مشرف التحرير: جفري بارندر

ترجمة: د. إمام عبدالفتاح إمام

مراجعة: د. عبدالغفار مكاوي

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923 ـ 1990

173

المعتقدات الدينية لدى الشعوب

مشرف التحرير: **جفري بارندر**

ترجمة: **د. إمام عبدالفتاح إمام**

مراجعة: **د. عبدالغفار مكاوي**



المحتوى

المحتوى
المحتوى
المحتوى

المحتوى

مقدمه

إذا كان أرسطو قد عرّف الإنسان بأنه «حيوان ناطق» أي مفكر فقد عرّفه غيره من الفلاسفة بأنه «حيوان متدين» فذهب هيجل، مثلا إلى «أن الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق»[1]«ذلك لأن التدين عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحس الديني، إنما يكمن في أعماق كل قلب بشرى، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء»[2].

ولعل هذا ما حدا ببعض صوفية الإسلام- كالجُنيد وابن عطاء الله السكندري وغيرهما، إلى القول بأن الإيمان فطرى في النفس البشرية، آلتي كانت سابقة في وجودها على البدن، وأن البدن هو الذي حجب الإيمان ومنع ظهوره، وهي فكرة لخصوها فيما سموه «بالميثاق الأعظم» مستندين فيها إلى قوله تعالى «وإذ أخذ ربك من بنى آدم، من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بركم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين». (الأعراف آية 172).

وإذا سلمنا بأن الحس الديني جز أساسي في تكوين الإنسان وأنه موجود بدرجات متفاوتة عند الناس جميعا، فقد يكون مطمورا عند من يحاول أن يحجبه أو يمنعه من الظهور بل ربما يجحد وجوده[3]، وقد يكون عارما وطاغيا عند الصوفي

العظيم الذي يرى الفعل الإلهي في كل حركة كونية من حبة الرمل في الصحراء إلى نجوم السماء-فلا بد أن نسلم بالتالي أن تفسير هذا الحس الديني قد خضع لنفس التطور الذي خضع له الإنسان، فاختلف وفقا لمراحل كثيرة لارتباطه ارتباطا وثيقا بالإطار الثقافي الذي وجد فيه[4].

ومن هنا نشأت كثرة من الديانات منذ أن دب على ظهر الأرض إنسان، فكانت الأساطير والخرافات والسحر والشعوذة ومحاولة السيطرة على القوى الخفية والتقرب إليها بالأضاحي والقرابين. مما يزخر به تاريخ الشعوب في الشرق والغرب، على حد سواء ! ثم ظهرت الديانات البشرية من زرادشتية إلى كونفوشية إلى بوذية وجينية.. الخ-حتى نزلت الديانات السماوية الكبرى: اليهودية والمسيحية والإسلام.

ولقد دأب المسلمون إبّان ازدهار حضارتهم، على دراسة الديانات البشرية المختلفة القريبة منهم والبعيدة على حد سواء. لأنهم أدركوا في هذا العهد المبكر ذلك الأثر القوى الذي يتركه الدين في نفوس الناس وسلوكهم حتى قيل إن دراسة العقائد والشعائر الدينية يمكن أن تكشف عن طبائع الشعوب والأمم. وهكذا سافر أبو الريحان البيروني (في القرن الخامس الهجري) إلى الهند وقضى فيها أربعين عاما يدرس أولاً لغتها القديمة-السنسكريتية ويُتقنها إتقانا يجعله يترجم إلى اللغة العربية عددا من المؤلفات السنسكريتية كما يترحم إلى السنسكريتية كتاب «أصول الهندسة» لإقليدس والمجسطي لبطليموس[5]. ثم يكتب كتابه العظيم «تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرزولة»[6]. الذي أتمه في المحرم من عام 423 هـ (1031 م). ولم يكن الكثير مما يضمه هذا الكتاب القيم جديدا على المسلمين فحسب، بل كان كذلك حتى بالنسبة للثقافة الأوربية في العصور الحديثة على ما يشير المستشرق الألماني إدوارد سخاو ناشر الكتاب.

وبعد ذلك بفترة وجيزة كتب الشهرستاني أشهر كتبه «الملل والنحل» الذي يؤرخ فيه لأديان عصره بمنهج علمي دقيق، حتى إنه اشترط على نفسه في مقدمة الكتاب أن يتجنب التعصب والميل مع الهوى! يقول «شرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية

لمحات الحق ونفحات الباطل[7]». بهذه الروح العلمية الموضوعية كتب الشهرستاني عن المجوس واليهود والنصارى والمسلمين، كما كتب عن الصابئة، وعبدة الكواكب. وعبدة الأوثان، وعبدة الماء، ومعتقدات الهنود لا سيما البراهمة، فأصبح كتابه دائرة معارف للديانات في عصره (القرن السادس) رغم أنه أراده في البداية «مختصرا يحوى ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر[8]». على ما يقول هو نفسه في المقدمة، لكن هذا المختصر طال حتى زاد عن خمسمائة صفحة، ولا يزال حتى الآن مرجعا لا غنى عنه لكل من يهتم بتاريخ الأديان، حتى إنه ترجم لأهميته إلى بعض اللغات الأجنبية!

وهناك الكثير من الكتب الأخرى التي كتبها المسلمون عن الديانات والملل[9]، فضلا عما كتبوه في ثنايا الكتب التي تؤرخ للفرق أو لأحداث التاريخ.

وكتابنا هذا عن «المعتقدات الدينية بين شعوب العالم»، يواصل ما بدأه الأقدمون في تراثنا العربي في التعريف بديانات العالم، وهو في أصله الإنجليزي كتاب ضخم لا يتحمله حجم السلسلة لهذا اختارت منه هيئة التحرير فصولا منوعة بلغت عشر فصول هي التي تؤلف هذا الكتاب، وهى تبدأ حيث يتحدث الفصل الأول عن الدين في بلاد ما بين النهرين، أما الثاني فهو عرض لديانة مصر القديمة واختارت من الحضارة الأوربية، ديانة اليونان وديانة روما في الفصلين الثالث والرابع، ولما كان للديانة الإيرانية القديمة أثر قوى في ديانات الهند، فقد تحدث عنها المؤلف (الفصل الخامس) قبل أن يقف وقفة طويلة عند الديانات الكبرى في الهند، الهندوسية (الفصل السادس) والسيخ (الفصل السابع) ثم درس البوذية وحدها (الفصل الثامن) دراسة مستفيضة لأنها رغم كونها ديانة هندية فإن أثرها خارج الهند كان هائلا في التبت، والملايو وكوريا وسري لانكا.. فضلا عن أنها قامت بدور هام في تاريخ الديانة الصينية وهو موضوع الفصل التاسع والديانة اليابانية وهو موضوع الفصل الأخير.

ومعنى ذلك كله أن الهيئة حذفت بعض فصول الكتاب في أصله الإنجليزي حتى يجيء حجمه متفقا مع السلسلة فحذفت فصلا عن الديانات البدائية بالفصل الأول في كتابنا وفصلا عن الديانة القبلية في آسيا وفصلا آخر عن الديانة الأفريقية وفصلا رابعا عن الديانة الأسترالية.. الخ كما حذفت

الفصول الثلاثة الخاصة بالديانات السماوية الكبرى: اليهودية والمسيحية والإسلام، لأن الكتب والشروح لهذه الديانات في متناول الجميع من ناحية، ولأننا أقدر على فهم هذه الديانات من غيرنا من ناحية ثانية.

ولقد رأينا إتماما للفائدة أن نضيف إلى الترجمة العربية معجما بأهم المصطلحات مع شرح بسيط لكل مصطلح حتى نجنب القارئ بقدر المستطاع- بعضا مما عانيناه في ترجمة هذه المصطلحات إن هو حاول التوسع في دراسة الموضوعات المطروحة.

لا بد لي في النهاية أن أوجه خالص شكري للزميل الصديق الأستاذ الدكتور عبد الغفار مكاوي لمراجعته الدقيقة المتأنية لهذه الترجمة التي استفدت منها كثيرا.

والله نسأل أن يهدينا جميعا سبيل الرشاد.

الهرم في أول يوليو 1992

إمام عبد الفتاح إمام

١ بلاد ما بين النهرين

تقدم لنا الحضارات المبكرة في الشرق الأدنى القديم فرصة فريدة لدراسة نشأة الدين وتطوره في منطقة ذات أجناس وثقافات مختلطة ظهرت فيها فيما بعد ديانات التوحيد الكبرى: اليهودية، والمسيحية، والإسلام التي تدين جميعها ببعض الدين، للمراحل المبكرة في الفكر الديني في بلاد ما بين النهرين موطن السومريين، والبابليين، والآشوريين.

ولقد كشف علماء الآثار عن بقايا أقدم المستوطنات القروية (جيرمو Jarmo في العراق، كاتل هيويك Catal Huyuk في تركيا، وأريحا في فلسطين) التي كانت موجودة بالفعل في الألف السابع أو السادس قبل الميلاد، وفي الألف الرابع تعلمت مجموعات كبيرة من الناس في جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق الحديث) التحكم في مياه نهر دجلة والفرات، وري السهول المحيطة بهما، وهذا التحكم في البيئة مكن المدن من الاستقرار على ضفاف الأنهار، والقنوات الرئيسية.

ومنذ عصور ما قبل التاريخ، وهؤلاء الناس على وعي بالقوى الروحية التي يعتمد عليها وجودهم، وتشهد على ذلك بقايا المعابد والهياكل وأماكن التضحية وتقديم القرابين، والتماثيل الرمزية

الصغيرة، وتماثيل الآلهة وعادات الدفن، ومع ظهور الكتابة التي وجدت أولا في أوركUruk (أو آرك Erech)[1]، حوالي سنة 3000 ق. م، ظهر مصدر جديد من الشواهد التي زودتنا بما يقرب من نصف مليون وثيقة مكتوبة على الطين، وكذلك بألواح الكتابة التي استخدمت العلامات المسمارية مما جعل من الممكن تتبع تطورهم الفكري حتى وصول الغزاة من الفرس والإغريق إلى هذه المناطق.

ولقد طوّر السومريون خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، وجهات نظر كان لها تأثير هائل لا على معاصريهم من السومريين الأول فحسب، بل على خلفائهم أيضا من البابليين والآشوريين والحيثيين، والعيلاميين، وسكان فلسطين من الشعوب المجاورة الذين اعتنقوا معتقداتهم الأساسية وكان تصورهم الرئيسي، في جوهره هو أن الكون يتسم بالنظام وأن كل ما يمكن أن يدركه الإنسان فهو انعكاس لتجلى العقل الإلهي ولنشاط خارق للطبيعة.

والعناصر الرئيسية التي يتألف منها الكون عند السومريين هي السماء آن an[2] والأرض كي ki[3] وتبدو الإلهة الأخيرة أشبه بقرص الغلاف الجوى ليل Lil أو الروح، وهم يعتقدون أن البحر الذي كان في البدء في هو السبب الأول الذي انبثق عنه الكون المخلوق وتشكلت فيه الشمس والقمر والكواكب، والنجوم وكل يتحرك في طريقه الإلهي المرسوم وما يحدث في السماء يحدث على الأرض، ثم ظهرت النباتات والحيوانات والحياة البشرية..

أما الكائنات التي تعلو على الإنسان والموجودات غير المنظورة التي تتحكم في الكون الكبير وتتجسد فيه فكانت بالضرورة توصف بصفات بشرية من ذلك أنها كالرجال والنساء لها انفعالاتها الطاغية وجوانب ضعفها كما أنها تأكل وتشرب وتتزوج وتنجب أطفالا وتقتنى خدما ومنازل، لكنها على خلاف البشر خالدة... «فالآلهة عندما خلقت البشر احتفظت لهم بالموت، وأبقت الحياة في يدها».

ولقد اعتقد السومريون، وفقا لما تقوله عقيدتهم الدينية، وقد بقى قائما في نصوص مفصلة منذ فجر العصر البابلي القديم حوالي 1900 ق. م أن لكل موجود كوني أو ثقافي قواعده وقوانينه الخاصة التي تجعله يستمر في الوجود إلى الأبد وفقاً للخطة التي وضعها الإله الذي خلقه، وهى تسمى «مه me» بالسومرية[4] وهناك قائمة (مه) وتشمل (السيادة، الألوهية، التاج، العرش، الملك، الكهانة، الحقيقة.. الهبوط إلى العالم السفلي

والصعود منه، الفيضان، الأسلحة، المعاشرة الجنسية، القانون، الغنى، الموسيقى، القوة، العدوان،. الأمانة، تدمير المدن، الصناعات المعدنية، الكتابة، الصناعات الجلدية، البناء، الحكمة، الخوف، الرعب، الصراع، السلام، الضجر، الانتصار، القلب المضطرب، الحكم (القضاء)» غير أن هذه التناقضات الظاهرة في تعدد الآلهة Polytheism لم يكن يثير قلقا عند رجال الدين السومريين،. وعندما حل عصر فاره Fara[5](حوالي 2500 ق.م) وضع السومريون مئات الأسماء المقدسة، وصنفوا كلا منها على أنه إله، (والإله في السومرية هو دينجر Dingir [6]، وفي السامية ايل-و) وكتبوا هذه الأسماء مع تصديرها بعلامة لأحد النجوم، ولكل إله أو إلهة خاصية مميزة، ومناطق مسؤولية محددة، رغم أن كثيرا منها آلهة ثانوية، لكنهم يجمعونها في أسرة تلتف حول إله قوي بوصفها زوجات أو أبناء، أو موظفين أو خدما.

الحاكم الأسمى

كان «آن. و. anu» إله السماء في الأصل هو الحاكم الأسمى والإله الرئيسي في مجمع الآلهة السوري، وكان في البداية مهتما بشئون الحكم ويرمز له بغطاء للرأس ذي قرون علامة على ألوهيته، وكان معبده الرئيسي في أوروك Uruk (الوكاء).

ولكن عندما هزمت مدينة نيبورNippur المجاورة لمدينة أوروك أصبح إلهها إنليل Enlil الليل Elil (سيد الغلاف الجوى والرياح)[7] وأصبح معبده الرئيسي في إكور Ekur موضوع توقير عال. وإنليل هو المحسن، والجد الأول الذي يعزى إليه خلق الشمس، والقمر، والنباتات والأدوات الضرورية التي يسيطر الإنسان بواسطتها على الأرض. وتقول بعض النصوص الدينية إن إنليل هو ابن آنو Anu[8] رغم أنه في نصوص أخرى من نسل أول زوجين إلهين وهما أنكى Enki ونينكي-Nin ki (سيد الأرض وسيدتها)[9].

وعلى الرغم من أن إنليل يرتبط بمدينة نيبور«فإنه يعد الإله الأسمى لكل سومر، وهو يمسك بالألواح التي سُطرت فيها أقدار البشر جميعا ولقد ظلت مدينة نيبور مدينة مقدسة ومركزا للحج طوال التاريخ لبالى، رغم أن الإله مردوخ Marduk[10] استولى في أواسط الألف الثانية على مكانة إنليل ووظيفته داخل بابل، وفي أشور كانت نينليل Ninlil زوجة إنليل ورفيقته في

ذلك الوقت، متحدة مع الإلهة العظمى إنينInnin السومرية التي تسمى شعبيا إينانا Inanna[11] سيدة السماء وهي عشتار عند البابليين».[12].

وثالث قادة مجمع الآلهة (رغم أنه لم يكن لدى السومريين أي تصور عن تثليث الآلهة) هو إنكى Enki(إله العالم السفلي) المعروف أيضاباسم «أيا Ea» إله الأعماق[13] فقد حكم المياه في بدايتها وتعزى إليه الحكمة كلها، وفي مقابل استعلاء «آنو» وانليل[14] وغطرستهما نجد أن «أيا Ea» كان محبوبا من البشر ومن رفاقه الآلهة في آن معا. ولما كان يعلم جميع الإسرار فقد علّم الإنسان الأول جميع الفنون اللازمة للحياة والتقدم، وهو الذي عرف بخطط الآلهة[15]، ولذلك فقد كان الناس يعودون إليه ليستوضحوه بعض الأسرار الملغزة عليهم، فلهذا أصبح فيما بعد راعي السحرة والحرفيين، وكانت مدينة إريدو Eridu على الخليج العربي هي المركز الرئيسي لعبادته.

وكان ابنه مردوخ Marduk هو الذي عهد إليه برئاسة مجمع الآلهة كله عند البابليين عندما كانت مدينة بابل هي مركز الدولة (أو السلالة) القوية التي سيطرت؟ على معظم بلاد ما بين النهرين، وفي ذلك الوقت كان الإله «نابو Nabu»[16] ابن مردوخ وهو راعي العلم، لا سيما الفلك وفنون الكتابة قد ظفر بمناطق جديدة تحت سيطرته سواء في بابل أو في المدينة المجاورة لها التي يوجد فيها معبده وهى مدينة «بورسيبا Borsippa» ويرجع صعود نجم الإله مردوخ من ناحية إلى مدرسة دينية ألفت التراتيل والصلوات لتمجيده ثم أضافت الفصل الثاني عشر والأخير إلى ملحمة الخلق «الكلاسيكية» لكي تجمع له النعوت والألقاب التي يوصف بها الآلهة الخمسون الرئيسيون جميعا. وهكذا نجد في قوائم الآلهة إلها مثل حدد adad[17] يقال عنه إنه «مردوخ» الذي ينزل المطر وإله القمر سن Sin[18] على أنه «مردوخ الذي يضيء الليل» ولقد سعت هذه الجماعة عن طريق عمليتي التوفيق بين المعتقدات والحماس العالي إلى فرض نوع من «الوحدانية Monotheism» ولكنها لم تنجح قط لأن الآلهة المحلية كان لا يزال لهم أنصار متعلقون بهم رغم توقيرهم «لمردوخ» بقدر توقيرهم لـ «إنليل» من قبل على أنه بعل Bel(أو السيد)[19] ولقد قامت هذه الحركة بدورها في زيادة تبسيط مجمع الآلهة.

وهناك إلهة رابعة هي ننخرساج Ninhursag أو نينماح Ninmah(السيدة المبجلة أو الأم الأرض الأصلية)[20]. وهى ترتبط في الفكر السومري «بانليل»

و«أيا» في خلق الجنس البشري.

2- النجوم والكواكب:

هناك مجموعة ثانية من الآلهة تتألف من القمر (وهو نَنار Nannar عند السومريين وكذلك سين)، والشمس (أتو Utu عند السومريين وشاماس أو شمس عند الساميين) ثم هناك الكواكب الرئيسية ونجمة الصباح عشتار Ishtar(وهى كوكب الزهرة فينوس Venus) والقمر في قاربه الهلالي (على شكل الهلال) يعبر السماء المظلمة بانتظام،. ويقسم السنة إلى أشهر كل منها ثلاثون يوما، أما الإله « ... ننار Nannar» فهو ابن آنو Ane (أو ابن إنليل عند آخرين) وزوجته ننجال Ningal أما إله الشمس والإلهة الرائعة «انانا Inanna»[21] ويقع معبده الرئيسي في مدينة أور Ur وحران أماشاماش أو شمش أو الشمس فهو يعبر السماء يوميا بعربته مبددا الظلام والشر، بينما يوزع أشعته بالتساوي على جميع الموجودات على نحو صارم وبلا تفرقة، وفي الليل يعبر العالم السفلي، ويواصل دورته، بوصفه القاضي الأكبر و «إله القرارات» وكان يرمز له في بابل بالشمس ذات الأشعة الأربعة في حين أنهم كانوا يصورونه في آشور بقرص الشمس المجنح، وعلى الرغم من أن المراكز الرئيسية لعبادته كانت تقع في مدينة سيبار Sippar ولارسا[22] Larsa وكان هناك هيكل واحد على الأقل مخصص لعبادته في كل مدينة من المدن الرئيسية.

ولقد استولت الإلهة العظيمة «عشتار»[23] بالتدريج على وظائف كثيرة من الإلهات الإناث السابقات وأصبح اسمها مرادفا للفظ «الإلهة» في حين أنها كانت هي نفسها راعية الحرب والحب في آن معا، ويمكن أن نراها في تعبير الفنون عنها وهي تقف سيدة للمعركة مسلحة بالقوس والرمح وترتدى قلادتها اللازوردية وهى تضع قدمها على رمزها: الأسد. أما بوصفها إلهة الحب فقد كانت في العبادة الشعبية-تعبد في جميع أنحاء البلاد وتحت صور محلية مختلفة.

ويوجد معبدها الرئيسي في مدينة نينوى كما انتشرت عبادتها من هذه المدينة تجاه الغرب، حيث عرفت إلهة الحب والخصب باسم عشتار إربيل، وكان ينظر إليها على أنها ملكة السماء وبهذا الاسم جذبت نساء اليهود [24]. وهى تعبد عند السومريين باسم عناة Anat وعند العرب اسم عثتر Atar[25] وعند

اليونان باسم عشتارت[26]، وعند المصريين باسم إزيس Isis ولقد كان يوجد في بابل وحدها مائة وثمانون معبدا على جانب الطريق في الهواء الطلق حيث كان من الممكن التوجه إليها بالصلاة أو تقديم النذور. ووفقا لما ترويه نصوص التراث البابلية فقد هبطت عشتار ذات مرة إلى العالم السفلي وهي تبحث عن حبيبها المفقود «دموزي Dumuzi» أو تموز Tammuz[27] ونتيجة لهبوطها هذا توقف الخصب والإخصاب في البلاد، وكانوا يربطون في علم التنجيم بينها وبين نجمة السماء ونجمة الصباح (فينوس Venus).

وهذه الآلهة السبعة الرئيسية كان يخصص لها حجرة داخلية صغيرة في مجمع الآلهة وهي الآلهة السبعة التي تحدد مصائر البشر جميعا يساعدها خمسون روحا عظيما (آنوناكي Annunaki وأجيجي Igigi)[28] الذين يحددون مجتمعين القوى الروحية التي تعمل تحت الأرض وفوقها.

3- ركوب العاصفة:

أما آشور فقد كانت آلهة أخرى موضع توقير وتبجيل عندها فإله الجو «حدد» يركب العاصفة مطيته الرمزية، وهو يرعد كالثور، ممسكا في يده بشوكة البرق الثلاثية. وعلى الرغم من أنه كان يجلب الخراب والدمار عن طريق ما يسوقه من فيضانات فانه كان أيضا شخصية محبوبة تجلب الرخاء عن طريق المطر. ومع أن عبادته كانت في بابل وآشور، فإنه كان أكثر شعبية في المدن السورية كثيرة التلال حيث كان يسمى «رامان Ramman» أو ريمون Rimmon (المرعد) أو يعرف باسم «حدد» أو «آدو Addu» أو باسمه الحيثي تشوب Teshub.

ولقد احتاجت آشور باستمرار، لتأكيد وضعها السياسي والاقتصادي أن تقوم بحملات عسكرية مستمرة لتبقي على طرق تجارتها مفتوحة عبر التلال والصحاري المحيطة، ولهذا لا يدهشنا أن نرى آلهتها تتسم في الأعم الأغلب بسمات عسكرية، وذلك مثل «نينورتا Ninurt »[29] إله الحرب والصيد وربما كان هو نفسه نمرود Nimrod[30] الذي يذكره الكتاب المقدس، وربما كان أيضا جيرسود Girsu عند السومريين، وهو أيضا نوسكو Nusku [31]وجبيل Gibil [32] إله النار. ويضيف الساميون الفارون إلى الغرب آلة أخرى إلى مجمع الآلهة البابلي مثل «أمورو Amurru» و«دجن Dagan»[33] اللذين يبتهل

إليهما بأسمائهما الشخصية.

ولكل إله من الآلهة الكبرى صفات خاصة يبتهل له عباده لها أثناء الصلاة، وهي في مجملها تشع بهاء وروعة وتخلق جوا من الرهبة يجعل الأنصار قبل الأعداء يرضخون وقد كان لكل منها أيضا تمثاله ورمزه الذي أنفق على زينته بسخاء ليحل محل الإله نفسه. ويعرف الإله في الأعمال الفنية، بغطاء للرأس ذي قرون حتى لا يبدو منظره عاديا كأي رجل أو امرأة ولا بد لكل إله أن يحمل رمزا يعين هويته مثل إله الشمس «وشاماش أو شمش Shamash» الذي يحمل في يده منشار البت والقطع، أو تراه واقفا فوق حيوان رمزي أو بحواره.» كما نجد «مردوخ» يقف فوق نسر له رأس حية أو أسد. والإلهة جولا Gula[34] إلهة الشفاء يمكن تمييزها في الآثار الفنية من وجود كلبها بجوارها ويمكن كذلك تمييز الإلهة الرئيسية بعدد معين يمكن استخدامه في كتابة أسمائهم، آنو العدد 60، وإنليل 50، وأيا 40، وسين 30، وشمش 20، وعشتار 15.

4- حكايات وقصص:

المناقشات الفلسفية المتعلقة بأدوار بعض هذه الآلهة وقواها النسبية وجدت تعبيرا عنها في الحكايات والقصص (الأساطير بأوسع معنى لهذه الكلمة) وقد وضعت في الأعم الأغلب، لتفسير الوقائع الكسمولوجية والمعتقدات الشائعة، وعلى ذلك نجد أن أسطورة «أنانا» و «إنكى»-التي تروى كيف نقلت فنون الحضارة «الـ مه» me [35] من مدينة أريدو Eridu إلى مدينة أوروك قد حاولت أن تفسر كيف أصبحت المدينة الأخيرة المركز الروحي الأول في سومر بفضل الإلهة «أنانا»، وهى الإلهة الأم ذات العبادة الواسعة الانتشار، فقد زارت سأنانا» الإله «إنكى» المطلع على قلب الإلهة ذاتها»[36] في مدينة «أريدو» فأقام لها وليمة شهية حتى لعبت الخمر برأسه فوهبها ألواح القدر «مه» التي تشتهيها، وحملتها «أنانا» مسرعة على سفينة السماء. وعندما أفاق «إنكى» أرسل رسوله «أسيمود Isimud» ليخبر أنانا أن الإله غيّر رأيه وعلى الرغم من الهجمات المتكررة التي شنتها عليها وحوش المثير فقد وصلت إلى مدينتها«أوروك» بسلام في النهاية بمساعدة وزيرتها نينشوبور Ninshubur.

وظهرت الإجابة عن السؤال حول أصل العالم في أساطير مختلفة اشتركت فيها الآلهة فقد كان مولد القمر، مثلا، موضوع قصيدة، في حين أن ملحمة «الاينوما إيليش Enuma Elish»[37] وهي واحدة من ملاحم الخلق عند البابليين، وقد سميت بكلمات الافتتاحية «عندما في الأعالي» تعزو خلق السماوات والأرض إلى البطل «مردوخ» الذي حارب تعامة أو تيمات Tiamat(تنين البحر) ومعناها الحرفي اليم أفعى الظلام وقتلها ثم شقها نصفين فانفتحت كالصدفة فصنع السماء من نصفها الأول والأرض من نصفها الثاني. وهناك ملحمة أخرى تصف تكوين الأرض بطريقة أكثر واقعية فالإله يربط قصبات بعضها إلى بعض ويبسط الأرض فوقها على طريقة تكوين القرى في المستنقعات الجنوبية في بلاد ما بين النهرين.

وتروى النصوص السومرية أصل الرجال والنساء بلغة الميلاد، ففي إحدى الحكايات يعمل «آنو وإنليل» سويا متعاونين مع الإلهة الأم «ننخرساج» في خلق البشر.

وفي رواية أخرى نجد أن «أيا Ea»[38] والإلهة أرورو Aruru يخلقان الإنسان من الطين بقوة الكلمة الإلهية.. وتصف الملحمة البابلية القديمة «أتراحسيس Atra hasis» ميلاد الموجودات البشرية في شيء من التفصيل[39] عندما جعل «إنليل» الإلهة الصغرى تحفر القنوات وتعمل من أجل ازدهار الزراعة التي يعتمد عليها غذاء الآلهة أنفسهم، فقاموا بالإضراب والامتناع عن هذا العمل الشاق ووصلت شكواهم إلى آنو Anu إله السماء وبقية الآلهة. فخلقوا البشر من طين ودم بفعل من أفعال الميلاد مستخدمين الإلهة الأم (التي تسمى ماما Mama أو نينتو Nintu) وتناولت الاينوما إيليش هذا الموضوع ذاته عندما ذهبت إلى أن خلق البشر عمل يخدم الآلهة ولقد قام بهذا الخلق مردوخ بعد انتصاره على تعامة فمزج الطين بدم إله مقتول هو الإله كينغو Kingu[40].

5- العصر الذهبي:[41]

تعود إحدى القصص السومرية واسمها «أنيمكار وإله أراتا» إلى العصر الذهبي:

«في تلك الأيام لم يكن هناك حية ولا عقرب،
لم يكن هناك سبع ولا ضبع ولا كلب شرس ولا ذئب،
لم يكن هناك خوف ولا رعب،

لم يكن للإنسان منافس ولا غريم،
كانت بلاد مارتو Martu(الغرب) آمنة مطمئنة
وكان الكون جميعه، والناس كلهم
يمجدون إنليل بلسان واحد»

وهناك أسطورة أخرى لانكي تتحدث عن أرض الأحياء الطاهرة المشرقة أرض دلمون Dilmun على الخليج العربي[42]: هاهنا كل شيء في سلام فلا مرض ولا شيخوخة،. رغم نقص المياه العذبة، وعندما ظهر إله الشمس ليستخرج الماء من الينابيع، أصبح المكان جنة حقيقية ومرتعا للآلهة الخالدين، ثم تقوم «ننخرساج» بخلق ثمانية أنواع من النباتات وعندما أكلها أنكى كلها لعنته الآلهة، لكنها اقتنعت في نهاية الأمر بخلق ثمانية آلهة لعلاجه، كل إله يختص بعلاج أحد أعضاء «أنكى» العليلة.[43] و قد خلقت الآلهة هؤلاء الإلهات بأن وضعتهن بغير ألم وتحمل واحدة منهن هي نينتي Ninti[44] المختصة بعلاج ضلعه اسما، يمكن أن يعنى «سيدة الضلع» أو السيدة التي تحيى وهى تذكرنا بحواء التي أخذت من ضلع آدم على نحو ما جاء في سفر التكوين.

وينعكس التمرد البشرى على الآلهة في قصة البساتي شوكا ليتودا Shukalletuda الذي ارتكب خطيئة قاتلة بأن أوقع «أنانا» في الغواية[45] وطبقا لما جاء في ملحمة «أتراحسيس Atrahasis» فقد انسحب الناس من أعمالهم على نحو ما فعلت الآلهة الصغرى، وقبلهم غضب الإله إنليل لأن الخروج عن العمل الإلهي الذي يقتضي تزويد الآلهة بما تحتاج إليه، مضافا إلى ذلك الضجيج الذي أحدثه تكاثر الأعداد الهائلة من الجنس البشرى كل ذلك حرم إنليل من النوم فأراد حل المشكلة (بالقضاء عليهم) وسلط عليهم الطاعون والمجاعة والجفاف والقحط غير أن تدخل الإله «أنكى» مكّن الرجال والنساء من البقاء، وتجنب هذه العقوبات المتكررة.[46]

6- الهرب من الطوفان:

تصور ملحمتا أتراحسيس وجلجاميش الطوفان على أنه عقاب أنزلته الآلهة بالجنس البشرى. ولقد ظفر البطل، وهو إنسان، في كل ملحمة منهما بالخلود وبقي بفضل ما قدمه له الإله أنكى من تحذيرات (أو الإله أيا Ea)، وكذلك عن طريق بناء سفينة تهرب عليها عائلات البشر والحيوانات.

إن «أوتنابشتيم Utnapishtim» «الملقب بالبعيد»[47] ينبئ جلجاميش الذي كان قد عبر لتوه شهر الموت، كيف هرب من الطوفان وكيف استقرت سفينته في النهاية على جبل «نصير Nisir» بعد أن اختبر انحسار الماء بأن أطلق أنواعا مختلفة من الطيور[48]. ولقد غضب الإله إنليل لأن إنسانا استطاع الهرب من الدمار ثم أقنعته الآلهة بعد جهد أن يهبه الخلود.

يقول أوتنابشتيم لجلجامش أما الآن: فمن لأجلك سيدعو الآلهة إلى مجمع مقدس حتى تجد سر الحياة الذي تسعى وراءه؟ وفي سلسلة من الاختبارات أثبت أن الإنسان العادي عاجز عن أن يظل يقظانا سبعة أيام وسبع ليال أو أن يحافظ على نبتة الحياة إذا ما حصل عليها مرة.

وهناك ملاحم أخرى تحاول أن تفسر جوانب الشذوذ في عملية الخلق، من ذلك مثلا وجود كائنات بشرية ناقصة أو وجود بعض الشخصيات المتميزة أو عادات البدو في أرض مارتو Martu كما كانت الكوارث والأمراض التي جلبتها رياح الجنوب موضوعا لقصة الإله نينورتا Ninurta والعفريت أساج Asag عفريت الأوبئة[49].. وفي استطاعتنا أن نلاحظ أن جميع هذه القصص يتكرر فيها ورود تصورات معينة خاصة بالسفر أو الترحال، والعقاب وتدخل الآلهة ونبتة الحياة، والحاجة إلى التعبد وخدمة الآلهة.

7- الموت هو قدر الإنسان:

على الرغم من وجود الكثير من الأساطير التي تؤكد أهمية سعي الإنسان وراء الحياة، مثل أسطورة إيتانا Etana الراعي الذي حاول أن يرقى إلى السماء على أجنحة النسر[50] فقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل إذ كان الموت نصيب البشر رجالا ونساء بل إن دموزي Dumuzi الذي كان في الأصل ملكا على أوروك والذي قيل إنه تزوج من الآلهة إنانا، كان لا بد أن يموت. وعندما هبط إلى العالم السفلي راحت حبيبته تبحث عنه بغير جدوى، وبقي دموزي ليحكم تلك الأرض التي لا عودة منها وعلى عكس الاعتقاد الشائع وأيضا على عكس الافتراض الذي افترضته مجموعة من الباحثين في تفسيرهم للأسطورة وللطقوس الدينية بأنها تمثل البعث الذي يعبر عن الموت الموسمي للنبات وعودة الحياة إليه، على العكس من ذلك فإن دوموزي أو تموز لم يعد إلى الحياة على الأرض مرة أخرى طبقا لما ترويه الأسطورة

التالية التي تتحدث عن هبوط عشتار إلى العالم السفلي[51]

وهناك قدر من الغموض في نظرة بلاد ما بين النهرين إلى الموت والحياة الأخرى، فالجحيم المظلم أرالو Arallu أو الأرض الهائلة أو «دار الأشباح» [52] توجد تحت الأرض. وتبلغها أرواح المتوفين عندما تعبر بالقوارب نهر خُبرة Habour[53] وينعكس هذا الاعتقاد على شكل القوارب التي عثر عليها في بعض القبور، فها هنا نجد مملكة أريشكيحال Erishkigal وزوجها نرجال Nergal[54] مع حاشيتها من الآلهة والموظفين من صرعى الحروب بما في ذلك وزيرهما أشروم[55] وإلهة الكتابة بعلة صيرى Beleterstim التي تقوم بتسجيل الداخلين وهؤلاء جميعا يحتاجون إلى طعام وملابس وأدوات، شأنهم شأن الآلهة الموجودة على سطح الأرض والبشر الذين يعيشون فوقها وتعتمد مرتبة المرء في العالم الآخر على نشاطه إبان حياته ويتولى الحكم على أرواح الموتى إله الشمس الذي يمر بالعالم السفلي في السماء فيزودهم بالضوء الوحيد الموجود لديهم كما يحكم عليهم أيضا الإله ننار الذي يقرر نصيبهم.

يقص «أنكيدو» أحلامه على جلجامش ويصف العالم السفلي بأن الحياة فيه كئيبة موحشة فهي انعكاس شاحب للحياة على الأرض ويروى له كيف سيق إلى بيت الظلام.

إلى البيت الذي لا يغادره من يدخله،
إلى الطريق الذي لا عوده منه،
إلى المكان الذي لا يرى سكانه نورا ولا ضياء.
حيث الغبار طعامهم والطين قوتهم،
عليهم أجنحة بدل الملابس
يعيشون في الظلام فلا يرون النور.
في بيت التراب شاهدت الملوك، وتيجانهم مطروحة على الأرض والأمراء الذين حكموا في القرون الخوالي.

ملحمة جلجامش: اللوح السابع (34- 42)

وهؤلاء النزلاء يطعمون ويشربون مياها باردة من زقاق الماء وتلك مسئولية الابن الأكبر الذي عليه أن يقوم في فترات دورية بسكب السكائب تكريما للآلهة وتقديم ولائم جنائزية ليقيم أود الأسلاف فإذا ما رقد شخص ما أو روحه (إتيمو mu Ete)[56] بغير دفن أو حرمت من المساندة التي يقدمها

الأحياء فإنها تطوف بهم وتعذبهم ويدفن الملوك، كالعامة، في مقابر أو أسفل مساكنهم وتضم القبور الملكية في أور (2600 ق. م) ما بين 73 إلى 74 من الأتباع والموسيقيين، كما تشتمل على هدايا من الجواهر، وأواني وأدوات موسيقية ومزلجة للمدفن وحيوانات لتجرها (كما هو الحال في مقبرة بوآبى-pu Abi). وربما كانت هذه ممارسات من أصول غير سامية مستمدة من خارج بلاد ما بين النهرين، ومشابهة لتلك الطقوس المعروفة في مصر. وإن كانت تشير على كل حال إلى حاجة الإنسان للتزود بالمؤن من أجل الحياة في العالم الآخر.

8- الديانة الشخصية:

تقول الغالبية العظمى من النصوص التي تروي عن دور الملك الرسمي في العبادة، إنه مثل الآلهة على الأرض أو أنه ينوب عنها، فقد منحته الآلهة السلطة لكي يتصرف نيابة عنها،. وهى تتوقع منه أن يعامل الناس بالعدل وبلا محاباة بحيث يدافع عن الضعيف أمام القوي، وأن يكون نصيرا لليتامى والأرامل. وقد كان يوجه الاعتبارات الأخلاقية لما تجلبه من رضا الآلهة وبركاتها وما يمنع لعناتها. ولقد تداولت الأجيال طرائق الحياة والحكم السليمة وأيدتها بالنصوص التي تقدم التعليمات والنصائح. لقد كانوا يعتقدون أن سلامة الملك تقوم عليها سلامة الجماعة ولهذا فإنه تتخذ إجراءات صارمة لضمان ذلك كما أن ضمان استمرار الإنجاب يجعل الملك، بوصفه خليفة «ديموزي» يعيد ممارسة طقوس الزواج المقدس مرة أو أكثر في عهده أما دور الآلهة فيعهد به إلى كاهنة منتقاة.

وما يقوم به الملك طوال حياته من أعمال يحكمه طقوس دينية واحتفالات تضمن طهارته وتحرس شخصه وفي حالات معينة كحالة ترقب نذير مشئوم يوضع على العرش ملك بديل يتلقى الفأل السيئ أو حتى الموت إذا كانت النبوءة تقول به.

ولقد حدث ذلك مرة على الأقل، في عهد أسرحدون Esarhaddopn الآشوري (680-669 ق. م) وليس ثمة دليل عل أن الملك كان يعد نفسه إلها، رغم أن هناك بعض الملوك (وهم أساسا من الأسرة الثالثة في سلالة أور ur) كانت توجه إليهم الصلوات والتراتيل، وربما كان ذلك جزءا من حفلات التأبين التي تقام لهم كل عام.

ويمكن للأفراد، إلى حد ما أن يتحكموا في حياتهم كما يفعل الملك كما أنه لا بد لهم من توجيه صلواتهم إلى إله بعينه، يعبدونه ويتلون التراتيل التي تمجد صفاته الإلهية ومنجزاته وتنتهي بتسبيحه نمطية للشكر وتشمل المزامير السومرية والأكادية تراتيل موجهة إلى المعابد والمدن المقدسة. ويمكن أن تتجه الناس إلى الآلهة الشفيعة لاما Lama التي تأخذ بيد المتعبد إلى حضرة الإله كما يؤخذ المرء إلى حفرة الملك الجالس على عرشه ويمكن كذلك الابتهال الأرواح الحارسة «شدو Shedu» «ولا ماسو Lamasu» لكن من الواضح أن المسؤولية الفردية ضرورية في الدين.

«أعبد إلهك كل يوم،
وقدم له القرابين والصلوات،
التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور،
قدّم قربانك طائعا لإلهك،
لأن ذلك يتناسب مع الآلهة.
قدم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم،
وسوف تثاب على ما تفعل.
عندئذ سيكون بينك وبين الله اتصال كامل،
إن التبجيل يولد الحظوة،
والقربان يطيل الحياة،
والصلاة تكفر عن الذنب».
(نصائح الحكمة 135- 145)

ويستطيع المتعبد الثري، بدلا من القيام بنفسه بالصلاة والنواح، أن يودع المعبد شيئا مناسبا على سبيل الهدية (تمثالا صغيرا، بعض الأواني النحاسية، شاهدا أو حجزا تذكاريا Stelao خاتما، قطعة من المجوهرات، نموذجا مصغرا). وتوضع هذه الأشياء على مقربة من تمثال الإله لتذكره بالطلب أو لتشكره على نعمة. وقد تكتب الصلوات كذلك على هيئة رسائل توجه بطريقة مناسبة، وتكتب، عادة، في شيء من التفصيل عارضة الشكوى أو الالتماس أو الاحتجاج أو الصلاة، وإيماءات الصلاة، بالإضافة إلى الركوع والسجود، هي رفع اليدين معا إلى أعلا، أو وضع يد واحدة أمام الفم على أن تكون راحتها تجاه الوجه.

9- العبادة:

المعبد هو بؤرة النشاط الديني، ويعد معبد الإله إنكى Enki في مدينة إريدو Erido أقدم ما وصلت إليه أعمال التنقيب، وهو بناء على شكل مستطيل، في حائطه كوة يوضع فيها تمثال صغير للإله أو شعار مقدس وأمامها منضدة للقربان، ويقوم البناء على نموذج أقدم طراز للهياكل من أعواد القصب، ثم أعقبته مبان أرحب وأضخم وفي مبنى صومعة Cella حيث يرفع الإله فوق منبر أو قاعدة في محراب داخلي مظلم ويوضع أمامه المذبح أو المنضدة وتوجد مغسلة أو بئر ماء في الساحة الرئيسية للمعبد بعد مدخله الرئيسي كما يضم المبنى أماكن جانبية للعبادة وغرفا للتخزين وفي بعض الأحيان يقوم المدخل الرئيسي للمعبد على زوايا قائمة بالنسبة للمحراب الداخلي كيما تضفي مزيدا من الخصوصية.

وأوسع المعابد وأشهرها هو معبد الإله مردوخ في بابل المسمى: ألا يزاكيل-Es agila (أي المبعد الذي تناطح ذروته السحاب) هاهنا يقف تمثال مردوخ الضخم وأريكته التي تزن خمسين وزنه من الذهب. وبداخل المعبد قاعة ذات أعمدة تغطى جدرانها بالألواح الخشبية وكل منها داخل بواز خاص كما توجد خمس وخمسون حجرة صغيرة للعبادة منخفضة الارتفاع مخصصة لبقية آلهة المجمع. ولقد اهتم الملوك المتعاقبون بتجديد هذا المعبد وزخرفته، كما فعلوا نفس الشيء في جميع المدن التي كانت تخضع لحكمهم.

وفي «أوروك» أقيم معبد الإله آنو Anu (3000 ق. م) فوق تل صناعي يتألف من سلسلة من المنصات من الطوب النيئ تتناقص في أحجامها ويمكن الوصول إليها بواسطة سلم. ويتطور هذا النوع من البناء من مزار صغير مقام على منصة صغيرة كالموجودة في «أوكاير Uquair» تبلغ 5 ر4 م (15 قدما) فوق السهل المحيط بها. وعلى هذا النحو تطورت الزقورة السومرية Ziggurat[57] كما تطور برج المعبد.

وكانت الزقورة التي بناها أورنامو Ur-Nammu في مدينة «أور» عام 2100 ق. م[58] تتألف من ثلاثة طوابق حجم القاعدة 30X60 مترا (100X220 قدم) وارتفاع الزقورة كلها 21 مترا أي 70 قدما[59] ولكل طابق لون مختلف وعلى القمة يوجد مزار إله القمر نتار Nannar بلونه الفضي. ويروي «هيرودوت» أن برج المعبد في بابل المسمى «أتمنانكي Etemenanki» (وهى

تعني: المبنى الذي هو أساس السماوات والأرض) يتكون من سبعة طوابق ذوات سطوح خارجية مائلة تلتف صاعدة من طابق إلى طابق.

وقد أمكن التعرف على أكثر من ثلاثين «زقورة» تكوين بعضها غير عادي كبناء «آنو-حدد» المزدوج الأبراج في آشور. ولقد اختلف الباحثون في تحديد الغرض من بناء هذه الزقورات فذهب بعضهم إلى أنها تجسيد لجبل كوني أو مذبح عملاق أو عرض إلهي ولقد قيل إن الإله هبط على الأرض في هذه البقعة وفي قمة المعبد تتم زخرفة عريشة خضراء تقام فيها احتفالات الزواج المقدس التي يعتمد عليها إخصاب الأرض.

١٥ - الكاهن والملك:

تحتاج العبادة إلى مجموعة كبيرة من الموظفين المدربين للقيام على شئونها. وكان رئيس الجماعة أين،En في البداية يقوم بدور الملك والكاهن ويسكن في جناح من المبعد (جيبارو Giparu) ويكون هذا الرئيس رجلا أو امرأة تبعا لجنس الإله المخصص له المعبد، وهكذا نجد الإلهة «إنانا» في أوروك يخصص لطقوسها رئيس ذكر، أما إله القمر «ننار» في أور فتقوم على خدمته مجموعة من بنات حكام بلاد ما بين النهرين. وعندما انتقل الرئيس En إلى قصر دينوى وأصبح الإنسي Ensi(أي الملك فيما بعد) ارتبط الدور الروحي بوظيفة حاكم المدينة الذي كان يتولى إدارة شئون الأراضي الزراعية التابعة للمعبد نيابة عن الإله، وقد كان عليه أن يحافظ على التأدية الصحيحة للطقوس والاحتفالات وهي التي يعتمد عليها انسجام العلاقة مع الإله.

لكن الملك سرعان ما عهد إلى كهنة مختصين (شانجو Shangu) ببعض الواجبات الخاصة تحت إشراف رئيس لهم، ومن يدخل المحراب (أريب بيتى Eribbiti) يصحبه أولئك الذين يقومون بتقديم القرابين، وصب السكائب، والتطهير، والمسح بالزيت، في حين ينشغل آخرون بتهدئة إله غاضب عن طريق تلاوة التعاويذ والرقى أو عن طريق الغناء والإنشاد والموسيقى. ويعمل كهنة التعاويذ والعرافون داخل المعبد وخارجه وكثيرا ما يذهبون إلى المنازل الخاصة.

وحول المعبد توجد بيوت الخصيان، وعبيد المعبد، والبغايا المقدسات، فضلا عن جيش ضخم من التجار، والحرفيين، والجزارين، والخبازين،

وعمال المعادن، والفضة، والخشب الذين يقومون بإعداد القرابين، وصيانة المبنى وما يحتوي عليه من تماثيل. كما يقوم الرعاة بالعناية بقطعان المعبد، والفلاحون بالحقول وقد تناقص عددهم بشكل ملحوظ مع ازدياد النزعة الدنيوية بعد العصر البابلي القديم كما كان لبعض المعابد مجموعة من الكاهنات أو الراهبات يعشن في أديرة. ويساند هذا النشاط كله هيئة إدارية كبيرة من الكتبة وأمناء المخازن، والحراس.

والوصول إلى طبقات الكهنة العليا يحدده الكهنة الكبار، ويتطلب أن يكون المرشح سليما من الناحية الصحية صحيح البدن، جيد التعليم.

وتحتاج الآلهة، كالبشر، إلى مؤن منتظمة من الطعام والشراب توضع أمامها على الموائد في الصباح والمساء واللحوم المفضلة عندها هي لحوم القرابين (نيكو Niqu).

ولا بد أن يصب الدم أولا في فناجين ثم تختار الأجزاء الممتازة كالرئتين والكبد لمعرفة الطالع. وتقدم إلى الآلهة الفاكهة والسمك والطيور والعسل والزبد واللبن إلى جانب الأطعمة الرئيسية كخبز الشعير والبصل، والبلح، أما الزيت والخمور والبخور فهي تقدم بسخاء وكل شئ يسجله الكتبة بدقة شديدة ثم توح تقاريرهم أرشيف المبعد وتحظى التماثيل بزينات جديدة وزخارف حديثة في العيد الخاص بها.

١١- الأعياد:

كانت تقام احتفالات خاصة وتقدم القرابين، في الأيام المقدسة عند إله معين، وذلك بالإضافة إلى أيام الأعياد الشهرية المنتظمة في اليوم الأول من الشهر القمري (عندما يولد القمر الجديد) وفي اليوم السابع، والخامس عشر (ثم أصبح فيما بعد اليوم الخامس والعشرون) وكذلك يوم اكتمال القمر (شباط) ويوم اختفائه (بوبيلو Bubbulu). ولما كان التقويم السومري يختلف في المدن الكبرى من مدينة إلى أخرى، فإنه يزودنا بدليل للأعياد المحلية. ففي لجش Lagash كان الشهر الأول (مارس-أبريل) عيد تناول شعير الإله «نينجرسو Ningirsu»[60] والشهر السادس هو عيد دموزي. وفي هذه الأماكن وغيرها كانت مواسم الحصاد وجز صوف الغنم ترتبط بإقامة المهرجانات والمواكب. أما العيد الرئيسي فهو عيد السنة الجديدة (Akita) عندما يحتفل على الأقل، في بابل وأوروك وآشور بدعوة جميع آلهة المناطق

المحيطة للحضور ولقد ظلت الطقوس التفصيلية باقية ومنها طقوس معظم عمليات العبادة كالقيام بعمل تمثال وكسوته، أو وضع الأساس في بناء ما، وتبدأ الشعائر في بابل وقت الفجر، في اليوم الأول ثم يتبعها تقديم القرابين ثم صناعة التماثيل الصغيرة ثم يعقب ذلك، في اليوم الرابع، تلاوة ملحمة الخلق، وصلوات خاصة لمردوخ وينهض الملك في اليوم التالي ليغتسل في مياه النهر الطاهرة قبل أن يدخل المعبد مرتديا كساء كتانيا جميلا، وبعد الصلاة يفتح الباب للكهنة ويشرف على تقديم قرابين الصباح، وينخرط الملك في صلاة طويلة مظهرا براءته وحسن إدارته. وفي نهاية اليوم يقترب الكاهن الأكبر من الملك وينزع عنه الشارة الملكية، ثم يصفعه على خده فإذا انسكبت الدموع كان معنى ذلك أن كل شيء على ما يرام وأن «مردوخ» أبدى سروره، فكل شيء في البلاد يسير سيرا حسنا، عندئذ يسجد الملك وهو يصلي، ثم يستعيد الشارة الملكية قبل أن يقدم قربان المساء وفي اليوم الثامن يتناول الملك يد بعل ليقود الإله خارج المبعد في موكب مقدس يسير خلفه الآلهة الزائرون والكهنة، وعامة الشعب. ويقع المنزل الذي يقام فيه الاحتفال بالسنة الجديدة خارج المدينة على ضفة النهر عند المنبع، وهم يصلون إليه عن طريق بوابة عشتار ويقطعون الرحلة في سفينة كبيرة مزدانة وهنا تقرر الآلهة مصير البلاد في السنة القادمة ويعيدون تمثيل انتصار مردوخ على قوى الشر وينتهي العيد بالاحتفال بالزواج المقدس بين «مردوخ» وزوجته «صربنيتو Sarpanit »[61] مصحوبا بمهرجان شعبي كبير.

12- الخطيئة والعذاب:

وضع البابليون، بما لديهم من ولع بالنظام، قوائم بجميع أنواع الظواهر الملاحظة، بما في ذلك الأخطاء التي تستوجب، فيما يبدو، القصاص الإلهي في صورة المرض أو الاضطراب بل وحتى الموت. أما نتائج الأفعال الحسنة فكانت تسجل أيضا. وهناك نصوص من التعاويذ تصف الآثم بأنه ذلك الذي يأكل ما حرّمه على إلهه أو آلهته وهو من يقول «لا» بدلا من أن يقول «نعم» أو يقول «نعم» بدلا من «لا» وهو من يشير بإصبعه إلى مواطن (باتهام باطل) وهو الذي يقول مالا يجوز قوله وهو الذي يحتقر إلهه أو يسخر من آلهته وهو الذي ينطق بالباطل ولا يحكم بالحق وهو الذي يظلم الضعيف

ويباعد بين الابن وأبيه وبين الصديق وصديقه ولا يعتق الأسير(Shurpu II 5ff).

ويكن أن تغفر هذه الخطايا بتلاوة تراتيل التوبة والصلاة أو التفجيع والنواح. كذلك يمكن التحرر منها بتقديم قربان التكفير الذي يحل فيه الحمل مكان الإنسان غير أن هذا القربان يتكلف كثيرا بالنسبة لعامة الشعب الذين يستطيعون عند الحاجة الماسة استدعاء كاهن متخصص في طرد الأرواح الشريرة لتلاوة التعاويذ المناسبة من كتبه وعندما يكون سبب المرض مجهولا أو عندما تكون حالة المرض ناتجة من لمسة من يد الإله أو الروح أو الشيطان، فإن الطقوس المصاحبة تنصب في العادة على تحويل الشر إلى شيء جامد فينقلب إلى شيء لا حول له ولا قوة بفعل رمزي كربط تمثال صغير من الطين أو الخشب للمريض المعذب أو إذابة تمثال من الشمع أمام النار-كما يستدعي الكاهن كذلك كلما كان ذلك ضروريا للتغلب على قوة عدو أو السيطرة على أخطار قوى تفوق الطبيعة تتهدد بناء ما.

أما العذاب الجماعي فكان موضوع المرثيات والطقوس الدينية غير أن عذاب الفرد يخلق مشكلة، فأحد نصوص أدب الحكمة المسمى باسم السطر الأول فيه «لأمتدحن رب الحكمة» (لدلول Ludlul) يمكن أن يقارن بينه وبين سفر أيوب حيث إنه يصف رجلا غنيا يفقد جميع ممتلكاته كما يفقد صحته وربما عقله أيضا لسبب مجهول وهو يحاول عبثًا اكتشاف السبب من خلال كهنة التعاويذ والرقى وتأويل الأحلام وغيرهم. ويتعرض لتوبيخ أصدقائه وأسرته كلما ناجى نفسه ليعرف الأسباب الغامضة للشر، ثم لا يجد حلا للمشكلة إلا بالتوجه إلى الإله مردوخ بالتسبيح والدعاء، وذلك يعنى أنه وجد الجواب في مشيئة هذا الإله وهواه. وتعالج التيوديسية[62] البابلية الموضوع نفسه في صورة قصيدة من نوع خاص على هيئة حوار بين المعذب وصديقه، فعندما يعرض الأول وجهة نظره في انتشار الظلم فان الصديق يرد عليه بالحجة المعتادة وهي حجة ظاهرة التناقض تقول إنه مادام الآلهة ينظمون الكون ويسيطرون عليه فإن أساليبهم لا يمكن التكهن بها، غير أن التقوى مفيدة، باستمرار في نهاية المطاف.

13 - التنبؤ بالغيب

على الرغم من إيمان المعذب بالقضاء والقدر، فإن وجهة النظر الأكثر

انتشارا عند المفكر البابلي القديم هي أن الناس يمكنهم أن يتحققوا من إرادة الإله ما دام كل ما يجرى في السماء يتكرر حدوثه على الأرض، فما عليهم إلا ملاحظة الأدلة وفحصها حتى يعثروا على الجواب.. ولقد أدى ذلك منذ وقت مبكر، إلى حصر الظواهر الأرضية وربطها بمواقع الكواكب في السماء، وعندما يتكرر الحدث نفسه فإن التقارير إذا أحسن تفسيرها أخصائي كفء تعطينا الحدث المصاحب الذي لا بد لنا أن نتوقعه سواء كان عدوا أو خصما، أو طوفانا أو ثورة أو موت ملك أو ما شابه ذلك. وعلم التنجيم الذي لم يشمل خريطة البروج Horoscopes[63] حتى القرن الرابع ق.م في بابل، هو الذي أدى إلى ظهور علم الفلك في وقت مبكر وهو العلم الذي برع فيه البابليون.

هناك طرق أخرى للتنبؤ بالغيب منها ملاحظة خصائص الكبد وغرائبه Hepatoscopy[64] والرئة في الحيوان المذبوح. وكانت هي الطريقة الشائعة الاستخدام عندما تكون الدولة على وشك إصدار قرارات خاصة كالاتفاقات الدولية أو شن الحرب وكان الأطباء، وكهنة التعاويذ، على حد سواء يسجلون الفأل السيئ من المواليد المشوهة (مبحث عجائب الموجودات Tenalology[65] ومن علم الفراسة (دراسة ملامح الوجه) كالندبة على الوجه أو الطريقة المميزة في الكلام أو المشي، والفحص التفصيلي للمرضى يؤدي إلى تشخيص المرض وتطوراته المحتملة ومناهج البحث المستخدمة تكشف عن طرق تجريبية هي التي وضعت الأساس في الخطوات الأولى على طريق التقدم العلمي الحقيقي كما يلاحظ العرافون أيضا نماذج الزيت على الماء أو تحليق الطير أو حركات الحيوان.

وهناك مجموعة كاملة من الألواح تزيد عن مائة لوح من سجلات التفاؤل والتشاؤم المأخوذة من الأحداث العامة تطور عنها علم التاريخ Historiography (أو علم تدوين الوقائع التاريخية) وكما هي الحال في معظم الممارسات الدينية فقد ارتبطت هذه الأحداث في البداية بالملك. ومن ثم فمن المفيد أن نعرف أن الشكل الأدبي لنصوص الفأل التي تقول إذا حدثت «س» فسوف تحدث «ص» كانت هي الأساس في تسجيل قانون السوابق والأحكام القضائية، فجميع القرارات التشريعية والاتفاقيات القانونية يتم التصديق عليها عن طريق القسم أمام الآلهة، كما أنها تخضع للجزاءات الإلهية في

حالة انتهاكها. ومادام القانون والنظام يتحدان في هوية واحدة مع الحق والعدل (كيتوم وميشاروم Kittun & Mesharum) وهما من مسؤولية الآلهة والملك والبشر العادين رجالا ونساء، فقد ساد الاعتقاد بأن الحياة في مجموعها تجربة دينية موحدة.

2 مصر القديمة

احتفظ علم الآثار، من بقايا مصر القديمة بالشيء الكثير الذي يرتبط بالدين أكثر من ارتباطه بالحياة الدنيوية. وهذه المادة الدينية هي في الأعم الأغلب جنائزية الطابع، فإذا ما ورد إلى أذهاننا قبل أي شئ آخر المقابر والأهرامات والموميات- ونحن نفكر في هذه الحضارة فلا بد أن نتذكر أن هناك تأكيدا ليس في محله قد نتج بالضرورة عن طبيعة المادة المتاحة لنا، فمعظم المدن الكبيرة، والقصور والمدن الصغيرة والقرى لا يسهل الوصول إليها في عمليات التنقيب لأنها شيدت في عصور ماضية متأخرة، وفضلا عن ذلك فإن المادة التي استخدموها في إقامة مبانيهم هي في الغالب أرق كثيرا من المواد المستخدمة في تشييد القبور. فقد شيدت القبور في الصحراء بعيدا عن المناطق الآهلة بالسكان، وبعيدا عن الأرض الزراعية، ولهذا كانت فرص بقاء المباني الجنائزية على الدوام أكبر بكثير، بغض النظر طبعا عن خطر لصوص المقابر. أما إن المصريين قد استهدفوا، عن وعي، الدوام لقبورهم فهذا ما تكشف عنه عبارة دار الخلود التي تستخدم كثيرا للدلالة على القبر(قارن على سبيل المثال «كتاب الموتى» نشرة نافيل 8 و170).

ويبدو أن الهرم كان هو أفضل وسيلة لتحقيق هذا الدوام، وأول خطوة اتخذت في هذا السبيل هي هرم الملك «زوسر» من الأسرة الثالثة، الذي صممه مهندسه أمنحوتب، وهو أول بناء حجري ضخم يشيد في التاريخ. وقبل ذلك كان المصريون يدفنون موتاهم، في الأعم الأغلب، في بناء من الطوب يسمى الآن «مصطبة» من الكلمة العربية التي تعنى الأريكة[1]، وهي كلمة تناسب الإشارة إلى هيئة البناء،

كما أنها فكرة معقولة لتفسير شكل هرم سقارة ذي الدرج الضخم، والفكرة الأساسية هي تكديس عدد من المصاطب ذات الأحجام المتناقصة بعضها فوق بعض. ويوجد حول الهرم مجمع من المباني الحجرية الأخرى القصد منها أن تستخدم في الاحتفالات الدينية خلال عملية الدفن وبعدها.

ومن المحتمل أن يكون التصور الرئيسي الكامن خلف الهرم المدرج هو الصعود إلى السماء، وإلى الشمس. ولقد عدّل التصميم في الأسرة الرابعة لصالح الهرم الحقيقي. وأشهر الأمثلة على ذلك هي أهرامات خوفو، وخفرع، ومنقرع في الجيزة.

كانت عبادة الشمس في هليوبوليس لا تزال هي ملحمة البناء إذ كان في هليوبوليس حجر قديم مخروطي الشكل يسمى «بن بن» هو الذي تمت محاكاته فيما يبدو، وإن لم تكن المحاكاة دقيقة في بناء الأهرامات[2].

ارتبط هرم خوف الأكبر في الأذهان، كغيره من الأهرامات، بأنه معبد للموتى، تقام فيه عبادة الملك الميت. وهناك ممر من الحجر يؤدي من هذا المعبد إلى حافة الصحراء، وهنا يقع «معبد الوادي» الذي يستقبل جثمان الملك ويقيم له الطقوس الواجبة قبل أن ينتقل عبر الممر إلى الهرم، ومن ثم فالهرم في جوهره، قبر هائل يستهدف حفظ جثمان الملك الميت من الناحية المادية والروحية على السواء. ومن ثم فمن سخرية الأقدار ألا توجد مومياء ملكية واحدة من الدولة القديمة. وتتجمع حول الأهرامات قبور حاشية الملك من النبلاء على هيئة مصاطب.

ومع ذلك فقد ظهر مع نهاية الدولة القديمة نوع جديد من المقابر في «مصر العليا»، شيدت على أساس قابلية الحفر في المنحدرات الصخرية الصلبة. وينحت هيكل في الصخرة العليا يؤدي إلى ممر رئيسي، يؤدي بدوره إلى حجرة الدفن. ولقد استخدمت سمات متعددة من هذا التخطيط

في دفن كثير من الفراعنة في الدولة الحديثة بما فيهم توت عنخ آمون في وادي الملوك بالقرب من طيبة. وأحد هذه القبور المنحوتة في الصخر هو قبر سيتى الأول الذي يمتد داخل الصخر حوالي 210 مترا (700 قدم) ونقشت على جدران حجراته نصوص (كتاب ذلك الموجود في العالم السفلي) وهي نصوص تصف الرحلة الليلية لإله الشمس خلال مروره بالعالم السفلي حتى يظهر مع الفجر في العالم العلوي. وكان المصريون يعتقدون أن الملك الميت يصحب إله الشمس في رحلته كيما يشرق معه في فجر جديد، ومن الواضح أن ذلك ضمان لبقائه حيا بعد الموت.

ا - الكتابة:

كان اختراع الكتابة جزءا هاما من التقدم الذي تم مع بداية العصر التاريخي (3000 ق. م) وتمثل ألواح «مينا أو نارمر» مرحلة أولية في الكتابة الهيروغليفية. فقد نظر المصريون إلى الإله تحوت Thoth كاتب الآلهة على أنه مخترع الكتابة، لكنهم ربطوا بين وظيفته ووظيفة زميلته الإلهة سشات Seshat)[3]، التي يعهد إليها بأرشيف الحوليات الملكية. ولا شك أن الكتابة كانت دائما هامة في الطقوس الدينية، ولقد اعتقد المصريون أن دورها يجاوز الأغراض المباشرة للتسجيل والتوصيل.

ويمكن أن نتبين تطورا فعليا في الدولة القديمة، فلا شك أن التعاويذ كانت تتلى في أقدم المعابد والقبور، ومن المرجح أن الكهنة كانوا يقرؤون من نصوص مكتوبة على أوراق البردى، كما احتفظت النقوش المنحوتة على الحجر بأسماء الأشخاص الذين دفنوا في المقبرة، ثم أضيفت بعض التعاويذ التي تضمن استمرار تقديم القرابين، مثلما تضمن الهناء أو السعادة الأبدية للمتوفي. ويمكن أن نفترض أن هذه النقوش لم تكن مجرد تسجيل لآمال ورعه، غير أنهم آمنوا بأنها تكفل بحضورها الدائم البقاء السحري للبركات الروحية والبدنية المذكورة.

ثم حدث توسع ملحوظ في استخدام مثل هذه النقوش في أهرامات الأسرة الخامسة والسادسة في سقارة، وكان أقدمها هرم الملك ونيس Wenis (ازدهر حوالي 2350 ق. م) وتغطي جدران غرف الدفن والممرات المؤدية إليها بالنصوص الهيروغليفية التي تتحدث عن الحياة المقبلة للملك وتتضمن

شواهد لها أهميتها في اللاهوت والطقوس والأساطير، وتسمى هذه الكتابات «متون الأهرام»، وهي تشكل أقدم مجموعة كاملة تتعلق بالديانة المصرية، وكان أثرها على الكتابات التالية عميقا، لأن مضمونها يتكرر كثيرا في النصوص الجنائزية، وبصفة خاصة في «متون التوابيت» و«كتاب الموتى».

و«تون التوابيت»- كما يدل اسمها-كتبت على التوابيت التي تصنع عادة من الخشب، وقد ظهرت في الحقبة التي تلت انهيار الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الوسطى. ومنذ بداية الدولة الحديثة أصبح من المألوف تقديم الفوائد التي تتضمنها هذه الكتابات إلى الميت في صورة مختلفة أتم الاختلاف: وهو أن تكتب هذه النصوص والمتون على مجموعة من أوراق البردى المطلوبة ثم تودع القبر مع المتوفى. لو قارناها «بمتون الأهرام» لكانت «متون التوابيت» و«كتاب الموتى» معا أكثر اتساعا من حيث التطبيق العملي، لأنها تقدم مميزاتها للأشخاص غير الملكيين. واستخدام أوراق البردى في الكتابة أدى كذلك إلى ابتكارات أبعد مدى، إذ أصبح النص يوضح بصور ملونة تلوينا جميلا كما هي الحال مع أوراق البردى الخاصة بآني Ani[4]، وهنفر Hunefer. وهكذا أصبح كثير من الأدب الديني في مصر القديمة أدبا جنائزي الطابع.

وثمة موضوعات أخرى تشمل نقوش المعبد، وكانت سائدة في العصر البطلمي بصفة خاصة، وتراتيل إلى الآلهة كان الكثير منها منقوشا على الألواح الحجرية Stelae. وحكايات أسطورية، والفئة الأخيرة تكشف عن نغمة عابثة على نحو ما هو موجود في «النزاع بين حوريس وست» التي حفظتها لنا بردية بيتى الأولى. وهناك بردية أحدث هي بردية يوملهك Jumilhac تشتمل على قصص عن الآلهة لم تتورع عن أن تنسب إليهم سلوكا شائنا بالغ الفجاجة.

2- التاريخ:

يمكن أن تتعقب الديانة المصرية إلى أصولها فيما قبل التاريخ حتى فترة مبكرة تصل إلى عام 4000 ق. م. عندما كان الاعتناء بدفن «الثور»، و«ابن آوى» وغيرهما من الحيوانات أمورا تدل على عبادة الحيوان. وفي منتصف القرن السادس ق. م تم إغلاق آخر معبد للإلهة إيزيس في جزيرة

فيلة، ولذلك فإن الحقبة الزمنية التي استغرقتها الديانة المصرية حقبة طويلة. لقد كان «مينا» هو الذي أسس أول دولة متحدة مستقرة تحت حكمه عام 3500 ق. م. وظهر إبان الدولة القديمة حوالي (2686- 2181 ق. م) نظام ملكي مركزي قوي عاصمته «ممفيس»، ثم أعقبها فترة من التمزق، و عندما عادت مصر المتحدة مرة أخرى في الدولة الوسطى حوالي (2050- 1786 ق. م) أصبحت عاصمتها طيبة في مصر العليا، وظلت طيبة هي العاصمة حتى عهد التوسع الذي شهدته الدولة الحديثة، ثم حدث غزو وتسلل من سوريا وفلسطين على يد الشعب المعروف «بالهكسوس» الذي أدخل على الديانة المصرية تأثيرات آسيوية.

أما في الفترة المتأخرة فقد كانت هناك تغيرات عديدة في الأسر الحاكمة فقد شهد القرن السادس ف. م، إحياء واعيا لعظمة قديمة لكل من الدين والفن، وعلى الرغم من هذه النهضة فقد كانت مصر ضعيفة عسكريا فسقطت عام 525 ق. م أمام الهجوم الضاري للفرس. ومع أن النير الفارسي قد تم التخلص منه لفترة من الزمان، فإن غزو الإسكندر الأكبر عام 332 ق. م كان معناه نهاية الاستقلال المصري.

ومن الطبيعي أن يكون الأثر اليوناني شاملا، إلا أن العبادات الوطنية قد سمح لها بالازدهار. وقامت عبادة جديدة، هي عبادة سيرابيس Sarapis[5] بصورة رئيسية على أسس مصرية، وانتشرت عبادة سيرابيس وإيزيس في العالم اليوناني. وعندما أصبحت مصر ولاية رومانية عام 30 ق. م وضعت أرض المعابد تحت سيطرة الحكومة. وامتدت جذور المسيحية في مصر إبان الحكم البيزنطي (من 395- إلى 640 بعد الميلاد) وشن هجوم مباشر على الديانة المصرية القديمة-ففي مصر نشأت الرهبنة، وربما كان للديانة القديمة تأثير واضح في هذا التطور-كما كانت اليهودية والغنوصية[6] قوتين مؤثرتين أيضا لا سيما في مدينة الإسكندرية.

3- الآلهة المحلية:

كان للظروف التاريخية والسياسة أثر واضح، بصفة مستمرة، على الاتجاهات الدينية في مصر، وعندما تكون لك آلهة محلية منفصلة فذلك أمر طبيعي في منطقة مثل المنطقة الواقعة جنوب الدلتا التي لم تكن سوى

واد طويل لنهر يمتد حوالي ألف كيلومتر (حوالي 600 ميل) ومع التوحيد السياسي للبلاد، أصبح إله المدينة العاصمة في الحال قائدا لجميع الآلهة، واتجهت ديانته لاستيعاب الديانات الأخرى. وهكذا نجد أنه مع وجود ديانات أخرى كثيرة للصقر، فإن سيادة ديانة حوريس، الإله الصقر الذي توحد مع فرعون الحي، تعني أن الديانة الملكية استوعبت الديانات الأخرى. فقد ظهر الإله حوريس في لوح «مينا» المبكر مصورا انتصار مصر العليا على مصر السفلى بوصفه حدثا، تم بفضل الإله وبتوجيه منه. وفي ألواح مبكرة أخرى يبدو الإله وهو يقود إحدى العشائر متحدا مع رئيسها. وذلك إنما يوحي بنظام يرجع إلى ما قبل التاريخ ويشبه العبادة الطوطمية Totemism[7].

ولقد تجنب المصريون، بطريقة غريزية، محو التراث المحلي حتى ولو حدثت عملية تمثل لهذا التراث. ونتيجة ذلك أن أفكارهم الدينية تكشف عن بعض الخلط، بل عن بعض التناقض، كما هي الحال في التصورات المختلفة لعملية الخلق أو في المعتقدات الجنائزية. ويبدو هذا التطور في مرحلة تالية موحيا بأن تنوع المعتقدات كان إثراء ودعما لمتطلبات المرء الروحية. وهكذا فسر «هنري فرانكفورت» هذا الاتجاه تفسيرا إيجابيا بأنه يتضمن «الاستمتاع بتعدد السبل»، لكن السبب، من الناحية التاريخية، لهذا المجمع الهائل هو المزج بين عدد كبير من العبادات والتقاليد المحلية المأثورة.

4- أساطير الخلق:

إن الصدارة في أي مجمع للآلهة تكون، في العادة، للآلهة المسؤولة عن الخلق، وليس مجمع الآلهة المصري استثناء من هذه القاعدة رغم وجود أساطير متعددة ومتنوعة عن الخلق. ولا شك أن أسطورة «هليوبوليس» كانت أوسعها انتشارا. وتقول هذه الأسطورة إن الإله الخالق الأول هو «أتوم Atum»[8] الذي اتحد في هوية واحدة مع إله الشمس رع.

وتقول الأسطورة أن «أتوم» خرج من عماء المياه الذي يسمى «نون Nun»[9]، ثم ظهر فوق تل[10]. وأنجب بغير زواج الإله «شو Shu» (الهواء)[11]. والآلهة «تف نوت» أو تفنت Tefenet[12]، (الرطوبة). وكان إله الهواء «شو» هو الذي زج بنفسه بين إلهة السماء «نوت» Nut وزوجها إله الأرض جب Geb[13]، وبذلك فصل السماء عن الأرض. وهنا تمثل المصريون الإنجاب الطبيعي،

ويصدق الشيء نفسه على أولاد الإله «جب والإلهة» «نوت» و هم «أوزوريس»، و«إيزيس»، و«ست»، «ونفتيس Nephthys» رغم أن مغزاهم أو دورهم الكوني كان في البداية أقل وضوحا. وهذه الآلهة التسع تشكل ما يسمى «تاسوع هليوبوليس»[14] وهو تصور للآلهة طبقه المصريون فيما بعد على مجموعة أخرى من الآلهة المحلية، وامتد نطاقه في بعض الأحيان ليشمل عددا يزيد على الآلهة التسع. أما أن بداية خلق الكون كانت انبثاق الأرض من الماء، فيبدو أنها فكرة وردت على نحو طبيعي على أذهان سكان وادي النيل الذين يستلهمون في بعض الأحيان جزرا من الطين تظهر في النيل. والواقع أنه كان من الخبرات المألوفة قبل أن يكتمل بناء السد العالي في أسوان أن ترى القرى المصرية إبان فيضان النيل، كما لو كانت جزرا خرجت من المياه المحيطة.

وهناك وجه آخر لعقيدة هليوبوليس يتعلق بالقوى الخلاقة للإله الأول آتوم Atum فلا بد لجميع القصص التي تدور حول نشأة الكون أن تواجه مشكلة عويصة هي كيف نشأ الخلق إذا لم يمكن هناك سوى خالق واحد، ثم كيف خلق هو نفسه؟!. ذهب المصريون إلى أن آتوم Atum الذي يعني اسمه «الواحد الكامل»، ظهر إلى الوجود بأن أوجد ذاته (متون الأهرام 1587 ب وتشير إلى صورته على أنه خبري Khepri). فهو إذن قد أنجب نفسه، لكن كيف أصبح أبا للإله «شو»، والإلهة «تفنت» ؟ تم ذلك عن طريق الاستمناء (المصدر السابق 1248 أ-د)، أو عن طريق السعال أو البصق (نفس المصدر 1652جـ، مع اللعب بالألفاظ في أسماء الإلهية)[15]. فيد الإله «أتوم» في السياق الأول تشخصه في صورة «إلهة» (وكلمة «يد» مؤنثة في اللغة المصرية القديمة). وفي سياق آخر يصف الإله نفسه بأنه «ثنائي الجنس» إنني أنا الذي أنجبت «شو» إنتي أنا هو-وهي. (متون التوابيت 2, 161- أ)[16].

5- عقيدة منفيس[17]:

وتنسب ثنائية الجنس، من حين لآخر، إلى الإله بتاح Ptah أيضا وهو الإله الخالق لمدينة منف الذي يسمى في آن معا الأب والأم في «لاهوت منفيس»[18]، الذي هو وثيقة رائعة ترجع، برمتها إلى الدولة القديمة، وتقول الوثيقة إن خلق العالم خطط له عقل الإله وكانت وسيلة التنفيذ كلمة نطق بها-وهذا استباق مذهل لعقيدة الإغريق التي ظهرت بعد ذلك بفترة طويلة

حول اللوجوس Logos أو الكلمة المقدسة[19]. وفضلا عن ذلك فإن «لاهوت الخلق» في هرموبوليس Hermoplic)[20]

كان وثيق الصلة بتعاليم هليوبوليس. ومن هنا قيل إن الخلق بدأ مع ظهور التل الأول من مياه العماء. وارتبط أربعة أزواج من الآلهة في الصفات الكونية «نون» «ونونت» بمياه العماء، وحح Huh وحوحت Huhet باللانهاية. وكوك sKuk كوكيت Kauket، بالظلام. وآمون[21] وأمونيت بالاختفاء. هذه الآلهة الثمانية تتألف من أزواج لا تمايز بينها الذكر والأنثى من الناحية النظرية، وربما كانت أربعة آلهة ثنائية الجنس هي الأشكال الأصيلة. وكان آمون هو رأس الثمانية Ogdoad)[22] واسمه يعنى «الموجود الخفي».

كان خفق الكائنات الحية، في مقابل خفق الموجودات الكونية-يعزى في الأعم الأغلب إلى الإله الصانع خنوم Khnum فهو الذي يخلق البشر عندما يجلس إلى دولابه الفخاري. وقد توصف الأرض، مرة أخرى، بأنها انبثقت من زهرة اللوتس التي ظهرت هي نفسها من المياه الأولى على هيئة إله شاب هو الإله «نفر-تم». وفي نصوص معبد «إدفو» يرد ذكر «بحيرة اللوتس» بوصفها المقر القديم للإله الخالق، وهذه النصوص تبجل أيضا مجثم الطير[23] وهو قطعة من الغاب حط عليها الإله حوريس، الإله الصقر، لأول مرة.

6- آلهة النيل والشمس:

عندما تأمل المصريون خصوبة أرضهم، غير العادية، أدركوا بغير شك أن النيل والشمس مسؤولان أساسا عن هذه الخصوبة، ومن هنا فقد كتبت السيادة للآلهة التي ارتبطت بهاتين القوتين الطبيعيتين. ولقد ارتبط فيضان النيل الذي يأتي كل عام باسم الإله «حابي» بصفة خاصة، وبكثير من آلهة النيل المحلية التي صورت، تقليديا، وهي تحمل النباتات ممثلة القوة الخيرة ذاتها. ولما كانت تباشير الفيضان تأتي في شهر يوليو الذي يتميز بظهور «نجمة الشعرى» مع شروق الشمس، فقد أطلق المصريون على هذا النجم الساطع اسم «سوتيس» أي الشعرى اليمانية[24]، التي ترمز لنمو النبات نتيجة لخصوبة الفيضان. وهناك ارتباطات مماثلة بين الإله سبك Sebek الإله التمساح[25] وبين السنة المشخصة Personified والمفروض أن الإلهة إيزيس تمثل في سياق جنائزي، العلاقة الوظيفية بين النيل ونمو النبات.

أما بالنسبة للشمس، فالإله «رع» آله هليوبوليس، هو الذي يمثل أساسا قوتها في مجمع الآلهة. وقد استخدم المصريون لفظ «رع» كاسم عام يعني «الشمس» ثم توحّد «رع» مع آتوم في صيغة واحدة هي «رع-آتوم»، ومع إله السماء حوريس (الإله الصقر الذي يعني اسمه «الكاهن البعيد»[26]) على أنه «رع-حوراختى» وصوروا هذا الإله في جسم إنسان ورأس صقر. ولقد كان الرمز الرئيسي لرع هو المسلة، وارتبط، مثل حوريس، ارتباطا وثيقا بالملك الحي، وقد أصبح فرعون يسمى ابتداء من الأسرة الخامسة (فضلا عن مثال واحد من الأسرة الرابعة) باسم «ابن الإله رع»، كما ارتبطت فكرة العدالة ونظام العالم باسم «رع»، ونظر المصريون إلى الإلهة ماعت Maat(ربة العدالة والحقيقة والتوافق) على أنها ابنته.

7- مساعدو الموتى:

أعطى المصريون السيادة باستمرار للآلهة التي اعتقدوا أنها تساعد الموتى. ومن هذه الآلهة: «أنوبيس Anubis»، و «سوكاريس Sokaris». وخنتمانتيس Khentamenthes و«أوب وات Wepwawet» وأوزيريس[27]. وهي مجموعة كانت معروفة في الدولة القديمة، وقد اتخذ أنوبيس بين هذه الآلهة شكل «ابن آوى» أو «الكلب» وارتبط بعملية تحنيط الموتى، وكانت له أهمية دائمة طوال تاريخ الديانة المصرية الطويل، أما أوزريس فقد ظهر من غموض نسبي إلى مركز بالغ الأهمية في العبادات الجنائزية، ولقد مر أوزريس برحلة هامة في ارتفاعه كقوة روحية، وهي مرحلة تقمصه لفرعون المتوفى، وهو ما حدث في الأسرة السادسة. لقد كان أوزريس في الأصل إله الموتى، وكان مركز مدينته الأول فيما يبدو، هو مدينة أبيدوس. أما الدافع وراء اتحاد الملك الميت بأوزوريس فقد كان واضحا، وهو ضمان استمرار سيادة الملك بعد الموت، فعندما يصبح فرعون الميت هو أوزريس فإن ذلك يعني أنه سوف يحكم مملكة الموتى.

وكثيرا ما عبد المصريون الأشياء الجامدة لا سيما في عهد الأسر الأولى. مثال ذلك قوسي الإلهة نايت Neith المتقاطعين[28]، ومسلة هليوبوليس، وتميمة الإله «مين Min» التي لا تزال، إلى حد ما، لغزا غامضا. وكانت التمائم تتبع الإلهة التي ترتبط بها، وهكذا تضاءلت أهميتها، ولهذا تراهم

يصورون «مين» إله الإخصاب الجنسي في صورة بشرية وفي صورة قضيب في وقت واحد[29].

وكان هناك عدد قليل من الآلهة اتخذ صورة بشرية خالصة إلى جانب الإله «مين»، منها الإله «بتاح» في منف، والإله أتوم في هليوبوليس والإله آمون في طيبة، وكذلك إله الموتى أوزريس، وآلهة النيل. ولكن في معظم الحالات تظهر صورة الحيوان فيتخذ الإله إما صورة حيوانية خالصة أو يرتبط بالإله الثور أو العجل «أبيس Apis»، أو على هيئة جسم إنسان ورأس حيوان. ولقد تطور هذا المزيج الأخير فيما بعد كنوع من الحل الوسط، ووجدنا له أمثلة في صورة أنوبيس الكلب، وحوريس الصقر، وخنوم الكبش، وأحيانا يتضاءل العنصر الحيواني أكثر من ذلك، كما هي الحال عندما تتخذ حتحور إلهة السماء شكل البقرة السماوية فتصور في جسم ورأس بشريين، ولكن مع تاج يمثل قرني البقرة محتضنة قرص الشمس.

8- عبادة الحيوان:

الواقع أن عبادة الحيوان كانت جزءا أساسيا من الديانة المصرية، وهي تشير إلى أن الأصل كامن في الحياة الخصبة في وديان الأنهار في أفريقيا. ولقد جاء العديد من الإلهة البشرية «الكونية من منطقة شرق الدلتا. ويرجح بعض العلماء أن يكون هذا نتيجة تأثير سامي. وهنالك بالطبع ديانات أخرى كثيرة تبدو فيها عبادة الحيوان ظاهرة، لكن الظاهر على نحو ملفت في مصر هو إحياء هذه العبادة وانتشارها بقوة في الفترة المتأخرة. وتعد عبادة عجل أبيس Apis في منف، من أقدم عبادات الحيوان في مصر، إذ أن عبادته قديمة قدم الأسر الأولى. وتكشف عبادة أبيس عن تطور كان شائعا في الواقع، فهي تبدأ عبادة مستقلة قائمة بذاتها ثم ترتبط عقائديا، بعد ذلك بكبار الآلهة مثل «رع» و«أوزريس» كما ترتبط باسم «بتاح» وكذلك بأهم آلة منف. وقد تمت خطوة أبعد لا نظير لها: ففي بداية العصر البطلمي انتشرت عبادة أوزريس-أبيس، عن وعي، لإقامة عبادة جديدة هي عبادة سيرابيس Sarpis[30]، وربما قصد بها أن توجه للإغريق المقيمين في مصر غير أن سيرابيس فقد (بمرور الزمن) هيئة الثور أبيس.

وعلى حين أن فرعون كان هو نفسه من الناحية الرسمية، إلها، فلم يبلغ

أحد غيره من البشر هذه المكانة، باستثناء عدد ضئيل للغاية من البشر، وحتى في هذه الحالة كان ذلك نوعا من التقدير الموجه إليهم بعد موتهم اعترافا بخصالهم الحميدة. لقد تم تأليه أمنحوتب المهندس البارع في عهد الملك زوسر في الأسرة الثالثة بهذه الطريقة كما حدث نفس الشيء لأمنحوتب بن حابو أحد وزراء الأسرة الثامنة عشر. وكشفت عبادة أمنحوتب في مرحلتها الأخيرة بصورة غير متوقعة أنه هو نفسه إله الطب الذي يتحد في هوية واحدة من مع اسكليبوس Aaclepius إله الشفاء عند الإغريق[31]. وهناك قائمة أخرى مختلفة من الآلهة تشمل سلسلة من التجريدات المشخصة مثل سيا Sia(الفهم) وهو Hu(النطق) وهيك Hike(السحر).

9- الثالوثات:

تتجمع الآلهة في الغالب، في مراكز عبادتها في تساعيات على نمط هليوبوليس. لكن هناك تصنيفا محببا آخر تجمع فيه الآلهة على هيئة ثالوث يرتبط فيه الإله المحلى الرئيسي بزوجته وابنه، وهكذا نجد الآلهة «بتاح» و«سخمت» و«نفرتم»[32]، تجمع على هذا النحو في منف، كذلك تجمع الآلهة «آمون» و«موت» و«خنسو» في ثالوث آخر[33]. أما في منف فهناك ثالوث ثالث يجمع بين «بتاح» و «سوكاريس»[34] و«أوزريس» حيث يتجمع ثلاثة آلهة للموتى من الذكور. وهناك سمة مذهلة تطبع النصوص المتعلقة بهذا الثالوث في منف-كما كانت موجودة في ثالوثات أخرى أيضا- وأعنى بها النظر إلى هذا الثالوث على أنه وحدة. ومن الواضح أننا نجد هنا استباقا للعقيدة المسيحية، حتى لو أعوزنا الدليل الذي يثبت أن لها تأثيرا معينا على الصياغة المسيحية.

وعلى الرغم مما يذهب إليه هـ. ينكر H.Junker من أن الوحدانية البدائية قد ظهرت في الديانة المصرية (والحجة الرئيسية التي يقدمها هي أن لقب «ور Wr» ومعناه «الواحد العظيم» قد لقب به بعض الآلهة) فإن ما يظهر بالفعل، وعلى نحو مألوف، هو تعدد الآلهة. ونحن لا ننكر أنه قد ظهرت في عهد «أمنوفيس الرابع»، أو «إخناتون» صورة من الوحدانية الحقة، وكانت على الأرجح بقيادة الفرعون نفسه، كما كشفت الأبحاث الحديثة عن عناصر متعددة في تعاليمه كانت قد ظهرت من قبل، إلا أن الوحدانية الصريحة

كانت متميزة للغاية في عقيدته النهائية، وكان لا بد لها أن تكون قصيرة الأجل، كما لم تنجح الجهود التي بذلت لبيان تأثيرها على ديانة العبرانيين المبكرة.

وعلى الرغم من التنوع الذي لا حصر له الذي تكشف عنه عبادة الآلهة في مختلف التقاليد والبيئات المحلية، فإن المظاهر الخارجية للعبادة والطقوس الدينية تكشف عن تماسك جذري؛ لقد اتخذ المعبد المصري منذ الدولة الوسطى وما بعدها تخطيطا مشتركا، وهو أن يُبنى على شكل مستطيل في فناء واسع ينغلق بواسطة جدران عالية، ويحيط ببوابة المدخل بوابتان كبيرتان. وفي البداية يدخل المرء فناء واسعا مكشوفا يحوي صفوفا من الأعمدة على ثلاثة صفوف. ومن هذا الفناء يشق طريقه إلى مدخل القاعة الرئيسية، التي تحمل سقفها على أعمدة. وخلف القاعة الرئيسية وحدة ثالثة يوجد فيها محراب داخلي يحفظ فيه تمثال الإله في هيكل يوضع في قارب عبارة عن صندوق كبير. ولا يسمح إلا للملك وحده، أو لكبار الكهنة من أصحاب المكانة العالية بدخول المحراب الداخلي. وهذه التقاليد الدينية تقترب من تقاليد الإسرائيليين أكثر من تقاليد اليونان، لأن اليونان كانوا يسمحون لجميع المتعبدين بالدخول لرؤية تمثال الإله في محراب Naos المعبد. وهناك فكرة يكثر التعبير عنها وهي أن ذلك المعبد صورة من العالم المخلوق، وأن أصوله ترتد إلى أول ظهور منظم للخلق من العماء الذي كان في البدء.

15- الطقوس الدينية اليومية:

بقيت نسختان من الكتب المقدسة التي تصف الطقوس الدينية اليومية التي كان يمارسها الناس في جميع المعابد، وهي تبدأ بتطهر الكاهن في البحيرة المقدسة القائمة بجوار المعبد، وعندما يدخل المعبد نفسه يوقد نارا، ويعد مبخرة مزودة بالفحم والبخور، ثم يتجه نحو تمثال الإله في المحراب الداخلي. وبعد السجود والركوع وتقديم القرابين الواجبة يجرد تمثال الإله من ثيابه ويطهره ويزينه بثياب وشارات مناسبة. ويعقب ذلك إقامة مأدبة مقدسة قبل أن يوضع التمثال مرة أخرى في هيكله. وترتبط بهذه القرابين فكرتان إذ ينظر إليهما كهدية سارة، تتحد مع عين حوريس[35]، وفي أوقات أخرى، لا سيما إذا كانت الضحايا مما يذبح، فإنها تتحد مع أعداء

«حوريس» و «أوزريس» أي تصبح هي الإله «ست» وأعوانه.

ومن الطبيعي أن يعثر الباحثون على طقوس دينية متميزة تقام في أعياد فرعون أو أعياد الآلهة؛ ففي عيد الملك اليوبيلي المسمى «سد Sed» يعاد الاحتفال الطقسي الذي تم فيه توحيد الوجهين في مصر على يد الملك مينا، ويصل الاحتفال إلى ذروته برقصة يؤديها الملك، وهو يرتدى تنورة قصيرة يعلق بها من الخلف ذيل حيوان. وقد كانت المسيرة أو الموكب أو «ظهور الإله» مظهرا ملفتا للنظر في الاحتفال بأعياد الآلهة، إذ يحمل فيه الكاهن تماثيل الآلهة إلى أماكن أخرى مقدسة كيما تزور آلهة أخرى أو تقوم بأداء دور في قصة أسطورية ترتبط بهذه الأماكن.

ولقد قامت الإلهة «حتحور» إلهة دندرة بزيارة حافلة بالبهجة للإله حوريس إله إدفو في العصر البطلمي، وتم الاحتفال في هذه الزيارة بالزواج المقدس بين الإلهة حتحور والإله حوريس-أما العيد العظيم للإله «مين Min» (إله الخصب» فقد ارتبطت قوة الإنجاب عند هذا الإله بالحصاد، وبشخصية الملك، ومن المرجح أن عملية الاتحاد الجنسي بين الملك والملكة كانت جزءا من الطقوس الدينية. أما عيد «أوبت Opet»[36] وهو عيد الإله آمون إله طيبة، فقد كان يتطلب القيام برحلة يقوم بها الإله «آمون» مع زوجته الإلهة «موت» وابنهما الإله «خنسو» من معبد الكرنك إلى الأقصر ثم العودة من أخرى وهى رحلة نيلية يشارك فيها حشد غفير من الناس في النهر وعلى الضفتين[37]. وهناك عيد آخر للإله «آمون» هو عيد الوادي، الذي يعني عبور نهر النيل لزيارة معابد الموتى من الفراعنة في الضفة الغربية. وتنتهي الرحلة عند وادي الدير البحري حيث يوجد معبد الملكة حتشبسوت الجميل، وحيث شيد معبد الإلهة حتحور.

والتمثيل الدرامي للأسطورة كان أوضح ما يكون في علاقته بأوزريس، فهناك نص من الأسرة الثانية عشر يصف قتالا على سطح بحيرة بين أوزريس وأعدائه، ويمثل المنظر مرسى منطقة «أبيدوس» حيث يتم تصوير موت الإله ودفنه، ثم يعقب ذلك انتصاره وعودته ليطرد أعداءه[38]. وهناك نص في معبد دندرة يرجع لفترة متأخرة أثناء العصر البطلمي، ويصف عيد أوزريس الذي كان المصريون يحتفلون به في جميع أنحاء البلاد. وكان المصريون يندبون موت الإله، أما ميلاده من جديد فكان الاحتفال البهيج به

يتم في صورة رمزية تمثل الشعير الذي ينبت من تمثال الإله[39]. ومن الشعائر المرتبطة به أيضا ارتفاع النصب التذكاري (أو الجيد) الذي يرمز كذلك إلى البعث.

١١- الطقوس الجنائزية:

دأب المصريون على الاهتمام الشديد بالاحتفال بدفن الموتى، إذ اعتقدوا أن سعادة الشخص الميت في المستقبل تتوقف على هذا الاحتفال، وعلى المعتقدات المرتبطة بالطقوس، كان الميت يدفن دائما ولا تحرق جثته أبدا، كما تؤدى الطقوس الخاصة بفتح الفم لجسد الميت أو لتمثال المتوفي[40]. وتشمل هذه الطقوس على ممارسات التطهر والقربان، لكن أهم جوانب هذا الاحتفال هو لمس الفم بقدوم صغير، فبهذه الطريقة، كما يعتقدون، تتجدد الحياة لجميع قدرات الجسد[41].

واعتقد المصريون، في الوقت ذاته، أن من المهم الاحتفاظ بالجسد نفسه، وقد ساعدهم على ذلك جفاف التربة في الأماكن الصحراوية لدفن الموتى، وقد كان الأسلوب المتقن في عملية التحنيط يستلزم إزالة المخ والأمعاء، كما يستلزم أحيانا في حالة الذكور إزالة الأعضاء الجنسية. ثم يوضع على الجسم من الخارج النطرون (أو الصوديوم الطبيعي) ثم يحشى مزيج من النطرون والتوابل والزيت في التجاويف التي أحدثها تفريغ الأمعاء، وتملأ الفراغات بعد ذلك بحشوة من الكتان وتوضع التوابل الحارة والزيوت على الجسم من الخارج أيضا، ثم يلف بأربطة من الكتان قبل وضعه في التابوت. ويحتفظ كذلك بالأعضاء التي أزيلت من الجثة، فيحتفظ بالأحشاء في أربعة قدور صغيرة قيل إن أربعة من أبناء حورس يقومون على حمايتها. ويبدو أن عملية تحنيط الجسد كله، من الناحية العقائدية، هي محاكاة ضمنية لما حدث في الأسطورة لأوزريس على يد أنوبيس في أبيدوس[42] مما يعنى أن الشخص المتوفي قد اتحد مع أوريس (انظر متون الأهرام 1122جـ-د)[43]. وتوضح بعض التمائم عادة داخل أربطة المومياء. كما يعني عناية خاصة بجعران القلب الذي يوضع على الصدر. ومن الواضح أن المصريين كانوا ينظرون إلى القلب على أنه أداة للفهم الروحي، ولهذا لا يزيلونه كما يفعلون مع الأعضاء الداخلية. ويكتب في العادة على الجعران

نص قصير يناشد القلب ألا يشهد على الميت أثناء محاكمته أمام أوزريس.

12 - طبقة الكهنة المغلقة:

الدور الرئيسي في الطقوس الجنائزية يؤديه الكاهن الذي يجسد أنوبيس. وكان الكهنة، بصفة عامة، يعينهم الملك في البداية، لكن في الدولة الحديثة وما بعدها تطورت طبقة للكهنة وأصبحت الوظائف الهامة وراثية، وهؤلاء الكهنة المحترفون كانوا يسمون «خدم الآلهة». ومن الطبيعي أن تكون هناك أنواع متعددة من التقسيمات الفرعية للكهنة تبعا للوظيفة التي يشغلونها. ولم تكن إدارة الأملاك الفخمة التي تملكها المعابد أقل المهام المخصصة لهم.

أما الدور النسائي في الكهانة فهو دور ثانوي لأنه انحصر أساسا في إعداد الموسيقى والرقص. وأما في طيبة فقد كانت الكاهنة الرئيسية لآمون تحمل لقب «زوجة الإله»، وكانت قائدة الإناث اللآئى يعزفن الموسيقى وينظر إليهن على أنهن حريم الإله، ولقد اتحدن مع الإلهة «حتحور» التي ارتبط اسمها أساسا بالحب الجنسي والموسيقي، ومنذ الأسرة الثانية والعشرين وما بعدها كانت هذه الكاهنات، من الناحية العملية، حكام المدينة الدينية.

13 - مفاهيم أخلاقية:

في استطاعتنا أن نقيّم المفاهيم الأخلاقية المتضمنة في الديانة المصرية على نحو أفضل لو قرأنا«أدب الحكمة» بدلا من تحليل النصوص المخصصة مباشرة للأسطورة والعبادة. فالسلوك المستقيم طبقا لتعاليم «بتاح حوتب»[44] قد أقر النظام الأخلاقي الذي وضعته الإلهة «ماعت Maat»[45]، في بداية الخلق، وماعت، كما سبق أن رأينا، هي ربة الحقيقة والعدالة والوفاق. ويقول هذا النص «ماعت خيّرة وقميتها باقية لم تتزعزع قط من يوم خالقها!». وهناك نصوص مماثلة تمتدح فضائل أخرى كالتواضع، وضبط النفس والصبر والحكمة. فهناك نقوش جنائزية لنبيل من الدولة القديمة جاء فيها «لم أتفوه قط بقول سيئ ضد الناس لشخص ذي نفوذ، فقد أردت أن تكون صورتي حسنة أمام «الإله العظيم»[46]، لقد قدمت الخبز للجائع، والكساء للعاري». والإشارة هنا «إلى الإله العظيم» تعني الإيمان بيوم الحساب بعد

الموت، فقد ارتبطت المفاهيم الأخلاقية عند المصريين ارتباطا وثيقا بهذا الاعتقاد.

ولقد عبّر المصريون عن صورته المتطورة في الإيمان بأن كل إنسان بعد الموت سوف يواجه «بميزان القلب» أمام أوزريس والقضاة الاثنين والأربعين. وهناك العديد من الرسوم والنصوص التي تعالج هذه الفكرة وتظهر كفتي الميزان: واحدة فيها رمز الإلهة ماعت (ربة الحقيقة) وفي الكفة الثانية قلب المتوفى، فإذا استطاعت فضائله إحداث توازن مع كفة الحقيقة فسوف يصدر الحكم لصالحه بالسعادة الأبدية، وإلا فهنالك وحش يسمى «ملتهم الموتى» يقف منتظرا القضاء على الشخص المدان. ولقد خصص الورد رقم 125 من «كتاب الموتى» لموضوع يوم الحساب، وهو يحتوى على عدد من «إعلانات البراءة»[47] مثل: «لم أسرق حصص الخبز، ولم أتطفل على شؤون الآخرين، ولم أتجادل إلا في شئوني الخاصة، ولم أضاجع امرأة متزوجة».

كان «كتاب الموتى» هو وسيلة توصيل الحماية السحرية، ولقد ذهب البعض إلى القول بأن ذلك كله لم يتجاوز حدود السحر البدائي، فحتى توحد شخصية الميت مع أوزريس-وذلك هو الضمان الأخير لتبرئته يوم الحساب-فقد اعتبر من هذه الزاوية خلوا من العمق الأخلاقي. ولا شك أن عنصر السحر موجود، ولكن يمكن القول كذلك أن وجود قلق خفي حول المعايير الأخلاقية والمقاييس الأدبية أمر واضح أيضا، وهذا إن لم نجد هنا نوعا من الاقتراب بشكل غامض من فكرة غفران الذنوب.

14- الحياة بعد الموت:

كان التوحّد مع أوزريس هو كذلك الأمل الرئيسي في الخلود. ومنذ الدولة الوسطى وما بعدها أصبح هذا التوحّد ميزة يحصل عليها كل من مارس الطقوس الدينية المناسبة. وفي العهد الروماني أصبح التوحد مع أوزريس يعبّر عنه بتصوير المتوفى في بعض الأحيان وهو يحمل صفات من أوزريس. لقد أصبح عرفا سائدا، لمدة طويلة، أن يوضع اسم «أوزريس» قبل اسم المتوفى. وإذا كان تجدد الحياة النباتية، كما لاحظنا من قبل، قد أصبح رمزا لتجدد الحياة، فقد قام اعتقاد مماثل على أساس فكرة تجدد الحياة في السماء، على اعتبار أن الشمس بعد غروبها يمكن أن تشرق من جديد، وفضلا عن ذلك فإن التجلي الخارجي للروح (با Ba)[48] كان يتضمن إمكان

تحولها إلى أشكال كثيرة، بحيث تستطيع أن تغادر قبرها وقتما تشاء.

ربما كانت قوة هذا الإيمان بالحياة بعد الموت هي التي دعّمت الديانة المصرية وجعلتها تبقى قائمة في إحدى صورها المتأخرة حتى القرن السادس الميلادي وإن كان الاحتكاك بالثقافات الغازية قد صوّر وغيّر جانبا من مضمونها وصورتها. وهكذا فسرت ديانة «إيزيس وأوزريس» كما صورها المؤرخ اليوناني «بلوتارك» في القرن الثاني الميلادي تفسيرا حرا بمعاونة الفلسفتين الأفلاطونية والرواقية. لكن من حسن الطالع أن البقايا الأثرية العديدة والكمية الضخمة من الكتابات الأصلية تسمح لنا بأن نقدر التراث المبكر حق قدره في صورته الأصلية التي لم تشبها شائبة.

3 "اليونان القديمة"

انتشرت عبادة الإلهة الأنثى في مناطق واسعة من الشرق الأدنى، لأنها تمثل قوة الخصوبة في الطبيعة، وفي ذلك إسقاط للنموذج الأنثوي الأصلي عليها. وأطلق عليها أسماء منوّعة، فهي «الأم»، و«الأم العظيمة»، كما أطلق عليها فيها بعد «أم الآلهة».

ويمكن كذلك أن تسمى إننا Inanna أو عشتار Ishtar، عناة Anat[1]، أو أتارجاتيس Atargatis ، وريا Rhea أو ديكتينا Dictynna، باوبو Baubo أو ما أو مه Ma، واللات Allat أو سيبيل Cybele. وغالبا ما يكون لها زوج أو رفيق، إله شاب، يموت فتحزن عليه، ثم ينهض من جديد أو يبقى حيا بمعجزة. ولقد كان هذا الإله هو «دوموزى Dumuzi»، أو تموز Tammuz «أو أدونيس Adonis» روح النبات الذي يموت في فصل الشتاء.

كانت الإلهة الأم موجودة بالفعل عندما وصل الهيللينون إلى اليونان، وكان اسمها في أرجوس Argos هيرا Hera (أي السيدة) التي حلّت محلّ ديوني Dione زوجة لزيوس Zeus، وكان اسمها في دلفي xe أو«الأرض» وكانت لها عرافة قديمة، وفي إلوسيس كان اسمها أيضا الأرض الأم «ديمتر Demeter»[2]، وكان اسمها في إسبرطة أورثيا Orthia، ولقد جاءت

بدورها من آسيا عبر جزر بحر إيجه متخفية في أشكال مختلفة، وكان اسمها في أفيسوس أرتميس Artemis وأصبح معبدها إحدى عجائب الدنيا، ومن هناك وصلت إلى جزيرة ديلوس Delos، ثم من ديلوس إلى اركاديا في البلبونيز (المورة) وبرورون Brauron في اتيكا.

ولقد روضها اليونان وجعلوا منها ربة للطبيعة البرية، وصائدة عذراء، وإن كانت تسربت روايات عن حملها لطفل وعن رمقتها كالليستو Callisto[3]. أما أفروديت الأم (المولودة من زبد البحر) فقد رحلت إلى بافوس Paphos في قبرص[4]. ولتسميتها «بالمولودة من زبد البحر» معنى مزدوج: فهذه التسمية تدل على البحر الذي خرجت منه أفروديت كما هي الحال في لوحة بوتشيلي الشهيرة[5] كما تدل أيضا على الرغاوى المحيطة بالحيوانات المنوية.

وانتقلت عبادتها من قبرص فوصلت ميناء كورنثة، حيث كان معبدها يرتفع عاليا على الاكروبوليس، مزودا بأكثر من ألف معبد للبغايا أو «بنات الضيافة» اللائي كن، كما يقول استرابو Strabo)[6]-مركز الجذب الرئيسي في المدينة. وأصبح فعل «يتكرنث» (المشتق من اسم المدينة كورنثة) مرادفا في نظر الأتقياء «للاأخلاقية الجنسية». ولهذا اعتمد اتهام القديس بولس للمجتمع الأثيني في الإصحاح الأول من رسالته إلى أهل رومية، على سنتين قضاهما في كورنثة، فإذا ما استبعدنا النزعة التجارية ظهرت قوة الأم العظيمة. ولقد عرف الإغريق أيضا قصة موت الروح النباتية في أسطورة حب أفروديت لأدونيس الذي قتل وهو يطارد الخنزير البري.

الديانة المينوية[7]:

كانت كريت هي المركز الرئيسي للثقافة المبكرة، كما كان «للأم» فيها مكانة عالية، فقد سادت في البداية التماثيل الصغيرة، رغم أنها لم تكن تقتصر على تماثيل الأنثى. ولكن في الألف الثانية قبل الميلاد اكتملت صورة الإلهة تماما. ولقد ارتبطت بالحيوانات والطيور والثعابين، كما ارتبطت بالعمود والشجرة، والسيف والفأس المزدوج، وصارت لها السيطرة كلى جميع مجالات الحياة والموت. ويصورها تمثال شهير وهي واقفة فوق الجبل يحيط بها أسدان، وتمثال آخر والثعابين تطوق ذراعيها، أما رفيقها الشاب الذي عرفه الإغريق باسم زيوس فقد ولد فوق جبل إيدا Ida.

وكانت العقيدة هي عبادة الخصب حيث ارتبطت الإلهة بالقمر (لما للقمر من ارتباط بالطمث وقوة النساء)-كما ارتبط زوجها بالشمس، وقد تمثلوهما مرة أخرى على صورة البقرة والثور. وكانت أسطورة حب باسيفي Pasiphae)[8] لثور، واغتصاب إيروبا Europe)[9] من قبل ثور، أسطورتين تنتميان معا إلى كريت. وكان الزواج المقدس جانبا هاما من الطقوس، وفي إحدى صور هذه الأسطورة جامع ياسيون Jasion «ديمتر» في حقل محروث[10]، وها هنا نجد رابطة لا تخفى بين الأسطورة وتخصيب الأرض. كما أدت السيادة العامة للحيوانات إلى اشتباه بعض الشراح في وجود الطوطمية.

كانت هناك محاريب هامة في الكهوف والمغارات، وقد كشفت عمليات التنقيب في كهف كماريس Kamares عن أواني جميلة من الفخار، وأكوام من الحبوب كانت فيما يبدو تقدم «للأم»، وقد بقي الكهف الواقع أسفل قمة جبل «إيدا» حتى العصور الرومانية بمثابة محراب لزيوس كما وجدت قرابين من الحيوانات، وأعمال برونزية مبهرة، كما قدّم إلينا كهف بسيكرو Psychro لوحة برونزية، وفاء لنذر من حوالي 1500 سنة ق. م عليها منظر للعبادة يبين الربة على شكل طائر وهي تقف على شجرة مقدسة، وفي خلفية اللوحة الشمس والقمر وقرنا التكريس، والناذر نفسه.

زيـــــوس Zeus

جاء الهيلينون الغزاة إلى الجنوب في الألف الثانية ق. م. وجلبوا معهم إله السوء الهند-أوربي العظيم «ديوس Dyaus» أو زيوس Zeus[11]، ولقد قيل إن هذا هو كل ما نعرفه عنهما. وكان من الطبيعي للبدو المهاجرين أن يظلوا على تمجيدهم لقبة السماء، فالأرض يمكن أن تتغير أما السماء فلا تتغير. ومع «زيوس» جاءت رفيقته الملازمة له ملازمة الظل ديوني Dione، والعذراء بلاس pallas)[12]، التي تقوم بالإشراف على المعارك[13].

التقى هؤلاء الغزاة في اليونان بآلهة «الأرض الأم»، ومع أول موجة من موجات المهاجرين من الهيلنين احتفظت هذه الآلهة بمكانتها المرموقة السابقة، وأصبح إله السماء «بوزيز-داس Posis-Das» زوجا للأرض. بعد ذلك لم يتعرف الهيلنيون على إلههم هنا. وكلما ثبّت «زيوس» سلطانه انزاحت صورة «زيوس» إلى البحر لتصبح بوزيدون poseidon وبصفة عامة كان هناك

حل وسط، وهو أن تختفي «ديوني» ويقبل زيوس الأرض الأم في صورها المختلفة رفيقة لفراشه: ومن هنا جاءت غرامياته المتعددة. فزواج السماء والأرض جعل الخصوبة مضمونة، ويمكن أن يصبح رفيق الأم هو ابن زيوس مثل هرقل Heracles. أما في أثينا فقد تمت الغلبة للعذراء، وتحولت الأم إلى عذراء مقاتلة هي «أثينا-بلاس». ولما كان من الطبيعي أن يعبد إله السماء فوق الجبال، فقد اتخذ زيوس عرشه فوق أعلى جبل وهو جبل أوليمبوس Olympus حيث شيد فيما بعد محرابه فوق إحدى القمم المنخفضة، رغم وجود عروش كثيرة له، في الأكرويول في أرجوس Argos وفي جبل كوريسوس Coressus في أفسس، وفي جبلين في أنطاكية.

ومن الطبيعي أن يمر الإله العظيم نفسه بألوان من التحولات المختلطة، ففي كريت حيث وجدت حكايات كثيرة عن مولد زيوس، امتزج بالإله المحلى للخصوبة، وتوحي أسماؤه المتعددة بأنه كتبت له السيادة على وظائف معظم الآلهة المتخصصين. فقد أدرك اليونانيون مبكرين، على نحو غير عادي، وجود إله عال محيط بكل شيء، وأصبح زيوس هو الإله الذي يرعى الاستقامة، وظهر اتجاه نحو وحدانية ممكنة، وتطلب عيد الإله زيوس في أولميا Olympia عقد هدنة حتى بين اليونانيين المتحاربين، وفي ثلاثية أسخيلوس المسرحية «الأورستيا Oresteia»[14] نراه في خلفية المسرحية يتكاثر، فهو زيوس «المنقذ»، زيوس، «محقق الآمال»، ومع التحول من زيوس حامي حمى الضيافة، إلى زيوس إله المجلس السياسي وجدناه يحقق ذاته. ولقد صوره المثال «فيدياس» في تمثال اعتقد كونتيليانوس Quintilianus[15] أنه يضيف جديدا إلى الديانة التقليدية، وهو تمثال أوحى إلى ديون البروزى Dio of Prusa بموعظة نبيلة، أما بالنسبة للرواقيين فقد كان زيوس كل شيء ومنبثا في كل شيء، ولهذا كان من الطبيعي أن يطلقوا على الكون اسم: «مدينة زيوس».

مجمع الآلهة في الأولمب:

في الشعر الذي ينسب عادة إلى هوميروس يظهر مجمع الآلهة في جبال الأولمب أشبه بالمجتمع البشري، لكنه مكتوب بأحرف كبيرة، فزيوس هو السيد المسيطر، والقائد الأعلى، وأب الآلهة والبشر، ثم هناك، بعد

ذلك، بعض التخصصات في الوظائف: فهيرا Hera هي حارسة الزواج، وبوزيدون يحكم البحر، أفروديت هي قوة الحب، وآرتميس Artemis هي ربة الطبيعة البرية. أما أثينا فهي-بالإضافة إلى خصائصها الحربية-ربة الحكمة وراعية الحرف الفنية. كما أن ديميتر Demeter[16] أصبحت الأرض الأم، وارتبطت بصفة خاصة بحصاد القمح. وأما الإله «أبوللو» فهو مركب ومثير للخلاف: فاسمه مزدوج «فوبس أبوللو Phoebus Apollo»[17] (أي أبوللو المطهر)- والمركز الرئيسي لعبادته مزدوج أيضا، فهو يوجد في «ديلوس» وفي «دلفي» كما أنه يرتبط ارتباطا مزدوجا بالشمال والشرق، وهذا يشير إلى أصله المركب. ويوحي لقب (فويس) بأنه إله الشمس الذي يرسل أشعته فتنشر الوباء كالسهام، والذي يستطيع أن يعالج الطاعون كما يستطيع أن يأتي به، ولقد أشرف، في العصور الكلاسيكية على الثقافة بمعناها الواسع: الموسيقى والأدب، والفكر الراقي. أما الإله هرمس Hermes فهو «ركام من حجارة» أو كومة من الأحجار[18]، توضع على جانب الطريق للتوقير، ولهذا أصبح مرشدا للمسافرين والتجار، ورسول الآلهة الذي يرافق الموتى، وهو بصفة عامة المحتال النشط[19]، مثل القيوط Coyote في أمريكا أو الأنانسي Anansi في غرب إفريقيا[20]. وكلمة هرمايون Hermaior (كومة حجارة) تعني لقية تجلب الحظ وكانت الحجارة أو الأعمدة المربعة التي تحمل وجه إنسان وعضو الذكورة تحدد شوارع المدينة[21]. أما هيفاستوس Hephaestus فيمكن أن تتعقب أثره حتى حقول النفط في الشرق الأدنى، فمن الطبيعي بوصفه إله النار أن يرتبط اسمه بالحدادة والتقنية. وأما آريس Ares فيبدو أنه قدم من تراقيا، وأيا ما كان أصله فقد كان عند الإغريق إله الحرب وعشيق أفردويت[22]. وأخيرا هناك هستيا Hestia ربة المدفأة والمنزل، وبذلك يكتمل عدد الآلهة اثنى عشر إلها.

غير أن «ديونسيوس» أزاحها إلى الخلف، وظهر اسمه على لوح بخطوط على شكل الحرف ب[23] في العصر الميكيني[24]، وبذلك عرف في فترة مبكرة. ولا بد أنه أجبر على التراجع أو الانزواء فترة ما (فهو لا يظهر عند هوميروس) ليعود إلى الظهور على نحو مفاجئ وعنيف، لقد جاء من تراقيا كقوة للطبيعة البرية، والوجد والنشوة الدينية، والنبيذ وثماره. وانتشرت عبادة النشوة بين النساء اللاتي كن يصعدن هائمات فوق الجبل في نوبة

سعار مقدس، ويصطدن إلههن في صورة حيوان ثم يلتهمنه. وهي صورة أعاد «يوربيدس» إبداعها على نحو بالغ الروعة في مسرحية «عابدات باخوس The Bacchae»[25].

لقد أطلق الباحثون على قصائد هوميروس اسم «إنجيل الإغريق» وهي إن لم تكن كذلك فقد كانت مسؤولة أكثر من أي عامل فردي عن تثبيت وتدعيم صورة الآلهة الشبيهة بالبشر في أذهان الناس؛ غير أنه من الأهمية بمكان أن نتذكر أن هناك قوة القدر Moira[26] التي تعني أن زيوس قد يستطيع تحدي القدر، لكن من الخير له ألا يفعل.

وتحولت بعض الآلهة إلى آلهة مدن، وسرعان ما دخلت الديانة السياسية. ولدينا أثينا كمثال واضح، ففي عام 405 ق. م صدر قرار يعطي حق المواطنة الأثينية إلى أبناء ساموس Samos، وهو قرار يوضحه منظر هيرا إلهة ساموس وأثينا إلهة الأثينيين وهما يتصافحان، وتمثل هيرا أيضا مدينة آرجوس Argos، كما يمثل أبو للو مدينة إسبرطة وملطية وقورينة. أما الإلهة أرتميس فهي تمثل «أفيسوس» والإله هرقل جزيرة ثاسوس Thasos وبريابوس Priapus مدينة لامبساكوس LaMpsacus[27].

قوة الطبيعة:

الطبيعة كلها عند الإغريق مفعمة بالحياة، فالجبل هو عرش إله السماء، ويصعد المتعبدون إلى قمة الهضبة للصلاة من أجل المطر. ولكل شجرة حورية من حوريات الغابة، وشجرة البلوط مقدسة عند زيوس، وشجرة الزيتون مقدسة عند الإلهة أثينا، والغار عند أبوللو، والنباتات العطرية عند أفروديت، وخشب الحور عند هرقل. والأيكات والبساتين، بصفة خاصة كانت موضع التقديس، فهي ملجأ وملاذ كما عبر عن ذلك ايسخليوس في مسرحية «الضارعات». ولكل ينبوع حورية، ولكل نهر إله. ولقد ألف جيمس ر. سميث James R.Smith مجلدا ضخما حقا صنف فيه «الينابيع والآبار في الأدب اليوناني والروماني» مع عرض لأساطيرها وقصصها المقدسة.

ومن يضل طريقه في الريف يمكن أن يلتقي بالإله «بان Pan»[28]، أو بالساطير Satyrs)[29]، أو القناطير Centaur[30]. ولقد كان البحر هو مسكن الإله بوزيدون، وهو أيضا بيت بروتيوس Proteus[31] بقدرته السحرية على

تغيير شكله، وعروسة البحر الرمادية جلوكس Glaucus[32]، والحورية المقدسة انوليوكوثيا Ino Leucothea[33] وعرائس البحر الفاتنات «الناريدات Nereids »[34]، والتريتون المتوحشة Tritons[35]والسيرينيات المهلكات[36]. أما فوق، في السماء، فكان «زيوس» يمارس قوته الرعدية. وأما الشمس والقمر المقدستان فيتحركان في هدوء، رغم ما قد يعلنه أحد العلماء الملاحدة من أن الشمس حجر ملتهب[37]

وكان للنجوم أساطيرها المناسبة، ولقد أعلن فيلسوف عميق مثل أفلاطون أنها مفعمة بالروح، وكلما مر الزمن امتلأت القبة الزرقاء بين السماء والأرض بقوى وسيطة.

إن كان هذا يؤثر في فهمنا لبعض النصوص في الأدب اليوناني: فهناك تقدير ضعيف لجمال الطبيعة في ذاته، فاليونانيون لا يتسلقون جبالهم لكي يستمتعوا بالمناظر الطبيعية لقد كانت الطبيعة تقدم الطعام والشراب، والظلال الدافئة أو الباردة، فهي مفيدة ونافعة أو هي مرعبة ومدمرة. غير أن الطبيعة تعني أساسا قوة الحياة، ولهذا كانت مقدسة. والمنظر الشهير في بداية محاورة «فايدروس» لأفلاطون ليس وصفا للجمال الطبيعي، وإنما هو وصف لأيكة مقدسة ولظل مريح وعشب وماء[38]. ولا تذكر ديوتيما Diotima جمال الطبيعة ضمن قائمة الجمال التي سردتها في محاورة «المأدبة» لأفلاطون[39]. والواقع أن الريف يكاد يزخر بالهياكل والتمثيل الصغيرة والقرابين. ولقد وصف استرابو Strabo مصب نهر الفيوس Alpheus على النحو التالي: ضفة النهر كلها مليئة بهياكل للإلهة آرتميس Artemis، والإله أفروديت، وحوريات البحر في بساتين مزدهرة ترجع أساسا لوفرة الماء، والعديد من تماثيل «هرميس» على الطريق، وتمتد هياكل للإله «بوزيدون» على لسان من الأرض داخل البحر!! ويعلق الأستاذ مارتن نيلسون Nilsson Martin[40] بقوله: يكاد يصعب على المرء أن يخطو خطوة واحدة خارج الدار دون أن يلتقي بهيكل صغير، أو سياج مقدس، أو صورة، أو حجر مقدس، أو شجرة مقدسة، وربما لا تكون هذه هي الصورة المثلى للديانة اليونانية، لكن من المؤكد أنها أكثر الصور ثباتا.

التطهر والقداسة:

ارتبط جانب كبير من الديانة اليونانية بالتطهر والقداسة: فالمحراب أو

قاعة الأسرار الدينية Temenos مفصولة، معزولة على حدة، وليست المعابد التي نعجب بها أماكن للعبادة العامة بالمعنى الحديث، فقد لا يدخلها بعض الناس إلا مرة واحدة فقط في السنة، أو قد لا يدخلها سوى الكهنة فحسب، وقد لا تدخلها الكاهنات إلا منقبات. (مثل معبد سوسيبوليس Sosipolis في مدينة إليس Elis) ويكتب على الهيكل الداخلي كلمة adyton (أي ممنوع الدخول). وهناك أماكن أخرى يمنع فيها المشي مثل أيكة الإلهة ديمتر والإلهة كورى Kore(41) في مدينة ميجالوبوليسMegalopolis(42) أو أي مكان آخر يظهر فيه البرق.

كان الدنس تهمة بشعة. ويمكن أن نسوق مثلا جيدا على ذلك من مأساة أوديب الذي قتل أباه وتزوج أمه، ولا يهم أن تكون الجريمة قد ارتكبت عن علم وتعمد أم لا. كما كان على «أورست» أيضا أن يتطهر(43)، ونحن نراه مرسوما على مزهرية وقد رش فوقه دم خنزير، وفي بعض الأحيان تستأصل الموضوعات المادية المرتبطة بجريمة ما، ففي جزيرة «قوس» بعد أن انتحر رجل بشنق نفسه على شجرة، عوقب الحبل والشجرة بالإبعاد، وفي أعياد بوفونيا Bouphonia الغريبة، وهو عيد يحتفل فيه لزيوس في أثينا يفر الكاهن بعد التضحية الرسمية وتحاكم الفأس وتدان ويلقى بها في البحر.

وكبش الفداء صورة من صور التطهر. ففي أثينا، وفي غيرها من المدن الأيونية في عيد ترجيليا Thargeha(44)، وهو عيد الإله أبوللو، تلقى خطايا الجماعة على عاتق فرد واحد يسمى فارماكوس Pharmakos(أي العقار أو الدواء)(45). ثم يطرد من المدينة. وهناك أساليب عديدة للتطهر، أبسطها، التضحية بخنزير أو كلب أو ديك أو الاغتسال في ماء البحر، ثم امتدت هذه الأساليب إلى خبرات كثيرة متكررة تعيد ذكرى الإلهة مانا Mana، وهكذا يقضى على المرض، أو تهدى ملابس امرأة في المخاض إلى الإلهة آرتميس البرورية Artemis of Brauron.

الأسرار:

هناك عبادتان مميزتان من بين العبادات التي غلب عليها طابع الديانة الشخصية، فالناس في إليوسيس Eleusis(46)، تروى كيف اغتصب إله العالم كورى العذراء، كما تروى قصة حزن أمها الإلهة «ديمتر» وهي تبحث عنها، وقصة الآفات التي ضربت بها «ديمتر» الأرض، وقصة استعادة الأم ابنتها

جزءا من العام فحسب، واتحاد الابنة من جديد مع الربة[47]. وتعكس الأسطورة دفن بذور القمح تحت الأرض في قدور تخزين أثناء الجفاف الشتوي المظلم وظهورها من جديد عندما تبذر في الربيع[48].

ويقام احتفال عظيم في شهر سبتمبر يبدأ بالحث على البعث الروحي والتعميد في البحر، وفي 19 سبتمبر يأتي موكب من أثينا وتقام عملية الترسيم، وكانت الأسرار تصان ويحرّم على أي إنسان البوح بها، لكن الاستنتاج المعقول أن هناك أداء دراميا للأسطورة ينتهي بزواج مقدس[49]، كما يحدث تجل تصاحبه أضواء لامعة تتركز على سنبلة قمح ووليمة مشتركة، ويحدث نوع من الاتحاد مع الربة. ولقد سك الإمبراطور جالينوس Gallienus على النقود صورة جالينا Galliena الأنثى في ذكرى ترسيمه. وكان الوعد هنا يشبه مما عبر عنه المسيح بقوله «ما لم تسقط حبة القمح في الأرض وتموت فإنها تظل وحيدة، ولكنها لو ماتت لجلبت الكثير من الثمار». لقد كان هذا هو وعد «الترنيمة إلى ديمتر»[50] التي تقول أبياتها:

«مبارك بين البشر على الأرض،
من رأى هذه الأشياء،
لكن من لم يشارك في مراسم
الطقوس المقدسة،
ومن لم يكن له نصيب فيها،
فلن يستمتع بالمشاركة في مثل هذه الأشياء،
عندما يرقد بعد الموت تحت الظلام المنتشر».

وكما قال شيشرون «لقد تعلمنا أن نعيش في بهجة، وأن نموت مع أمل أفضل». ولم يكن ثمة سوى أمل ضئيل بعيدا عن الطقوس السرية فيما وراء القبر، فهاديس التي يروي عنها هوميروس مكان للأشباح والظلال. أما العبادة الأخرى فهي عبادة «أورفيوس Orpheus» وهو موسيقي أسطوري، وصورة أخرى من دينسيوس. ونحن نلتقي بالأورفيين (أتباع النحلة الأورفية) في صقلية، وفي اليونان في القرن الخامس ق. م، وفي الألواح الذهبية المدفونة في بتليا Petelia التي يعطى فيها تعليمات لأرواح الموتى. كما نلتقي بهم فيما يسمى بالترانيم الأورفية من فرع آخر للأخوة الديونسيوسين في الإمبراطورية الرومانية. فنحن نعرف (رغم أننا لم نعرف ذلك إلا في فترة

متأخرة) الأسطورة المعقدة التى تروي كيف قتل التيتان Titans[51] الأشرار ديونسيوس وأكلوه، وكيف تم إنقاذ قلبه الذي ولد منه ديونسيوس مرة أخرى، ثم قضى عليهم زيوس بصواعقه، وولد الجنس البشرى من بقايا رمادهم، وهكذا أصبح الإنسان مؤلفا من عنصر «تيتاني» هو الجسد وعنصر ديونيسي هو الروح، ومطلوب منه لكي يطهر النفس من الأثر التيتاني أن يراعي السلوك الديني، بما في ذلك أن يكون نباتيا. وكانت هناك عقيدة التجسيد تمثل «دورة مرهقة محزنة» من الموت والميلاد من جديد، يكون الترسيم مهربا سريعا منها. وقد كان حنين الشخص الذي سيتم ترسيمه يتمثل في الاستماع إلى الكلمات الآتية «طوبى لك، ومبارك أنت يا من أصبحت إلهياً بدلا من أن تكون فانيا».

«أيمكن أن يكون مصير باتيكسيون Pataecion اللص أفضل من مصير «أبامينونداس Epaminondas[52] لمجرد أنه قد تم ترسيمه؟» ذلك هو أقدم سؤال، وهو يعني أن الترسيم وحده لا يكفي، وأن المطالب الدينية تمثل عنصرا أخلاقيا قويا بالنسبة للعضو المترسم. وهناك شخصية في إحدى مسرحيات-ميناندر Menander)[53] الكوميدية تقابل على هذه الأسس بين مطالب ديمتر ومطالب «سيبل» الآسيوية.

النظر الفلسفي:

كثير من النظريات التي تدور حول نشأة الكون تتحدث عن انفصال السماء والأرض، وعن ارتباطهما عن طريق الاتحاد الجنسي. ففي كتاب هزيود. (في القرن الثامن ق. م)- «أنساب الآلهة Theogony» -نجد أن العماء Chaos-أو الفجوة المتثائبة -«قد ظهرت إلى الوجود» هكذا ببساطة. وكذلك فعلت الأرض، وأيضا طارطاروس Tartarus (العالم السفلي أو الجحيم)- والحب. وهذه الموجودات تؤخذ كما تعطى: ولم تقم أسطورة الاتحاد الجنسي بعملها إلا بعد ظهور الحب فنحن إذن على أبواب العقلانية.

كان طاليس الملطي (في فجر القرن السادس ق. م) هو مؤسس الفلسفة العلمية، لقد سأل أسئلة عن نشأة الكون، وبحث لها عن أجوبة بمصطلحات المادة، فرأى أن الأشياء جميعا أشكال منوعة من الماء الذي لا غنى للحياة عنه. ففي استطاعته أن يتجمد، أو أن يصبح غازا، وتلك هي بداية العملية

التي أنزلت «زيوس» عن عرشه وأحلّت فورتكس Vortex (الدوامة) محله[54].

ومع ذلك فإن هذه النظريات العلمية لم تتحرر من الأسطورة، فالماء الذي يتمثل في صورة الأوقيانوس Oceanus[55]، كان أحد الموجودات الأولية في الأساطير اليونانية. ولقد ذهب طاليس متأثرا بالخصائص المغناطيسية للمادة إلى أن «كل شيء مملوء بالآلهة». أما «انكسمانيس» الذي أحل الهواء محل الماء، فقد أعلن أنه إلهي. وكان هناك اعتقاد عام في ألوهية مادة واعية تحيط بالكون وتتسرب من خلاله لتشكل الهواء العلوي أو الأثير. وبحث فلاسفة آخرون عن قوة محركة: فكانت المحبة والنزاع عند أبناء قليس، والعقل عند أنكساجوراس.

غير أن الحركة كانت تتجه نحو العقلانية: فهاجم اكزينوفان[56]، النزعة التشبيهية (تشبيه الآلهة بالبشر) زاعما أن الثيران يمكن أن تصنع لنفسها أصناما مماثلة من الثيران، كما تصنع الأسود أصناما للأسود. كذلك أنكر انكساجوراس ألوهية الشمس، وذهب إلى أنها حجر أحمر ملتهب أكبر حجما من جبل البليونيز (شبه جزيرة المورة). وكتب «كريتياس Critias» مسرحية ذهب فيها إلى أن القانون هو اختراع أريد به وضع القوى تحت السيطرة، كما أن الآلهة اختراع أريد به إرهاب الماكر، وفيما بعد وضع أويهيمروس Euhemerus نظرية تقول إن الآلهة ليست سوى أبطال وطنيين ألههم مواطنوهم ومازلنا حتى الآن نسميها النزعة الأويهيميزية Eu-hemerism)[57]. وأنكر أحد الأطباء أن يكون الصرع مرضا مقدسا مرجعه إلى عقاب إلهي، كما كان يعتقد بصفة عامة، وذهب إلى أنه يوصف بأنه إلهي لأنه لم يفهم بعد.

واستعاد أفلاطون (427- 347 ق. م) البعد الديني وتتضمن فكرته عن الخلق وجود إله صانع، وصور (أو مثل) أزلية لا تتغير، وهي نماذج وأنماط للعالم، أما «الوعاء» فهو ما يمكن أن نسميه بالمادة. والعالم المادي عالم قابل للفناء، كذلك الجسد الذي يدركه هو أيضا قابل للفناء. أما عالم الصور (أو المثل) فهو التقوى الحقة، والعدالة التامة، والجمال في ذاته، خالد لا يفنى، والروح التي تدركه بدورها خالدة، وعالم الصور أو المثل هو وحدة العالم الحقيقي، ويكمن خلفه، بل وراء عالم الواقع معيار الوجود كله وهو: مثال الخير.

أما أرسطو (384- 322 ق. م) أنبغ تلاميذ أفلاطون وقد قدّم كذلك

فلسفة دينية-فرأى أن هناك سلسلة كبرى من الموجودات تبدأ من المادة الخالصة التي لا يمكن أن نعرفها، في القاع، وتسير صعدا إلى الصورة الخالصة التي هي الله في القمة. وهي سلسلة تمتد من الإمكان البحت (أو الوجود بالقوة) إلى الفعل الكامل (أو الوجود بالفعل التام) وينشغل الإله بتأمل ذاتي لا نهاية له فهو لا ينشغل بالعالم، وإنما يحركه كما يحرك المحبوب محبه دون أن يحتاج إلى أن يقوم بأدنى حركة، فهو المحرك الذي لا يتحرك، وإنها لإحدى مفارقات التاريخ أن نجح الأسكولائيون في العصور الوسطى، وهم على جانب من العمق والدقة، في التوحيد بين هذا المحرك الذي لا يتحرك وبين أب يسوع الدائب العمل.

العـرّافـات[58]:

أشهر المتنبئات عند الإغريق هي عرافة دلفى، وكانت في الأصل عرافة الأرض الأم غير أن أبوللو أخذ بعد ذلك وظائفها. وقد جرت العادة أن تكون الاستشارة من خلال الكاهنة «بثيا Pythia»[59]، التي تروح في غيبوبة بسبب التركيز العقلي والروحي الكامل (ولم تكن هناك أبخرة كريهة الرائحة)[60]، وتنطق بأصوات مبهمة غير مفهومة. وكان الكهنة الذين كان لديهم نظام كفء يستخدمونه في نقل المعلومات، يحولون هذه الأصوات إلى أنباء مناسبة في لغة مفهومة بالشعر والنثر، وأن تكن أحيانا مزدوجة المعنى[61]. ومن الإجابات الغامضة المشهورة الإجابة عن سؤال للملك كرويسس ملك ليديا إذ كانت الإجابة «إذا ما عبر كرويسس نهر هاليس Halys، فسوف يدمر إمبراطورية هائلة». وكان هذا ما فعله إذ دمر إمبراطوريته هو. وهناك طريقة أخرى للاستشارة بأن يسحب السائل مجموعة حبوب ملونة بألوان مختلفة تعني نعم أو لا، ولقد تم اختيار ملك تساليا ذات مرة بسحب حبة نقش عليها اسم المرشح الذي نجح.

ومن الطبيعي أن نسمع أكثر من ذلك عن الاستشارات السياسة الكبرى، غير أن يوربيدس في مسرحية «أيون» يبين أن الاستشارات الخاصة كانت كثيرة[62]. وكان يتوقع أن تدور حول المحاصيل والأولاد ويمكن أن نضيف أيضا الاستشارات الخاصة بالمرض، ويسجل لنا التاريخ استشارة يقدمها عبد يريد أن يعرف كيف يرضى سيده. ويقول بلوتارك (حوالي 45- 125 م)

إن السلم الروماني Pax Romana[63]،

جعل الاستشارات السياسية القديمة غير ضرورية في عصره، إذ أصبح الأفراد يسألون عن الزواج، والسفر، وتدبير المال.

وعلينا أن نتذكر أن عرافة دلفي، مثل «عرافة يوربا ايف»[64]، هي المستودع الجامع للحكمة. وهناك بعض الأسئلة الطريفة مثل: «كيف أستطيع أن أعالج إبني من مرض الحب» والإجابة «عامليه بلطف!». وكانت دلفي هي التي أشاعت الحكمتين العظيمتين «إعرف نفسك» و«إياك الإفراط».

وهناك عرافات أخريات كعرافة الإله «زيوس» في بلدة دودونا Dodona التي كانت تفسر أصوات حفيف الأوراق في شجرة البلوط وغيرها من الأصوات بأنها إرادة الإله[65]. وكانت الأسئلة تكتب على رقائق معدنية بقي بعضها حتى الآن. ولقد أراد ليزانياس Lysanias أن يعرف ما إذا كان هو والد الطفل الذي كانت تحمله أنيلا Annyla وتسأل نيكوكراتيا Nicocratia إلى من من الآلهة تضحي من أجل اكتساب الصحة. ويسأل صبي ما إذا كان عليه أن يمتهن حرفة أبيه في صيد السمك. ويسأل الكوركيريون Corcyreans كيف نتجنب الحرب الأهلية[66]. وفي بلدة لبيديا Lebadeia كانت هناك عرّافة قديمة لـ «تروفونوس Trophonius»[67]، وكان السائل بعد التطهر وتقديم القرابين يدفع به إلى مغارة تحت الأرض ليتلقى على نحو مباشر وحيا يثير الرهبة، ولقد كان لأبوللو بعض العرّافات الشهيرات في آسيا مثل عرّافة معبد ديديما DidemaL[68] التي ترجع إلى القرن السادسق. م. لكن عرّافة معبد كلاروس Claros[69] طغت عليها فيما بعد، وكان لهذا المعبد في العصر الروماني جهاز إداري كبير، فضلا عن جوقة من المنشدين. ولقد انتشرت شهرة هذه العرافة حتى وصلت إلى مناطق بعيدة مثل دالماتيا Dalmatia)[70]، ونوميديا Numideia)[71]، و بريطانيا Britain.

الخرافـــــات:

يصور ثاوفر اسطوس[72] في كتابه البديع «الطباع» الرجل المؤمن بالخرافة في صورة كوميدية بقوله:«من الواضح أنه يمكن تعريف عالم الخرافة بصفة عامة بأنه ضرب من الجبن أمام القوى الخارقة للطبيعة. إن المؤمن بالخرافة هو ذلك النوع من الناس الذي لا يخرج من داره أول النهار إلا بعد أن يغسل

يديه ويرش نفسه بالماء من العيون التسع، ويضع في فمه قطعة من ورق شجر الغار يأتي بها من أحد المعابد، فإذا ما اعترضت طريقه قطة لم يواصل السير حتى يمر به إنسان آخر، أو يقذف بثلاثة أحجار في الشارع. وإذا أبصر أفعى في بيته وكانت من النوع الأحمر اللون يستنجد بديونسيوس (أوسبازيوس Sabezius) أما إذا كانت الأفعى مقدسة فإنه يقيم هيكلا من فوره في البقعة التي أبصرها فيها. وإذا مر بحجر أملس من تلك الحجارة المقامة في مفترق الطرق صبّ عليه الزيت من قنينة، ولم يواصل السير في طريقة إلا بعد أن يركع له ويحني رأسه إلى الأرض. وإذا قرض فأر جراب طعامه، توجه مباشرة إلى العرّاف وسأله ماذا يفعل، فإذا أشار عليه أن يرسل الجراب إلى الإسكافي ليرقعه» أهمل هذه النصيحة، وتخلص من النذير المشئوم بطقوس تمنع عنه الشر المرتقب.

وهو يحتفل دوما بتطهير بيته لأن الإلهة هيكاتي Hecate)[73] كانت تسكنه، وإذا سمع نعيب البوم وهو يمشي خارج البيت ارتعش ولم يكمل سيره إلا وهو يتمتم «القوة للإلهة أثينا». وهو يرفض أن تطأ قدمه حجر ضريح أو أن يسير في أي مكان بجوار جثة ميت، أو امرأة في المخاض، مرددا أنه لا يريد أن يعاني من النجاسة.

وفي اليوم الرابع والسابع من كل شهر كان يصدر تعليماته بإعداد الخمر للأسرة، ويخرج ليشتري أغصان الريحان وبخورا وصورا مقدسة، ثم يعود إلى البيت ليقضي بقية النهار في صناعة أكاليل الزهور ليزين بها تماثيل «هرمفروديت Hermaphrodite»[74]، لتقدم كقرابين. وفي كل مرة يرى فيها حلما يهرع إلى مفسري الأحلام، وإلى العرّافين والمنجمين ليستفتيهم فيما ينبغي عمله ليرضى الإله أو الإلهة. وعندما يكون على وشك الترسيم في أسرار «أورفيوس» فإنه يزور الكهنة مرة كل شهر مصطحبا معه زوجته. فإن كانت مشغولة اصطحب الأطفال مع مربيتهم. والكل يعلم أنه كثير ما ينزل البحر ليرش جسده بالماء المقدس. وكلما رأى أحد تماثيل هيكاتي في مفترق الطرق مع حزمة ثوم. فإنه يذهب إلى البيت فورا ليغسل يديه، ويرسل للكاهنات يسألهن أن يطهرنه بأن يحملن جروا أو زنبقة ويطفن بها في موكب. وإذا وقعت عينه على رجل مصاب بالجنوب أو الصرع ارتجف وبصق في صدره. ولو تخيلنا أن هذه صورة كاريكاتورية، فمن الخير أن

نتذكر أن القائد العسكري ورجل الدولة الأثيني بعد موت «بركليس» واسمه نكياس Nicias[75] فقد جيشين عام 412 ق. م لأن عرّافين نصحاه أن ينتظر بعد خسوف القمر في 27 أغسطس «ثلاث مرات تسعة أيام»[76] قبل أن يتحرك بقواته. ولقد أدان «بلوتارك» المؤرخ الإنساني العطوف - الذي جاء بعد ذلك بخمسة قرون، ذلك الإيمان بالخرافة، لكنه أوضح أنه كان هناك كثيرون في عصره «ممن كانت كلماتهم وإشاراتهم الخرافية، وسحرهم وشعوذتهم، وجريهم إلى الإمام وإلى الخلف ودقهم للطبول، وتطهراتهم المشينة، وتزمتهم القذر، وزهدهم الغريب غير المشروع» - تدفع بالعقلاء من الناس إلى الإلحاد. ومع ذلك فبلوتارك نفسه لم يجد حرجا في التشاؤم من العطس[77].

الديانة الهلنستية:

دفعت حياة الإسكندر الأكبر القصيرة (356- 323) بالحدود إلى الوراء بعدة طرق، فاهتزت الآلهة القديمة، وعظّم اليونانيون «أبطالهم» ومؤسسي المدن، فحاول أن يجعل ألوهيته هي الفكرة التي تربط الإمبراطورية، صحيح أنه فشل، لكنه وضع سابقة. وعندما زار «ديمتريوس فاتح المدن»[78] أثينا عام 307 ق. م أنشدوا له ترنيمة جميلة تعلن أن الآلهة الأخرى غائبة، صماء، غير مكترثة أو غير موجودة، أما هو فهو تجل للإله الواحد الحق، وقدموا «البارثنون» ليكون قصرا له. وبعد ذلك اتخذ الحكام ألقابا مثل «المحسن»[79] Euergetes أو المنقذ، وتجلى الإله، بل ويتخذون لقب الصاعقة كيراونوس Kerauns.

وقد استمر وجود الآلهة القديمة، ولكن كان هناك تأكيد جديد على الشياطين والأرواح الوسيطة، كما جاءت آلهة جديدة من الشرق ومن الجنوب لتبقى جنبا إلى جنب مع الآلهة القديمة. ودخل التنجيم عن طريق بابل، واشتد الطلب على آلهة الشفاء. كما أصبح محراب اسكليبيوس Asclepius في أبيدورس شعبيا إلى أقصى حد[80]. ولقد أدت الشكوك إلى الإعلاء من شأن تيكي Tyche (إلهة الحظ أو الصدفة)، أو ربما وجدت لكل آله نقيضه. ومن هنا ظهرت فلسفات ثنائية مثل الغنوصية Gnosticism غير أن المسألة كان لها وجه آخر.

فقد كانت هناك وحدة عظيمة أكثر من أي وقت مضى، وتطلب هذا

تعبيرا دينيا جديدا. وكان هناك ميل نحو الوحدانية أو على الأقل نحو إمكانية الوحدانية، في الإعلاء من شأن «زيوس» وازدياد الجانب الأخلاقي في الدين. وظهر المذهب التوفيقي Syncretism تعبيرا من هذا المزاج نفسه. وكان الإله سيرابيس Sarapis. واحدا من أطرف إبداعات العصر وهو صيغة جديدة من الإلهين المصريين أوزريس[81]، الإله المخلص، وأبيس Apis الإله العجل، كما هو واضح من اسمه؛ ومع ذلك فهو يرتبط ارتباطا غريبا مع سينوب Sinope الواقعة على البحر الأسود، إذ اتحد مع زيوس الإله الشافي. الإله المخلص، الإله الأب الذي نألف ملامح وجهة الطيب الملتحي من تماثيله الكثيرة، والذي يُشكل موضوعا للحب والتفاني ليلبي الحاجات التي اقتضاها تغيير البيئة.

تيكي :Tyche

ليس الناس متسقين منطقيا، والإنسان الحديث الذي يسجل نجاحه بعبارات «شكرا لله، وامسك الخشب» يمكن أن يسير في خط مواز للعالم القديم حيث كانت تيكي أو الحظ والصدفة لا تعبر فقط عن مجرد اعتقاد، وإنما كانت تعبد كما تعبد الآلهة والإلهات الأخرى. والمؤرخان العظيمان للعصر القديم-ثوكيديدز، وبوليبيوس Polybius اعتبرا الصدفة أو الحظ (دون كتابته بأحرف كبيرة أعني بغير تضخيم) العنصر الرئيسي في التحليل التاريخي. والفيلسوفان العظيمان أفلاطون وأرسطو، اللذان نظرا إلى الكون نظرة غائية تماما، جعلا الصدفة مساوية لكل ما لا ينتمي مباشرة إلى الفعل الغائي للآلهة والناس، أعني في النهاية لكل ما لا ينتمي للقانون الطبيعي.

إذا كانت الصدفة قد سيطرت على هذا النحو، على خيال المثقف، فلن نندهش عندما نجد أن رجل الشارع يعبدها. ولما كانت توصف بأنها هوائية ولا يمكن التنبؤ بمسلكها، فقد تصورها أنثى، وعبّر عنها برموز الرخاء والازدهار الذي تمنحه أو تمنعه، مثل قرني الوفرة، أو أجنحة النمر، أو برموز الشهوة، مثل العجلة التي تقف عليها بغير استقرار، أو برمز الدفة المشهورة كتعبير عن اتجاهها في الحياة. أما الكرة التي تقف عليها في بعض الأحيان، فهي رمز غامض، فقد تكون إشارة إلى كرة الكون الذي تسيطر عليه، ولكنها مهزوزة ووضعها غير مأمون.

وكان العصر الهلنستي أبهى عصور تيكي وإن عرفت قبل ذلك بفترة

طويلة. فقد ذكرها هوميروس-في «ترنيمة إلى ديمتر» المنسوبة إليه-على أنها واحدة من «الناريدات Nareides». أما هزيود في كتابه «أنساب الآلهة Theogony» فهو يقول إنها ابنة الإلهة «أوقيانوس». ويقول أرخيلوخوس Archilochus[82]. إن الحظ أو الصدفة والقدر تسيطر على مصائر البشر. ويوحّد بندار Pindar[83] بين الصدفة وإحدى رباب القدر. وهي بارزة في مسرحيات «يوربيدس». ولقد لعبت دورا هاما في الرواية إبان العمرين الهلنستي والروماني. وتصورها عمياء حاقدة متحيّزة. وقصة شاريتون Chariton[84] المسماة كارياس وكاليروه Chaereas and Callirhoe هي قصة صراع عنيف بين الصدفة التي تسبب جميع الأمراض وأفروديت التي تنقذ العشاق. وفي قصة «أبوليوس Apulius» «الحمار الذهبي»[85] نموذج مماثل فيما عدا أن إيزيس-وليست أفروديت-هي المنقذ، أما إن هؤلاء الروائيين قد عبّروا عن رأي شائع بين الناس فهذا ما نراه في نقوش الأضرحة، فها هنا نجد الإشارة إلى تيكي Tyche- باستثناء واحد فريد-تعبر عنها بألفاظ المرارة والكراهية اليائسة، وهناك نموذجا لها:

«هنا أرقد أنا فليرموس Phileremus جثة هامدة،
وهو ما كانت تشتهيه الطاغية، تيكي،
فقد أرادت أن تجرني الأرواح من الدنيا».

وثمة ثلاثة تعديلات لهذه الصورة، لها بعض الأهمية: فهناك أولا: روح الخصوبة المعروفة باسم الروح الخير (روح أجاثوس Agathos) الذي احتاج إلى رفيقة فكانت له «تيكي أجاثي» أو الصدفة الطيبة. وقد كان الروح الخير يتحد أحيانا مع «زيوس»، ومن هنا جاء النقش البارز المدهش من أثينا-وهو الآن في كوبنهاجن-الذي يرجع إلى القرن الرابع ق. م. ويصور «زيوس» بقرني الوفرة مع قرينته الصدفة الطيبة. وهناك. ثانيا: في آسيا حيث حكمت الإلهة طويلا، وكان من الطبيعي أن ينظر إلى تيكي على أنها شكل آخر من أشكالها الكثيرة. وثالثا: في الحياة العامة إبان العصرين الهلنستي والروماني أصبحت الصدفة إلهة مدينة. وهناك تمثال برونزي شهر-نحته يوتكيدز Eutychides للإلهة «تيكي» إلهة أنطاكية وهي جالسة فوق شجرة تمثل عرش الأم الجبلي، وفي يدها حزمة قمح ترمز إلى الرخاء، وتضع على رأسها تاج على شكل حصن يرمز لحماية المدينة. وبالمثل نجد

أنطيوخوس الأول الكوماجينى[86] يقوم بوضع نقوش هائلة مع تماثيل تجسد مدينة كوماجيني على هيئة الإلهة تيكي.

وقد كتب الموسوعي الروماني بلنى الأكبر والذي كان يعرف العالم اليوناني معرفة تامة-ملخصا ممتازا حول وضع «تيكي» العام يقول فيه: إن تيسكي هي الوحيدة في جميع أنحاء العالم التي نتوسل إليها، وهي الوحيدة المدعى عليها والمتهمة، والفكرة الوحيدة التي تشغل أذهان الناس، وهي الوحيدة موضع الثناء كما أنها السبب الأول «أننا نرزح تحت رحمة الصدفة بحيث صارت الصدفة هي إلهتنا».

الفلسفة الهلنستية:

سعت جميع الفلسفات في العصر الهلنستي-بطرق مختلفة-لتحقيق الكفاية الذاتية-(أو الاستغناء) كانت الرواقية تدين بمذهب شمول الألوهية أو وحدة الوجود Pantheism، وفي نهاية الكتاب الأول من قصيدة بوب Pope[87] «مقال عن الإنسان» عرض رائع للمذهب الرواقي:

«ليست الأشياء كلها إلا جوانب من كل رائع،

جسده الطبيعة، وروحه الله»

ويتساءل «سنيكا»: أتسميه بالقدر؟ لن تكون مخطئا.. أتسميه العناية الإلهية؟ ستكون على صواب، أتسمية الطبيعة؟ لن تكون تسميتك كاذبة، أتسميه الكون؟ لن تكون قد انخدعت».

لقد كان الاسم المفضل هو «زيوس» وتحت هذا الاسم ترنم باسمه أعمق المتدينين من الرواقية المتأخرة وهو كليانتيس Cleanthes ق. م (232-331) [88]. أما ابكتيتوس (55 ق م. م-135م) نظيره في الإمبراطورية الرومانية، فقد قال إن عمله الحقيقي هو أن ينشد ترنيمة للإله. كان الرواقيون جبريين، وعندهم أن كل شيء يقف بين يدي الله، ودورنا هو أن نتقبل الأمر فحسب، فنحن مجرد ممثلين في الدراما الإلهية، وسواء قمنا بدور الملك أو العبد فهو دور جوهري بالنسبة للكل. وقد كان من بين قادة الرواقية عبيد مثل إبيكتيتوس وأباطرة مثل الإمبراطور ماركوس أوريليوس (120-180 م).

أما عند اليهود فقد كان الآبيقوريون والملاحدة اسمين مترادفين ولم يكن ذلك عدلا. صحيح أن أبيقور (341-270 ق. م) هاجم الخرافة وما تنضح

به من شرور، لكنه كان رجلا متدينا، ونصائحه الأربعة لكي تنال الصحة هي:

1- لا يصح أن تخاف من الآلهة

2- إننا لا نشعر بالموت

3- من السهل الوصول إلى الخير

4- من السهل تحمل الشر.

ولقد قال الآبيقوريون بفناء النفس التي هي بنية من الذرات تنحل مع انحلال الجسد، وأنكروا أن الآلهة تعاقب الشرير وتكافئ المستقيم، لكنهم يجمعون على أن الآلهة موجودة يقول بهذا إجماع الناس، ونحن ندركها في الأحلام إنها تعيش في نعيم مقيم، دون أن يزعجها شيء، وتدور بينها مناقشات فلسفية حول العالم وما فيه من خلل دون أن تهتم بشؤون البشر. غير أن الروح التي هي و «حالة تناغم مع اللامتناهي» تستطيع أن تلتقط فيوضاتهم كما نلتقط موجات الراديو وذلك لمنفعتها وسعادتها.

وبعد فترة من الشك، والانشغال بالمشكلات الابستمولوجية (مشكلات المعرفة) عادت الأفلاطونية إلى اللاهوت، فخلط نومينوس Numenius[89] بين أفلاطون وفيثاغورس، والبينوس Albinus بينه (أي أفلاطون) وبين أرسطو، أما أوغسطين وكلمنت وأوريجين فقد مزجوا بينه وبين المسيحية، ولكن أعظم عبقرية دينية في العالم القديم هي أفلوطين 270- 205 (Plotinus م) الذي يقف بارزا بين خلفاء أفلاطون، ويتركز فكره حول «الواحد The One» الذي يعلو على الشخصية ويجاوز الواقع، والفكر، والتعريف، والفهم، وتتطلع جميع الأشياء إليه، وعنه صدر الكون بأسره بعملية فيض أو صدور. وأعلى مراتب الحياة هي صعود الروح إلى الله بواسطة الاشتياق المسمى بالحب Eros.

والواقع أن أفلوطين يقول صراحة أن الله هو الحب، ولكن ربما لم يكن هذا التعريف إلا الشعار المقابل للتعبير المسيحي! «الله محبة» أجابيه Agape (المحبة المسيحية). والغاية الحقة للروح هي الاتحاد الصوفي مع الواحد في نشوة الوجد، أو تحليق المتوحد إلى المتوحد، قد جرب أفلوطين الذي كان هو نفسه صوفيا، هذه الوحدة أكثر من مرة.

4 "روما القديمة"

كان «الأتروسكيونEtruscans»[1] أقدم الشعوب في إيطاليا وأكثرها أهمية وإثارة للجدل، من أين جاءوا؟ لا أحد يدري! يقول هيرودت إنهن جاءوا من ليديا Lydia[2]. وتقدم بعض المعتقدات الدينية المتشابهة وكذلك التنجيم، والتنبؤ بالغيب الذي كانت تمارسه بلاد ما بين النهرين دعما لهذا القول. لكن المظاهر الأساسية لثقافة الأتروسكين تطورت في إيطاليا شمال نهر التيبر Tiber في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد. وهو شعب يعتمد، من الناحية الاقتصادية، على الزراعة والتعدين. ويقوم من الناحية السياسية على أساس دولة المدينة التي ترتبط بحلف مركزه الديني قرب فوليسيني Volsinii حيث يوجد معبد لإله أطلق عليه الرومان اسم فيرتومنوس Vertumnus.

وتقع آلهة الأتروسكين في ثلاث مجموعات، فهناك أولا: مجموعة من الآلهة تحمل أسماء أتروسكانية خالصة، ولا نعرف عنها إلا القليل، فقد توحد بعضها مع آلهة اليونان والرومان مما يحمل على الظن أن وظائفها متماثلة. وهكذا أصبح ينظر إلى الإله تينا Tinia على أنه «جوبيتر»، وإلى الإله ستلانز Setlans على أنه «ڤولكان». وتوحد الإله ترمز

Turms مع عطارد، والإلهة توران Turan مع «فينوس» (وغالبا ما تنقش على المرايا)، ونورشيا Nortia مع فورتونا Fortuna. أما المجموعة الثانية فقد استعاروها، فيما يبدو، من جيرانهم الإيطاليين، إذ يمكننا أن نتعرف على آلهة رومانية مألوفة بين آلهتهم من أمثال آني Ani (وهوجانوس Janus) وأوني Uni (وهي جونو).

ومنرفا Mnrva (وهي مينيرفا). ونيتونس Nehuns (نبتون Neptune). وأما المجموعة الثالثة فقد أخذوها من المستعمرات اليونانية في الجنوب ومنها الإله آيتي Aite (وهو هاديس) وأبلو Aplu (وهو الإلهة أبوللو وتمثاله في فياي Veii آية من آيات الفن الأتروسكاني)، والإلهة آرتيمى Aritimi (وهى آرتميس) وشارون Charun (هو خارون Charon) وهرقل (هو هركيوليس Hercules)، وبرسيبيني Persipnai (هي الإلهة برسيفوني Persephone).

ومن الواضح جدا أن السيادة كانت لآلهة العالم السفلي في المجموعة الأخيرة.

لقد كان الانشغال بالحياة الأخرى سمة أساسية للديانة الأتروسكانية، فكانت تقام ألعاب جنائزية على شرف الموتى، ويقال إنها هي أصل عروض المجاليد Gladiator[3] وكانت القبور تؤثث تأثيثا جيدا، وينظر إليها على أنها بيوت الموتى. وتبين بعض اللوحات الجدارية العظيمة التي بقيت حتى الآن رحلة الموتى من هذه الدنيا إلى العالم السفلي تحت حراسة إلهية مرعبة. ويبدو أن لوكريتس Lucretius الشاعر الأبيقوري في القرن الأول قبل الميلاد[4]- عندما كان يسعى إلى تبديد الخوف من العقاب بعد الموت، لم يكن في الأعم الأغلب، يوجه كتاباته إلى المجتمع المتحضر في روما بل إلى قرى الشمال.

وهناك شواهد على ارتباط بعض الرموز الجنسية بالقبور، ولو صح ذلك فإنه يعني أن الأتروسكانين كانوا يعتقدون أن قوة الحياة في كل فرد هي التي تؤلف جوهر وجوده، كما أنها الجانب الذي يبقى بعد الموت. وهذا قريب جدا من الفهم الروماني لكلمتي جينيوس Genius و «ايونو Iuno» وهما القوى الجنسية للذكر والأنثى. والجانب الآخر من ديانة الأتروسكان الذي يدل على أنه عظيم الأثر، هو التنبؤ بالغيب. وهناك طرق كثيرة للتنبؤ بالغيب ومعرفة إرادة الآلهة. فنحن نعرفها من الرعد والبرق، ومن تحليق الطيور. غير أن الأتروسكان اشتهروا بصفة خاصة بعلم معرفة الغيب عن طريق دراسة الكبد.

فكانت ضحية القربان تذبح ويشق جسدها، ويفحص الكبد لمعرفة العلامات أو الخصائص الأخرى. وكان الجانب الأيمن من الكبد هو المنطقة التي تشير إلى الحظ السعيد، أما الجانب الأيسر فيدل على الحظ السيئ. لكن الدراسة كانت على جانب عظيم من التعقيد. وهناك كبد من البرونز ملفت للنظر من منطقة بياشنسيا Piacenza)[5]، مقسم إلى ما لا يقل عن أربعين منطقة يشار إلى كل منها باسم إله مختلف. وتكشف لنا مرآة منقوشة نقشا جميلا عن المتنبئ بالغيب وهو يمارس عمله، كما تصور مرآة أخرى منظرا من هوميروس استخدمت فيه كمية عناصر مألوفة، ومعاصرة للفنان. وفضلا عن ذلك فقد استمرت شهرة المتنبئين قرونا بعد اختفاء الحضارة الأتروسكانية كقوة سياسية. وعندما دمر معبد الكابتيول في الحرب الأهلية عام 69 ميلادية، دعا فسبازيان Vespasian)[6] المنجمين الأتروسكان لإعادة بنائه، وظل جوليان Julian[7] يستشيرهم بعد ذلك بثلاثمائة سنة.

1 - الديانة الرومانية القديمة: الأرواح أو القوى الروحية Numina

عندما كان الكاهن في روما القديمة يقدم القرابين إلى «تلوس ماتر Tellus Mater» أو الإلهة الأم-إلهة الأرض، وإلى سيرس Ceres إلهة القمح-فإنه كان يتضرع أيضا إلى «فيرفاكتور Vervactor» و «ريداريتورRegar atoll» و«امبروسيتورO,rpcotpr»، و«انستيور Insitor»، و«أوباريتسور Obarator» و«أوكيتور Occator»، و«سريتور Sarritor» و«سبرينكاتور Subrincator » و«ميسور Messor» و«كونفكتور Convector» و «كونديتور Conditor» و«بروميتور Promitor»[8] وهذه القائمة العجيبة من الآلهة الصغيرة اشتقت أسماؤها من العمليات الزراعية المختلفة: حرث الأرض المراحة[9]، الحرث الثاني وعمل الأخاديد، وبذر البذور وتسميد الأرض، وتمهيد التربة وتسويتها، حتى جنى المحصول وتخزينه ثم صرفه من المخازن، فهي قوى روحية يسيطر كل منها على عملية محددة لكنها ضرورية، ولا وجود للقوى الروحية خارج نطاق هذه العملية، ولهذا كانت تسميتها باللغة الألمانية Sondergotter تعني آلهة لوظائف خاصة، أو بتعبير أكثر قدرة على التصوير، آلة لطرفة عين (أو للحظة محددة)، ونحن هنا نعود إلى ما وراء الآلهة التشبيهية (أي التي تشبه بالإنسان) وإلى مستوى أساسي في الاعتقاد أكثر بدائية.

ترتبط هذه القوى بالعمليات الزراعية، بصفة خاصة، كما ترتبط بحياة الأسرة، ويمكن أن نأخذ الميلاد كمثال لحياة الأسرة حيث نجد أن الإلهة أليمونا Alemona ترعى الجنين، والإلهتين «نونا ودسيم» (أي التاسع والعاشر) تراقبان الأشهر الحاسمة من الحمل. وبارتولا partula إلهة المخاض، أما لوسينا Lucina، وكاند ليفرا-Can delifera والكارمنتس Carmentes فتقدم السحر والنور اللازمين للولادة الآمنة. وفي احتفال سحري تطرد الأرواح الشريرة بفأس ووتد ومكنسة، بواسطة Intercidona (الساطور) وبيلومنس Pilumnus (من يدق الوتد).، وDeverra (الكناس).

كما كانت هناك أيضا كونينا Cunina الإلهة التي تهز المهد، وفاجيتانوس-Va gitanus الإلهة التي تستخرج الصرخات الأولى، ورومينا Rumina إلهة الرضاعة. وعندما ينمو الطفل نجد «ادوسا وبوتينا Edus & Potina» تشرفان على طعامه وشرابه، وتوجه فابوليتوس Fabulinus تعلمه الكلام، وستاتلينوس Statulinus محاولاته الأولى للوقوف، كما كانت أبيونا Abeona وأديونا Adeona تراقبان خروجه ودخوله.

وبعض هذه «الأرواح» لا تسيطر على الوظائف بقدر سيطرتها على القدرة بمعنى مختلف، ومن ثم كانت القوة الداخلية الخلاقة Genius في الرجل، وأيضا أونو Iuno في المرأة حاضرة تماما طوال فترة الخصوبة لا في أثناء عملية الجماع فحسب. وهناك آلهة أخرى كانت تتمتع بمواضع محلية لإقامتها، كما كان لها أسماء أخرى منها «فستا Vesta» ومقرها الموقد، والبينات Penates ومكانها المخازن والصوامع، وجانوس-Ja nus على عتبة الدار. وهناك أيضا الإله «ترمينوس Terminus» (اله الحدود.) الذي يجلس على صخرة الحدود، في حين يستقر جينوس Genius في رأس رب الأسرة ما داموا يعتقدون أن البذور تصدر عن الرأس.

وتعد اللارات Lares[10] من البقايا الهامة لهذه المرحلة من مراحل الاعتقاد. ولقد بذل أصحاب النظريات جهودا مضنية لتفسيرها. ويوحي التشابه مع أجزاء أخرى من العالم إنها كانت أرواح الأسلاف التي تشرف على الخصوبة في الأرض الزراعية، «لارفاميليايريس Lar Familaris» دخل بيت المزرعة مع العمال الزراعيين، ولاركومبيتاليس Lar Compitalis يحرس مفترق الطرق التي تلتقي فيها عدة مزارع.

نعود إلى القول بأن هذه في الواقع ليست آلهة، وإنما هي «قوى روحية» ولكن بعضها تتجسد في شخصيات وأصبح إلها، قاسم فينوس Venus محايد في شكله، إذ أن «فينوس» كانت «روح» الحديقة بغير جنس محدد (أي لا ذكر ولا أنثى)، قبل أن تصبح إلهة الحب العظيمة. وكانت جونو أويونو Iuno)[11]، قد ارتبطت ارتباطا وثيقا ودائما بالنساء الصالحات للزواج، ولكنها أصبحت كذلك ملكة للآلهة. ويبدو أن اسم ساتوزلوس Saturnus (زحل) قد أطلق على إله بذر البذور، بينما أطلق اسم نبتون Neptune على إله الماء. وقد بقيت الديانة القديمة للحقل والمزرعة قوية في الريف إذ كانت ديانة مناسبة وذات جمال خاص، فهي تتعامل مع موضوعات هامة في حياتهم، كما تكشف عن رغبة في التوافق مع القوى الكامنة خلف الكون والمعنية بمشاغل الحياة الأساسية، لقد كانت قوى مستمرة ولهذا استمرت أيضا في العصور المسيحية، وأصبح اسم «الوثني» يعني في الواقع «الرجل الريفي».

2- ظهور الآلهة:

أن كلمة Numina كلمة محايدة تعني «إيماءة الرأس»، ولقد ارتبط استخدامها بالفكرة التي تقول إن الخصوبة مستقرة في الرأس، وأصبح هذا التصور تشبيهيا (أي ينقل الصورة البشرية إلى الآلهة) ولكنه لم يستمر كذلك طويلا. فقد تحول «النومين» شيئا فشيئا إلى إله يشبه الإنسان تماما، ذكرا كان أو أنثى، وفي بعض الأحيان بغير جنس محدد، فإله الرعى بالس Pales يوجد في هيئة رجولية وأنثوية معا. والوظيفة التي كانت تشير إلى الإله ككل في مرحلته الجنينية الأولى، أصبحت الآن صفة، وقد يجذب هذا الإله الجديد مجموعة من الصفات التي تتمثل الألقاب التي تطلق على العبادات.

يبدو أن الإله العظيم الأول عند الرومان كان هو الإله «مارس Mars» الذي أصبح في عصور تالية يعرف كإله للحرب، لكنه كان في البداية مرتبطا كذلك بالزراعة والحرث. وكان الناس يتضرعون إليه تحت اسم مرمار Marmar لكي يقي الحقول من وباء الطاعون، كما كان بوصفه مارميريوس Marmurius هو روح السنة التي تندفع بسرعة بصولجانين منزوعين ثم تعود كسنة جديدة. وكان له كهنته الوثابون أو الساليون Salii(أي القفازون)[12]، وتوحي الأمثلة المشابهة بأنهم كانوا يقفزون لاستجلاب

محاصيل ذات عيدان أطول. أما الاحتفالات بأعياد الدروع والتروس فقد تكون إعدادا للحرب، غير أن رنين الرمح والترس قد يعبر كذلك عن سحر الرعد. ويضحى له (أي لمارس) في هذا العيد بحصان البطل في الحرب الذي يستخدم دمه في الطقوس السحرية للخصب. ويتقبل الإله التضحية بالخنزير، والشاه، والثور Su-Ove-Tauriliar [13] من أجل رخاء الأرض ووفرتها. وكان شهر مارس البداية القديمة للسنة-وكذلك بداية الحملات الحربية، وأعمال الزراعة-هو شهر هذا الإله، وربما كان في الأصل إله العاصفة، رغم أن هذه الفكرة لا تزال عند الكثيرين مجرد تخمين.

وكان كويرينوس Quirinus[14]، قوة روحية غامضة، ثم توحد مع روميلوس Romulus المؤسس الأسطوري لروما. وقد ارتبط بمارس، إذ نجد سيرفيوس Servius يدعوه «مارس الموكل بالسلام» كما كان يطلق على الرومان اسم «الكويريتيس» عندما يجتمعون بصفتهم مواطنين أحرارا.

أما العضو الثالث في ثالوث الآلهة التي كانت تعبد، في الأصل على تل الكابيتولين Capitoline[15] وأصبح هو الإله الأعظم-هو جوبتر Jupiter وهو مثل زيوس Zeus-الإله الهند-أروبي للسماء-هبط إلى روما من معبده فوق تل مدينة ألبا لونجا AIba Longa[16]، ومنذ عصر الملوك الأتروسكيين وهو يسيطر على مجمع الآلهة حاملا لقبه «الأفضل والأعظم». ثم ارتبط اسمه على نحو فريد بمصير روما، وأصبحت إلهة الأنوثة القديمة جونو Juno زوجته الملكة.

هناك روحان آخران من «القوى الروحية» لما السابقة كتبت لهما السيادة في مجمع الآلهة بوصفهما من «الآلهة القومية» أما الأول فهو جانوس إله الأبواب الذي صوره الرومان فيما بعد وهو ينظر في اتجاهين. والثاني هو الإلهة فستا Vesta إلهة الموقد، وكان يقوم على خدمة معبدها القومي «عذارى فستا» اللائى كن يبدأن الانخراط في سلك الخدمة فيما بين السادسة والعاشرة ويواصلنها (في العصور الكلاسيكية) لمدة ثلاثين سنة[17].

أما الآلهة الأخرى فكانت تسمى Novensiles وهى إما من الآلهة المغتربة أو المهاجرة، ومن أبرزها الإلهة الإيطالية الأتروسكانية «منيرفا Minerva» إلهة المهارة الفنية التي ارتبطت مع «جوبتر» و «جونو» في ثالوث جديد في الكابتول. ومنها أيضا الإله هركيوليس Hercules إله النجاح في الشئون العملية، والإله عطارد Mercury «الذي يدل اسمه على ارتباطه بالتجار»[18].

وأبوللو Apollo إله الشفاء، وفورتونا Fortuna إلهة الخصوبة وعرافة الإلهة في بارنيست Parenesta وأنتيوم-An tium، والإلهة ديانا Diana روح الشجرة[19] التي ناجاها كاتولوس Catulus[20] في ترنيمة رائعة، كما كانت عبادتها في نيمي Nemi نقطة البداية لكتاب جيمس فريزر «الغصن الذهبي»[21]. ولقد توحدت بعض هذه الآلهة مع آلهة اليونان على أساس أن أصلهما واحد هو الإله الهند-أوربي، فكما أن «زيوس» هوديوس Dyaus فكذلك جوبتر هو «دي أوبيتر Di Upiter » الأب ديوس»، والآلهة الأخرى مثل هركيوليس Hercules (هرقل Heracles) وأبوللو استعاروها مباشرة من المستعمرات اليونانية. ولما نما الاتصال باليونان، تمت توحدات أخرى، فمن الواضح أن الإلهة «جونو» هي «هيرا»، وأن «ميزفا» هي «بلاس» أثينا، وأن «ديانا» هي «أرتمي»، و«فينوس» هي أفروديت و«عطارد» هو «هرميس»، و «نبتون» هو «بوزيدون». والإله «فولكان» هو الإله «هفايستس» و «سيرس» هي «ديمتر»، وأن ليبر Liber (إله العنب) هو ديونسيوس (إله الخمر).. وهكذا. وكان الانتقال سهلا في بعض الأحيان، ولكن طرأت على «فينوس» و«عطارد» تحولات ملحوظة، ومع التغيرات أصبحت الحكايات المرتبطة بآلهة اليونان تنسب إلى آلهة الرومان، وقد روى «أوفيد Ovid» حلقاتها في كتابه «التحولات» Metamorphoses[22]. لكن يصح عموما أن نقول أن أمثال هذه الحكايات تشير دائما إلى تأثير يوناني، لأن الروح Numina عند الرومان ليست لها حكايات.

3- السلم الإلهي: Pax Deorum

كانت مهمة الدين هي تأمين رضا الآلهة عن طريق تقديم القرابين وتأدية الطقوس، وإقامة الاحتفالات المناسبة. وكان تقديم القرابين يتم بأيدي جماعة الكهنة Pontifices، وكان للحبر الأعظم Pontifex Maximus مكانة سياسية عالية، حتى أن قيصر[23] بطبعه المتشكك تولى بنفسه هذا المنصب. وكان يشترك في الخدمة مع «الحبر الأعظم» أربعة من كبار الكهنة هم «كاهن القرابين» و«كاهن جوبت»، و«كاهن مارس» و«كاهن كويرناليس». و«كاهن جوبتر» يخضع لمجموعة خاصة من الممنوعات المعوقة، فلا يجوز له أن يركب حصانا، ولا أن يرى جيشا، ولا أن يقسم يمينا، ولا أن يضع خاتما في إصبعه أو رباطا معقودا، أو أن يخرج في الطريق حاسر الرأس، أو

يستخدم الحديد في قص الشعر أو تقليم الأظافر، أو يسير تحت كومة، أو يلمس كلبا-وتلك أمثلة قليلة للقيود الكثيرة التي يمكن أن نتعقبها إلى معتقدات السحر، وهناك تقويم محكم نشر رسميا عام 304 ق. م، وإن كان تاريخه أقدم من ذلك بكثير، وهو تقويم بالأيام التي يسمح فيها القيام بممارسة الأشغال العامة أو يمنع، وتلك هي الفاستى Fasti (الأيام المقدسة). وكان من الضروري اختيار الضحية المناسبة لكل قربان، بحيث تراعى الطقوس بدقة، وتتلى الصلوات المحددة. ومع ظهور الإمبراطورية عين كهنة جدد لإدارة شؤون العبادة فيها.

وطائفة الكهنة العظام الآخرين هم المتطيرون augurs[24]، الذين كانت مهمتهم تفسير إرادة «جوبتر» بمراقبة تحليق الطير. وطائفة الخمسة عشر كاهنا كانوا يعنون عناية خاصة بالكتب السبيلية Sabylline[25]. ولكن كان هناك كهنة آخرون إخوان أرفال Arval Brethren[26] الاثنى عشر الموكول إليهم الإشراف على خصوبة الحقول والذين بقيت ترانيمهم إلى اليوم، وجماعة تيتوس Titus الذين يرعون طقوس السابين Sabine القديمة[27]، كما يتحملون جانبا من المسؤولية عن موضوع التطير (التنبؤ بحركة الطير)، والفتيالي Fetiales[28] الذين كان اختصاصهم التصديق على المعاهدات، واللوبرسى Luperei أو إخوان الذئب الذين يحتفلون بطقوس السنة الجديدة في شهر فبراير من كل عام، والساليون Salii أو الكهنة القافزون الذين كانوا يقومون على خدمة الإلهين «مارس« و«كويرينوس Quirinus».

4- الدين السياسي:

امتدح المؤرخ اليوناني بوليبيوس Polybius[29] الأرستقراطية الرومانية في الوقت الذي نجد فيه القديم أوغسطين، اللاهوتي المسيحي، يدينها- والمدح والإدانة معا بسبب استخدامها للدين كمخدر للشعب، ففي عهد الجمهورية ظهرت نتيجة للضغط السياسي في أوقات الأزمات، بدع جديدة من خلال الكتب السيبلية. وهناك حكاية تروي عن كيفية حصول الملك تاركوينس Tarquin على آخر ثلاثة كتب سيبلية لقاء ثمن كان يمكن أن يحصل به على تسعة لأنه خدع في المساومة. وكانت سبيل Sibyl شخصية تنبئية غامضة تنسب إليها أشتاتا متنوعة من التنبؤات، وربما تم تنظيم هذه الأشتات

عام 367 ق م، أو قبل ذلك. وقد أدخلت على الاحتفالات بأعياد الآلهة احتفال الكتسترينوم Lectisternium الذي يظهر فيه أزواج من الآلهة متجسدين في تماثيل نصفية منحوتة، وجالسين على أرائك، وتنصب أمامها الولائم بينما يسير الموكب الديني أو موكب الضراعة إلى المعبد. وهاهنا نرى التسلية والترفيه في الطعام، والمشاهد غير المألوفة والبدع، كما يقدم ترفيه مماثل في صورة مسابقات مسرحية ورياضية.

والكتب السبيلية مسؤولة كذلك عن ظهور عبادات جديدة. وفي فترة مبكرة من أعوام 496- 493 ق. م كان هناك معبد مخصص لعبادة الآلهة كيريس Ceres[30]، والإله ليبر Liber والآلهة ليبرا Libera[31]. وهم عند اليونان الإلهة ديمتر والإله ديونسيون والإلهة برسفوني قضت بإقامته العرافة السبيلية. وفي عام 293 ق. م انتقل إله الشفاء إسكيولبوس Aesculapuis (وهو اسكليوس Aschlepuis عند اليونان) في صورة أفعى إلى الجزيرة عن طريق نهر التيبر حيث لا تزال توجد مستشفى القديس «بارتلوميو S.Bartolomeo». وفي عام 205 ق. م أحضر القائد المتصوف «سكيبيو Scipio» «الأم الكبرى» في هيئة الحجر الأسود من (بسينوس Pessinus). والواقع أن هذه الكتب كانت في أنشط حالتها أثناء الحرب مع هانيبال ونكباتها المروعة، فالناس يرجعون إلى الدين في أوقات الحرب.

وقد أخذ العامة هذه المسائل بجدية شديدة بينما تزايد الشك فيها عند الطبقات العليا. وعندما قيل لكلوديوس بالكر Claudius Pulcher[32] أن الدجاج المقدس رفض الأكل (وهو نذير شؤم خطير) قال:«دعهما إذن تشرب، ثم: اقذف بها في البحر». أما فلامينوس Flaminius[33]. فقد أهمل بإرادته واجباته الدينية. وأما مارسيلوس Marcellus المتطير النبيل، أثناء الحرب البونية الثانية، فقد ركب محفته مع العميان حتى لا يرى النذر الشريرة، وكأن هذا العمل سيقضي عليها، وبحلول القرن الأول أصبح المتطيرون مدعاة للسخرية والتندر، حتى أن أحد الملاحدة تولى منصب الحبر الأعظم لأغراض سياسية.

5- الإمبراطور أغسطس:

تلقف الإمبراطور أغسطس نزعة الشك العامة، فقد بلغ من الحرص

مبلغا يمنعه من أن يكون مخلصا، صحيح أنه كان يؤمن بالخرافات، ولكن يصعب أن نصفه بالتدين. غير أن حاسته السياسية أشارت عليه أن يقيم لحكمه أساسا دينيا. ففي عام 29 ق. م أغلق معبد «جانوس» مما يعني نهاية الحرب، وفي العام التالي 28 ق. م عهد مجلس الشيوخ للحاكم بحق تجديد المعابد بحيث استطاع فيما بعد أن يفاخر بأنه عمل على تجديد اثنين وثمانين معبدا. وفضلا عن ذلك فقد شيد مباني جديدة كان أعظمها بغير منازع هو معبد«أبوللو بلاتين» إله النور والثقافة الذي أشرف على الانتصار النهائي في موقعة «أكتيوم»، وكان شعارا ممتازا للعهد الجديد، كما أقام معابد أخرى لوالده بالتبني يوليوس المقدس، ولجويتر إله الرعد، وللإله مارس، والإلهة فينوس، ولمارس المنتقم ولفستا.

وسار تجديد المعابد مع تجديد الشعائر الدينية في خطين متوازيين، فقد شرف أغسطس منصبه بأن تقلده بنفسه، وجعل من نفسه عرافا وعضوا في قائمة الخمسة عشر. وعندما مات ليبدوس Lepidus عام 12 ق. م أخذ أغسطس وظيفته وأصبح هو «الكاهن الأكبر» أو الحبر الأعظم Pontifex Maximus. وبعد أن ظلت وظيفة كاهن الإله مارس شاغرة لأكثر من نصف قرن مُلئت مرة أخرى، فقام الكهنة بتقديم القرابين، وانتعشت المعاهد، وتجددت الطقوس الدينية وأقام أغسطس في عام 17 ق. م «الألعاب القرنية»[34]، إيذانا بافتتاح عصر جديد فكانت مثلا جيدا على ذلك. ولدينا بالمصادفة مذكرة عن سيرة حياة أغسطس، نص من العرافة السبيلية التي توصى بتنفيذ الطقوس الدينية، تشرح هذه الطقوس، ونقش على نصب تذكاري يحتوي على رسالة لأغسطس، وقرارين لمجلس الشيوخ، ووثائق لقائمة الخمسة عشر، وترنيمة «هوراس» التي كتبها بذكاء. ولهذا نستطيع أن نقتفي أثر سيطرة الموت والحياة الجديدة، والتطهر والتجديد، والدين والخصب، والأخلاق. وهناك شاهد آخر هام هو «مذبح السلام Altar of Peace» ومواكب التماثيل المهيبة والألواح الخشبية على الجدران التي تمثل «الأم الأرض» وأينياس Aeneas[35] وهو يقدم القرابين لربات المدفأة Penates[36] وتنشئة رومولوس وريموس، والشخصية المقدسة لروما على كومة مكدسة بالسلاح. ويشارك في ذلك الشعراء وإن كانوا أبيقورين بحكم تكوينهم، فهوراس Horace[37] يسهم بمطلبه في تجديد المعبد وبأناشيده، وفرجيل [38] يركز

رؤيته على روما الخالدة في سياق التجربة الدينية. بل أن أوفيد Ovid[39] شغل نفسه فاهتم بالتقويم الديني.

6- عبادة الإمبراطور:

تعلمت روما، نتيجة احتكاكها باليونان، أن تنسب ألقاب الشرف المقدسة إلى الأفراد، ففي عام 212 ق. م. أقيم احتفال على شرف مارسليوس Marcellus في سيراقوزه، وفي عام 195 ق. م منح فلامينينوس Flaminius في مدينة خالكيس Chalcis مرتبة الكهنوتية التي بقيت طوال ثلاثة قرون. وأنشدت ترنيمة للإمبراطور تيتوس Titus[40] وزيوس وآلهة روما تنتهي بعبارة «نعماك يا أبوللو، نعماك يا تيتوس يا مخلصنا». وفي مدينة «افيسوس» كان هناك هيكل لآلهة روما ولـ «ب سرفيلوس أزوريكوس P.Servilius Isauricup» الذي كان قنصلا من،46 حتى عام 44 ق. م. وكان «فيرس Verres»[41] الشهير موضع تبجيل في قبرص، وقدمت آيات الشرف لشيشرون وشقيقه كوينتوس Quintus، ولكنهما رفضاها. وقبل سنة أو سنتين من ميلاد السيد المسيح أقيم احتفال لـ «بولس فابيوس ماكسيموس Paullus Fa bius Maximus» ارتبط بعيد أبوللو سمينثوس Smi Them. وارتبط الاسمان حتى ظل الاحتفال بهما معا تحت اسم سمينيثا-بولس في طرود Troad [42]لمدة قرنين بعد ذلك.

وفي أقصى الشرق وفي الجنوب كان تقديم الشرقيين للملك أمرا مألوفا ولقد نظر الرومان إلى الفكرة بافتتان ورهبة. فقلد بومبي[43] الاسكندر الذي وافق على الألوهية لأغراض سياسية، وكان قيصر، على الأقل، يلهو بالتأليه الذي خلع عليه بعد موته. وأصبح مارك أنطونيو، بغير خجل هو ديونسيوس أوزريس زوج كليو بطرة-إيزيس ملكة مصر، وأطلقا على طفليهما اسم الشمس والقمر.

وأقام أغسطس بحاسته السياسية البارعة نموذجا للمستقبل، فكان عليه أن يصبح في مصر الملك المقدس، لكنه كان حذرا في أماكن أخرى فلم يشأ أن يرجع الرومان لاقتراف الإثم مرة أخرى في حق الحكم. لقد كان لدى اليونان جمعيات مختلفة لشتى الأغراض تسمى الكوينا Koina وقد كيفت هذه الجمعيات بحيث تناسب عبادة الحاكم، غير أن أغسطس لم يسمح لنفسه أن ينال وحده شرف التأليه إذ لا بد لاسمه أن يقترن باسم

روما واللارات Lares. فمن روما أخذ لقب-Divi Fil Ius أي ابن الإله (يوليوس). ويوحي هذا بأنه يشبه هرقل Heracles[44] الذي هو ابن إله أيضا وضمه مجمع الآلهة إليه نظرا لخدماته في سبيل الإنسانية. وهذا هو السبب في تقريع «تبريوس Tiberius» لأحد رجال حاشيته المنافقين عندما تحدث عن «واجبات الإمبراطور المقدسة» إذ عنّف الإمبراطور ذلك «المجتهد» وكان توبيخه لنفاقه الذي يشير إلى ألوهية المستقبل لا ألوهية الحاضر.

أما المصابون بجنون العظمة من أمثال «كاليجولا Caligula»، ونيرون ودوميتيان Domitian فهم وحدهم الذين طالبوا بأن يعبدوا في حياتهم، وأن ينظر إلى كل منهم بوصفه سيدا وإلها Dominus & Deus أي مالك للعبيد وإله للفانين[45]. ومن هنا كان رد القديس يوحنا (صاحب الإنجيل المعروف) على ادعاءات «دوميتيان» أن جعل «توما» يؤكد أن المسيح هو السيد الحق، وهو الإله الحق[46]. وكما أن بنية السماء تعكس، في الأعم الأغلب، بنية الأرض، فقد كان مجمع الآلهة يصوّر على أنه نوع من مجلس الشيوخ السماوي الأعلى، مضافا إليه أعضاء مختارون لجدارتهم. ومن ثم ظهرت عملية تأليه الأباطرة الممتازين بعد وفاتهم، حتى أن «فسبازيان Vesp asian» القائد المتبلد عندما شعر بسكرات الموت تقترب. وكان قد احتفظ لآخر لحظة بروح الدعابة[47]-صاح «آه يا عزيزي، وا أسفاه! أظن أنني صائر إلى أن أكون إلها»...!

ولقد كان ذلك بالطبع دينا سياسيا، فلم يكن في استطاعة آلهة الأولمب أن يقيموا إمبراطورية موحدة، أعني إمبراطورية مقدسة قوية. أما في روما فقد أصبح الإمبراطور إلها لأنه إمبراطور، وهو مركز العبادة على نحو ما كان اينياس Aeneas مركز الانيادة بوصفه رمزا لروما[48]. ومعنى هذا أن العبادة تحصل على أهمية خاصة من أطراف الإمبراطورية: من بريطانيا حيث ظهرت منذ البداية عبادة كلوديوس Claudius، ومن آسيا حيث تنازعت المدن حول أحقيتها في لقب راعية المعبد Neo Koros في العبادة الرسمية للمقاطعة. واستمرت عبادة الإمبراطور في القرن الثالث إلى أن غير أورليان Aurelian[49] مبدأ الحكم مضيفا إليه نعمة من الله، مما مهدّ الطريق أمام الإمبراطورية المسيحية على الرغم من أن شخصية الإمبراطور قسطنطين ظلت تتلقى التوقير والتبجيل[50].

7- مقاطعات الإمبراطورية:

بعد أن اتسعت الإمبراطورية الرومانية استوعبت كل ما تصادفه، وكان ذلك هو سرها. وكانت هذه العملية تسمى من الناحية الدينية «التأويل الروماني»، أو الفهم الروماني لآلهة الأجانب واعتبارها آلهتها الخاصة. ولا بد أن نتذكر أنه كانت هناك عملية تناظر هذه العملية، وهي قيام المقاطعات باستيعاب آلهة الرومان لتصبح آلهتها الخاصة.

وتقدم لنا مقاطعة بريطانيا مثالا جيدا على هذا، فقد كان هناك عدد كبير من الآلهة الكلتية، بعضها آلهة محلية تماما، وبعضها الآخر عرفته عن طريق أوربا. وهذان النوعان من الآلهة متشابهان في ذاتهما وفي اتحادهما مع مجمع الآلهة الروماني. ففي باث[51]، اتحذت آلهة الينابيع الحارة سوليز Sulis مع منيرفا Minerva، وكان التصميم الهندسي لمعبدها كلاسيكيا، أما النحت فلم يكن كذلك. وفي مدينة «ليدني» على نهر سفرن Severn نجد أن نودنز Nodes الذي حفظته لنا الأساطير باسم الملك لير، كان من نصيبه معبد جميل في القرن الرابع الميلادي. وأصبحت برجنتيا Brigantia في الشمال حورية البحر «مابونس Maponus»، أو «مابون Mabon» واتحدّ إله الشباب مع الإله أبوللو، وكان من الطبيعي أن يقدم الإله «مارس» ليكون ربا للجنود بهويات مختلفة. وكان الرومان أحيانا يمجدّون إلها محليا مثل «جنيوس Genius» أو روح المكان. وتحولت الإلهة الكلتية مشاهدة مباني معبد كلوديوس في «كولشستر Colchester»[52]. وفضلا عن ذلك فقد جلب الجنود والتجار معهم أنواعا مختلفة من عبادات الشرق مثل عبادة الإلهة «مترا» والإله أبوللو من «دولخي Doliche» وإيزيس و«سيبيل» والآلهة السورية. أما كيف وصلت إليهم الديانة المسيحية فهذا ما لا نعرفه؛ لكن ثلاثة أساقفة بريطانيين حضروا المجمع الكنسي في آرليس Ar1es[53] عام 314 ميلادية، كما أن هناك نصبا تذكاريا رائعا في كنيسة ليلنجستون Lullingstone ومربع الكلمة في مدينة سرنستر Crencester والفسيفساء في هنتون سان ماري Hinton St. Mary.

8- السحر والخرافة:

جاء التنجيم إلى الغرب من بابل، وشجع عليه الموسوعي الرواقي «بوزيد

ونيس Posidonius»[54] فقد كان الرواقيون والأفلاطونيون في صف التنجيم في حين كان الأبيقوريون والمسيحيون ضده، وتفترض نظرية التنجيم وجود علاقة بين الناس والنجوم «فنحن نشارك الكواكب في القدرات والمشاعر». ولما كان مسار «زحل» بطيئا، فقد اعتقدوا أنه يجعل الناس كسالى، أما كوكب الزهرة فهو المشرف على الحب، في حين أن كوكب المشترى Jupiter يهب الناس القوة، وعطارد يبارك التجارة. وارتبطت الأفعى بإله الشفاء، والبرج الذي يحمل هذا الاسم يساعد على الشفاء. وكان التنجيم شبه علم، كما كان حساب خرائط البروج عملا معقدا. وكان يطلق على المنجمين لقب الرياضيين Mathematici.

وانفجرت الحركة في عهد تبروس Tiberius[55] الذي اعتكف في كابري ومعه «حشد من البابليين». وفي ذلك الوقت كتب مانيليوس Manilius الرواقي قصيدة في التنجيم، وربما اعتبر التنجيم بما فيه من إيمان بالقضاء والقدر ركيزة للوضع القائم، وربما شجع كذلك على الطموحات الخطرة، ولقد كان المنجمون يقعون بين الحين والحين، وإن كان التنجيم لم يمنع أبدا لفترة طويلة. وفي عهد الإمبراطور ماركوس أورليوس كتب فيتس فالينز Vettius Valens وهو في حالة وجد، عن مشاركة المنجم للآلهة. واستخدم ستفانوس Stephanus البيزنطي اللغة نفسها، تقريبا، في القرن الخامس الميلادي.

لقد كان التنجيم خرافة منتشرة على نطاق واسع، لكنه لم يكن سوى خرافة واحدة بين خرافات كثيرة. ويكفينا أربعة أمثلة:

أ-استخدم السحر لأغراض طبية، فكتب الحجاب السحري للوقاية من المرض، ولدينا تعويذات مثل اهرب يا عفريت داء الكلب من حامل هذا الحجاب». وكان بلني يؤمن إيمانا غريبا بالخرافات، من ذلك أنه كان ينصح لعلاج الصداع أن تلتقط حشائش نمت فوق رأس تمثال ثم تلفها في قطعة قماش وتربطها حول عنقك مع قطعة من خيط أحمر.

ب-اللعنات التي تنقش في الأعم الأغلب، على رقائق معدنية ثم تدفن في التراب وهي تصلح لمناسبات متنوعة: فأحيانا يكتبها أولئك الذين يفشلون في الحب، وأحيانا المقامرون الذين يريدون إضعاف جياد السباق التي لم يراهنوا عليها. وهناك مثال نموذجي وجد بجانب عين ماء بالقرب من أريزو Arezzo يصب اللعنات على شخص يدعى ك. ليتوريوس بويوس

Q.Leturius Lupus ويسمى أيضا كوكاديو Caucadio ويستعدى عليه عرائس البحر أو المياه المغلية لتقضي عليه خلال عام.

جـ- ويروى المثال الثالث عن اكتشاف ممتع في برجامم Pergamum[56] عبارة عن عدة المشعوذ، وهي منضدة برونزية ذات ثلاث أرجل منقوش عليها بإتقان صورة آلهة الظلام هيكاتي Hecate، وطبق مستدير عليه علامات سحرية، وخاتمان. وواضح أن الخاتمين يعلقان بخيط فوق الوعاء ليشيرا إلى الرموز المناسبة كلما اهتزا. ولقد وقفنا على قضية أثارت الرأي العام في القرن الرابع شملت أدوات مماثلة استخدمت لتحديد خليفة «فالنز VaLens».

د-في استطاعتنا في النهاية أن نذكر أبيليوس Apuleius[57]، فقد كانت قصته «الحمار الذهبي» مليئة بالسحر والشعوذة، وقد يكون ذلك مجرد جانب من تراث رواية القصص، ولكن إقبال القراء عليها في ذلك الوقت أمر له مغزاه. بيد أن هذا الأديب نفسه تزوج من أرملة ثرية اتهمته أسرتها بأنه سحرها، وكانت التهمة مضحكة لسخافتها، وتمكن أبيليوس بمرافعته الحاذقة من السخرية منها أمام المحكمة، ولكن وصول هذه القضية أصلا إلى المحكمة يكشف عن سيطرة الخرافة على هذا العصر.

ولـ «بلني» الأكبر[58] هنا أهمية خاصة، ففي شخصيته جانب من الرجل العقلاني الذي يهاجم استخدام السحر، ولكنه مع ذلك يؤمن بالعين الشريرة والتخفي، وبتغيرات الجنس (أي التحولات من جنس لآخر)، وتأثير القمر، والقوة المرعبة لدماء الطمث، والأعداد الوترية، وبالدوائر السحرية، وبقوة الحديد، والتأثير الوقائي للبصق، واستخدام الوصفات السرية أو السحرية الغامضة.

9- الحياة بعد الموت:

كانت المعتقدات العامة عن الحياة بعد الموت في المجتمع الروماني معقدة بنفس درجة تعقيدها في معظم المجتمعات الأخرى، فقد كان الأسلاف في التراث الروماني على نفس درجة الأهمية التي كانوا عليها في التراث الأفريقي، فكان الرجل الأرستقراطي يحتفظ بتماثيل أو أقنعة لأسلافه لكي ينتج منها نسخا في الظروف المناسبة. وكانت اللاريات Lares تعبر

بصفة عامة عن أرواح الأسلاف. وكان المعيار الأخلاقي لروما هو الـ Mos Maiorum أي طريق الأسلاف. أما «الدي مانز Di Manes» فهي أرواح الموتى التي يشعر نحوها الرومان بالهيبة والإجلال. وكان عيد الوالدين الذي يقع في شهر فبراير Parentalia هو في الواقع عيد الأموات أي عيد جميع الأرواح. ويحتفل به أساسا داخل الأسرة أكثر مما يقام في مكان عام.

وامتدت المعتقدات الشعبية إلى «الأشباح» (وهناك قصص ممتازة عن الأشباح عند شيشرون وبلني)-وإلى السحرة القادرين على استحضار أرواح الموتى.

واجتمع الإيمان بالشياطين والعفاريت عند الأتروسكين، والإيمان بالأسطورة اليونانية لتعزيز الخوف من العقاب بعد الموت الذي سخر منه شيشرون وسينكا؛ لكن الأبيقورين شعروا أنه مفروض على الآخرين؛ غير أن النقوش على شواهد القبور لا تكشف بصفة عامة عن خوف ولا عن رجاء، وإنما يعبر بعضها عن الأسف لأن المتوفى ترك متع الدنيا، بينما يعبر بعضها الآخر عن الرضا لأنه أفلت من متاعب الحياة، والصيغة الشائعة للتعبير الأخير هي «أنا لم أوجد، ولست بموجود، ولا أبالي». وبعض النقوش الأخرى تتحدث عن «النوم الأزلي»، والدليل الرئيسي على الأسف مرتبط بالقبور التي كانت تقع على جانبي «طريق ابيا Via Appia»[59] الذي كان قد صمم أساسا ليكون «دار الموتى». وكان يلحق بهذه القبور أحيانا غرف طعام ومطابخ حتى يستطيع الأحياء المشاركة في مأدبة تقام لتكريم الميت بمناسبة الاحتفال بذكرى يوم ميلاده وفضلا عن ذلك فمنذ عصر هدريانس حتى القرن الثالث ونحن نجد سلسلة من التوابيت الفخمة التي تصور مناظر ترمز إلى الفنانين الذين دخلوا دار الخلود. ويتخذ ديونسيوس من «ماريان» عروسا له[60] أو يظهر في هيئة المنتصر. ويجتاز «كاستور Castor» وبولوكس Pollux[61] مع بنات «لويكبوس Leucippus»[62] الباب إلى حياة جديدة. وترمز ربات الفنون Muses إلى لمسة الإلهام الإلهي، أما بروميثيوس فيخلق الإنسان ويهبه الحياة. ويظهر هرقل Hercules وهو ينجز المهام التي من أجلها وهب الألوهية مكافأة له. وتتحدث مناظر المعارك والصيد عن الانتصارات، وأندميون Endymion أيقظته سيلين Selene بقبلة[63]. أما دورة الفصول فتنبئ بميلاد عام جديد، وأما الناريدات Nereids أو التريتون Tritons[64]فتصور الرحلة إلى جزر البلست Blest بأسلوب اعتمد على زخرفة الأمواج وأصبح

بعد ذلك نمطا ثابتا، في حين تؤكد الزهور والأكاليل وجود الحياة.

15 - الشمس:

كانت الشمس في أجزاء متعددة من الشرق موضوعا بارزا للعبادة ففي بلاد إليريا Illyria[65] وجد تراث قديم لعبادة الشمس، وفي مصر كانت الشمس على المدى الطويل الإله الرئيسي بين الآلهة، وفي سوريا كانت المدينة التي تسميها مدينة «بعلبك»[66] معروفة عند اليونان باسم هليوبوليس أو مدينة الشمس[67]. أما في فارس فقد كانت الشمس أحد الضباط الأساسين لأهورامزدا، في صراعه مع الظلام. وكان لـ «سول Sol» إله الشمس عبادة قديمة في روما، ولكن في عصر الإمبراطور أغسطس حل أبوللو محله. وكان من الطبيعي مع تحرك مركز الجاذبية للإمبراطورية الرومانية تجاه الشرق أن تزداد عبادة الشمس قوة. ولقد كانت قوية بالفعل في الدعاية للإمبراطورية فكان بيت نيرون الذهبي مسكنا ملائما للشمس المجسدة كما أضفى أنطونينوس Antoninus على الشمس احتراما خاصا [68].

ولقد أصبحت عبادة الشمس مهيمنة في عهد أسرة سيفروس Severus[69] فكان إله الشمس يصور مع لحية «سيفروس Severus» المتميزة، واتخذ الإمبراطور لقب الذي «لا يقهر Invictus» وكان هو اللقب الخاص بإله الشمس، وكان ذلك تطورا طبيعيا، فالشمس رمز توحيدي رائع ونقطة تجميع للإمبراطورية بأسرها. فقد انحطت قيمة الدين القديم. كما أن اغتصاب العروش جعل من الصعب أن يعامل الإمبراطور بوصفه نقطة مركزية للعبادة. وحتى مبالغات الإمبراطور هليوجابولس Heliogabalus[70] لم تستطع تدمير قوة الرمز، ففي عام 274 م نصب أورليان Aurelian[71] إله الشمس إلها أعظم للإمبراطورية الرومانية.

وقال إرنست رينان[72] ذات مرة لو أن المسيحية انهارت لكان العالم من أتباع مترا Mithraist[73]، لكن هذا غير صحيح فلو انهارت المسيحية لسادت عبادة الشمس ولكن في صورة أخرى غير صورتها الفارسية. والواقع أن مسيحية الإمبراطور قسطنطين كانت مسيحية مبهمة غامضة، فأسرته كانت تدين بالولاء التقليدي لإله الشمس، ولقد جاءته الرؤية الشهيرة للصليب من الشمس وهو في طريقه إلى روما، وواصلت الشمس ظهورها على

ماسكه من نقود خلال عشرة أعوام، وعلى قوس النصر الذي أقامه في روما. ويحمل تمثاله المقام في القسطنطينية التاج المشع لإله الشمس مصنوعا، كما اعتقد هو نفسه، من مسامير الصليب الحقيقية. لقد كان إلهه إلها للقوة، لكنه لم يكن أبدا إلها للحب، ومعنى ذلك أن الشمس لم تهزم هزيمة كاملة.

11- الديانة الشخصية:

تحول الناس من أجل الديانة الشخصية إلى «ديانات الأسرار» التي لم تكن طقوسها السرية معروفة إلا للمنتمين إليها وأشهر ما هو معروف من هذه الديانات ديانة «اليوسس Eleusis» والتي كانت لا تزال قوية عند شيشرون وبلوتارك. وتتكشف قوة ديونسيوس بصورة طاغية، في فيلا Villa الأسرار في بومبى Pompii[74]، حيث توجد السلسلة الفخمة من الرسوم الجدارية التي تبين عملية الترسيم كلها والتي يشرف عليها الإله، من قراءة لتراتيل الطقوس الدينية، إلى تقديم للقرابين، ورضاعة الرضيع، والتنبؤ بالغيب، وكشف النقاب عن القضيب الغامض، والجلد بالسوط أو طقوس الموت، ورقصة البعث، والإعداد للزواج المقدس وكلها تعبر عن سجل رائع للعبادة.

ولقد جاءت أسرار «إيزيس» و«أوزريس» من مصر حيث كانت إيزيس هي الإلهة المنفذة، بينما كان أوزريس هو الإله الذي مزق أشلاء ثم ولد من جديد، وكان المتوفى في مصر يتحد مع أوزريس في هوية واحدة ويخاطب على إنه أوزريس. كانت إيزيس وأوزوريس يقدمان الحماية في هذا العالم، وكذلك في العالم الآخر. وكانت رواية أبوليوس «الحمار الذهبي» التي كانت مغامراتها الحية تخفي وراءها هدفا حادا هي شهادة واضحة على افتتان كاتب روماني من أصل أفريقي بعبادة إيزيس.

وكان لسبيل Cybele، الإلهة الأم العظيمة في آسيا الصغرى، بدورها أسرارها. فدخول العضو في الجماعة يتم عن طريق التورويوليوم Taurobolium أو التعميد بدم الثور الذي اعتقد البعض أنه يجلب حياة أبدية[75] في حين أن البعض الآخر كرر الاحتفال نفسه بعد عشرين سنة، وقد سجل وجود التعميد في بوتيولي Puteoli[76] في بداية القرن الثاني الميلادي. وصلتنا الصورة الحية التي وصفها له برودنتيوس-Prudentius[77] في القرن الرابع.

وفي الأصل كان أولئك الذين وهبوا أنفسهم للأم يتوقع الناس منهم إخصاء أنفسهم، مضحين بخصوبتهم من أجل خصوبة العالم. لكن ذلك لم يعد قائما منذ عصر كلوديوس Claudius، وانتشرت العبادة في عصر الإمبراطورية بين جماهير الشعب وكانت هذه العبادة شائعة في الإمبراطورية.

وكان الإله «مترا» هو الإله المخلص عند الفرس وهو إله القبة الزرقاء، وحليف «أهورا مزدا». وكان الترسيم يتم على سبع خطوات، فالمراتب الدنيا أو الخدم vitors-Ser كانت هي الغراب، والعريس، والجندي. والمراتب العليا أو المشاركون كانوا: الأسد، و «الفارسي»، ورسول الشمس والأب. ويتضمن الترسيم اختبارات حقيقية أو رمزية للقدرة على التحمل. ولم تتطلب الديانة «المثرية» أعدادا كبيرة على الإطلاق فالمعابد (المزدانة بنقش بارز على الحجر لمترا وهو يقتل الثور الذي يرمز بدمه للحياة) كانت صغيرة باستمرار، كما أن أعضاء الديانة في معظمهم من الجنود والتجار مع بعض الخدم المدنيين، واختلط التنجيم بالعبادة التي فرضت متطلبات أخلاقية ووعدت بالنعيم المقيم بعد الموت.

لقد كانت المسيحية إحدى ديانات الأسرار الشرقية. وكانت عوامل تأثيرها متعددة: شخصية مؤسسها القوية الساحرة، نوع الحياة والصحبة، وكل ما كانت تعنيه الكلمة الجديدة «أجابى Agape» أي المحبة (الحب المسيحي) والمراكز التي أعطيت لنساء مثل (بريسيكا Prisca وفوبي Phoebe، نيمفا Nympha). وقد أعقبهن في القرن الثاني شهيدات مثل بلاندينا Blandina وبريتوا Perpetua فيليسيتاس Felicitus. كما كان هناك التنظيم القوى للكنائس، والاقتناع الذي قضى على الخيارات الكثيرة في العالم القديم وواجه الاستشهاد بشجاعة (واعتبر الدم المسيحي بذورا) ورسالة الأمل لكل البشر. ولقد عبر الباحث أ. د. نوك A.D.Nock عن هذه الفكرة تعبيرا جيدا بقوله «لقد تُرك للمسيحية أن تجعل هذه الأسرار ديمقراطية».

5 إيران القديمة"

إيران، أو فارس كما كانت تدعى في يوم من الأيام، تنغلق داخل مثلث من الجبال ويقع في قلبها اثنان من الصحاري الملحية تبدوان قاحلتين لدرجة أن صحراء جوبي Gobi تبدو خصبة بالقياس إليهما[1]. وبسبب الجبال الشاهقة التي يبلغ ارتفاعها5500 م (18 ألف قدم) تعتبر إيران أرض تقابلات عظيمة. فهناك أدغال استوائية بالقرب من بحر قزوين، وهناك أيضا مناخ البحر المتوسط في وديان الأنهار في الجنوب الغربي. ولقد أظهرت هذه الاختلافات ثقافات مختلفة، كما أن الجبال جعلت الاتصال بينها صعبا. وعلى حين يخضع غرب إيران لتأثير بلاد ما بين النهرين، واليونان، وروما، فإننا نجد شرق إيران يخضع لتأثير الهند بل و لتأثير الصين. وهكذا تقف إيران كجسر بين الشرق والغرب، وهي حقيقة لم تؤثر في دينها فحسب، بل جعلت من إيران أيضا ملتقى روافد تاريخية عديدة.

تحركت موجات من الآريين، وهم شعب بدوي مولع بالقتال-حوالي عام 1000 ق. م إلى داخل إيران من الشمال، ومن الشمال الغربي، وبحلول عام 800 ق. م كانوا قد احتلوا الأرض. ولقد كشفت ديانات الهند وإيران معا-تحت التأثير الآري-عن عدد من

الخصائص المتماثلة. فهناك عدد من الآلهة يظهر في كليهما (على سبيل المثال الإله مترا)، وهناك تصورهما المتشابه لنظام الكون، كما كان لطقوسهما الدينية الكثير من السمات المشتركة.

وتكشف ديانة الآريين عن طريقة حياتهم، فهي ديانة شعب يعيش على مقربة من الطبيعة، ويجد فيها المتعة ويخشاها في آن معا. إنه مفتون بالحياة التي تهبها الطبيعة الخيرة، ومع ذلك فهو يخاف من قسوتها المدمرة للحياة. وتوحي أسماء الآلهة بالطابع المجرد لهذا الدين: العقد (مترا)، القول الحق (فارونا Varuna)، والضيافة (آريامان Aryaman) وهكذا.

1 - الزرادشتية:

قيل إن زرادشت أو «زورآستر Zoroaster» (وهو الاسم الذي شاع أكثر عند اليونان) قد مارس نشاطه في شمال شرق إيران. ويؤرخ له من الناحية التقليدية بـ (628- 551 ق. م). والواقع أنه ربما عاش في فترة مبكرة عن ذلك التاريخ، ونحن لا نعرف عن تفاصيل حياته إلا أقل القليل، رغم أن التقوى-وهذا شيء لا مفر منه-قد خملت الحكايات التي تروي عنه بعاطفة الحب. لقد أثار تعليمه المبكر عداوة خصومه مما اضطره إلى الهرب. وفي موطنه الجديد، وجد تلميذا في صورة حاكم محلى هو فشتاسبا Vishtaspa. وأصبح زرادشت منذ ذلك الوقت شخصية على درجة كبيرة من الأهمية في الأمور المحلية. وتزوج وأنجب بنتا وولدين. وتقول وثائق التراث إنه قتل في سن السبعين.

وصلتنا تعاليم زرادشت في سبع عشرة ترنيمة من ترانيمه المسماة «جاثا-Gathas»[2]. وعلى الرغم من أنه يصعب ترجمتها، فإن حماسه، وحبه لله، وحكمته كانت أمورا مذهلة. إن الله عند زرادشت هو السيد المهيمن الحكيم، أهورامزدا، خالق السموات والأرض، وهو الأول والآخر. ومع ذلك فهو أيضا الصديق الذي دعاه من البداية، ولا يمكن أن تكون لله علاقة بالشر، فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة، وتخلق الرجال والنساء. وتعارضه الروح الشريرة أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة، والتكبر والكذب، وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين أو بين التوأم من الآلهة، فإن سلكوا طريق الشر، فسوف تمتلئ حياتهم بالأفكار الشريرة والكلمات الشريرة، والأعمال الشريرة. وإن سلكوا طريق الحق

فسوف يشاركون في العقل الخير، و يبلغون الكمال والخلود، والورع، وملكوت السماوات، وكلها جوانب من الطبيعة الإلهية.

ومع ذلك فالصراع بين الحق والباطل ليس أزليا، إذ سوف تأتى «لحظة التحول الأخيرة في العالم» عندما يلتحم الجيشان العدوان الكبيران، وسيكون على الرجال والنساء أن يخضعوا للاختيار العظيم «عن طريق النار» و «سوف تتحقق العدالة»، ويتجدد «الكل من جديد» بواسطة «المحسنين» أو المخلصين للدين الخير الذين يقمعون الهوى بأعمالهم العادلة، وبنشرهم للتعاليم الحكيمة. وكل من يعمل على قمع الباطل فهو «المخلص»، وهو لفظ ينطبق على زرادشت نفسه بصفة خاصة.

وعلى الرغم من أن زرادشت أدان معظم التراث القديم فإنه لم يتخلص منه تماما، فهو بوصفه كاهنا قد وضع عددا من ترنيماته في الشكل التقليدي المأثور، ورأى أن طقوس النار القديمة هي رمز النور والقانون الكوني لله، فاستخدمها في صلواته، كما أن بعض صفات الإله-على أقل تقدير-هي تعديلات للأفكار الآرية القديمة، كفكرة الحق مثلا. ولقد كان على استعداد، كذلك، لاستخدام الصورة المعتادة لمحاسبة الفرد بعد الموت. لكن كل ما أخذه من أفكار قد عدّله وشكله من جديد بطريقة فريدة، فحبه لله تطلب منه أن يعمل من أجل العدالة، والوفاق الاجتماعي، وأن يعارض الأعمال المدمرة التي يقوم بها الغزاة من البدو، لاعتقاده بأن الحياة الريفية المستقرة هي نموذج للسلام والحق.

لا مندوحة لتعاليم مؤسس أي دين من أن تتطور وأن تتعدل عن طريق أتباعه، ولم تكن الزرادشتية استثناء من هذه القاعدة. فأفكار زرادشت قد قننت وعدلت وتلاءمت مع أفكار العصر وحاجاته. ولم يفسد اتباعه تعاليمه عمدا، ولكن يبدو أنه حدث «تلاق والتحام» بين تعاليمه وبين الإيمان التقليدي في التراث، وكانت النتيجة إيمانا عميقا يعبر عنه بطريقه أسطورية.

2- المصـــــادر:

الكتاب المقدس عند الزرادشتيين هو الأبستاق Avesta[3]. وليس من المرجح أن يكون قد تم تدوينه قبل القرن الخامس الميلادي. لكن جزءا من مادة هذا الكتاب يرجع إلى ما قبل هذا التاريخ بفترة طويلة[4]، وربما يرجع

لما قبل الحقبة الزرادشتية. ولسوء الطالع لم ينج الأبستاق كله من تخريب الزمن. وكل ما بقي منه هي ترنيمات زرادشت «أو الأناشيد Gathas» ونصوص الطقوس الدينية الرئيسية (اليسنا Yasna)(5) و الونديدادvindidad)(6) وترنيمات أخرى (هي اليشتا Yashts) والصلوات(7). وفي القرن التاسع الميلادي تم تدوين عدد من الكتب الزرادشتية للدفاع عن «ديانة الخير» ضد الدعاية المسيحية والإسلامية ولشرح الإيمان لرجل الشارع. ولما كانت قد كتبت باللغة الفارسية الوسطى، أو البهلوية، فقد كانت ملخصات موجزة، وشروحات على الأبستاق، وهي تتحول، في كثير من الأحيان، إلى رصيد مثير للمعتقدات القديمة. لكن ذلك ليس كل شيء، فالفلكلور، والنقوش، والعملات، وتقارير الملاحظين الأجانب، وإيمان الزرادشتيين المحدثين-كل ذلك يضيف إلى معرفتنا بالديانة الإيرانية.

3- تصور الإله:

والتعاليم الشفهية للديانة الزرادشتية تعلم الناس أن «النسق» والنظام، والمبدأ، والقاعدة، وهو ما نراه في السموات والأرض، تجعلنا نتعرف على الوجود اللامتناهي للإله القادر على كل شيء كما تجعلنا نؤمن به. والزرادشتيون يحبون العالم، ويؤمنون بأن الحياة تعلمنا «أن الله هو الموجود الأعظم، والأفضل، والأسمى من حيث الفضيلة والاستقامة والخير»(ج. ج. مودي J.J.Modi» التعاليم الشفهية للديانة الزرادشتية، بومباي 1962 ص 6 وما بعدها).

الكلمة الأولى في الديانة الزائفة هي القول بأن الشر يأتي من الخالق(8)، فالله لا يمكن أن يكون مسئولا عن الشر، لأن الشر جوهر، مثله مثل الخير، وكل منهما يرجع في النهاية إلى سبب أول هو الله، و«الشيطان: أهرمان Ahriman» الموجود بصفة مستمرة، والمسؤول عن كل شرور العالم، وعن الأمراض، والموت والغضب والتهم(9). وبما أنهما جوهران متعارضان تعارضا أساسيا فهما لا محالة يشتبكان في صراع.

ولكل منهما في هذا الصراع قوى خاصة، وتصبح صفات الإله كالاستقامة والخلود... إلخ التي عرضها زرادشت أفرادا متميزة، إن لم تكن كذلك بالفعل، فهم الخالدون الستة (الملائكة المقربون «أمهراسباند Amahraspands») وهم يجلسون أمام عرش الإله، ولهم مكانة خاصة في طقوس الزرادشتيين،

لأنهم يحرسون، العناصر التي يتألف منها العالم (النار، والتراب، والماء... الخ) ومع ذلك فليسوا هم الكائنات السماوية الوحيدة، فهناك أيضا الظاهرون أو اليازات Yazata أو الموجودات المعبودة، وكثيرا ما تمت المقارنة بين وضع هذه الموجودات ووضع الملائكة والطبقات العليا من الملائكة في الديانة المسيحية. وعدد «اليازا» من الناحية النظرية عدد هائل، ولكن من الطبيعي أن تكون بعضها شخصيات مهيمنة، وقد كانت في العادة هي الشخصيات الآرية القديمة، وبغض النظر عن الأساطير، فإن الطابع المجرد للقوى السماوية يبقى على حاله، إذ لا تزال تمثل: النية الطيبة، والحقيقة والسلام... إلخ.

وفي معارضة القوى السماوية توجد حشود الأرواح الشريرة، وجماعة الشياطين، ونادرا ما تمثل في صورة أفراد كمقابلاتها السماوية، لكنها تعبر عن طبيعتها على نحو فعال. وتتجمع التفصيلات الكبرى في صورة الشياطين الرئيسية الذين يعارضون «الامهارسباند» أو الملائكة المقربين، فهم رؤساء الشياطين في الارتداد عن الدين، والفوضى والأفكار الشريرة، والعصيان، والجوع والعطش، وقيل ذلك كله: في الكذب.

4- فهم العالم:

تاريخ العالم هو تاريخ الصراع بين الله والشيطان، وينقسم هذا التاريخ إلى أربع فترات تمتد كل منها ثلاثة آلاف سنة. في الفترتين الأولى والثانية كان الله والشيطان يجهزان قواتهما. أما في الفترة الثالثة فقد اشتبكا في الصراع. وفي الفترة الأخيرة سوف ينهزم الشيطان في النهاية. وفي بداية الخلق اخترق الشيطان استحكامات السماء، وهاجم الإنسان الأول والحيوان الأول بالمرض والموت، فهو لا يقدر إلا على التدمير.

ولكن في اللحظة التي يحقق فيها انتصاره الظاهري تنبعث من الإنسان والحيوان معا بذور تؤدي إلى ظهور الحياة الإنسانية والنباتية، وكما ظهرت الحياة من خلال موتهما، كذلك تدب فيها الحياة حتى يتأكد دوام الخلق الطيب وهزيمة الشيطان. إن العالم ينتمي إلى الله نفسه، ولذلك فإن الزرادشتيين، على خلاف أتباع بعض الديانات الأخرى، لا يعتقدون أن المادة شر. والواقع أن الشيطان، لا الكائنات البشرية، هو الذي يوجد في عالم مادي غريب، وهو لا يستطيع أن يتخذ شكلا ماديا وإنما يبقى في العالم

متطفلا محاولا عبثا تدمير أعمال الله.

5- الرجال والنساء في العالم:

إن الناس، أو الصور البشرية لذاته السماوية أي الفرفاشي Fravashi[10] هم ذوات حرة في استطاعتهم أن يختاروا أتباع الله أو أتباع الشيطان، فإذ ما اختاروا الحق فإنهم يساعدون الله على نصره النهائي. واختيارهم للحق يعني قبولهم للعالم على نحو ما هو عليه، أعني عالم الله. لكن الزرادشتيين لم يقابلوا بين الروح والجسد كما فعل القديس بولس، لأن النفس والبدن عندهم وحدة واحدة، وإذا ما انسحب المرء من العالم كما يفعل الناسك، فإنه بذلك ينبذ عالم الله، ومن هنا كان الزهد خطيئة كبرى مثله مثل الانغماس في الشهوات. وعلى الرجال واجب ديني يفرض عليهم أن تكون لهم زوجة وأطفال وبذلك يزيدون من أتباع ديانة الخير، أو من المؤمنين بالأفعال المقدسة. كذلك حرث الأرض وفلاحتها، ورعي الماشية. ولما كانت الصحة هبة من الله، فإن على جميع البشر أن يسعوا إليها لكي تصح أجسامهم «فالعقل السليم في الجسم السليم، وهذا بدوره يمكن الإنسان من القيام بالأعمال الصالحة»[11].

والديانة الزرادشتية في جوهرها ديانة مرحة، فمثلا في اليوم المخصص من أيام الشهر لإله يوم الحساب، لا ينصحون المرء أن يكتئب.. «أما في يوم رشن Rashn[12] فالحياة مرحة ولك أن تفعل ما تشاء في قدسية»[13]. إن عدم احترام الآخرين والعادات السيئة، والشعور بالملل يعدّ من الخطايا! في حين أن استمتاع المرء ذاته بالحياة ومساعدة الآخرين على أن يفعلوا ذلك مسألة أساسية في الدين، ولا بد للزرادشتي أن يسلك باعتدال في كل ما يفعله سواء أكان رجلا أم امرأة، فبذلك يقضى الأمر الإلهي. للزرادشتية، إذن، أخلاق اجتماعية قوية، وفي مقابل الهندوسية، نجد أخلاقياتها في أساسها إيجابية فعّالة، «فالعمل هو ملح الحياة. لكن خلق الشخصية لا يعبر عنه فقط فيما يفعل المرء ويقوله رجلا كان أو امرأة، بل بأفكارهما. ولا بد للناس أن يقهروا بعقولهم الشكوك والرغبات السيئة، وأن يقهروا الجشع بالرضا، والغضب بالصفاء والسكينة، والحسد بالإحسان والصدقات، والحاجة باليقظة، والنزاع بالسلام، والكذب بالصدق»(نصائح الحكماء القدامى)[14].

6- التعبير الشكلي للإيمان الزرادشتي:

للزرادشتية، كالهندوس والسيخ، رموز تذكرهم بدينهم كجزء من زيهم اليومي: الرمز الأول (الكوشتى Kushti) وهو خيط مقدس به اثنان وسبعون خيطا، ترمز لأسفار «اليسنا Yasna»، وهي تعقد وتربط مرات عديدة في اليوم تعبيرا عن التصميم الديني والعزم الأخلاقي معا. والرمز الثاني: يرتدون قميصا Sandre[15] يرمز إلى الدين. ويرتدي الكهنة أردية بيضاء، ويضعون عمامة على الرأس، وقناعا على الفم أثناء تأديتهم لبعض الطقوس ليتجنبوا تلويث النار المقدسة بأنفاسهم. وهناك صلوات بعدد أقسام اليوم الخمسة[16]، كالصلاة مع غروب الشمس، واحتفالات لجميع المناسبات الكبرى في الحياة: في الميلاد، والبلوغ، والزواج، وإنجاب الأبناء والموت.

والموت من عمل الشيطان، وكذلك كانت الجثة مستقر الشياطين، وكلما كان الميت صالحا ازدادت قوة العمل الشيطاني، ولما كان إحراق الجثة أو دفنها يدنس العناصر المادية، فلا بد أن تعرض الجثث فوق «أبراج الصمت» لتلتهمها الطيور الجارحة. ومادام ميلاد الطفل يمكن أن يجلب الموت بسهولة، فلا بد من إحاطته بالوصفات الطبية، والحرمات، ولا بد للمرء أن يمر بطقوس التطهر قبل أن يقوم بأي عمل رئيسي من أعمال العبادة، وكثيرا ما يتم الاعتراف بالخطايا التي ارتكبت عن طريق التفكير أو الكلام أو العمل. وهناك نوعان من الطقوس المركزية، طقوس النار وطقوس القربان (الهوما Haoma). والنار رمز «أهورامزدا» وابنه، ولا بد أن تحفظ بعيدا عن أي تلوث، فلا ينبغي أن تراها الشمس ولا عيون غير المؤمنين، ولا بد أن تحفظ في معبد للنار. وهناك عدد من النيران المقدسة يسهر على خدمتها الكهنة بحب وبصفة مستمرة. والنار الرئيسية هي بهرام Bahram أو ملك النيران الذي يتوج ويوضع على العرش، ولا يكتفي بتنصيبه فحسب. وعندما يزور البارسيون parsis[17] النار يضعون على جباههم علامة بالرماد رمزا للتواضع، والمساواة، وكمصدر للقوة.

والهوما Haoma[18] نبات، لكنه أكثر من ذلك، فهو الإله «هوما» على الأرض. وفي طقوس الهوما يسحق الإله ومن العصير يستخرج شراب الخلود. وفي هذه القرابين الخالية من الدماء يكون القربان في آن معا هو الإله والكاهن والضحية. ويقوم المؤمن بالتهام هذا القربان الإلهي مستبقا

بذلك القربان الذي سيقام في نهاية العالم ويجعل جميع البشر خالدين.

7- غاية التاريخ:

توزن أفعال الإنسان بعد الموت بميزان، فمن رجحت حسناته سيئاته انتقل إلى السماء، ومن رجحت سيئاته حسناته ذهب إلى الجحيم حيث ينال العقاب المناسب للجريمة. لكن ذلك لا يعني النهاية، فالجحيم الأبدي في نظر الزرادشتية هي التعاليم اللاأخلاقية. والإله الطيب لن يسمح لعباده أن يعانوا إلى الأبد، لأن الغرض من العقاب هو الإصلاح، حتى إذا جاء يوم البعث أمكن أن يقوم الجميع، بفضل المخلص، لمواجهة الحساب الأخير، عندئذ، وعندما يصبح الجميع أنقياء في النهاية، فإن الشيطان وجميع أفعاله سيتم تدميرها في النهاية. أما التفرقة بين السماء والأرض فسوف تقهر ويتم التغلب عليها، بحيث يتمكن الجميع من عبادة الله والحياة معه في مجده الكامل.

8- الحركات الدينية الأخرى في إيران:

أ- الزرفانية: Zurvanism[19]

كان إله زرادشت عند كثير من الإيرانيين إلها غير مقنع، فرغم أنه خير تماما فهو محدود بقوة الشيطان. والإلهان «أهورامزدا وأهرمان» عند زرادشت أصبحا عند الزرفانيين شيئا واحدا صدر عن واحد لا تمايز فيه يجاوز كل ثنائية ويسمى زرفان Zurvan وهو لا متناه من حيث الزمان والمكان. فزرفان هو الإله ذو «الوجوه الأربع» وتمثل هذه الأوجه أو الصفات: الإنجاب والميلاد، والشيخوخة والعودة إلى اللامتناهي، كما تمثل عصور العالم. وهكذا نرى داخل «الواحد» جميع مظاهر الحياة: النور، والظلمة، والحرارة، والبرودة.

وتخبرنا الأسطورة الأساسية في هذه الديانة أن «زورفان» أراد أن ينجب ولدا، وبعد أن ظل يقدم القرابين لمدة ألف عام تشكك في إمكان تحقيق رغبته، وفي اللحظة التي شك فيها تم الحمل في توأم: «أهورامزدا» وهو التجلي الواضح لكل ما هو خير، «وأهرمان» (الشيطان) وهو التجلي لشك «زفران». وبسبب أن «أهرمان» كان الأول في الدخول إلى العالم، فقد أصبح حاكما لمدة تسعة آلاف سنة. أما «أهورامزدا» فقد أعطى سلطة الكهنوت

والنصر النهائي. وهذا الوضع المتساوي للشخصيتين أن الناحية النظرية أدى إلى تقديم القرابين إلى « أهرمان» بوصفه قوة عليا لا بد من استرضائها، وقد تفسر لنا السر في تقديم القرابين إلى الإله آرمانيوس في الديانة المترية.

ويمكن أن نتبين عدة مؤثرات مختلفة في الزرفانية بعضها بابلي والآخر هندي وإغريقي. والنتيجة وجود أكثر من مدرسة فكرية: المدرسة القدرية التي تؤمن بأن العالم تحديد للزمان (زرفان) وترى الموجودات البشرية دمى في يد القدر، وبهذا تنكر مفهوما أساسيا عند زرادشت وهو الإرادة الحرة. كما ينكر آخرون أن يكون العالم قد خلق من عدم بفعل من أفعال الإرادة، ويقبلون الحركة التطورية للمادة، وهم بذلك ينكرون الإله الخالق عند زرادشت. كذلك تنكر هذه الزرفانية المادية الإيمان بالثواب أو العقاب المقبل في الجنة أو النار، وربما كان هذا «التحديث» للزرفانية مجرد حركات ثانوية فحسب.

أما الأخلاق الزرفانية فنحن لا نعرف عنها إلا القليل، وربما آمن الزرفانيون بتأثير البوذية أن الشر الأساسي في الجنس البشري إنما يكمن في الانحراف أو الخطأ العقلي (أو ضيق الأفق) أو الجشع الذي يتجلى ماديا في صورة الشهوة وعقليا في صورة الجهل. ويرى هذا المذهب أن النساء هم المصادر المباشرة للكثير من الشرور في العالم بغوايتهن للرجال للسير في طريق الانحراف أو الخطأ العقلي. وهكذا تبتعد هذه الأخلاق عن الأخلاق الزرادشتية وتقترب من ديانات أخرى متنوعة.

غير أن تجديد الإيمان في الزرفانية غير واضح، فليس ثمة نصوص إيرانية تشير إلى هذه الفرقة، دع عنك أن تشرح معتقداتها . والشواهد التي لدينا عنها مستمدة من مؤلفين أجانب يرجع تاريخ مصادرهم إلى القرن الرابع قبل الميلاد ومن نصوص غريبة يمكن أن تؤخذ كتطويع للإيمان التقليدي لكي يتلاءم مع الزرفانية. وليس في استطاعتنا أن نقول متى بدأت هذه المدرسة، فبعض الباحثين يذهب إلى أن الإلهين التوأم في الزرادشتية هما تعديلان لإلهي الزرفانية، في حين يوحد البعض الآخر بين التمثال البرونزي في القرن الرابع عشر ق. م وبين صورة زورفان Zurvan، لكن ذلك مجرد تخمين. ولا شك أن الحركات نمت في عهد الأخمينيين (550- 333 ق. م)[20].

وعصر البارثيين (250ق.م-247 ب. م)[21]، وربما شهد العصر الساساني

(247- 635 م)[22] الصراع بين الكنيستين: الزرفانية والزرادشتية. بل ربما كانت هناك حركات مختلفة داخل الزرادشتية، تمارس كلها طقوسا واحدة. وربما كانت الزرفانية حركة أكثر منها فرقة متميزة، ولو صح ذلك لكانت قوة مؤثرة.

ب - الديانة المترية: Mithraism

كان مترا Mithras، الإله الآري الأصل، يُعبد في إيران كإله للعقود والاتفاقيات (وكلمة مترا، تعني فعلا العقد أو الاتفاق). وهو يحفظ الحق والنظام. ويقضي على القوى المفرقة: قوى الشر والغضب والجشع، والتكبر، والمماطلة، وجميع الأشرار من الآلهة والبشر. وهو يوصف بأنه محارب قوى جبار. وهو الذي يتعبد له المحاربون وهم على ظهور جيادهم[23]. قبل ذهابهم إلى المعركة. وبوصفه حارسا للحقيقة فهو قاضي الأرواح بعد الموت، وبوصفه الحافظ للاتفاقات والعقود، فهو الذي يحدد متى تنتهي فترة حكم الشيطان. وينتظر قدومه «وسط مظاهر الخنوع والذل» في أيام النصر.

ولقد ذكر بعض الكتاب المسيحيين عرافة هستاسبيس Hystaspes المتأخرة ووحدوا بينها وبين عرافة «ميترا» التي تتنبأ بمقدم الإله في نهاية العالم لتدمير الأشرار بالنار، ولإنقاذ الأبرار. وهناك عدد من النصب التذكارية الرومانية التي تصور مولده. كما تتضمن بعض النصوص المسيحية في القرن الخامس وجود «أسطورة عن مترا» تنبئ بظهور نجم يقود المجوس إلى المكان الذي سيولد فيه المخلص[24].

كان «مترا» إلها شعبيا هاما في تاريخ إيران، وكان الملوك (الأخمينيون) يتضرعون إليه في النقوش التي بقيت لهم، كما كانت الملوك والعامة معا يركبون أسماءهم من اسم مترا (مثل ميترادئيس) وهو لا يزال يشغل مكانا هاما في الطقوس الزرادشتية.

من الصعب أن نحكم إن كانت هناك على الإطلاق عبادة مستقلة لمترا في إيران. غير أنه من إيران انتشرت عبادته كعقيدة متميزة شرقا إلى الهند وغربا إلى بلاد ما بين النهرين، وآسيا الصغرى. والحكايات الأرمينية و كذلك الأسماء التي تحمل صفات إلهية، والنقوش البارزة، والكتابات المصرية والأناضولية، تشهد على انتشار هذا الإله ومدى شعبيته في الشرق الأدنى القديم في العصور السابقة على ظهور المسيحية.

لقد دخلت «المترية» روما لأول مرة عام 60 ب. م؛ وفي القرن الثاني

الميلادي كانت قد انتشرت داخل الإمبراطورية حتى بريطانيا، وقد نقلها الجنود أساسا فكانت ديانة للذكور بصفة خاصة. وفي أثناء التعميد عندما كان العضو الذي يتم ترسيمه يخضع لاختبارات بدنية وروحية معا، فإنه كان يعلن ارتداده عن جميع الآلهة ما عدا «مترا»، كما كان يتوقع منه أن يخلص الولاء لدستور أخلاقي دقيق. وبالمقابل كان يوعد بالمشاركة في البعث أو القيامة.

وكان الاعتقاد الأساسي في هذه العبادة هو التضحية بثور يقوم بها مترا. وكان هذا عملا خلاقا وفداء في آن معا، فالمتعبد ينظر إلى الوراء حيث تمت التضحية في البداية عندما خرجت الحياة من الموت، ثم ينظر إلى الأمام فيجد أن التضحية النهائية هي التي سيقوم بها مترا عندما يكون على آخر الحيوانات أن يموت ليعطي للناس أكسير الخلود. ويمكن تذوق هذه الهبة الإلهية مقدما عن طريق المشاركة في التناول المنظم لوجبة الخبز والخمر التي يمثل فيها الكاهن الإله مترا[25].

جـ - الماندیون: Mandeans

المانديون أو النازوريون Nazoreans، فرقة صغيرة لا تزال موجودة في جنوب العراق، ومجاورة لإيران، ويدعى أعضاؤها أنهم من سلالة يوحنا المعمدان، ويعتقدون أن أسلافهم فروا إلى بارثيا Parthia[26] عندما سقطت- أورشليم. ومفرداتهم اللغوية ومذهبهم الرمزي خليط من العناصر السامية والإيرانية التي يغلب عليها المضمون الغنوصي. وأول إعداد لطبع نصوصهم المكتوبة بالماندية كان في القرن الثامن الميلادي وإن كانت محتويات هذه النصوص أقدم من ذلك بكثير. وهم جماعة سرية خفية للغاية، والكهنة هم وحدهم المسموح لهم بقراءة أكثر النصوص الدينية أهمية.

والمانديون يخشون اللغة التشبيهية (التي تشبه الإله بالبشر)-ولهذا يصفون «المطلق» بأنه الكائن الأعظم الذي لا شكل له، ويلقبونه «بملك النور»، و«سيد العظمة»، و«مانا العظيم». وملك النور يقاتل ضد مملكة الظلام. ولقد تم خلق العالم عن طريق فيوض صدرت عن ملك النور، ومن أهم الموجودات التي صدرت عنه هو المخلص «ماندا هاي Manda d'Haye» (أو معرفة الحياة) ومن هنا جاء اسم هذه الفرقة.

وكل شيء في هذا العالم المادي له ما يقابله في العالم السماوي، والكون نفسه شبيه في شكله بخالقه وهو نموذج الإنسان. وكما هي الحال في كثير

من الديانات فإن المانديين يعتقدون أن قصور البدن من الناحية الطبيعية لا يعبر عن الموجود البشري في طبيعته الحقة، ويعتقدون أن الروح عندما تكون في العالم فهي في المنفى، وأنها شعاع من النور سجين المادة منذ بداية الخلق. وعلى حين أن البدن خلقته الكواكب، فإن الحياة والتنفس جاءا من عالم النور. غير أن الروح لا تتخلص من أسر البدن عن طريق خضوع هذا الأخير وإذعانه، كما تذهب مذاهب النسك والزهد. إذ يمكن للناس أن يستمتعوا بطيبات الحياة في اعتدال. إن الكواكب والنجوم هي التي تعرقل تحرر النفس، وهذا ما تفعله أيضا تلك الديانات الزائفة كاليهودية والمسيحية. وفي نهاية العالم عندما يتم التخلص من الأرض والكواكب، فإن أرواح الأتقياء الأبرار سوف تتحرر، ويمكن كذلك أن يتم التحرر هنا والآن نتيجة لعمل هبيل زيوا Hibil-Ziwa وهو مخلص اقتحم العالم السفلي وهزم أرواح الشر. والتعميد يحرس الإنسان ويحميه من الأرواح الشريرة، وهو جوهري للخلاص، فهو تطهر للنفس والبدن في آن معا وبعث جديد للحياة. وتشكل الوجبة المقدسة جانبا من العماد كغيره من الطقوس الهامة.

وهناك طقوس أخرى أساسية منها «الماسيكتا Massiquta» أي الارتقاء أو الصعود حيث تعبر الروح إلى عالم النور، عن طريق ممارسة شعائر التطهر الشهيرة عند وفاة الشخص. وكما كشفت أعداد من النقوش الإيرانية، فإن مصافحة الأيدي عموما، فعل له مغزاه الديني، فهي تقوم بدور هام في العبادة المانديةحيث تعرت باسم «كوشتا Kushta». وهناك وصف تفصيلي مسهب لجميع الطقوس يجب الانتباه إليه لأن أي خطأ في تأديتها يمكن أن تكون له نتائج رهيبة إلى أقصى حد بالنسبة للكاهن وعضو الجماعة الدينية في آن معا.

لقد تفشى الطاعون في القرن التاسع عشر وقتل جميع الكهنة تقريبا، ورغم أنه تشكلت طبقا كهنوتية جديدة ذات مراتب مختلفة فإن الكهنة هم الآن جميعهم، تقريبا، من الشيوخ، ويبدو أنه لن يتم استبدالهم في المستقبل القريب.

د- المانــوية:

ولد ماني (216- 274م)[27] من أسرة بارثية ملكية، وقضى شبابه في بلاد ما بين النهرين التي كانت في ذلك الوقت بوتقة تنصهر فيه كثرة من الديانات الرئيسية. وكانت أول رؤية له في سن الثانية عشرة، وشرع في سن العشرين في إقامة دينه الجديد. ولما كانت له حرية دخول البلاط

الملكي، فقد استطاع أن يقنع عددا من القادة المؤثرين بالدخول في دينه، وأن ينال حظوة الملك الساساني «شابور الأول» الذي رافقه في حروبه في الغرب. وتجددت الحظوة الملكية حتى الأيام الأخيرة للملك «بهرام» الأول عندما عارضة كهنة زرادشت المجوس بقيادة كارتير Kartir، وعندما خشوا نجاحه تآمروا عليه لإسقاطه، ومات ماني وهو في الأغلال.

أعلن ماني أنه هو الذي جاء ليتمم عمل زرادشت وبوذا والمسيح، فهؤلاء جميعا شذرات ناقصة من الحقيقة، لكن حتى هذه الشذرات قد أفسدها أتباعهم. ولقد وحد ماني آلهته بوصفه «رسول النور» مع آلهة المستمعين إليه، فإذا ما وجه خطابه إلى المسيحيين فهو المخلص يسوع، وعندما يخاطب الزرادشتيين فهو الإنسان الأول «أهورامزدا». أما إله العهد القديم فقد كان ماني يبغضه. ولقد مكن ذلك المانويين في عصور الاضطهاد أن يقدموا أنفسهم بوصفهم مسيحيين أو زرادشتين، وربما كانت هذه الخصلة هي التي استحسنها الملك شابور. وتكمن الثنائية Dualism في قلب تعاليم ماني: فالله، أب العظمة، يعارضه أمير الظلام، والاثنان عنصران أوليان، والعالم مخلوق من أجساد حكام الظلام أو الأرشونتيين Archontes أما ما سجن داخل المادة فهي ومضات من نور، أو شذرات من الإنسان الأول الذي سحبته الشياطين إلى أسفل، وتسعى الروح، في عالمنا الحالي المؤلف من عناصر مختلفة، إلى الفرار من الموت، وهو عدوها الذي يشبه النسر الكاسر الذي فصلها عن موطنها الحقيقي، ويتحقق الانعتاق بواسطة الزهد، ومعرفة الطبيعة الحقة للنفس، وهزيمة الشياطين عن طريق المخلص الذي تم إنقاذه هو نفسه بواسطة الإله من براثن الشياطين. وعندما تنعتق الروح، فإنها تصعد إلى الفردوس الجديد الذي يحكمه الإنسان الأول. وفي نهاية العالم، عندما تتحرر كل ومضات النور التي سجنت في المادة، يعود الجسد كله إلى جنة الخلد. وأثناء ذلك يتعرض أولئك الذين لم يتمكنوا من تحقيق الانعتاق في هذه الدنيا للميلاد من جديد.

وينقسم أعضاء الجماعة المانوية طبقتين: «السماعيون» (وهم الطبقة الدنيا) الذين يجمعون الطعام والضرورات التي يحتاجها «الصفوة» (الطبقة العليا) الذين يتبعون قواعد دينية أعلى. لقد خلق ماني، عن وعي، دينا جديدا، وزوّده بالطقوس والآداب الدينية، وحرم الأوثان، ولكنه كان يؤمن

بالقيمة التربوية للفن، لهذا قرر أن تجلد الكتب تجليدا فاخرا، وأن تزين بالرسوم، وأن تصاحب الطقوس تراتيل وموسيقى جميلة. وليس من الواضح إن كان لدى المانويين نظام من الطقوس السرية أم لا.

انتشرت المانوية في كل مكان من الإمبراطورية الرومانية، وفي بلاد العرب، والهند والصين. ورغم أن الاضطهاد النفسي والبدني دمر هذا الدين من قرون مضت، فقد كان مصدر تأثير في عدد من الحركات مثل حركتها الألبيجنيز Albigenses[28] في فرنسا في العصور الوسطى.

9- تاريخ موجز للديانة الإيرانية:

هناك ركنان أساسيان في الديانة الإيرانية هما: الإيمان الآري التقليدي وتعاليم زرادشت. والتاريخ الديني لإيران هو قصة تفاعل هذين الضربين من الإيمان تحت تأثير قوى خارجية. ففي عصر الأخمينيين (550- 333 ق. م)ـ وهو من أزهى فترات التاريخ السياسي في إيران-ازدهرت الزرادشتية عندما تسللت إلى ديانة الدولة التقليدية. ويكشف عدد من النقوش الملكية أن الزرادشتية كانت مصدر تأثير على البلاط خصوصا خلال حكم الملك دارا والملك اكسيركس.

كان الكهنة الرسميون في إيران هم المجوس Magi[29] وهم طبقة مغلقة من الكهنة يتوارثون المناصب، ومهمتهم خدمة الدين. وأيا ما كانت الطقوس التي تؤدى فهم الذين يقومون بها. وعندما أصبحت الزرادشتية ديانة شعبية، تولى المجوس فيما يبدو مهمة تعليمها للناس، ربما دون أن يضعوا في أذهانهم أنها ديانة أو عبادة متميزة عن الدين القديم. وكلما عمل المجوس على نشر الديانة الزرادشتية في إيران، تآلفت تعاليم النبي الجديد مع الإيمان التقليدي القديم في مركب واحد، اتسم بسماته العصر الأخميني والعصور التي تليه. لقد كانت الإمبراطورية الأخمينية هائلة الاتساع، ولهذا كان لاقتران الثقافات أثره على الدين، فدخلت التماثيل اليونانية في هذه العبادة، وأصبح التنجيم البابلي عاملا رئيسيا فيها.

أصاب غزو الإسكندر الأكبر لإيران عام 333 ق. م، ثم مجيء الهلنستية- الإيرانيين بصدمة مروعة، رغم المحاولات التي بذلها الإسكندر للتوحيد بين الشرق والغرب وتبنيه لكثير من العادات الإيرانية. وعندما استقلت

إيران مرة أخرى كانت تحت حكم البارثيين Parthians (247-250 ق.م). وكان البارثيون أصحاب حضارة أقل تقدما، ولهذا كان من الطبيعي أن يحتفظوا بكثير من التكنولوجيا الهلنستية، ومن فن العمارة، ونظام العملة... إلخ ولكن في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد. عادت الثقافة الإيرانية بالتدريج من جديد لتحتل مركز الصدارة، ويمكن ملاحظة ذلك في الفن والعملة، وربما بصفة رئيسية في تأثير الإيرانيين على غيرهم. وإذا كانت الديانة المترية الرومانية قد تطورت عن الصورة الإيرانية لعبادة الإله مترا، وليس من أحد التوابع الإيرانية مثل بونطس Pontus[30] (الدردنيل)، فقد انتشرت في روما نتيجة لتوسع البارثيين نحو الغرب. والمعتقد أن المانديين جاءوا إيران في عهد البارثيين.

على الرغم من أن الزرادشتية كانت الديانة الرسمية للدولة في فترة إيران الساسانية (47- 635 م)، فقد كانت هناك أقليات مختلفة من ديانات أخرى منها: البوذية واليهودية والمسيحية، والماندية، والمانوية. وعندما تحول الإمبراطور قسطنطين الكبير من الوثنية إلى المسيحية، كانت هناك حاجة سياسية ملحة لإيمان يعمل على توحيد الإمبراطورية الشاسعة ضد روما المسيحية وغيرها من التهديدات. لكن سيكون من الخطأ أن نتصور الصراع بين الديانات الإيرانية المختلفة في صورة سياسية فحسب، لقد دخلت إيران منذ عصورها المبكرة في صراع مع مشكلة الشر في العالم، وكانت هذه هي المشكلة الرئيسية لكثير من الحركات. رفض المانويون المادة بوصفها أصل الشر، أما المانديون والزرادشتيون فقد أكدوا أن الحياة هبة من الله، وبالمثل انقسم الزرفانيون والماثريون. صحيح أن الزرادشتية كانت هي الديانة الرسمية للدولة الساسانية، ولكن الاختلافات اللاهوتية واصلت وجودها تحت سطح العقائد والطقوس التقليدية.

أما الوحدة التي سادت فربما كانت نتيجة للتهديد العام من جانب الإسلام. فالإمبراطورية الإسلامية ضمت إيران عام 635 م، وبعد انتهاء القتال لم يكن هناك، فيما يبدو، سوى القليل من الاضطهاد المنظم، ورغم ذلك فكل من أراد أن يتقدم من الناحية المادية-كان عليه أن يصبح مسلما، وكانت هناك جوانب نقص عديدة. غير أن الزرادشتية ظلت باقية محليا، لاسيما في فارس Fars. ولقد ظهرت في ظل الحرية العقلية في القرن العاشر كتب كثيرة تدافع عن «الدين الحق».

وأصبح الموقف في إيران صعبا للغاية في الوقت الذي هاجرت فيه

جماعات من المؤمنين إلى الهند وهناك شكلت جماعات زرادشتية، ثم تمركز «البارسيون» أو الفرس بعد ذلك في بومباي، وعلى الرغم من أنهم محافظون أساسا فقد خضعوا لمؤثرات مختلفة أدت إلى تعديل بعض العقائد والممارسات. أما وضعهم في الوقت الحالي فهو بالغ الصعوبة، لقد أصبح كثيرون منهم أثرياء من خلال العمل الشاق، ولكن ذلك ليس ميزة باستمرار، لا سيما في البلدان ذات الميول الاشتراكية القوية، وقد احتفظوا بهويتهم على نطاق واسع بإنشاء مدارس خاصة بهم، وإن كانت هذه المدارس تقبل الآن غير البارسيين، ولا أحد يعلم تماما ما الذي يخبئه القدر.

ولا يعني ذلك أن جميع المؤمنين من الزرادشتيين هاجروا إلى الهند، فقد بقي الكثيرون منهم في إيران، ورغم أن الظروف كانت صعبة فلا تزال جماعات منهم موجودة بصفة رئيسية في يازد Yazd«وكيرمان Kerman» وطهران. ومُنحوا حرية العبادة، ولا يزالون يمارسون طقوسهم في معابد النار، وهياكل الإيمان القديمة. بل يبدو أن بعض المزارات أو المعابد التي تزعم أنها إسلامية، إنما هي أشكال معدّلة من الزرادشتية، كما أن آخر شاه قد استخدم ألقابا إيرانية قديمة، ولا يزال وضع الزرادشتيين صعبا للغاية، فهم مشتتون مع عدد قليل من الكهنة[31].

١٥ - أثر الديانة الزرادشتية:

على الرغم من ضآلة عدد الزرادشتيين الذين يمارسون اليوم في العالم طقوسها عمليا-فقد يزيدون قليلا عن150 ألف في الهند، كما يبلغ عددهم في إيران طبقا للإحصاء الرسمي لعام 1976 حوالي 25 ألف نسمة-فإن الديانة الإيرانية في الواقع، لا سيما الزرادشتية، أدت دورا رئيسيا على مسرح التاريخ الديني للعالم.

لقد عرف اليونانيون زرادشت، واحترموه في عصر أفلاطون. وانتشرت عبادة «مترا» في كل مكان من الإمبراطورية الرومانية حتى بلغت شمال إنجلترا، فإذا ما انتقلنا إلى الشرق وجدنا أن الفن والدين الإيرانيين كان لهما تأثير عريق على الهند. فانتشرت عبادة «مترا» من إيران إلى ماجس Magas في الهند، في القرن السادس وما بعده. لكن ربما أثارت الزرادشتية قبل ذلك ظهور فكرة المخلّص في الديانة البوذية في صورة «متريابوذا»،

كما قامت إيران بدور هام بصفة خاصة في الدين الإسلامي فساعدته على الانتقال من الجزيرة العربية ليكون ديانة عالمية[32]، كما ساعدت على نمو الحركة الصوفية. وربما كانت فكرة المخلّص مدينة إلى حد ما للأثر الإيراني، لكن ربما كان التأثير الإيراني الأعظم قد حدث في تطور الإيمان المسيحي-اليهودي. فقد اتفق الأحبار، على نطاق واسع، على أن التصورات اليهودية المتأخرة عن الشيطان والجحيم والحياة الأخرى، والبعث ونهاية العالم، وصورة المخلص قد صبغتها الزرادشتية بصبغتها، وهي معتقدات كان لها أثرها بغير شك، في المفاهيم المسيحية. لقد كانت إيران من الناحية اللاهوتية ومن الناحية الجغرافية جسرا بين الشرق والغرب وأسهمت في مجال الدين مساهمة هائلة.

6 "الهندوسية"

الهندوسية موضوع واسع ومفهوم محير. ولكي نصف دينا بلغ تاريخه ما يقرب من ثلاث آلاف سنة (وربما أكثر من ذلك) وتعتنقه اليوم مئات الملايين، وهو فضلا عن ذلك دين بلا عقيدة محددة[1]، أو جماعة من الأتباع تختص به، أو هيئة مركزية ذات ترتيب هرمي-لكي نصف دينا على هذا النحو، فإننا نقوم بمحاولة لا تختلف عن محاولة الأعمى أن يصف فيلا؛ بل إن محاولة تعريفه ذاتها مشكلة عسيرة. فالحكومة الهندية تُعرف الهندوسي، بالنسبة لقانون الأحوال الشخصية، بأنه الشخص الهندي (ولا بد أن نضيف كذلك الباكستاني والنيبالي والسنغالي... الخ) الذي ليس مسلما ولا مسيحيا ولا زرادشتيا ولا يهوديا! وينبغي علينا من أجل أهداف الدراسة أن نستبعد كذلك البوذي والجيني والسيخي، لكن ذلك لا يخبرنا إلا بما لا تكونه الهندوسية[2].

أما من الناحية الإيجابية فيمكن القول إن الهندوسية هي اتباع أو عبادة الإله «فشنو Vishnu» أو «شيفا Shiva» أو الإلهة «شاكتي Shakti» أو تجسيداتهم، أو مظاهرهم أو أزواجهم أو ذريتهم. وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عدد كبير من أتباع

عبادة «راما وكرشنا Rama & Krishna» (وهما تجسيدان لفشنو) وأتباع عبادة درجا Durga وسكاندا Skanda وجانيشا Ganesha وهم على الترتيب زوجة شيفا وابناه) لكن ينبغي أن نستبعد براهما Brahma وسيريا Surya أي الشمس، اللذين كان لهما من قبل عبادة خاصة ومعابد خاصة، كما ينبغي كذلك أن نستبعد قلة هم أولئك الذين يعتبرون التراث الفيدي Vedic[3] هو التعبير الرئيسي عن الدين، وهو تراث أسبق من التراث الهندوسي.

لكن الأهم من ذلك أننا لا بد أن نستبعد أيضا بحكم هذا التعريف العدد الغفير من الأشخاص الذين يعجزون عن إخبار مندوبي التعداد الرسمي بما إذا كانوا من الفيشناويين Vaishneva أو الشيفتاويين Shaivite وإنما يعبدون في الأساس، آلهة محلية، هذا فضلا عن أتباع الديانات القبلية الخالصة من شعوب الأدغال والتلال في مناطق عدة من شبه القارة الهندية الباكستانية. ولعل أفضل ما نستطيع أن نفعله هو أن نتبع فيلسوف العصر الوسيط الذي ذهب إلى أن أية تعاليم تكون قوية مادامت لا تعترض طريق الفيدا، أعني مادامت لا تنكر سمو أقدم النصوص الدينية في الهند أو فعاليتها أو أزليتها.

والواقع أن مثل هذا التعريف واسع بما فيه الكفاية، ذلك لأنه على حين لا تقرأ الفيدا اليوم إلا قليلا، وليس لها إلا عدد قليل من الأتباع، فإن كل هندوسي يوليها قدرها من الإجلال ولا ينسب صفة الهرطقة إلا إلى أولئك الذين ينكرونها صراحة (من أتباع الجيثية أو البوذية أو السيخ) فهم وحدهم الذين يُنظر إليهم على أنهم هراطقة.

وعلى كل حال فالهندوسية تشتمل على كثرة من العبادات والفرق التي تقترب قليلا أو كثيرا من الاندماج في تراث بالغ القدم. وعلى حين أن المفاهيم والممارسات العملية التي يرعاها هذا التراث القديم تؤثر في هذه العبادات والفرق وتضفي عليها طابعا هندوسيا مميزا، فإن هذا التراث القديم ذاته هو الحصيلة النهائية لمؤثرات ثرية أتت من القارة، بحيث استوعبت في داخله جميع الآلهة المحلية، وآلهة القبائل وكثرة من الطقوس والفلسفات. ولو ركزنا انتباهنا على هذا التراث القديم العهد، ولا سيما على الأمناء عليه، وهم سدنته من الكهنة والعلماء البراهمة، ومؤلفاتهم الغزيرة، لأصبح من الممكن أن نقدم عرضا مترابطا-للهندوسية.

١ - ديانة الغزاة الآريين المحلية:

في جيوب مبعثرة من شرقي الهند يعيش أناس يتحدثون لغات الموندا Munda أي لغات من العائلة الآسيوية الأسترالية التي تشمل كذلك بعض اللغات من جنوب شرقي آسيا واستراليا. وفي جنوب الهند، وأجزاء من وسطها، ومن باكستان، يتحدث الناس لغات من الأسرة الدرافيدية[4]. وفيما تبقى، أعني كل الهند شمال جبال بندهيا Vindhya وهبوطا إلى الجانب الغربي من شبه الجزيرة حتى جوا Goa، تسود اللغات الهندو-آرية، وهي لغات قريبة من الفارسية ومن اللغات الأوربية، بما في ذلك اللغة الإنجليزية.

ومساهمة «الموند Mund» في حضارة الهند وفي الهندوسية مجهولة تماما، وعلى الرغم من أنه لا يحتمل أن يكون إسهاما عظيما، فهو على الأرجح كاف لمكافأة جهود علماء اللغات والأنثروبولوجيا الصبورين الذين نحتاج إلى جهودهم للكشف عن هذه المساهمة. وفي مقابل ذلك فإن مساهمة «الدرافيديين» أساسية بغير جدال، وإمكانات تحديدها تبشر بمزيد من الأمل، وذلك لأن أربع لغات دارفيدية تراث مكتوب، وإحداها، وهي اللغة التاملية Tamil، تعود إلى ما يقرب من ألفين من السنين. ومع ذلك فإن الدراسات الدرافيدية لا تزال في مرحلة مبكرة، ولا يمكن أن نجزم حتى الآن إلا بالقليل في مسألة تأثير العناصر الدرافيدية في الديانة الهندوسية. أما بالنسبة للآريين فالأمر مختلف، لأن مساهمتهم في تشكيل الهندوسية هائل، وهو واضح جدا في معظم الحالات.

لقد غزا الآريون الهند إبان تحركات الشعوب الناطقة باللغات الهندو-أوربية في جميع أرجاء غرب آسيا وأجزاء من منطقة البحر الأبيض في الألف الثانية قبل الميلاد. ولقد كانوا متفوقين في العديد من المميزات العسكرية الحاسمة على السكان الأصليين في شبه القارة، فكانت لديهم أسلحة برونزية متفوقة، ثم امتلكوا بعد ذلك بوقت قصير أسلحة حديدية، وعربات تجرها الخيل ذات مكابح للعجلات، ومن ثم كانت أخف وأسرع من عربات السكان الأصليين ذات العجلات الجامدة والتي تجرها الثيران. لقد كانوا شعبا قادرا على الحركة بسهولة، عسكري الطابع مجهزا لغزو أي شعب زراعي وحكمه؛ فضلا عن أنهم هم أنفسهم كانوا منخرطين في الزراعة ورعي الماشية. على أن حضارة وادي نهر السند التي سبقت الآريين

كانت من جوانب كثيرة أرقى منهم، ومن الجائز أن الهند لم تستعد حضارة مدنية، تضاهيها من حيث المستوى والنطاق إلا بعد حوالي1500 سنة من انهيار تلك الحضارة. ولكننا على أية حال، سنعود إلى الحديث عن حضارة وادي السند فيما بعد.

2- ريج فيدا Rig-Veda[5]

في وقت ما بين عامي 1500 و1200 قبل الميلاد غزت قبائل الآريين الهند، واستقرت في البنجاب وأنشأت مجموعة من التراتيل التي تألفت منها «ريج فيدا» وهي وثيقة ذات أهمية تاريخية لا تقدّر، فهي ليست أقدم عمل أدبي في لغة من لغات الهند-أوربية فحسب، وإنما هي أقدم الكتابات الدينية الحية في العالم. وينفرد الهنود بين الشعوب الناطقة باللغات الهند-أوربية، بأنهم يدينون بعقيدة انحدرت بشكل مباشر من ديانة الثقافة الأم، كما أن كتاباتهم الدينية القديمة بدءا من «الريج فيدا» غنية على نحو مذهل بالقياس إلى ذلك الغياب شبه الكلي للكتابات الدينية من اليونان وروما القديمتين.

وتحتوى المجموعة على 1,028 ترنيمة لآلهة الفيدا، أما المجموعات الأخرى (أو الساميهيتا Samhitas) فقد كتبت لخدمة احتياجات الإنشاد SamaVeda[6] أو كدليل موجز لعمليات الأضاحي أو تقديم القرابين (وهي ياجورافيدا Yajura Veda[7]) التي تؤدي فيها الترانيم دورا حاسما. وعلى حين أن هذه المجموعات الثانوية تكرر كثيرا من مواد «الريج-فيدا» وتعيد تنظيمها لأغراضها الخاصة، فإن مجموعة رابعة هي المسماة بالـ ((أثارفا-فيدا Atharva-Veda[8] وهي تتميز عن المجموعات الأخرى من حيث إنها تشتمل على العديد من الرقي والتعاويذ لأغراض طبية، وعلى طلاسم سحرية تساعد على الانتصار في المعركة وما شابه ذلك. وتكتمل مجموعات «الفيدا» بسلسلة من الكتب تسمى «البرهماناBrahmanas »(800-600 ق.م) وهي مخصصة لشرح الترانيم وتطبيقها في الطقوس الدينية، والميثولوجيا وتأملات في التشابه الصوفي بين العالم الكبير Macrocosm والقربان نفسه. وتكتمل كتابات الفيدا بسلسلة ثالثة من الكتب هو أرانياكا Aranyakas[9](600ق.م) واليوبانيشاد (600 ق. م-300)[10] اللذان يصوران هذه التأملات ويسيران بها إلى حافة الفلسفة الواحدية. وأخيرا هناك سلسلة من الكتب الفرعية التي فقد معظمها الآن-وهي تقدم الوجه العملي الدراسة الفيدا، وهي جميعها

مستمدة من القرابين ومتطلباتها، مثل علم النحو، وعلم الصوتيات، وعلم العروض، وعلم الفلك والطقوس. الدينية والأخيرة تشتمل على القرابين العامة الكبرى والطقوس المنزلية في آن معا، ومن هذه الطقوس ظهرت فيما بعد كتابات قانونية.

وعلى الرغم من أن الديانة الآرية المنزلية لم يخدمها إلا قسم ضئيل من مجمل كتابات الفيدا، فإنها أكثر أهمية للهندوسية التي انبثقت عند نهاية عصر الفيدا من مذاهب القرابين الكبرى الموروثة، بل من غنوص اليوبانشاد، التي تفترضها سلفا معظم هذه الكتابات الكهنوتية. هذه الديانة المنزلية تتشابه بوضوح، في معالمها الأساسية، بل في بعض تفصيلاتها، مع ديانة الشعوب الأخرى الناطقة باللغات الهند-أوربية، لا سيما قدامى اليونان والرومان. وهذا الميراث الهند أوربي الذي نما في تربة الهند، وتحت ظروف هندية، هو الجزء الذي بقي حتى اليوم من ديانة الفيدا متمثلا في احتفالات الزواج والقرابين المقدمة للموتى.

3- إشعال النار المقدسة:

يوجد في البيت الآري نار مقدسة تشتعل منذ بداية إنشائه، أعني خلال حفل الزواج، وهي ليست نارا عادية: فينبغي ألا تستخدم في إعداد الطعام أو الأغراض المنزلية الأخرى. وكذلك ينبغي إشعالها بأنواع خاصة من الخشب، وبطريقة معينة هي حك العصي ببعضها، وينبغي ألا تترك حتى تخمد. ولا بد أنه يتقدم رب الأسرة لهذه النار يوميا بقرابين للآلهة. بل إنه في الواقع ملزم بالقيام ثلاث مرات في اليوم بما يسمى «بالتضحيات الخمس الكبرى»: عبادة براهمان Brahman، روح العالم، وقوامها تعليم الفيدا أو تلاوتها، وعبادة الآباء بتقديم الطعام والماء لتغذيتهم[11]، وعبادة الآلهة بإحراق القرابين، وعبادة بهوتاس Bhutas (وهي الموجودات الحية أو الأرواح) بنثر الحبوب في الجهات الأربع والمركز، وفي الهواء، وعلى أواني المنزل، ووضع الطعام على عتبة الدار للمنبوذين والحيوانات والطيور والحشرات، وعبادة الرجال عن طريق تقديم الضيافة إلى الآري، ويُفضّل البرهمي العليم بالفيدا.

أما أهم الواجبات التي يلتزم بها رب الأسرة فهي واجبات نحو الآباء أو الأسلاف، فهو ليس ملزما فقط بأن يقدم القرابين من الماء والطعام يوميا إليهم، وإلى روح البيت التي تسكن الركن الشمالي الشرقي من المنزل، بل إن

عليه أيضا أن يقدم لهم البندا Pinda أي كرة الأرز Rice-Ball في يوم ظهور القمر الجديد من كل شهر.

وتسمى العناصر الرئيسية في هذا الاحتفال «شراذا Shradha» وهي كما يأتي: يجلس فقهاء البراهمة-الذين هم على خلق لا يرقى إليه الشك-في مكان مكشوف، على مقاعد منسوجة من العشب المقدس[12]. ويفتتح رب الأسرة الاحتفال(وينهيه) بحرق قرابين للآلهة في النار المقدسة. لكن الحدث الرئيسي هو التقريب للآباء، فهو يصنع ثلاث كرات أرز ويضعها فوق سجادة، منسوجة بالعشب المقدس بعد رش المكان بالماء، وتذهب هذه إلى الموتى الثلاثة من أسلافه: الأب، والجد، وأب الجد، ثم يمسح الأرز العالق بيده في العشب، وهذا هو تقديم القرابين للأسلاف الثلاثة الأسبق: جد الجد.. إلخ. ثم يسكب ماء مباركا على الأرض بالقرب من «البندا Pinda» ومن شأن ذلك أن يرضي الأسلاف الأكثر بعدا. ثم يقسم «البندا» أو كرات الأرز على ضيوفه من البراهمة الذين يأكلونها، وما تبقى من «شراذا Shradha» يصبح الوجبة الأساسية للضيوف.

4- رابطة مع الأسلاف:

إن النظرية الخاصة بالشراذا (Shradha) هي أن يقدم الأحياء الطعام إلى الأسلاف الذين يقطنون «عالم الآباء»، وذلك بأن يقدموا لهم قرابين من كرات الأرز والماء، بينما يضفي الأسلاف النعم على أحفادهم الأحياء بمنحهم إياهم النجاح والازدهار والذرية وما شابه ذلك. وهكذا تكون «شراذا» هذه هي همزة الوصل بين الأحياء والأموات، وهي التعبير عن التعاون المتبادل بينهم. غير أن هذه العلاقة يمكن أن تنقلب رأسا على عقب إذا لم تؤد الطقوس الجنائزية المناسبة للميت، فما لم يستقر أرواح الموتى في عالم الآباء، تظل عرضة لأن تصب البلاء على رءوس نسلها الذين لم يقوموا بإطعامها عن طريق القرابين أو ضمان انتقالها إلى عالمها المناسب.

وهكذا تحمل الجثة-بعد الوفاة بقليل-إلى أرض المحرقة في موكب من الأقارب يتقدمه الابن الأكبر الذي يسير على رأس المحزونين ويخلف المرحوم كرب للبيت.

وتحرق الجثة بينما يطوف أهل الميت حول المحرقة، لا في اتجاه عقارب الساعة الذي يبشر بالسعادة وإنما في عكس اتجاه سيرها. وبعد ذلك

يغتسلون ويعودون إلى البيت في موكب يتقدمه هذه المرة أصغر الأبناء سنا. وفي اليوم الثالث من حرق الجثة تُلقى العظام في النهر، ويفضل أن يكون نهر الكنج حيث لا يزال يوجد على ضفتيه أدراج الجوطGhat[13] والتي تيسر الحركة إلى النهر، كما فعلت منذ آلاف السنين، ولمدة عشرة أيام يواصلون سكب الماء وتقديم القرابين من كرات الأرز وقوارير اللبن للمرحوم. وفي هذا الوقت أو بعد تمام السنة يتم القيام بما يسمى بالسبندكرانا Sa pindikarana التي تجعل الميت يتناول البندا (أقراص الأرز) مع أسلافه أو أسلافها فيما يسمى «الشرذا» كل شهر، وهم يعتقدون أن الروح تكتسب بذلك بدنا رقيقا يمكنها من القيام بالرحلة إلى «عالم الآباء»، أو يمكنها طبقا لأفكار لاحقة من الميلاد من جديد. ولا ينضم المرء إلى هذه الديانة المحلية بحكم الميلاد وحده، ولا كان كل الموتى الآريون مرشحين للعبادة ولدخول عالم الآباء، فعندما يكون الميت طفلا صغيرا أو فتاة غير متزوجة، أوناسكا، فإن الجثة في هذه الحالة تدفن، أو تلقى في النهر، ولكنها لا تحرق ولا تقدم لها قرابين. فالشرط الأساسي هو الدخول في الآرية الكاملة عن طريق الترسيم، ويتم ذلك بالنسبة للصبي بأن يمنح الخيط المقدس و«المنترا Mentra». أما بالنسبة للفتاة فيتم عن طريق الزواج، وأما الناسك فينظر إليه على أنه أصبح ميتا بالنسبة لعالم رب البيت ولدينه، وهكذا ينظر إلى الترسيم أو دخول «العضو في الجماعة» على أنه ميلاد جديد بالنسبة للحياة الدينية، حتى إن الطبقات العليا التي ترتدي الخيط المقدس يطلق عليهم لقب «المولودين مرتين».

5 - الترسيم Initiation[14]

الترسيم هو واحد من سلسلة الطقوس التي تسمى «سمسكارSamskara» أو ما يمكن أن يطلق عليه أحد الأنثروبولوجيين عبارة «طقوس المراحل الحاسمة في الحياة». وتتم ثلاثة من هذه الطقوس قبل الولادة لتشجيع الحمل، وإنجاب طفل ذكر، وضمان صحة الجنين. وفيما بين الاحتفال بمولد الطفل والاحتفال بتسميته تراعي الأم والطفل طقوسا تستمر لمدة عشرة أيام وتسمى طقوس النجاسة. والمراحل الأخرى من تطور الطفل التي تتميز بها «السمسكارا» هي خرم الأذن لأول مرة، واللحظة التي يخرج

فيها الطفل من البيت ليرى الشمس لأول مرة.. وكذلك المرة الأولى التي يتناول فيها طعاما جافا، وإذا كان ذكرا فهي المرة الأولى التي يحلق فيها شعر رأسه، فيما عدا خصلة من الشعر في قمة الرأس يتركها طوال حياته.

ويعد الترسيم الخطوة التالية في «السمسكارا»، وهو يتم عادة عندما يكون الطفل بين سن الثامنة والثانية عشرة. ولب الاحتفال هو أن يرتدي المرشح زي الناسك ويمسك في يده صولجانا مع خيط مقدس يوضع على كتفه اليسرى ويتدلى من ذراعه الأيمن ثم يتلو الكاهن الرسمي من «جيتري-منترا Gayatri-Mentra» وهي أبيات من «الريج-فيدا» يتلوها الهندوس-وهم الطبقة العليا في المجتمع- في جميع طقوسهم.:

«فلنفكر في روعة وجلال
الإله سافترى،
حتى يلهم عقولنا».

وعلى العضو المرشح، في هذه الحالة، أن يستجدي الصدقات، وأن يضع نفسه تحت وصاية براهمي متفقه في الدين ليصبح معلمه الروحي (Guru) ليعلمه ويهذبه بالكتب المقدسة لا سيما الفيدا. وعلى التلميذ أن يظهر لمعلمه أقصى درجات الاحترام والخشوع، بل أعظم مما يظهره لوالديه، لأنه إذا كان الأب والأم يمنحان الحياة، فإن المعلم من خلال معرفته الدينية يهب الخلود.

وعلى الطالب أن يظل أعزب تماما، وأن يحترس باستمرار من السقوط في الدنس، أي في تدنيس الطقوس، وأن يخضع نفسه لكل أوامر المعلم أثناء متابعته المقرر الدراسي الذي قد يستغرق عند البرهمي اثنتي عشرة سنة أو أكثر، وعلامة انتهائه الاغتسال طبقا للشعائر، وعندئذ يتوقع أن يتزوج الآري في الحال.

ولم تكن العزوبية طوال الحياة تلعب أي دور في التصورات الدينية الآرية المبكرة، بل إنها في الواقع كانت بغيضة عندهم، فالسماح بالعزوبية يعني تدمير عبادة الأسلاف، كما أن إنكار طعامهم، قد يجعل الآباء يضبون انتقامهم على الأحياء. وهكذا نجدهم في زمن متأخر، عندما انتشر مذهب النسك والزهد ولاقى استحسانا وقبولا من الأفكار الدينية الآرية، قد عبّروا عن تصورهم لدورة الحياة كسلسلة مؤلفة من أربع مراحل: الطالب، ورب الأسرة، وناسك الغابة، والناسك المتجول. والمرحلتان الأولى والثانية فقط إلزاميتان

لكل الذين ولدوا ولادة ثانية، و ذلك نوع من التوفيق بين نمطين متصارعين من أنماط الحياة. ولقد رأوا فيما بعد أن الناس تولد وهي مدينة بثلاثة ديون: دين للآلهة، ودين للآباء، ودين للحكماء. وهي ديون لا بد لهم من سدادها قبل أن يهجروا العالم من أجل الزهد والتنسك، وتوفي هذه الديون بتلاوة الفيدا، وإنجاب الابن، وتقديم أضحية. وهكذا يستطيع المرء، نظريا على الأقل، أن يصبح ناسكا بعد أن يكون قد تزوّج وأصبح رب أسرة.

6- قوانين الزواج:

ليس الزواج ضرورة مقتصرة على عبادة الأسلاف، بحيث ينبغي على الرجل أن يتزوج لينجب إبنا يواصل العبادة ويقدم «البندا»(أقراص الأرز) لكي تستريح روح أبيه، وإنما الزواج ضرورة مطلوبة لذاتها أيضا، فليس ثمة ما يبرر الاعتقاد بأن الرجل المتزوج هو وحده القادر على تقديم «شراذا»(قرابين الطعام) للأسلاف، وعندما يصبح أرملا فإنه يتخلى لابنه عن رئاسة الأسرة، وعن القيام بدور الكاهن المسؤول عن نارها المقدسة ويقرر التقاعد[15].

على أن الزواج لم يكن يترك لأهواء الفرد يختار من يشاء، فهو لا يستطيع أن يتزوج كيفما اتفق، لأن الزوجة الكفء المساوية له في المولد والمنحدرة من أسرة آرية أتمت عملية الترسيم وغيرها من الطقوس، هي وحدها القادرة على ممارسة الطقوس المنزلية دون أن تدنسها، وهي وحدها القادرة على إنجاب الابن الطاهر النقي المؤهل لمواصلة عبادة الأسلاف بعد والده، وفضلا عن ذلك فعلى العريس المنتظر أن يبحث عن عروس ليست قريبة له، لا من ناحية أبيه ولا من ناحية أمه، أعني عروسا لم تقدم أسرتها «البندا» أو قرابين الماء لأي من الأسلاف، ومن ثم فلا بد أن تكون العروس غريبة عنه؛ ولكن ينبغي كذلك أن تدخل في أسرة العريس عن طريق الترسيم لكي تشارك الأسرة في دينها، ولتنجب لها ابنا، ومن ثم تكف عن أن تكون عضوا في أسرتها الأصلية.

وحفل الزواج يرمز إلى هذا التصور للزواج على أنه هبة أو أمر مقدس، أو ترسيم. وينتقل العريس وصحبه في موكب إلى بيت العروس حيث يستقبلهم والدها مرحبا، ثم يجلس العروسان في سرادق مؤقت على جانبيه ستارة صغيرة، ثم تفتح هذه الستارة بمصاحبة العبارات المقدسة التي يتمتم

بها الكاهن الذي يتولى مراسيم الزواج.

عندئذ يقدم والد العروس، رسميا، ابنته للعريس، ويقوم العروسان متشابكي الأيدي بتقديم حبات من القمح للنار المقدسة، ثم يطوفان حول النار وأطراف ردائيهما معقودة، ويخطوان معا سبع خطوات ثم يرش عليهما من الماء المقدس، وتؤدى المزيد من الطقوس عندما يعود موكب الزوجين إلى بيت العريس، وبذلك يكتمل الزواج. أما الطقوس الجنائزية التي وصفناها فيما سبق فتكمل سلسة «السمسكارا Samskaras».

7- قانون الأسرة الهندوسية:

هناك سمات أساسية معينة في قانون الأسرة الهندوسية يمكن أن نتعقبها إلى هذه الديانة المنزلية. فرب الأسرة هو كاهن دينها، أعني عبادة الأسلاف فيها. وهذا المنصب وراثي، أعني أن هذه الخاصية تؤول إلى أولئك الأكفاء القادرين على تقديم القرابين إليه بعد الموت، وإلى أسلافه، أعني إلى أبنائه المتزوجين قبل غيرهم. وفي حالة نقص النسل في نوع الذكور يؤول الإرث إلى أولئك الذين قدموا «البندا» إلى واحد أو أكثر من الأسلاف الذين قدم لهم المتوفي «البندا» كذلك، أعني أن يكون سابندا Sapinda أو مشاركا في البندا، ذلك لأن الإرث يحمل معه الالتزام بتقديم البندا إلى المرحوم.

ولهذا السبب فإن البنت لا يمكن أن ترث مادام الذكور وحدهم قادرين على تأدية «الشراذا Shradha». ويستطيع الرجل الذي لا أبناء له أن يتبنى ابنا قطع صلته بأبيه الطبيعي أو يُعين بنتا، لو كان له ابنة، لتنجب حفيدا يصبح هو الوريث. وليس في استطاعة أحد أن يخدم نارين منزليتين، أو أن يعبد فئتين من الأسلاف، أو أن يرث من أسرتين مختلفتين. وهكذا فإن العروس والابن بالتبني وابن الفتاة التي حددها الأب، يفقدون حقوقهم وعضويتهم في أسرتهم الأصلية ليصبحوا أعضاء ذوي حقوق جديدة في أسرتهم بالتبني.

لقد امتلأت الديانة المحلية الآرية بالعنصر البرهمي، ولا تزال تتبعها في الهند الطبقات العليا على نطاق واسع. ولقد سقط كثير من الجوانب الثانوية في «السمسكار» في زوايا الإهمال وأصبح تقديم قرابين «الشراذا» نادرا، وتعدّلت في نظرية عبادة الأسلاف والعبور إلى «عالم الآباء» عن طريق نظرية تناسخ أرواح الموتى، بل الواقع أنها ألغتها. لكن المظاهر الأساسية

لهذا الدين ظلت باقية. ونظام الطبقات المغلقة قد شدد من الاهتمام الآري بطهارة الطقوس والمعايير التي يجب أن يتمسك بها المرء ليصونها ويحفظها، وقد ظلت مضامينها الشرعية إلى وقت قريب تتحكم في الإرث الهندوسي والتبني.

8- ديانة الفيدا والتضحية:

أي تحليل للمجتمع الآري المبكر يقسمه أربع طبقات Varna هي: طبقة البراهمة (الكهنة) وطبقة الكشاترية (الجند-الملك)، وطبقة الفيزيا shya-Vi (التجار) وطبقة الشودرا (الأقنان). وكلمة Varna (طبقة) التي تعني اللون وتستخدم للدلالة على أن لهذا التقسيم الوظيفي أساسا عرقيا على الأقل بمقدار ما تكون طبقة الأنوار الآريين المولودين مرتين متميزة عن طبقة السكان الأصليين المظلمة الذين جعل الآريون من بعضهم أقنانا. وهناك تقسيم وظيفي مماثل للمجتمع قدّمه أبناء عمومتهم من الإيرانيين يذهب إلى أن الهنود-الآريين كانوا منذ البداية، هم الكهنة، كما كانوا يقومون بألوان من القرابين التي كانت من حيث الرعاية والصيانة تجاوز الطقوس المحلية.

أما الديانة التي يتحدث عنها معظم الأدب الفيدي فهي ديانة عامة وكهنوتية وليست محلية، وموضوعات العبادة فيها ليست تأليه الآباء وإنما هي الديفاز Devas أو آلهة السماء المشرقة، ويبدو أنها كلمة مشتقة من نفس جذور الكلمة اللاتينية «ديوس Deus» (إله).

ولقد استمدت بعض هذه الآلهة من العصور الهندو-أوربية القديمة، فمثلا السماء الأب (هوديوس بيترDyaus Pitar[16]) وهو زيوس الأب عند اليونان، وهو جوبتر عند الرمان) وهي آلهة ترتبط أساسا بالسماء وبالظواهر الجوية (أو الآثار العلوية، ومعظمها ذكور، ويستثنى من ذلك «الأرض الأم»، وابنتها «الفجر» (واسمها أوشاش Ushas. وهي عند اليونان إيوس Eos) وهما معا إلهتان هندو-أوربيتان، وكذلك عدد قليل من الآلهة الأخرى. لكن الغياب النسبي للإلهة الأنثى في مجمع آلهة الفيدا هو أحد الاختلافات الملفتة للنظر بين ديانتها وبين الهندوسية المتأخرة.

أصبحت شخصية السماء الأب في عصر «الريج فيدا» باهتة. إذ سرعان ما حل محلها إله الفيدا الأصيل وهو الإله «إندرا Indra

لسكان البلاد الأصليين مستعيدا خبرة المقاتلين الآريين إبان غزوهم للبنجاب. وإندرا، مثله مثل نظرائه البشريين يهتم بتناول الطيب من الطعام والشراب، كما يحب المشاكسة، وهو يركب السماء على رأس جيشه من الماروث «MarutS» وهم آلهة العاصفة الأقل شأنا، وهو هنا يرتبط بالبرق بصفة خاصة، سلاحه الذي مزق به بطن التنين فريترا Vritra عندما أعتق هطول المطر الذي يبعث الحياة.

أما آلهة الشمس فهي كثيرة منها: سرييا Surya واسمها هو الكلمة الدارجة التي تعني «الشمس» وهي تقود عربة نارية بعجلة واحدة تجرها سبعة جياد عبر السماء. أما فشنو Vishnu فهو إله صغير له خواص الشمس، وسوف يصبح فيما بعد أحد الإلهين الرئيسيين في الديانة الهندوسية. والإله فيشنو الذي يتحدث عنه «الفيدا» قزم صغير عبر الكون بثلاث خطوات عملاقة ففرحت الآلهة وغيظت الشياطين.

أما آجني Agni فهو إله النار أو المحور الذي يربط عالم الناس وعالم الآلهة. وهو الذي يحمل القرابين المحترقة إلى الآلهة، ويعيش مختبئا في أماكن عدة مزودا الفلاسفة الأول بموضوع لتأملاتهم النظرية، فهو يختبئ في مياه السماء ويظهر في صورة البرق، وفي عيدان النار، فهي أبواه التي تشتعل بها النار المقدسة، وفي أماكن أخرى.

والبراهمة بوصفهم القيمين على تقديم الأضاحي والقرابين مغرمون بالنار بصفة خاصة، إلا أنهم مغرمون أكثر من ذلك بشراب السوما Soma[17] (الهوما الإيرانية)[18]، وهو أرقى ألوان الشراب المسكر المعد من عصير نبات غير معروف نوعه، لكنه على الأرجح يشبه القنّت الهندي أو أي نبات آخر مخدر. ويستلزم إعداد «السوما» طقوسا معقدة، لا سيما أن شخصية إله السوما المتميزة وعلاقته بالبراهمة الذين يطلقون على «السوما» لقب «مليكهم» قد جعلت «الريج فيدا» تخصص كتابا كاملا لأناشيد هذا الإله. ثم توحَّد إله السوما فيما بعد مع إله القمر ونال حق السيادة القمرية في الإشراف على نمو المحاصيل وصحة الأجنة.

9- فارونا ومترا Varuna & Mitra

هناك إلهان آخران أصلهما هندو-إيراني إن لم نقل هندو-أوربي وهما «فارونا ومترا» ولهما تداعيات شمسية مثل العديد من آلهة الفيدا، فإحدى

وظائف الإله مترا الرئيسية ضمان القسم والاتفاقات[19]. وهذا هو الوجه الإيراني المقابل والمتبقي من إصلاح زرادشت للديانة الإيرانية، وكان يعبد في الإمبراطورية الرومانية في العهود المسيحية باسم «مترا Mithras»[20]، وعرف فارونا باسم آزورا Asura (وكان في الأصل مجموعة من الآلهة ثم أصبح فيما بعد مجموعة من الشياطين تعارض آلهة السماء ديفاز Devas). وهو لفظ، في صورته الإيرانية، عبارة عن الجزء الأول من اسم إله النور في الديانة الزرادشتية «أهورا مزدا». وربما كان «فارونا» أقدم من «إندرا» ومثل ديوس Dyaus حجبه إله الحرب العاصف عن الظهور في «الريج فيدا». غير أن شخصية «فارونا» الأخلاقية الرفيعة جعلته يتقدم كثيرا على الإله إندار الذي لا علاقة له بالأخلاق. لقد كان فارونا هو حارس الريتا Rita أو النظام الطبيعي والأخلاقي للكون، وبدونه ما كان يمكن للفصول أن تتعاقب على التوالي، ولولاه لانهارت بنية المجتمع، و«فارونا» عليم بكل شيء، إذ تكتب له عيونه المنتشرة في كل مكان تقارير عن الرجال والنساء، فما اجتمع اثنان معا إلا وكان «فارونا» ثالثهما. ويتخذ مقاتل الفيدا الشجاع المتفائل وضعا مختلفا عندما يقف أمام «فارونا» عن الوضع الذي يتخذه أمام أي إله آخر من آلهته، فهو يتخذ وضع الآثم التائب الذي يرجو إنقاذه من العقاب العادل «لفارونا».

ويزخر مجمع آلهة الفيدا بمجموعة أصغر من الآلهة، تبلغ من الكثرة حدا يجعل من الصعب وضعها في قائمة. وهناك إلهان آخران لهما بعض الأهمية بوجه عام هما «ياما Yama»، أول فان يحرس عالم الآباء بكلابه الداكنة، «ورودرا Rudra» وهو إله يخشاه الناس لأن سهامه تجلب معها المرض، ويتضرعون إليه لأنه في وجهه الآخر هو إله الشفاء بالأعشاب، وهو مثل شيفا Shiva. الإله الصفوح المبشر بالخير، يمثل مساهمة الفيدا في شخصية «الإله العظيم» في الهندوسية رغم، أن دوره في الفيدا كان صغيرا مثل دور فيشنو.

15- الأضاحي الملكية:

كانت الأضاحي كثيرة ومتنوعة و أعظمها الأضاحي الملكية: الراجاسويا jasuya Ra والفاجابيا Vajapeya، «الإشفاميذا Ashvamedha». أما النوع الأول

فهو تنصيب ملكي، وتتمثل الذروة التي يصل إليها في رش رأس الملك بالماء وغيره من السوائل ذات القوة الروحية. وكان شراب القوة Vajapeya. وهو النوع الثاني، ضربا من الاحتفال بتجديد الشباب الذي يشمل سباق العربة المصطنع و«صعود» الملك والملكة إلى السماء على سُلم. أما النوع الثالث فهو «التضحية» بالحصان-Ash vamedha وله أهمية خاصة نظرا لتاريخه الطويل بالهند، ولما ينطوي عليه من مضامين سياسية، إذ يترك أحد الخيول المخصصة للتضحية في صحبة مائة من الجياد الأخرى مع حراس من المحاربين الفرسان-ويترك الجميع يتجولون بحرية لمدة عام. ويحاول الأمراء الذين يتم التجوال في مقاطعاتهم الإمساك به أو قتله. وبذلك يعرضون المضحى لمكافأة إلهية غير سارة أو يرغمون على الخضوع لسيادته العليا. ثم يضحي بالجواد في نهاية العام وتنقل قوته المدخرة إلى الملكة، وهكذا نضمن صحة المملكة والأسرة الحاكمة وازدهارهما.

وهناك إلى جانب ذلك أضاحي أقل تكلفة وطموحا متروكة لمقدرة رب الأسرة الآري. ولهذه الطقوس سمات مشتركة متعددة. فرب الأسرة الذي يدفع ثمن الأضحية ويتلقى بركاتها هو المضحى، ولهذا يقوم هو وزوجته بدور رئيسي، وإن يكن ضئيلا إذا ما قورن بدور الفنيين البراهمة في تقديم التضحية. ويزداد فريق الكهنة المطلوب كلما كانت الطقوس نفسها أكثر تعقيدا. وتتوقع «الريج فيدا» أن يكون عدد الكهنة ثمانية، بما في ذلك الشخص المضحى. ولكن في عصور متأخرة كان العدد المطلوب يبلغ ستة عشر أو سبعة عشر كاهنا. وتبدأ الضحية بتنصيب المضحى فترفعه من الأرض الدنسة إلى عالم مقدس، وهو عالم محفوف بالمخاطر بالنسبة لأولئك الذين لم يتحصنوا بالطقوس، وتنتهي عملية تقديم التضحية بخلع التنصيب للهبوط من العالم المقدس.

وتتخذ الضحية نفسها مكانا حول نار مقدسة مشتعلة في مذبح خاص بُني من الحجر في الهواء الطلق، والمباني الوحيدة التي ترتبط به هي في معظمها للأعمال المؤقتة، ولكنها ليست معابد، أما المواد التي تقدم فيمكن أن تكون: اللبن والزبد السائل، وعناصر نباتية مختلفة، وخمر ولحم حيوانات بما في ذلك لحم الماشية، في هذا التاريخ المبكر. وقد تكون المنافع الناتجة كثيرة، إذ يوعد المضحي على نحو نموذجي بالذهب، والماشية، والحياة

المديدة و إنجاب الأولاد، والخلود، لكن من الضروري أن يطعم الكهنة ويدفع لهم أجرهم على نحو مناسب.

١١- الآلهة تشارك في الوليمة:

لا شك أن نظرية التضحية الأصلية كانت أحد ألوان التبادل البسيط التي تكمن خلف تقديم القرابين للأسلاف. وعندما تم إنجازها على نحو مناسب هبطت الآلهة إلى ميدان التضحية، وهبطوا متخفين لا يراهم أحد فجلسوا فوق القش المقدس واشتركوا في مأدبة التضحية كضيوف شرف، وتغذوا بالقرابين التي أحرقها الإله «أجني». أما في صيغتها المتأخرة فكانت الناس «تصب إلى أعلى» بأن تصب القربان على النار فينقله «أجني» للآلهة، في حين «تصب الآلهة إلى أسفل» عندما يهطل المطر الذي تعتمد عليه الزراعة والحياة البشرية. أما «قرابين الذنوب» و«قرابين الشكر»، وقرابين الاسترضاء أو الاستعطاف فهي ألوان من التقريب نادرة أو غير موجودة، ولا مكان في أدب الفيدا إلا نادرا للصلاة التلقائية المباشرة.

وعندما تطورت القرابين وزادت سيطرة طبقة البراهمة Brahmin عليها، أصبحت نظرية القرابين أكثر إسهابا، واتسعت لتشمل طرقا جديدة، واعتبرت الترانيم، والصيغ الأخرى ذات قوة سحرية Brahman[21] نظر إليها كذلك على أنها قوة محايدة متغلغلة في الكون للحفاظ عليه. والصيغة المشتقة من اسمها هي براهمين Brahmin أو الكاهن الساحر صاحب السيطرة على الأقوال المقدسة. ويمكن الحصول على فاعلية القربان بالتلاوة الدقيقة المسهبة لتلك الصيغ. ولقد أدى التأكيد على أهمية دور الكلام إلى تحليل صوتي دقيق، وفي النهاية إلى أقدم علم للنحو في العالم القديم، تميز بنفاذ تحليلي لم يعرف له نظير حتى العصور الحديثة.

كانت عناصر الأضحية تتوحد، نظريا، مع أجزاء الكون، كما كان ينظر إلى التضحية نفسها على أنها تمثل فعل الخلق مرة أخرى، وتؤدي دورا، لا مندوحة عنه، في تدعيم الكون والمحافظة على نظامه. وتبادل المنافع البسيطة لنظرية الأضاحي المبكرة، يسلمنا إلى الفكرة التي تقول إن دقة الإنجاز تفرض الحصول على النتائج، أما الموضوعات البسيطة للأضاحي المبكرة فهي تسلمنا إلى الدعوى القائلة بأن الكون ككل، ونظامه الأخلاقي، يعتمدان على القرابين.

12- المرتعدون:

يكتب شعراء الفيدا بوحي من الإلهام، ويطلق عليهم أحيانا اسم «المرتعدون» لأنهم يكتسبون رؤاهم من خلال تركيز ذهني داخلي، ومؤلفاتهم معقدة في أسلوبها وقديمة في لغتها وشكلها، فأدبهم مقصور على فئة ضئيلة، وملتو، وبعد مرور أكثر من قرن على الدراسة الحديثة للفيدا لا يزال فهمها ناقصا. وتدور معظم الترانيم حول الثناء على الآلهة، لكن بعض الترانيم النظرية قد بشرت بالفلسفة الهندية وتركزت حول مشكلة نشأة الكون.

وأقدم أساطير الفيدا عن نشأة الكون هي الأسطورة الهند-أوربية من اتحاد السماء الأب مع الأرض الأم، لينجبا آلهة السماء أو الديفاز Devas. غير أن الأسطورة السائدة في «الريج فيدا» هي أسطورة اندرا وفرتيرا Andra & Vritra. وطبقا لهذه الأسطورة لم يكن هناك فيما سبق الخلق لا واقع (سات Sat) ولا غير واقع (أسات Asat) ولا انفصال بين السماء والأرض[22]. ولم يكن ثمة سوى موجودات تسمى أزوراز Asuras مقسمة إلى فئتين: فئة يقودها فارونا Varuna وهم الأديتاس Adityas (الذين يعني اسمهم الانعتاق والتبرعم) ويشتبكون في قتال مع الفئة الأخرى الدفافوس Davavas (التي تعني العبودية، والقصور الذاتي) تحت قيادة فرتيرا Vritra(واسمه الذي يعني الغطاء أو الغلاف، يستدعي معنى مماثلاً).

وترتب «الأديتاس» لميلاد البطل «اندرا» من الأرض الأم والسماء الأب وتجعله ملكا عليها. غير أن «إندرا» المتحصن بشراب «السوما» المسكر، والمتسلح بالصواعق التي أعدها تفشتري Tvashtri-الصانع البارع-ذبح «فريترا» وتدفق من بطن فريترا الممزقة سبعة جداول حبلى بجنين الشمس. وهكذا خرجت العناصر التي تدعم الحياة وهي الرطوبة والحرارة، والنور، ونشرت الأرض التي هي مستقر البشر، أما السماء وهي عالم الآلهة، فقد أصبحت مصانة ومقامة فوق الأرض.

كذلك فصل «اندرا» نصف الكرة Sat(الأرض والسماء) عن نصفها الاخر Asat(العالم السفلي) وأقام النظام في العالم الأول وانحصرت الشياطين في العالم السفلي حيث العماء والفوضى. واتخذت الشمس مجراها، وأرسلت المياه السماوية بأمطارها على الأرض، وتحددت وظائف «الأديتاس Adityas» وراح «فارونا» يراقب النظام الكوني من أعلى.

13- خلع أندرا

لا شك أن أسطورة «أندرا وفريترا» كانت في عصر «الريج فيدا» أسطورة قديمة، إذ يمكن على الأرجح، تعقبها حتى فترة الوحدة الهندية الإيرانية ما دام الإيرانيون قد عرفوا «ذابح فيرترا» و ربما قبل ذلك. فأندرا نفسه يستدعيه حاكم «ميتاني- Mi Tanni» في معاهدة مؤرخة في القرن الرابع عشر ق. م من الشرق الأوسط[23].

ويظهر المستهزئون في «الريج فيدا» المتأخرة، فمنهم من يقول «اندرا» لا وجود له! هل رآه أحد أبدا؟ من هو حتى نضطر لمدحه؟ ويقدم البحث عمن خلق الكون وفي خلفية هذا الايمان المتداعي بأندرا. لقد خلع أندرا مرات عديدة: مرة بواسطة براجاباتي Prajapati إله المخلوقات[24]، ومرة بواسطة فيشفكارمان «صانع كل شيء»، وثالثة بواسطة برهمانسباكس Brahmanaspati «إله قوى السحر» التي تمسك بالكون، ورابعة بواسطة «فاش Vach» أو«الكلمة». وفي ترنيمة بالغة الأهمية نجد أن الخلق ينسب إلى تضحية الإنسان الأول بنفسه بأن مزق جسده[25]

ومن رأسه خرجت طائفة البراهمة، كما خرجت طبقة المقاتلين من ذراعيه، أما طبقة التجار فقد انحدرت من فخذيه، وطائفة الخدم (الشودرا) من قدميه، وبذلك حددت وظائف الطبقات الأربع ومراتبها، بالطريقة نفسها خلقت الحيوانات والأرض، والهواء، والسماء والقمر، والشمس، والترانيم، والتراتيل وأشكال الشعر والنثر، كما خلق أندرا، وآجني,. وفايو Vayu(إله الريح). ومع ذلك فأعظم التأملات نفاذا في «الريج فيدا» هي تلك التي تصنع مبدأ محايدا مثل «الواحد الحق» الذي يقال لنا أنه يتسمى بأسماء مختلفة مثل: اندرا ومترا، وفارونا وأجني.. إلخ على نحو ما يقال إن الآلهة هي مظاهر للمطلق، وفي مكان آخر ينسب الخلق إلى هذا «الواحد» الذي يشرف على الكون والذي لا يُعرف إلا ببصيرة القديسين لا من التراث، ولا من الآلهة.

والواقع أن الشاعر نفسه لم يكن على يقين مما إذا كان هذا الإله نفسه يعرف وقائع الخلق. وهكذا تحقق ضرب من الواحدية الحقة في نهاية الفترة التي تم فيها تأليف «الريج فيدا». وواصلت النصوص التالية البحث عن «المبدأ الواحد» الذي يكمن خلف الكون.

14- ديانات الغنوص والانعتاق:

مشكلة الموت هي بداية الفلسفة. ولقد كانت السعادة القصوى التي يبحث عنها الآري الفيدي من خلال القرابين التي يقول بها الدين هي أن يعثر لروحه على مكان بين الموتى الأبرار في «عالم الآباء» في قمة السماء. وتظهر فكرة الموت مرة أخرى في الأدب البراهماني الذي يمثل الطور الذي يعقب مباشرة المجموعات الأربع (ريج فيدا وسامافيدا وياجور فيدا، إزافيدا) وهو يسبق «الأرانيكا» و «اليوبانيشاد». ويبدو أن الاقتناع المزعج بأن سكينة النفس في السماء ليست مضمونة، كان هو المصدر لكثير من التأملات المثمرة في اليوبانيشاد المبكرة. فنحن نجد في اليوبانيشاد لأول مرة ثلاث عقائد مترابطة، ذات أهمية كبرى لكل التاريخ الديني المتأخر في الهند.:

1- العقيدة التي تقول إن النفس تموت على نحو متكرر وتولد من جديد، وتتجسد على نحو متكرر في كائن حي جديد، وهي العقيدة المسماة سمسارا Samsara[26]

2- والعقيدة التي تقول إن المرء يتحمل نتائج أعماله في هذه الحياة الدنيا أو في الحياة المقبلة (وهي تسمى الكرما Karma)[27].

3- والعقيدة التي تقول إن هناك فرارا من التكرار الممل لتجدد الموت، وتجدد الميلاد وتسمى «الموكشا» أو «النرفانا».

والعقائد الكلاسيكية لم تصغ على نحو لا لبس فيه، ولم تشرح بطريقة نسقية في-«اليوبانيشاد». ويستمد هذا الأدب سحره الدائم من افتقاره الشديد إلى النظام في مقابل الأدب الفلسفي الذي تلاه. فنحن نجد في اليوبانيشاد المبكرة إلحاحا نظريا جريئا لتجربة أفكار جديدة لم يسمع أحد عنها من قبل، دون اهتمام كبير بالتحقق الدقيق من صدقها أو تحديد علاقاتها بعضها ببعض. ولقد وردت بعض هذه الأفكار على لسان شخصيات مرسومة بطريقة حية، ومما له مغزى أن أولئك الذين يعلمون الأفكار الجديدة ليسوا جميعا من البراهمة. وتستخدم فيها بحرية أساليب من المجاز كالأمثولات والاستعارات. ورغم أن فلسفة هذه الأعمال لا تزال في مرحلة التكوين والتجريب، فقد أصبح ينظر إليها فيما بعد على أنها القاعدة والأساس الذي تقوم عليه شروح الفلاسفة وتفسيرهم لها بطريقة تؤيد هذا المذهب الفلسفي أو ذاك.

15- الآلهة لا بد أن تموت:

توضح العقائد الثلاث السالفة الذكر توضيحا جيدا الاتجاه الجديد الذي يتخذه الدين الهندي في هذه الفترة، فقد كان لدى الآري الفيدي الأمل في الحصول على السعادة المادية - في هذه الحياة الدنيا-وفي السماء بعد الموت. لكن ظهر أن الآلهة نفسها لا بد أن تموت ثم تولد من جديد مرة بعد مرة، وأن ميلاد «الشخص» كإله أو برهمان، أو إنسان عادي، أو حيوان أو نبات، إنما يتوقف على الفضائل أو الآثام التي اقترفها في التجسد السابق.

وهكذا كان تصور الكون على أنه عادل ومنصف تماما، والفرد وحده هو المسؤول عن مصيره أو مصيرها إن كانت أنثى، من خلال اختياراته الأخلاقية التي تحدد هذا المصير.

وهاهنا تكون الاستجابة الفردية النشطة ممكنة، ولكن لم تكن هذه هي النتيجة بصفة عامة. فسعادة الحياة أو شقاؤها هما المحصلة النهائية لأعمال قام بها الإنسان في حياة سابقة، وهذه الأعمال لا تغيير فيها ولا فكاك منها. ومهما امتدت الفترة الزمنية التي تعبر فيها روح الفرد من ميلاد إلى ميلاد، ومهما ثقلت خطوات الهرب، فإن المرء لا بد أن يخطو خطوات حاسمة ليحقق الانعتاق-نابذا كل شراك العالم من أجل حياة التأمل الزاهدة، إذ ينفتح أمام الزاهد وحده درب من الإيجابية والفردية النشطة، وهذه الحيوية النشطة هي نفسها السكينة، على ما في ذلك من مفارقة.

وينشأ إمكان الانعتاق من العقائد التي تدور حول وحدة الذات الباطنية العميقة أو الروح Atman مع المطلق Brahman. ولقد عبروا عن هذه العلاقة بأشكال مختلفة في «أقوال» اليوبانيشاد الكبرى: أنا براهمان، وبرهمان هو أنت، ومن صفات المطلق أنه «لا هو هذا، ولا هو ذاك» أعني أنه لا يقاس به أي عنصر من عناصر العالم الظاهري. والوسائل التي يتم بها الانعتاق من التناسخ واتحاد الروح من جديد مع براهمان هي أيضا متنوعة في اليوبانيشاد، ولكن المطلوب باستمرار هو معرفة العلاقة نفسها، وهذه المعرفة تكون في بعض الفقرات من النصوص كافية، كما أنها سر مصون إلى أقصى حد. وفي نصوص أخرى تضاف إليها صفات هامة مثل التأمل وزهد الناسك، والعمل الصالح.

16- الناسك المتجول:

تتحدث «الريج - فيدا» عن «الأشخاص الصامتين» و «أصحاب الشعر الطويل»، والتركيز الداخلي الذي يستطيع شاعر الفيدا بواسطته أن يبلغ رؤيته، هو بلا شك نموذج الناسك الذي يبحث عن «الغنوص Gnosis». غير أن الناسك نمط ديني ضئيل الشأن جدا في الفترة الفيدية المبكرة. ونحن نسمع في عصور تالية، على نحو متزايد، عن «الشارمان Sharman» وهم النساك المعلمون المتجولون. وهذا المصطلح يشمل مؤسسي «الجينية Jainism» و «البوذية Buddhism» وغيرها من الفرق المنشقة. وعندما وصف عالم النحو «باتانجالي Patanjali»، «البراهمة» و«الشارمان» بأنهم أعداء طبيعيون كالأفعى والنمس، فيبدو على الأرجح أن مذهب الزهد تطور خارج التراث الفيدي البرهمي، وربما كان في الأصل غير آري.

انبثق مذهب الزهد، منذ عصر اليوباتشاد، بوصفه الصورة العليا للحياة الدينية، وبينما ذهب «براهمة-الفيدا» إلى أن تقديم القرابين يدعم النظام الكوني ويحفظه، فإننا نجد الهنود المتأخرين يعزون استقرار الكون إلى الكفارات الأزلية «لشيفا» وهو في عزلته بجبال الهملايا. وهم يعتقدون أن القوى التي تولدها عملية التكفير تبلغ من الضخامة حدا يجعل الآلهة يرسلون، من غيرتهم وخوفهم، فتيات سماويات لغواية الناسك، وصرفه عن تأملاته وحمله على تبديد طاقته المدخرة. ذلك أن فضيلة الناسك العظيم يمكن أن تحمي مدينة من الأعداء، ولهذا كان من العبث الاشتباك في معركة قبل إفساد الناسك بهذه الخدعة أو تلك. وقد كان تكفير الناسك عن خطاياه قاسيا إلى أقصى حد بالاضطجاع وسط النيران، والتحديق في الشمس، والوقوف على ساق واحد، أو الجلوس جلسة غير مريحة لفترات زمنية طويلة. هذه التغيرات العميقة في الحياة الدينية في الهند من عصر اليوبانيشاد أثناء حياة مؤسسي البوذية والجينية (حوالي 500 ق. م) لا يمكن أن تكون مقطوعة الصلة بالتغيرات العميقة التي طرأت على المجتمع الهندي في الشمال. فمع تضاؤل قوة ومكانة قبائل الكورو Kuru والبنشلا Panchala الفيدية القديمة في منطقة «دلهي»-نهضت ممالك قوية على طول نهر الكنج في الدول الحديثة مثل مملكتي «أتار برادشيUttar Pradesh» وبيهار Bihar وذلك تحت حكم آريين ليسوا من أتباع الفيدا، بل

وربما كانوا غير آريين، وإنما ينتسبون للبرهمانية بصورة ضعيفة، هذا إن كانوا برهميين على الإطلاق. فقد ولت مملكة القبيلة، وحلت محلها دولة إقليمية تدمج في سكانها غير الآريين من أهل البلاد الأصليين.

تداعت الأرستقراطية الفيدية القديمة عندما أقام محدثو نعمة لا جذور لهم ممالك ناجحة ذات طموحات إقليمية عدوانية، وظهرت المدن من جديد في شبة القارة. وأدى إدخال سك النقود إلى تكوين التجار وأصحاب البنوك ثروات تفوق أي معدل للمرتبة التي يحددها لهم مولدهم طبقا لفكرة الطبقات الأربع. لكن الشعور العميق بعدم الأمان الذي جلبته هذه التغيرات لقطاعات عريضة من السكان عبّر عنه تعبيرا بليغا أحد الملوك الذين ذكرتهم اليوبانيشاد كما ذكرت مقتطفات من أقوالهم: (عظماء الملوك والأبطال في الماضي) تخلوا عن مجدهم وانتقلوا إلى العالم التالي: جفت المحيطات وهوت قمم الجبال وارتعد النجم القطبي، وتدلت النجوم وانهارت الأرض، تخلت الآلهة عن عروشها، وفي هذا الطوفان كنت كالضفدعة في بئر جاف.

17- خطط زمانية كثيرة:

بقي من حركات نساك هذا العصر التي لا حصر لها، حركتان هما: الجينية والبوذية. وسوف نناقشهما في مكان آخر من هذا الكتاب. وقد أصبحت المعتقدات الكلاسيكية عن تناسخ الأرواح، والثواب والعقاب والانعتاق، التي كانت في نصوص اليوبانيشاد في فترة تكوينها، أصبحت بديهيات، بنيت عليها فلسفة لم تعد تخضع للشك. وهناك بديهية أبعد من ذلك كانت شائعة بين جميع المذاهب التالية وهي أن الزمان دائري. فالكون يطرأ عليه النمو و الانهيار أو الكون والفساد أو الدمار وإعادة الخلق على نحو لا نهاية له[28]. ويمكن أن نجد أحد تنوعات دورات الزمن الكثيرة في «قوانين مانو». فالحقب الأربع المتتالية التي تنهار خلالها نوبة الحياة والأخلاق والدين هي على التوالي حقب تستغرق 4000 و3000، 2000، 1000 عام. وكل حقبة من هذه الحقب يسبقها ويعقبها «فجر» و «شفق» لعدة مئات من السنين تبلغ 12,000 سنة في مجموعها، وفي نهايتها يدمر العالم ويعاد بناؤه من جديد. غير أن الفترة بأسرها ليست سوى عصر واحد من عصور الآلهة، والألف سنة منها عبارة عن يوم واحد من أيام براهما، الخالق الذي

يتساوى ليله مع نهاره[29]، وليس للحساب الدقيق أهمية كبيرة، فالمهم أن الزمن يعمل على تصغير شأن الإنسان، وأن البشرية تظل في العصر الحديدي ما بقيت العقيدة في دور الصياغة والتكوين. وهناك مبدأ أساسي آخر شائع بين حركات الشباك، وهو مبدأ يتعارض تعارضا تاما مع أفكار «الفيدا»، ولم يذكر إلا على نحو باهت في «اليوبانيشاد»، هذا المبدأ هو مبدأ الأهمسا Ahimsa أو اللاعنف. والفكرة التي تقول إن إزهاق حياة حيوان أو حياة بشرية تحت أي ظرف من الظروف هو عمل آثم ويؤدي إلى ميلاد جديد في كائن حي آخر أدنى، هذه الفكرة لا يمكن أن تلعب دورا في دين يقوم على أساس التضحية. وعلى العكس من ذلك فإنها ترتبط ارتباطا وثيقا بصفة خاصة بحركات الزهد المعارضة للفيدا والحركات المعارضة للتضحية وعلى رأسها الجينية Jainism. ومادام الرأي المتطرف يقول إن أي فعل سواء أكان صالحا أم طالحا يؤدي إلى التورط في شراك السمسارا Samsara (دورة الكون والفساد) فإن هذه الحركات تتجه إلى السكينة واللاعنف. ولقد ورث المذهب النباتي الواسع الانتشار في الهند هذه العقيدة ذاتها، كما ظهر بوضوح تحريم البقرة، لأول مرة في هذه الحقبة بصفة خاصة، فقد كان الآريون الفيديون يستخدمون البقرة ليولموا لضيوفهم وليضحوا بها لآلهتهم.

18- أصول الهندوسية:

لو قارنا الهندوسية في الألفين الماضيين من السنين مع ديانة «الهند-آريين» المبكرين على نحو ما نعرفها من الفيدا لوجدنا بينهما اختلافات مثيرة، فعلى حين أن الهندوس عبدوا «أيقونة»[30]، تمثل الإله أو الآلهة التي اختاروه، أو اختاروها، واعتبروها الإله الأعظم-فإن آري الفيدا لم يكن لديهم أيقونات، ولا علاقات شخصية مع إله واحد أعظم. وبينما تقام عبادة الهندوس في معبد، نرى ديانة الفيدا تتركز حول النار المقدسة في موقد المنزل أو في المذبح خارج الدار. وعلى حين أن الهندوس يقدمون قرابين من الأشياء والتسابيح بروح محبة متفانية، آملين في النعمة الإلهية التي تخفف، بل تتجاوز وتتخطى العدالة القاسية الموجودة في نظرية الكرما Karma(تناسخ الأرواح)، فإننا نجد الآري الفيدي ينظر إلى قرابينه (في البداية) على أنها تحقق رغبته في المشاركة الكونية بين ذاته وبين الآلهة

الأسلاف (ثم فيما بعد) كوسيلة تضطر الآلهة عن طريقها إلى التسليم برغباته.

كان مجمع الآلهة الآري كله، مع استثناءات قليلة-يمتلئ بالذكور، وهي، في الأعم الأغلب، آلهة سماوية، على حين أن مجمع الآلهة الهندوسي يضيف إلى أعضائه الإلهة الأم، إلهة الأرض، وآلهة تتخذ شكل الحيوانات، مثل أفعى الكوبرا، وأرواح الأشجار.

و«الفيدا» تلعن الذين يعبدون قضيب الرجل، في حين أن عبادة شيفا Shiva في صورة حجر «اللنجا Lingam»[31]، ظلت عبادة منتشرة لفترة طويلة، بل يمكن للمرء أن يهبط إلى أمور أصغر، فآلهة الفيدا يركبون عربات تجرها الجياد، في حين أن آلهة الهندوس يمتطون ظهور حيوانات خاصة بهم.

هذه الاختلافات تنفع في التمييز بين الهندوسية وما سبقها من حركات يطلق عليها عادة اسم البرهمانية Brahmaanism (دون أن ننسى الجينية، والبوذية والحركات الأخرى غير البرهمية) وهي اختلافات تتطلب بدورها تفسيرا.

والفشل في العثور على تفسير مقنع لأصول هذه البدع في أدب الفيدا أو في المؤثرات الأجنبية، مثل وجود الإغريق الآسيويين الذين حكموا شمال غرب الهند في القرن الثاني قبل الميلاد، هذا (الفشل) يجعلنا ننظر إلى الريف حيث يعيش اليوم 80٪ من سكان الهند، وهي نسبة مئوية لم يكن من الممكن أن تكون أقل من ذلك في العصور الغابرة، فهاهنا يعيش ملايين الفلاحين الذين يؤمنون بما يمكن أن نسميه «بهندوسية الريف»، وهي مجموعة من العبادات التي ترتبط-إن فعلت على الإطلاق-ارتباطا ضعيفا بالفيدا، والعبادة الشعبية للأفاعي وأرواح الأشجار يشهد عليها الفن البوذي المبكر كما تشهد عليها هندوسية الريف. وأكثر الآلهة أهمية عند الغالبية العظمى من الفلاحين ليس هو «فشنو أو شيفا Vishnu Shiva» بل إلهة القرية Gramadevata التي غالبا ما تسمى إلهة الأرض أو الأم، وهي دائما أنثى على نحو له دلالته، كما تشرف على خصوبة الحياة الحيوانية والنباتية، و تشرف كذلك على الأوبئة والأمراض، وصلوات التوسل والاسترضاء عند الفلاح هي صلوات طبيعية. وهياكل وعبادات هذه الآلهة المحلية الخالصة التي تفكك فكرها الضيق وانحل في أنواع عامة شديدة التناثر، كثيرا ما يسهر على خدمتها كهنة غير براهميين، بل كهنة من الطبقة الدنيا.

19- هندوسية الريف:

إن صمت الأدب الديني الهندي المبكر عن هندوسية الريف، ليس دليلا على أنها لم تكن موجودة منذ أقدم العصور. ومن الأهمية بمكان أن نتذكر أن هذا الأدب كان أدبا برهميا، بمعنى أنه أدب كهنة أو نساك. ومما له مغزى أن عبادة الأسلاف الآرية وطقوس المراحل الحاسمة في الحياة، وهي المصدر المباشر لما يمكن أن نسميه الهندوسية الآرية المحلية، لم تبلغ مستوى التعبير الأدبي إلا في مرحلة متأخرة عندما سقطت تحت السيطرة البرهمية، رغم أن أصولها ترتد إلى فترة الاتحاد الهند-أوربية. ومما له مغزاه أيضا أنه على الرغم من أن بعض البراهمة أصبحوا فعلا كهنة معابد، فقد كان ينظر إليهم في الأعم الأغلب على أنهم أدنى من البراهمة الآخرين، كما أن «قوانين مانو» تحظر وجودهم في الاحتفالات الجنائزية.

لدينا، إذن، ما يبرر الاعتقاد بأن الأوثان أو المعابد وما شابه ذلك هي إسهامات غير آرية، أو على الأقل غير برهمية للهندوسية. ونظرا لصمت النصوص فإننا أحرار في أن نفترض أن هندوسية الريف كانت تمارس باستمرار ولفترة طويلة قبل أن تصبح برهمية وبالتالي قبل أن يكون لها أدب، وعلينا أن نلاحظ أن حريتنا هذه تعني أنه ليس ثمة وقائع تدحض هذه الوجهة من النظر أو تؤيدها، بل ربما جاز لنا أن نعتبر أن الهند كانت هندوسية لفترة طويلة قبل وصول الآريين.

كان للهند، قبل الغزوات الآرية، أعظم حضارة مدنية واسعة الانتشار عرفها العالم حتى ذلك الوقت، ألا وهي حضارة وادي نهر السند التي استمرت حوالي 500 سنة من (2300 حتى 1800 ق. م). وكما هو معروف الآن امتدت مدن هذه الحضارة على طول نهر السند في باكستان حتى وصلت إلى راجستان الهندية jasthan Ra والبنجاب وامتدت شرقا حتى أعالي نهري يمني والكنج دوب na Doab-Gans-Jum لكي تتفرع على ضفتي مصب النهر بطول ساحل مكران Makran متجهة إلى الغرب و «جوجارات Gujarat» إلى الجنوب بحيث تفصل ألف ميل من أبعد المواقع. هذه المدن بمنازلها المبنية بالآجر المحروق وقلاعها وحصونها وشوارعها، وهي على نمط الملاعب، وكذلك نظم الصرف المحكمة، قد كانت أعجوبة العالم القديم، كما أن حضاراتها المادية باستثناء ما يتعلق بالتكنولوجيا الحربية والتعدين، كانت أكثر تفوقا من حضارة

الآريين الذين وصلوا بعد زوالها إن لم يكونوا هم سبب هذا الزوال).

20- آلهة وادي السند الذكور والإناث:

إن سيرجون مارشال Sir John Marshall أحد المنقبين عن الآثار في مهنجو-دارو[32]، في السند (وهي تعد مع مدينة هاربا Harappa في البنجاب من أكبر مدن نهر السند) قد صاغ الدليل على مساهمة السند في الهندوسية المتأخرة، بل هندوسية نهر السند صياغة ممتازة، ولعل أفضل ما نفعله هو أن نلخص نظريته.

يعتمد دليله على أختام من أحجار ناعمة وتماثيل صغيرة من مواد مختلفة، رغم أن بعض المباني التي كشف عنها التنقيب يظن أنها كانت أضرحة أو معابد خالية من الصور. وتأتي على رأس اكتشافاته «الإلهة الأم الكبرى»، وبعض تماثيلها عبارة عن تماثيل صغيرة لأنثى حامل، أما الغالبية العظمى منها فشخصيات نسائية عارية ذات ياقات عالية وأغطية للرأس، وهي من نفس فئة تماثيل الأنثى التي عثر عليها في الحضارات الريفية في تلال وسفوح جبال «بلخستان Baluchistan» بالإضافة إلى التي سبقت حضارة نهر السند وعاصرتها، وهي تماثيل مشابهة موزعة في آسيا الغربية كلها حتى بحر إيجه ترجع للعصر الحجري. ثم يأتي «الإله الذكر» الذي يمكن التعرف عليه في الحال كنموذج لشيفا التاريخي، جالسا وباطن القدمين متلامسان في (وضع اليوجا)، وصورة عضو التناسل (الذي يذكرنا بعبادة اللنجا) تحيط به الحيوانات معبرة بذلك عن شعار «شيفا» وهو «إله الحيوان». وثمة عدد كبير من التماثيل الحجرية لعضوي التناسل عند الرجل والمرأة، إما في صورة رمزية أو واقعية، وهي تشير إلى عبادة «اللنجا Linga» و «اليوني Yoni»[33]، عند شيفا وزوجته. والأحجار التي تمثل عضو الذكورة قد ترتبط تاريخيا بحجر شلجراما Shalagrama شعار فشنو Vishnu. وتوحي عبادة الأشجار والأفاعي والثيران (مثل ثور شيفا رغم أن البقرة ليست من بينها-على اتصال هندوسية العصور التاريخية المختلفة، كما أن الأفكار (الموجودة) عن طقوس التدنيس والتطهير بالماء ربما تكون متضمنة في وجود مغطس ضخم وربما تفسر تصورات الهندوس عن الدنس.

هذا الافتراض الجذاب قد يفسر وجود عبادات غير فيدية متمركزة حول شخصي الإله شيفا والإلهة الكبرى في الهندوسية، سواء في صورتها

الريفية بوصفها إلهة الأرض، أو صورتها التترية Tantaric[34] وصفها شاكتي Shakti زوجة شيفا. لكن لا بد لنا أن نتذكر أن ألف وخمسمائة سنة من صمت السجلات الأدبية والأثرية تفصل بين انتهاء حضارة نهر السند وبين الشواهد الدالة على ظهور هذه العبادة (أو عودة ظهورها) في الهندوسية، ولقد أضافت حضارة نهر السند فصلا جديدا كاملا إلى التاريخ الهندي منذ التنقيب المنظم في عشرينات هذا القرن، ولكن لا يزال الأمر مبكرا جدا للحكم على مدى اتفاق هذا الفصل مع الفصول التالية في تاريخ الهند. والمسألة متروكة لعلم الآثار، الذي طرح المشكلة منذ البداية، ليقوم بحلها.

21- الفلسفة والميثولوجيا والأخلاق:

هناك ثلاثة ملامح هامة للهندوسية تعطيها شكلا متميزا واتساقا وهي: المذاهب الست Darshanas أو الأنساق الست للمستويات العقلية[35]، والملاحم والبوراناس Puranas بالنسبة لحكايات الخوارق والأساطير، ونظام الطبقات المغلقة في مجال السلوك اليومي. والمذاهب الست هي مذاهب عقائدية تؤدي كل واحدة منها بطريقتها الخاصة إلى الانعتاق من أغلال الوجود الأرضي. وهناك ستة منها تقع في أزواج متكاملة هي Nyaye Vashesika(نيابا وفيشيسبكا)لله Sankhya Yoga (سانخيا ويوجا) و Mimamsa & Vedanta (ميمسا والفيدانتا). أما «نيايا» فهي مدرسة في المنطق ونظرية المعرفة، وأما فشسكا فتذهب إلى أن الطبيعة مؤلفة من ذرات أزلية متميزة عن الروح، وبمعرفتها تستطيع الروح أن تحقق الانعتاق. وأخيرا فإن سانخيا تعارض بين المادة «براكريتي Prakriti وبورشا Pursha أي الروح. لكن الأرواح الفردية-كما هي ا لحال في الديانة الجينية Jainism-لا متناهية ومتفردة، ويعتمد الخلاص على استعادة الطهارة الأولى للروح بعيدا عن المادة. ومذهب سانخيا ذات الجوناز Gunas الثلاث (القوى، وتسمى حيوانات) أو الخصائص الأساسية التي تسبب الخير والانفعالات الطاغية والكسل أو البلادة في الأشياء والموجودات، مذهب مؤثر غاية التأثير في جوانب كثيرة من الفكر الهندي.

ولليوجا Yoga[36]، ميتافيزيقا مماثلة مع إضافة«أشفارا Ishvara»[37]، وهو إله عال وبعيد يجاوز دائما حدود المادة. ويؤدي نظام «اليوجا» وهو ممارسة قانون أخلاقي صارم من خلال أوضاع تفضي إلى التأمل وضبط

النفس-إلى «الاستغراق في التأمل». و «اليوجا» المعروفة عند المتحمسين من الغربيين، هي تطوير متأخر لهذه الممارسات المبكرة مع التركيز الشديد على أوضاع بدنية أكثر صعوبة تسمى «هاتا يوجا Hatha Yoga» وعلى نظرية فسيولوجية يسعى بمقتضاها اليوجي المستغرق في التأمل إلى زيادة الـ «كونداليني Kundalini» وهي قوة روحية متصورة، على هيئة أفعى ترقد ساكنة في قاع النخاع الشوكي حتى الوريد الرئيسي الكائن في العمود الفقري، خلال ست دوائر للقوة السيكولوجية بطول العمود حتى اللوتس Lotus[38] في قمة الرأس بحيث إذا اكمل (أي اليوجي) هذه الدورات فاز بالخلاص (ليايوجا Laya Yoga) ويتميز مذهب ميمسا Mimamsa عن المذاهب الأخرى بأنه مدرسة لتفسير الفيدا واستمرار لمذهب القربان البرهمي، والواقع أن مذهب الفيدانتا Vendanta هو أكثر المذاهب الستة أهمية، لأنه يشكل التراث الفلسفي الهندوسي الرئيسي حتى يومنا الراهن[39]. وكان شارحه الأكبر من جنوب الهند هو الفيلسوف الهندي شانكارا Shankara (820- 788م)[40] الذي بلور الاتجاه الواحدي لليوبانيشاد في مذهب يعالج الروح كوجه للمطلق غير المشخص (براهمان). والعالم كوهم أو خداع (مايا Maya). ومن هذه المعرفة تستطيع الروح أن تحقق وحدتها مع المطلق. ولقد نما العديد من هذه المذاهب في الأصل لا سيما مذهب «شانكارا» و «اليوجا» بعيدا عن تراث الفيدا، وفي فترة مبكرة للغاية، وربما كانت منضمة إلى حركة شرامانا Shramana[41].

22- الشعر الهندوسي والأسطورة:

تُعد الملاحم الأعمال الأسطورية العظيمة في الهندوسية، وأقصد بها ملحمة المهابهاراتا Mahabharata (وهي قصيدة بطولية تتألف من 100 ألف زوج من أبيات الشعر التي تصف صراع وقتل الأخوين بين باندافاس Pandavas وكورافاسKauravas، وهما حاكما منطقة دلهي في زمن (الفيدا)، وملحمة الرامايانا Ramayana (وهي قصيدة أسطورية طويلة تحكي أعمال الملك راما ملك أيوذا Ayodhya) مع ملاحق عن أساطير الخلق وقوائم بالملوك وحكايات خارقة ومذاهب دينية تسمى، بوراناس Puranas (مأثورات قديمة).

وهذه الملاحم لا تُعبر عن فرق معينة، وإنما هي أعمال مركبة تختلط

فيها، بسهولة، الآلهة المتنافسة مع العقائد، وهي ملكية عامة لجميع الهندوس، إذ يمكن لأي فرد أن يجد فيها إلهه المختار، وطريقته المفضلة في الخلاص، وعلى الرغم من أنها كتبت باللغة السنسكريتية، ومن ثم فهي في حماية البراهمة بصفة خاصة، فان لغتها متنوعة أكثر في شعبيتها، كما يدل مضمونها على أن الديانات الشعبية صبغت بصبغة برهمانية. والقانون الأخلاقي الذي يلزم بالعفة التي قد تصل إلى حد الزهد، هو الشرط الذي لا غنى عنه لجميع مذاهب الخلاص، ولمعظم الفرق الهندوسية، ورغم أن الديانات التي تسعى إلى الانعتاق من العالم تكافح لكي تصل إلى حالة تختفي فيها التميزات المتعارف عليها بين الخير والشر، فان الأخلاق تقوم بدور المقدمة الافتتاحية، أو الحركة الأولى، في الحياة الدينية. وللأخلاق في حياة الهندوسي اليومية، من ناحية أخرى، أهمية فائقة، ويمكن أن نوجزها إلى حد كبير في كلمة واحدة هي اجتناب النجاسة.

ومع بداية العهد المسيحي، وربما قبل ذلك بكثير، وصل المجتمع الهندي إلى الحد الذى تألف فيه من آلاف من الطبقات المغلقة Castes التي تضع قيودا صارمة على الأكل والشرب والزواج والأخوة، ثم على التدخين فيما بعد-مع أعضاء الطوائف المغلقة الأخرى. وخرق هذه القواعد يجلب النجاسة ويستوجب الكفارة، عن طريق التطهر، وفي الحالات القصوى قد يبعد الإثم عن الجماعة. بل أن النجاسة التي يتعرض لها المرء بغير قصد لا بد من علاجها، لأن المرء قد يصبح نجسا، بإرادته أو رغما عنه، في بعض الظروف التي لا يمكن تجنبها كأن تكون هناك حالة وفاة في الأسرة. ونظام الطبقات المغلقة الذي يرتب هذه الطبقات تبعا لنقائها الداخلي، وإمكان تعرضها للنجاسة بدءا من الأنواع المختلفة من البراهمة حتى الطوائف التي لا يجوز لمسها في أسفل السلم، كما ينظم واجبات كل طائفة، هذا النظام قد منح الهندوسية والمجتمع الهندي إمكان دوامه ونزعته المحافظة، وقبوله للخصائص التي تنفرد بها الجماعات الأخرى.

23- الفرق الهندوسية:

تبدو الفرق الهندوسية كجزر صغيرة تمثل معالم بارزة في محيط الهندوسية الواسع. والواقع أن عدد الهندوس الذين ينتمون للفرق قليل

نسبيا، وليس من الضروري أن يكون الهندوسي عضوا في إحدى الفرق لكي يمكنه أن يقدم القرابين لآلهة القرية أو يغتسل في أماكن الحج أو يتعبد في المعابد. ولما كانت الفرق أكثر ملاءمة للدراسات التاريخية من الملاحم، والتراث القديم، مثلا، ولما كان ظهورها في القرون الأخيرة قبل المسيح مباشرة، فقد أصبحت تشكل جانبا هاما من تطور الهندوسية، لهذا فإنه ينبغي علينا أن نتعقب ظهورها.

أن الهندوس المنتمين للفرق يمكن التعرف عليهم من العلامات المميزة التي يحملونها، فإذا كانوا من أتباع فشنو فلهم علامتان متوازيتان من وشم ترابي أبيض ينحدر من خط الشعر حتى قصبة الأنف مع خط رأسي يربط بينها في الأسفل مع إضافة علامة مميزة خاصة بالفرقة التي ينتمون إليها. كذلك سيميزهم عقد ومسبحة حباتها مصنوعة من شجيرة مقدسة عند فشنو. أما إذا كانوا من أتباع شيفا فهم يضعون ثلاثة خطوط أفقية متوازية من وشم ترابي على جباههم. ويلتحق الهندوسي بفرقته الدينية عن طريق الترسيم الديني، والعنصر الحاسم فيها هو اتصال العضو بالصيغ المقدسة Mantra لفرقته عن طريق المعلم الروحي Guru. وهذا الترسيم نسخة من الترسيم البراهمي، مع إضافة بعض التعديلات الخاصة بالطائفة. وصيغة المانترا Mantra بصفة عامة هي «أوم Om» يبايع س، حيث ترمز «س» إلى اسم الإله الذي تعبده الفرقة. ولما كانت المعرفة (المانترا) هي العلامة الحقة للعضوية وكانت ذات فعالية مخفضة، فان «المانترا» لا يصح أن يكشف عن سرها لأحد خارج الجماعة. ولكن لو أن أحدا من خارج الجماعة تصنت على «المانترا» أو قرأها في كتاب، فلن تكون لها أدنى قيمة، لأن قوتها الخاصة لا يكون لها تأثير إلا عندما يتصل بها المعلم الروحي المدرب مشافهة، وهكذا يفترض الانتماء إلى الفرق علامات مميزة، وترسيما خاصا، وأنواعا من المانترا، والمعلمين الروحين Gurus، وذلك يتضمن تسلسلا للمعلمين الروحيين ومجموعة محددة تحديدا جيدا من الأتباع الذين مروا بعملية الترسيم، أي تتضمن جماعة دينية. وأخيرا فإن للفرقة، بطبيعة الحال، تعاليمها الخاصة، وطرقا وأوقات خاصة للعبادة، وإلها معينا أو وجها للإله يتجه إليه المتعبدون ويأملون أن يستمدوا منه الخلاص. ويمكن أن تصنف الفرق الهندوسية تبعا لموضوع العبادة بحيث يكون لدينا فرقا لـ شيفا، وشاكتي، وفشنو.

24- شيـــــفا:

أيا ما كانت حقيقة النظرية المتعلقة بأصله المنحدر من حضارة السند، فان شيفا أو بالأحرى «رودرا Rudra» كما يسمى هناك، موجود في «الريج فيدا» وله وظيفتان في الفيدا المبكرة، فهو «المولول أو الصارخ Howler» المصحوب بآلهة العاصة أو «الماروت» Maruts التي تبعث البرق، وله القدرة على التحكم في المرض، ومن ثم في الأعشاب الشافية، وهو إله مرعب صاخب، ولهذا ينبغي استرضاؤه. وحين لا يضرب البرق قطيع الماشية نتيجة للصلاة المقدمة إليه، فإن هذا الإله يسمى «باشوبا Pashupa» أي حامي القطيع. وعندما يتقي شر المرض، تنسب له قوى الشفاء.

وفي نصوص الفيدا المتأخرة نجد أن صفات «رودرا» Rudra قد امتدت فأصبحت له رقبة زرقاء، وبشرة حمراء، واتسعت دائرة اختصاصه فشملت الغابات واللصوص والمنبوذين، والأعشاب الطبية والقطعان. وهو المهلك ذو الشعر الأشعث، ولكنه حين يسترضى يصبح شامبهو Shambhu وشانكارا Shankara وشيفا Shiva (أي الرءوف، المحسن، المبشر بالخير) ويعبده المرء لكي يتحاشاه، وحتى يتفادى أوبئة قطيع الماشية، فإنه يقدم ثورا قربانا للإله «رودرا» خارج حدود القرية مصحوبا بكل علامات شعيرة النحس. والواقع أن شيفا المرعب المزدوج الدلالة لم يختف أبدا اختفاء تاما.

وكان «رودرا» شخصية صغيرة في «الريج فيدا»، وجاء ارتفاع «شيفا» إلى مكانة مرموقة بالتدريج بحيث أصبح مركزا للعبادة. ومع حلول القرن الثاني ق. م بدأنا نسمع عن المتعبدين لشيفا الذين يبدو أنهم كونوا فرقة دينية. وهناك شاهد واضح على أن «اللنجا» (الحجر القضيب) الذي تشكل فيه شيفا، وعبد على نطاق واسع، قد جاء بعد ذلك. ولكن بالإضافة إلى «اللنجا» المفترضة في حضارة نهر السند، نجد في «الريج فيدا» صلاة لاندرا Indra يقصد بها ألا يسمح لأولئك الذين يعبدون القضيب بتدمير طقوس التوسلات الآرية.

وأقدم فرقة «لشيفا» في التاريخ هي باشوباتا Pashupata التي أسسها لاكولا-La kula الذي عاش تقريبا في القرن الأول أو الثاني الميلادي والذي كان يعتبر تجسيدا لشيفا نفسه. ولقد مرت فترة تكوين باشوباتا بعدة مراحل، طبقا لما ترويه آداب هذه الفرقة، لتحقيق الخلاص، ففي المرحلة الأولى اغتسل وعاش في الرماد المتخلف من المحرقة، وقام بشعائر العبادة

في المعبد، كالضحك، والرقص، والغناء والنطق بالصوت، «هودوك Huduk» مثل خوار الثور، وترديد التعاويذ.

وفي مرحلة أعلى من مراحل الجدارة الروحية، تخلى عن العلامات المميزة للفرقة أو الطائفية الدينية، وهام على وجهه وحيدا وراح يثير غضب الإنسان العادي لغطيطه إذا نام، واهتزازه كمن أصيب «بداء الريح» والقيام بإشارات غرامية للنساء، وبالسلوك الغبي، ولغو الكلام، ثم يلي ذلك مراحل أعلى أكثر احتشاما حيث يحتل التأمل مكان الصدارة. ويفسر السلوك الغريب الذي مارسه في المرحلة الثانية نظرية تقول أن الكرما Karma السيئ لباشوباتا قد حل محله كرما خير صالح يلومه على سلوكه. ولكنه إلى جانب ذلك تعبير أقصى تغبير عن رفض الناسك للعالم وانعزاله عنه.

ونحن نعرف عدة فرق للشيفا ظهرت في قرون تالية مثل فرقة الكابليكاس Kap alikas (حملة الجماجم) التي توضح من جديد التقييم المتجاوز لكل القيم عند الناسك، وهو في ذلك قد يحملون عن قصد علامات «زايج براهمان» أعني وعاء التسول على هيئة جمجمة ليجلب على نفسه الخزي والعار، إضافة إلى الإفراط في شرب الخمر وأكل اللحوم والممارسة الجنسية المحظورة أثناء تأدية الطقوس الدينية بحيث يمكن تميزهم والتعرف عليهم بوصفهم الجناح اليساري في التانترية Tantrics[(42)] (انظر فيما بعد). وقد بقيت أمثال هذه الحركات من النسك المتطرف حية على الرغم من حط الكثيرين لشأنها، فازدهرت لعدة قرون. والواقع أن نساك «شيفا» المتوحدين المنعزلين أو ما يسمى «السيدها Siddhas قد انتشروا في شمال الهند كله في القرون السابقة على الفتوحات الإسلامية، وأسهموا مساهمة كبيرة جدا في الحركات الفلسفية والدينية في التبت والهند.

25- طرق الخلاص:

إن قبول الشيفية Shaivism من قبل المجتمع المحترم ولدينا شواهد تؤكد وجودها في القرن السابع--وكذلك بين عدد غفير من الناس العاديين-يدل على تطور فرق تخلت عن أنواع من الطقوس الغريبة التي كانت تمارس في فرق سابقة، والالتزام بأساليب سلوكية أقل التباسا وفظاعة. وإحدى هذه الطرق هو مذهب «شيفا» الذي انتتشر على نطاق واسع في جنوب الهند.

وكانت طرقه لبلوغ الخلاص-وهي الأوراد والتأمل الدوري، والتأمل اليوجي، والكفارة، وعبادة «اللنجا» وما شابه ذلك، قد اعتبرت برهمية ولم تثر أي اعتراض عليها. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن شيفية كشمير، ولكليهما آداب لاهوتية شاقة أو ذات أهمية ملحوظة.

وتشكل الكلاموكاس Kalamukhas فرقة ازدهرت في جنوب الهند لبعض الوقت ثم اختفت من يومها. ورغم إساءة خصومهم من «الفشنافيين» لهم، فقد واصلوا دراسة الفيدا كما درسوا نصوص الفرق التي تخالفهم في معابدهم الواسعة وأديرتهم الكبيرة، وتحاشوا ألوان السلوك البشع الذي كانت تقوم به فرق شيفا الأخرى، وقطعوا على أنفسهم عهدا ألا يؤذوا أحدا وأن يقولوا الصدق، ويتجنبوا السرقة ويتمسكوا بالعفة والفقر. وقد تأسست فرقة «الفيراشيفا Virashaiva» أو «اللنجايات Lingayat» في القرن الثاني عشر[43]، وربما كانت نسخة معدلة من «الكلاموكاس» التي اختفت في ذلك الوقت تقريبا وآلت بعض معابدها الآن إلى فرق «الفيراشيفا». ولقد أدت التعاليم السنسكريتية وعبادة «اللنجا» دورا هاما فيهما معا، والواقع أن الفرقتين «الكلاما كاس» و«الفيرا شيفا» وصفا بأنهما «جنجامس Jangames » (تحريك اللنجا أو تجسيد اللنجا) ويقضي الترسيم الديني عند الفيراشيفا بأن يوضع «لنجا صغير» في صندوق من الفضة يرتديه كل عضو من أعضاء الفرقة حول رقبته. وكان «باسافا Basava» مؤسس هذه الفرقة وزيرا في عهد الملك بيجالا Bijala الكلاشوري Kalachuri(1145-1167م) ويقال أنه جرّ على نفسه غضب الملك وأثار حفيظته عندما استنفذ خزانة المملكة في التصدق على «الجنجامس Jangames» ودبر بمساعدة الشعب لاغتياله بعد فترة من الاضطهاد الملكي.

ويشكل «الفيراشيفيون» اليوم طبقة مغلقة أو بالأحرى جماعة من الطبقات لها كهنتها الخاصة «براهمة اللنجا» بطقوسها التي تشبه على نحو مثير وهام الطقوس البرهمية الأصلية.

وفي تأميل نادو Tamil Nadu في أقصى جنوب الهند أناشيد دينية لقديسي شيفا تسمى «نايانارس Nayanars» تشهد بنفاذ الأوراد الشيفية الشعبية إلى أقصى حدود شبه القارة منذ القرن السابع أو الثامن على وجه التقريب حيث سبقتها البوذية والجينية كما تشهد بأنها لازالت مزدهرة هناك.

26- شاكتي والتنترية: Shakti&Tantricism

لقد رأينا أن هناك مبررا قويا للاعتقاد بأن ربة الخصب كانت تعبد في الهند منذ بداية العصر الحجري الحديث، وأن عبادتها تشكل جانبا هاما من الخلفية غير الآرية للهندوسية. ويخبرنا «بانا Bana» أحد كتاب القرن السابع، أن قبائل جبال فينذا Vindhyas في وسط الهند قدموا قرابين من اللحم وجرحوا أنفسهم ليقدموا دمائهم الخاصة للربة شانديكا Chandika وفي فقرة أخرى نجد أن ملكة «أوجاين Ujjain» في غرب الهند، قامت بعبادة هذه الربة نفسها لكي تنجب إبنا، وان كانت هذه العبادة أقل بشاعة من العبادة الأخرى. وهكذا نجد أن السكان الأصليين يشتركون مع عليه القوم في عبادة هذه الربة-الأم. وأيا ما كانت عبادة «الربة الكبرى» أو الإلهة العظيمة «شاكتي»[44]، فإننا نستطيع القول أن عبادتها ازدهرت من القرن الخامس، وهو العصر الذي أقيم فيه معبد «يحتشد بالشيطانات، المقدسات عند الأمهات اللائي يصحن بأعلى صوت في الظلام» حتى يومنا الراهن.

أما من الناحية الأسطورية فقد تصوروا أن «الإلهة الكبرى» هي زوجة شيفا، ولها مثله جوانب مسالمة وأخرى مرعبة في آن معا، فهي «بارفتي Parvati» «سيدة الجبال»، وهي عروس شيفا الجميلة، وهي «كالي» القبيحة المتعطشة للدماء التي تطلب ضحية من الحيوان قربانا، وفي بعض الأحيان تطلب قربانا بشريا. وبوصفها ساكنة جبال فينديناس Vindhyas)[45] فإنها تتربص بالمسافرين كما أنها راعية اللصوص وقطاع الطرق، وبوصفها «درجا Durga» فقد ذبحت الشيطان ماهيشا Mahisha الذي تجسد في صورة جاموسة. ولقد أصبحت بذلك مقاتلا رهيبا ومخلصا للبشرية في وقت واحد، وعبادة «درجا» هي الآن عبادة متميزة جدا في البنغال، حيث يحتفل كل عام، احتفالا مؤثرا، بعودتها كعروس شابة إلى بيت والدها. والواقع أن «درجا» هو شيء يرمز للقومية البنغالية والهوية المحلية.

أما من الناحية الفلسفية فإن الإلهة الكبرى هي شاكتي Shakti أو قوة شيفا va-Shi التي تمثل القطب المضاد للذكورة والوعي والسكون. والواقع أن الفاعلية الخاصة بأي إله هي «شاكتي»، وهي تتشخص في زوجته. أما الارتباط الذي يبعث على قدر من الدهشة بين الأنوثة وبين الطاقة والمادة من ناحية وبين الذكورة والسلبية Passivity من ناحية أخرى في هذه القسمة

الثنائية، فيمكن أن تكون له جذور في ميتافيزيقا سانخيا Sankhya القديمة التي نشأ فيها العالم نتيجة لاتحاد بركرنتي-Prak riti(المادة-جنس الأنثى) وبروشا Purusha (أرواح الأفراد-جنس الذكر) التي هي المتفرج السلبي. لكن الخلاص عند «سانخيا» يعتمد علي تخليص الروح من اشتباكها مع المادة، بينما تحاول التانترية Tantricism التغلب على الاستقطاب الجوهري بهذا الإتحاد، وبدون «شاكتي» فإن شيفا يصبح جثة هامدة.

والتانترية هي ديانة تانترا Tantras. وأي قانون كهنوتي لشيفا أو فايشنافا يمكن أن يسمى «تانترا» تميزا له عن شاستراس Shastras الخاصة بالديانة البرهمة أي العلم والقانون، غير أن مصطلح التانترية Tantricism يشير إلى تلك الديانة التي تتألف نصوصها من حوار بين شيفا والربة.. وأتباع التانترا Tantras يسمون في الأعم الأغلب شاكتاس Shaktas مع المتعبدين للربة الكبرى. و«التانترية» بالمعنى الواسع، سمة تتسم بها البوذية في التبت، ولقد تغلغلت عناصر التانترية في مذهب «الجينية» و «الفشينافية Vaishnavism» إلى حد ما. لكن شيفا وزوجته شاكتي هما الإلهان الرئيسان بين التتريين الهندوس.

والعتاد الفلسفي للمذهب التنتري ليس استثناء بين الديانات الهندية، فمعظم أركان الحياة الدينية فيه يمكن أن نجدها كذلك عند الفرق الهندوسية الأخرى. فهناك الترسيم المعتاد الذي يقوم به المعلم الروحي Guru، والاتصال بمنترا Mantra والطقوس الدينية، والصلوات، والتأمل. والملفت للنظر هو درجة تعدد «المانترا» والطقوس الدينية، ومدى تعقد النتيجة التي تترتب على ذلك، ومما يلفت النظر أيضا عملية العكس المنظم والمتعمد للطعام والمحرمات الجنسية في طقوس قلة من الفرق التنترية على نحو ما لاحظنا من قبل عن فرقة الكاباليكاس Kapalikas.

27- مراحل الغبطة القصوى:

يصنف الأشخاص تبعا لكفاءتهم الروحية إلى باشو Pashu (أي الحيوان) وفيرا Vira (أي البطل)، وديفيا Divya (الإلهي)، ولكل كفاءة طريقتها المناسبة، وبعبارة أخرى فإن هذا التصنيف الثلاثي للأشخاص يقابله ثلاث مراحل على طريق بلوغ الغبطة القصوى التي يمر بها المبتدئ على التوالي، فبين الكاولاس Kaulas مثلا عند المرحلة الأولى من مذهب القربان الفيدي تكون

«باكتي Bhakti» الشفناوية، وغنوص Gnosis شيفا على التوالي هما الطريقتين اللتين تحققان التسامي والارتفاع ويعقبها التكريس و«النيسا Nysa» مع الإشارة إلى الجوانب المختلفة من الجسد والنطق بـ «مانترا» الخاصة بالآلهة التي تتمكن بذلك من الدخول في المتعبد بشرط أن يتم هذا باتجاه داخلي نحو العبادة. أما مرحلة البطل فتشمل معظم طرق التانترا المتميزة، وهي التي تسمى بطقوس «الميمات الخمسة» (البانشاماكارا) التي يشارك فيها البطل على التوالي، في الخمر والسمك، واللحوم والحبوب الجافة والمعاشرة الجنسية[46]. وفي المرحلة العليا يصبح السالك الطموح ميتا بالنسبة للعالم ومتناقضاته ومتحررا، رغم استمرار وجوده في الجسد. والواقع أن الطريقة المرموقة في جميع صور مذهب التنزية هي «ليايوجا Laya-yoga».

وتتجه ممارسات الطقوس مثل طقوس الميمات الخمسة إلى الشخص البارع أو المجرب فقط، وهو الذي يسيطر على انفعالاته العنيفة سيطرة حازمة، ولذلك لم تستطع أن تسير عليها سوى قلة محدودة من الفرق يسفون بالأتباع اليساريين، وذلك يميز طرقهم عن العديد من الطرق التنترية والأكثر تقليدية لجناح اليمين[47]، الذي يستبدل رموزا لا ضرر منها بالأشياء المحرمة أو ببساطة يتجاهلها تماما. وتستمد طقوس الطرق اليسارية قوتها من العكس المتعمد للأخلاق المستقرة. والهدف الواضح لطقوس الميمات الخمسة هو الارتفاع بالمتعبد فوق الثناء والذم والخجل والتفاخر بالأسرة والطائفة كخطوة نحو التحرر من القيود التي تعوق المرء عن بلوغ الغبطة القصوى، وفي الوقت نفسه تشهد الطقوس بأن الأخلاق السائدة تمنع بقوة أشياء مثل: الخمر، وتناول أكل اللحوم وكذلك الممارسات الجنسية خارج الزواج الشرعي.

28- فيشنو Vishnu

إن فيشنو بصفة عامة على خلاف شيفا وشاكتي اللذين نجد فيهما باستمرار وجها مرعبا للإله-هو الإله المحسن على الدوام، وهو أشبه بأبوللو بالنسبة لشيفا أو ديونسيوس وهذا يتناسب مع إله ذي أصول شمسية. وهناك إشارات قليلة في «الريج فيدا» إلى تدبير فشنو للكون، لكن هناك نسخة كاملة ذات شكل آخر للحكاية موجودة في برهمانا شاتابات Shatapath Brahmana.

ولقد وافق الاشوراز Asuras على إعطاء أعدائهم من الديفاز Devas

مساحة من الأرض لتقديم القرابين عليها شريطة أن لا تزيد عن المساحة التي يغطيها قزم بجسمه، واختار الآلهة فشنو الذي رقد وانتفخ حتى أصبح يغطي الأرض كلها وبذلك نقلها إلى حوزة الديفاز Devas.

بعد بدايات متواضعة إلى حد ما، احتال فشنو لينمو قوامه حتى يضم في شخصه عبادة العديد من الآلهة المختلفة وتعرّف عليه ملايين كثيرة في الهند بوصفه الإله الأعظم، وتبعا للمأثورات الشعبية الهندية الكلاسيكية فإن فشنو يرقد نائما في المياة الأولى فوق لفات أفعى الكوبرا ذات الألف رأس. ومن سرته تنمو زهرة «لوتس» حاملة براهما الذي خلق العالم، وهنا يتجسد فشنو في شخص الخالق «نارايانا Narayana» وقد اندرجت تحته آلهة أخرى بوصفها (أفاتارا) أو تجسيدات أرضية له.

وتبعا لنظرية الأفاتارا Avatara (تجسد الآلهة) فإن الإله فشنوا اتخذ شكلا أرضيا لكي ينقذ العالم عندما هددت قوى الشر بتدميره. ويمكن بصفة عامة أن نتعرف على عشرة تجسدات هي:

1- السمكة Matsya التي أنقذت مانو Manu (أو الإنسان الأول) والحكماء، والفيدا من الطوفان العظيم.

2- السلحفاة Kurma التي ركب الآلهة فوق ظهرها واستولوا على قمة جبل مندارا Mandara، ومن هناك مخضوا محيط اللبن كيما يستردوا «طعام الآلهة» الذي فقدوه في الطوفان.

3- الخنزير البري Varaha الذي قتل «هيرانيكاشا Hiranyaksha» وأنقذ الأرض من المحيط الكوني الذي ألقاها فيه الشيطان.

4- الإنسان الأسد Narasimha فالشيطان «هيرانيكاشايبو» نال بركة إلهية تجعله لا يقتل في داخل البيت أو خارجه أثناء النهار أو الليل لا بواسطة إله ولا إنسان ولا وحش. واندفع فيشنو من عمود في قصر الشيطان على صورة الإنسان الأسد في الغسق عندما لم يكن ثمة نهار أو ليل وقتل الشيطان على عتبة القصر.

5- القزم Vamana وهو صورة مختلفة من حكاية الفيدا، إذ يظهر القزم أمام الشيطان بالي Bali ويمنح بركة عبور أي مكان في ثلاث خطوات واسعة، فهو لن خطوتين يغطي الأرض والهواء والسماء. وكرما منه أحجم عن أن يخطو الخطوة الثالثة إلي عالم الموتى، وتركه للشيطان بالي.

6- راما صاحب الفأس (أو بارشو راما Parashu Rama) الذي نظف أرض الكشاترية Kshatriyas إحدى وعشرين مرة على التوالي دفاعا عن البراهمة ضد النهب الملكي.

7- راما، ملك أيوذيا Ayodha بطل الرامايانا الذي قتل الشيطان رافانا- Ra vana الذي يقطن سري لانكا.

8- كرشنا (انظر فيما بعد).

9- بوذا Buddha، وربما أضيف إلي هذه التجسدات لكي يجذب العناصر المارقة إلى المذهب الفشنوي.

10- كالكين Kalkin وهو يجسد المستقبل، وقد وصف في صور مختلفة على أنه حصان، أو إنسان برأس حصان، وإنسان يمتطى صهوة حصان أبيض، في يده سيف ملتهب، وسوف يحكم الأرض بالعدل، ويستعيد العصر الذهبي.

وهذه الشخصيات ليس لها أتباع اليوم فيما عدا، راما، وكرشنا، وبوذا. ولم تظهر عبادة راما إلا في عصر الفتوحات الإسلامية. وهو يمثل في «ملحمة الرامايانا» الفروسية الكشائرية والبطولة، أما زوجته الملكة سيتا Sita فتمثل العفة والوفاء، وقد رفعت إلى أعلى مكان ولكنها لم تؤله بعد. هذا إلى أن كرشنا من ناحية أخرى كان موضوع عبادة مبكرة.

29- **كرشنا** Krishna

ابتهج كرشنا وهو طفل بالفكاهات الماجنة، وأدهش الكبار بما حققه من معجزات كثيرة. أما وهو في سن البلوغ فقد كان راعيا للبقر ولهان يعزف على الناي، ويدعو زوجات وبنات المنطقة ليعبث معهن لا سيما «راذا Radha» محبوبته [48]. فلما بلغ مبلغ الرجال أصبح بطلا يذبح خاله أو ابن خاله الملك كمشا Kamsa[49] ملك ماتورا Mathura كما تنبأت النبوءة التي قالت أن كمشا أمر بذبح الأبرياء يوم مولد كرشنا، ولقد حكم كرشنا ماتورا بعض الوقت، لكن التقلبات السياسية أجبرته على أن يقود أتباعه من اليادفا Yadava إلى دفارجا Dvaraka على الساحل الغربي حيث تزوج روكمين Rukmini وأقام مملكته، ولكن المملكة انهارت بعد قليل بسبب عداء مستحكم بين أستين، وقتل ابنه ومات كرشنا نفسه عندما أخطأ صياد كان يهيم حزينا في الغابة وحسبة غزالا فرماه في الكعب، وهو المكان الوحيد الذي يسهل منه إصابته في مقتل.

وتتألف قصة كرشنا من عناصر أضيفت إلى القصة الرئيسية في عصور

مختلفة. ومن مصادر متنوعة. واسمه نفسه يعني «الظلام» أو «السواد» ويوحي بإله بطل للسكان الهنود الأصليين المائلين إلى السواد، ومجموعات قبلية مختلفة ومتميزة تربطه في الحكاية التي تروي عنه. ويظهر كرشنا في البداية كبطل وقاتل لـ «كمشا Kamsa» ومغامراته الشهوانية مع الجوبي Gopisأو «راعيات البقر» تلعب دورا هاما في الأسطورة وفي الأدب الديني في العصور الوسطى فحسب، أما كموضوع للعبادة فلم يولد الطفل كرشنا إلا بعد أن تحدد نضجه وبلوغه.

ويظهر كرشنا في ملحمة «المهاباراتا» كسائق لعربة أرجونا Arjuna في الصراع بين الأخوة. وفي اليوم الأول من المعركة يرفض أرجونا-عندما يرى عددا من أقاربه بين صفوف الأعداء-أن يقاتل أو أن يقترف خطيئة قتل الأخوة، بالغا ما بلغت عدالة القضية. وحواره مع كرشنا الذي اقتنع خلاله بوجوب القتال يسمى بها جافاجيتا Bhagavad Gita (وهي تعني على وجه التقريب «أنشودة المبارك»)، وهي من أوسع الآداب الكلاسيكية انتشارا عند الهندوس، وأوفرها نصيبا من الرعاية والإعزاز[50].

30- ورطة أرجونا:

نشأت حيرة أرجونا، باختصار شديد، من السؤال عن دارما Dharma (وهي الاستقامة، الدين، القانون، الواجب) الذي يأمره بوصفه محاربا أن يقاتل، ولكن يمنعه بوصفه قريبا أن يقتل ذوي قرباه أو عدوه كورفاس Kauravas. وحل الأزمة من زاويتين: فمن ناحية يذكره كرشنا أن من واجبه المقدس بوصفه أحد المقاتلين الكشاترية أن يقاتل دفاعا عن الخير، وأنه من الأفضل في الواقع أن يؤدي المرء واجبه الخاص تجاه الطبقة التي ينتمي إليها ووضعه في الحياة، حتى ولو كان متدينا، بدلا من أن يؤدي الواجب نحو الآخرين، بالغا ما بلغت قيمته، ومن ناحية أخرى بالنسبة لقتل الأقارب، أشار كرشنا إلى أن الروح Atman لا تقتل أبدا، وإنما تطرح الجسد بالموت وتتخذ جسدا جديدا في ميلاد تلو ميلاد. وتحمل الفكرتان معا نظام الطبقة المغلقة نوعا من الالتزام الديني، وتجعلان من تأدية الطبقة لوظائفها وأعرافها واجبا دينيا. لكن هناك مضامين أبعد من ذلك: ألم يكن من الأفضل لأرجونا أن يطرح سلاحه، وأن يترك المجتمع وواجباته ويسعى

لبلوغ الخلاص بأن يحيا حياة الناسك في زهد وسكينة؟ وما دام الفعل يقود إلى التناسخ Karma، فيبدو أن تجنب الفعل هو السبيل الأوفق، ويعلن كرشنا أن هذا صحيح: فأولئك الذين يسعون إلى الخلاص من خلال أفعال تقديم القرابين الفيدية يواصلون التناسخ، بينما يتفوق عليهم أولئك الذين يسعون إلى التحرر عن طريق التأمل الزاهد ونبذ الفعل.

إلى هذا الحد تكون الحجة يوبانشادية، لكننا لو فحصناها عن كثب لوجدنا أن الناسك يخدع نفسه لو تصور أنه قد توقف عن كل فعل (إذا لا بد له أن يواصل التنفس والأكل... إلخ) وعلى ذلك فالامتناع الكامل عن كل فعل لا يمكن أن يتحقق، ومع ذلك يمكن تجنب نتائج الفعل التي تحدث التناسخ المتعاقب عن طريق التخلي عن ثمار الفعل، وذلك بأداء الواجب بنزاهة، لأن الرغبة لا الفعل في حد ذاته Per Se هي الفاعل الذي يربط الروح بهذا العالم الوهمي الفاني. وهكذا فإن رب البيت ليس بحاجة إلى أن يصبح زاهدا ليبلغ درجة التحرر من Samsara(أي دورة الكون والفساد)، بل انه بحاجة فقط إلى نبذ ثمار الفعل، والقيام بواجبه دون أن يبالي بالنتيجة سواء كانت سارة أو ضارة.

تلك هي التعاليم الرئيسية «للجيتا Gita»، والإجابة على حيرة أرجونا. ولكن هناك تعليم أخرى اتفقت إضافتها إلى ما سبق، وهي بالغة الأهمية: إنها تعاليم بختي Bhakti(أو محبة الله)، فمن يعبد الإله كرشنا بروحه كله هو الناسك الأعظم، وأولئك الذين يتأملونه عند الموت يتحدون معه بحيث لا يكون ثمة تناسخ إذا ما وهب الإنسان قلبه كله لله، بل إن الإنسان الشرير إذا ما عبد الإله يصبح مقدسا، وحتى النساء من الفيزيا أو الفايشيا Vaishyas)[51] والشودرا Shudra)[52] يبلغن الخلاص إذا لجأن إلى الله.

3I - الحركة الفشتاوية:

إن ديانة التفاني والمودة هذه التي جذبت إليها النساء وأعضاء الطبقات الدنيا، قد أعلن عنها لأول مرة في الجيتا Gita، ثم كان لها دور طويل ومثمر في تاريخ الهند ومن الأمور التي لها مغزاها أن قديسي فشنوفي «تاميل نادو» من القرن السابع حتى القرن الثاني عشر (الألفار Alvars الاثنى عشر) قد دخل في صفوفهم أعضاء الطوائف الدنيا، وأنهم كتبوا شعرا

صوفيا في تمجيد الإله باللغة العامية، وهي ظاهرة تكررت في شمال الهند تحت حكم سلطنة دلهي والمغول القدامى.

أعطى «رامانوجا Ramanuja» لحركة «بختى فشنو» في جنوب الهند في القرن الحادي عشر أساسها النظري، وقد ذهب المذهب الواحدي لشنكارا العظيم، الذي تبلور في تراث «اليوبانشاد»، إلى أن الروح متحدد في هوية واحدة مع براهمان غير المشخص، وأن العالم هو خدعة أو وهم براهما، ولا يكون واقعيا إلا بالمعنى العملي المشروط. ولم تترك هذه الفلسفة المهيبة أدنى مجال للبختى (محبة الله) إذ أن الروح العظيم عندها ليست مشخصة ولا موضوعا للحب أو التفاني. والروح الفردية جزء منها، بحيث أن معرفة هذه الهوية، لا محبة الله، كان في نظرها وسيلة الخلاص، وقد رجع راماجونا إلى تراث اليوبانشاد ووجد تبريرا للواحدية المشروطة (الفيششتادفينا) التي يكون عندها الروح الأعظم إلها شخصيا محبوبا صدرت عنه المادة والفرد، وإن بقي متميزا عنهما ويعود المرء من خلال (بختي-أو محبة الله) إلى كنف الله، ومع ذلك تحتفظ الروح بهويتها المنفصلة.

ويضفي «رامانوجا» على «البختى» سمات برهمية بأن يحصر ممارستها العملية فيمن ولد مرتين من الطبقات الثلاث كتتويج لمعرفة طقوس الفيدا والفلسفة الفيدانتية. لكنه يضيف طريقة جديدة مفتوحة للجميع، وهي طريقة براباتي-Par apatti أي إلقاء المرء بنفسه تماما بين يدي الله أو التسليم الكامل لإرادة الله. وقد انقسم أتباع «راماتوجا» حول مسألة طبيعة التسليم، وشكلوا من أنفسهم جماعتين: مدرسة الشمال التي تقول إننا نبلغ الخلاص إذا ما تشبهنا بالقردة التي تحمل صغارها ملتصقة ببطنها، أعني أن على الفرد أن يبذل شيئا من الجهد لينال الفضل الإلهي أو النعمة الإلهية. واستخدمت مدرسة الجنوب التشبه بالقطة التي تحمل صغارها من رقابها، أعني أن الفضل الإلهي لا يحتاج إلى جهد بشري.

وقد سار مادهفا Madhva وهو برهمي من القرن الثالث عشر، باللاهوت الفشنوي صراحة إلى الثنائية Dvita فقد ذهب إلى أن فشنو، الأرواح الفردية والعالم المادي متمايزان إلى الأبد، فالأخير يعتمد اعتمادا تاما على إرادة فشنو، والرب ينقذ من يشاء وأن كان لا ينقذ إلا الأنقياء فحسب. أما الإنسان العادي فمصيره إلى التناسخ بغير توقف، والأشرار بطبيعتهم

مصيرهم إلى الظلام الخارجي، ولا يستبعد التأثير المسيحي في نظريات مهاديفا.

وتسمى الفرق الفيشنية المبكرة، التي نسمع عنها بهجافات Bhagavates وأقدم ما نعرفه عنها من نقوش هو الموجود على عمود مرتفع يعلوه جارودا Garuda الطائر الغامض الذي ركبه فشنو ودونه رجل يوناني من أتباع هذه الفرقة اسمه هليودورس Heliodorus وهو سفير مملكة الهند اليونانية «تكسيلا Taxila» لدى الملك شونجا Shunga في شمال الهند في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد ويبدو أن أتباع هذه الفرقة عبدوا فاسود ايفا Vasudeva (كرشنا) وأخاه سنكارشانا Sankarshama، وابنه براديما Pradyumma وحفيده «أمورذا Amurudha» بوصفهم آلهة صدرت عن فشنو. وعلى أية حال فنظرية الصدور هذه بوصفها أقانيم للعقل والروح.. إلخ. كانت السمة التي تميز بها مذهب بنشارتا Pancharatru الذي اتخذ منه «راماجونا» نقطة الانطلاق.

32- آلهة أخرى:

هناك آلهة أخرى لها عبادات خاصة، أو كان لها عبادات خاصة، مثل براهما Brahma الخالق (الذي يتميز عن براهمان Brahman المطلق غير المشخص) الذي كانت له معابد، لبعض الوقت، أنشئت لتكريمه، وأشرفت زوجته سارسفاتي-Sa rasvati على الموسيقى والكلام وعبدها الموسيقيون والكتاب والطلاب الذين يؤدون الامتحانات. وكان الإله سيريا Surya أو الشمس يعبد لبعض الوقت على نطاق واسع في غرب الهند ويقوم على خدمته. «ماجا-براهمين Maga-Brahmins» (المجوس البراهة) الذين يجب الربط بينهم وبين مجوس فارس. أما ابن «شيفا» واسمه «جانشا Gansha» وله رأس فيل، فهو رب العقبات الذي يصلي له الناس في بداية أي مشروع، أو قبل القيام بطقوس دينية، علي الرغم من أنه لم تكن له عبادة خاصة. وهناك ابن آخر لشيفا هو «سكندا Skandu» (كراتيكايا سوبراهمانيا) وكان محبوبا إلى أقصى حد عند «التاميل Tamilnad» حيث اتحد مع الإله «موروهان Muruhan» أحد آلهة الفترة السابقة على وجود الآربيين. أما لاكشمي Lakshmi زوجة فشنو فهي ربة الحظ وهي شخصية شعبية محبوبة، رغم أنها بغير عبادة خاصة. وأما هانومان Hanuman الإله القرد مساعد راما، فهو الروح الحارس الذي يعبده القرويون على نطاق واسع، ولهذا كانت للقردة حماية

واسعة في الهند بوصفها ممثلة لهذا الإله.

33- هندوسية العصر الوسيط:

في القرن الثامن الميلادي، أو القرن الثاني الهجري-امتدت السيطرة العربية حتى وادي نهر السند ونجحت في إقامة منطقة صغيرة مستقلة[53] وفي القرن الحادي عشر الميلادي، القرن الرابع الهجري، عادت الفتوحات الإسلامية بقيادة الأتراك الأسيويين في وسط آسيا، الذين أسسوا، بقيادة عبد عسكري (أي مملوك) هو قطب الدين أيبك، سلطنة لهم في دلهي عام 1206[54]. ومع بداية القرن الخامس عشر كانت السلطنة، قد وضعت معظم جنوب شبه القارة تحت سيطرتها، وسرعان ما انفصل حكام المقاطعات، وأصبحوا قوة مستقلة. وفي القرن السادس عشر أذعنت سلطنة دلهي لحكم صفوة أخرى من العسكريين الأتراك في وسط آسيا هم المغول.

وقفت الهند، لأول مرة في مواجهة غاز لا تستطيع أن تتمثله، فحكامه وطاقمه الإداري الفارسي قد انتهوا إلى تراث خاص بهم ناضج من الناحيتين الثقافية والدينية، كما أنهم أغلقوا على أنفسهم مدنا ذات أسوار عالية، وكان اتصالهم الوحيد بالهندوس-باستثناء حالات قليلة جدا-وملحوظة-من خلال جهاز تحصيل إيرادات الدولة، وهو جهاز بقيت مستوياته الدنيا في يد أبناء البلد، وكذلك من خلال القمع العسكري للعصيان أو التمرد الذي قد يعني رفض الضرائب الباهظة المفروضة عليهم، أو العجز عن دفعها أو المطالبة بتخفيفها. والواقع أن أي تكهن بتبادل مثمر للأفكار قد أصيب بالإحباط، وربما عملت المفاهيم الدينية الأجنبية نفسها للإسلام السني على زيادة عزلة الحاكم عن المحكومين التي فرضوها على أنفسهم. ومع الأيام اعتنق الإسلام أكثر من خمس سكان شبة القارة وهو أمر لا يجوز إرجاعه إلى المؤسسة الرهيبة في سلطنة دلهي، فالحكام المسلمون لم يفكروا قط في وضع خطة لتحويل عقيدة السكان إلى الإسلام، ولم يهتموا بتشجيعه، رغم أنهم أعطوا أنفسهم ما يبرر تخريب المعابد وقمع التمرد بحجة تحطيم الأوثان القديمة ونشر العقيدة الإسلامية.

ولا بد أن يكون التحول إلى الدين الجديد قد جاء من مصدر آخر مختلف أتم الاختلاف، وأعني به صوفية فارس أو الشيوخ الذين جابوا

الريف مبشرين بديانة الحب الصوفي لله، وللبشر، وأقاموا صوامع (أو خلوات) مفتوحة لجميع طبقات المجتمع للعبادة الجماعية والتأمل الصوفي. ولقد ضربت الصوفية على كثير من الأوتار الحساسة عند الهندوسية، لا سيما حركة بختى (محبة الله) في مذهب الفشنية: على ضرورة وجود مرشد (بير-جورو Pir-guru أو الشيخ-المعلم الروحي)[55] والانصياع له، والاقتراب من الله عن طريق الحب والاعتماد على النعمة الإلهية، وأهمية الاستغراق في التأمل، ومراحل الطريق للاتحاد مع الله. وفي الأماكن التي لم يتم فيها التحول الديني (إلى الدين الجديد وهو الإسلام) أثر شيوع الأفكار الإسلامية ورواجها بقوة في الفكر الهندوسي من خلال الصوفية.

34- الاتجاه نحو الوحدانية:

في استطاعتك أن تجد شعرا مسهبا لقديسي «بختى الفشنوين» في هذه الفترة بين أقدم الآداب الشعبية في اللغة القومية لشمال الهند، فقد أنضجوا اتجاهات التراث الهندوسي في المناخ الديني الذي أوجده الإسلام، ولهذا نجد أن كثيرين منهم يهاجمون الأوثان بصراحة، كما يهاجمون العقوبات الدينية الموجودة في نظام الطوائف المغلقة، وفاعلية الطقوس الدينية أيا كان نوعها. ولقد كان عدد كبير من هؤلاء القديسين متواضعين من الناحية الاجتماعية كما أن تعلميهم كان بسيطا، وكانت أداة التعبير عندهم هي الشعر لا الفلسفة النسقية أو المنهجية وكانت ديانتهم هي البختى (محبة الله)(وليس الغنوص Gnosis، فاتجهوا إلى الوحدانية، وإلى الإله الشخصي، لا إلى المطلق غير المشخص، يحدوهم الأمل في الاتحاد بالله وليس مجرد الاستغراق في الألوهية.

وكان رامانندا Ramanda في القرن الرابع عشر شخصية نموذجية لهذه التطورات. ورغم أنه برهمي فقد تحول في شمال الهند ليعظ هناك باللغة القومية كل أنواع البشر وفي كل الأوضاع، وكانت فكرة الموائد المشتركة والعبادات المشتركة بين أتباعه من جميع الطوائف مبتكرة وجرئية. ونحن نجد بين القوائم التقليدية لتلاميذه أسماء حلاق هو «راجبوت Rajput» وآخر صانع جلود، وامرأة، ونساج مسلم، وهذا الأخير اسمه «كابير Kabir» وقد ازدهر في القرن الخامس عشر في الأيام الأخيرة من عصر سلطنة دلهي. ويستبعد أن يكون الاثنان متعاصرين، أما تعاليم كابير، فقد عبر

عنها صاحبها في أبيات قوية من الشعر الهندوسي، وكان لها تأثير كبير، وظلت باقية بين أشياء أخرى محفوظة في كتب السيخ المقدسة وهي الفرقة التي أسسها ناناك Nanak الذي كان شابا يعيش في تلك الفترة، والداديوبتبز Dadupunthis وهي فرقة هندوسية كان زعيمها دادو Dadu منظف قطن مسلم من جوجارات Gujarat في القرن السادس عشر.

لقد وجه كابير انتقادات بالغة العنف للوثنية، وللطقوس الدينية للبراهمة، كما انتقد مميزات المولد (في نظام الطبقات)-وذلك كله يعكس الجانب الإسلامي من تعاليمه، ولقد أمدته الهندوسية بخلفية أفكاره ومعالمها البارزة، كما أن ديانة القلب ضمت الاثنين. ويروى عنه أن أتباعه من الهندوس والمسلمين اعتركوا حول جسده بعد موته وتنازعوا الرأي: أيدفن ذلك الجسد أو يحرق؟ وبينما هم في تنازعهم ذاك رفع أحد الحاضرين الغطاء عن الجثة فإذا بهم لا يرون تحته إلا كومة من الزهور تقاسمها الفريقان، فأحرق الهندوس نصيبهم من ذلك الزهر، ودفن المسلمون نصيبهم. وبقيت حتى اليوم مؤسسات إسلامية وهندوسية تحيى ذكرى «كابير»، أما شعره فهو تراث مشاع بين هنود الشمال، يتخطى الحدود الضيقة للفرق التي ظهرت بعد وفاته. ولقد كان «تلسيداس Tulsidas» في القرن السادس عشر شخصية أخرى بارزة بين الذين يعبدون راما Rama وصياغته «للرمايانا» تشغل مكانة مركزية في أدب الأوراد الهندوسي.

35- مراهقة كرشنا:

وبجانب عبادة راما التي ظهرت لأول مرة في ذلك الوقت تطورت العبادة العتيقة لكرشنا في اتجاهات جديدة، وطوقت العبادتان معا «القيشناوين Vaishnava»[(56)] في شمال الهند. كان العنصر المشترك بينهما هو الميل إلى تفضيل عبادة الإله الأعظم على تجسيد فشنو الذي لم يعد يذكر إلا نادرا. وخلال هذا العمر احتلت مراهقة كرشنا ومداعباته الغرامية مع حالبة البقر، ومع راذا Radha بصفة خاصة، مركز الصدارة وفي منطقة «فرندا فانا Vrindavana» (بريندابان Brindaban) قرب مدينة «مأثورة» التي كانت مسرحا لطفولة كرشنا ومغامراته الغرامية، تلقى أحد البراهمة في أواخر القرن الخامس عشر، وأوائل القرن السادس عشر، أمرا إلهيا من كرشنا

يوجهه إلي إقامة ضريح، وأن يجمع تجسيدات رفاق كرشنا في أيامه الأخيرة لعله يلعب معهم مرة أخرى، وتقوم مدرسة «فالابها Vallabha»[57] بتدريس الفكرة القائلة أن أعلى صور «لبختى» هي صور لا إرادية، وهي تأتي من الله مباشرة. ويتجمع أكثر أعضاء الجماعة تقدما لكي يعيدوا مرة أخرى ألعاب كرشنا. وأتباع «فالا بها» الآن في غرب الهند هم المعلمون الروحيون للفرقة، ولهم سيطرة كبيرة على جمهور المؤمنين.

توطدّت عبادة كرشنا بسرعة كبيرة في شرق الهند خصوصا في البنغال وأحد الأعمال الأدبية للكرشنيين ومن أكثرها رقة هو جيتا جوفيندا Gitagovinda الذي كتبه باللغة السنسكريتية شاعر القرن الثاني عشر «جياديف Jayadeva» ولا يزال أسلوب نظم التراتيل عند شعراء البنغال والميثال اللاحقين هو أساس الغناء الديني عند أتباع «فشنا». أما «كيتانيا Chaitanya» - وقد كان معاصرا لـ «فلابها» فهو نموذج للقديس راعي مذهب فيشنا البنغالي، وينظر إليه أتباعه-على أنه تجسيد لـ «كرشنا». مثله في ذلك مثل «فلابها». ولقد كان المظهر الرئيسي الذي ساد حياته هو جلسات الإنشاد التي كان يعقدها والتي جذب من خلالها الأتباع له ولعبادة كرشنا.

36- الاتحاد بالله:

تستخدم آداب رادها-كرشنا تعبيرات مجازية شهوانية لشرح علاقة البشر بالله، ولتشجع «البختي» (محبة الله) بطريقة الأسرار الصوفية ونشيد الإنشاد في الكتاب المقدس، فها هنا تكون الروح مؤنثه في علاقتها بالله الذي تشتاق إليه، وهي تصف ألم الانفصال عن المحبوب وغبطتها بالاتحاد معه، ويركز «كيتانيا» وأتباعه على الانفصال والأمل في الاتحاد، وهكذا يظل التعبير المجازي مجرب مجاز فحسب. وهناك فرقة أخرى أصغر هي «السهاجيا Sahajiyas» تذهب إلى أن غبطة الاتحاد بالله يمر بها المرء خلال الممارسات الشهوانية، وربما تأثرت في هذا بالتنترية Tantaric وجاءت موازية لحركة «فلابها». أما في «المهارشترا Maharashtra» فتسود عبادة فيتوبا Vithoba(أو عبادة فشنو-كرشنا) وزوجته «روكمينى Rukmini» ونادرا ما نسمع عن عشيقته راذا. ومؤسس هذه العبادة وهو جيننشفارا-Jna Neshvara وخليفتاه نامديف Namdev في القرنين الثالث عشر والرابع عشر،

و«توكارامTukarm»[58]. في القرن السابع عشر، هم أعظم قديسي بختي (محبة الله) المارثيين العظام.

ولقد كان قديسو «مارا» كغيرهم من القديسين في ذلك العصر، يذهبون إلى أن التجربة العليا متاحة لأي إنسان بغض النظر عن طبقته، وأن الخطاة الذين تابوا وأحبوا الله يطهرون أسرهم جميعا، وأن بختي (محبة الله) وحدها هي الطريق إلى الخلاص. ولقد كتب هؤلاء القديسون كذلك، كغيرهم في ذلك العصر، أناشيد دينية فائقة القوة ورائعة الجمال وقد ظلت أساسا للإنشاد الديني في منطقتهم حتى يومنا الراهن.

ومع تطور العصر المغولي انقضت الفترة الخلاقة «لبختي» في شمال الهند، وبحلول القرن الثامن عشر انتهى الإصلاح والتجديد تماما. ولكن في الفترة الأولى من حكم المغول دخلت الهند صور من وحدة الوجود الصوفية جديدة وجريئة. وفي حكم الإمبراطور العظيم أكبر (1556- 1605)[59]، لا سيما في تعاليم حفيده داراشيكو Dara Shikoh بلغ الاتجاه إلى دمج الصوفية الإسلامية في البختي الهندوسي، بل مع الغنوصية اليوبانشادية حدّة الأقصى، فنبه ذلك المسلمين السنة وحذرهم تحذيرا شديدا. وتمثل رد الفعل عند خلفائه من الأباطرة، لا سيما «أورنجزيب»(1658- 1707) [60]، في سيطرة جماعة العلماء Ulama(وهم مجموعة من الباحثين يمكن أن نصفهم بأنهم أساتذة الشريعة) الذين أصبحت لهم الكلمة على نحو لم يحدث أبدا في الماضي. أما في الجانب الهندوسي، فإن القديسيين من شعرا«البختي» جمعوا أتباعا لهم تحولوا تلقائيا إلى تكوين فرق وأصبحوا، مع مرور الوقت، طوائف مغلقة ولا يدهشنا أن يحدث ذلك، لأنه ما أن يضيف أتباع أحد القديسيين العشاء المشترك إلى العبادة الشعبية، وترتيل الأناشيد الدينية، حتى يصبحوا عرضة للطرد من قبل زملائهم في الطبقة، وهم يضطرون إلى البحث بين أعضاء آخرين في فرقهم عن أزواج لبناتهم، وما أن تنعقد موائد العشاء المشترك،. ويتم الزواج المشترك حتى يصبح الفارق بين الفرقة والطبقة بسيطا للغاية. وهكذا أحبط المجتمع الهندوسي بوجه عام إمكان القيام بإصلاح اجتماعي داخل الفرق الدينية، كما أحبطت هذه الفرق نفسها التعاليم المعارضة للطقوس الدينية، والمعارضة للمعتقدات الوثنية التي قال بها مؤسسوها القديسيون وذلك بتطوير طقوس دينية متميزة

تجعل من القديس وأتباعه أو كتاباته موضوعا للتوقير.

37- القومية الهندوسية:

في عصر «أورنجزيب» رفع أمير من مارثا Maratha اسمه شيفاجي Shivaji[61] لواء الدفاع عن الدين والوطن ضد حكام الهند المسلمين. وأنشأ دولة «مارثا» في هضبة الدكن وسرعان ما فتت هذه الدولة من عضد القوة المغولية. وهكذا ظهرت القومية المارثية والقومية الهندوسية في معارضة الوجود الإسلامي. وعلى الرغم من أن دولة «مارثا» أصبحت، في ظل حكامها المتأخرين، تمثل سيطرة مارثا على غير المارثيين سواء من الهندوس أو المسلمين على حد سواء، فقد وضعت سوابق كثيرة للقومية الهندوسية المتأخرة قبل سقوطها تحت السيطرة البريطانية.

38- الهندوسية في العصور الحديثة:

كما تطورت الهندوسية في العصر الوسيط مرتبطة بوجود الدين الإسلامي، وتحت حكم أجنبي، فقد بزغت الهندوسية الحديثة، مع بداية القرن التاسع عشر كرد على وجود البعثات التبشيرية المسيحية، والحكم الإنجليزي. ولا شك أن الطرق الجديدة في العبادة وبرامج البعثات التبشيرية، وبعض التصورات اللاهوتية والأخلاقية للحركات الهندوسية الجديدة، في القرن التاسع عشر، قد استوحت النموذج المسيحي، كما سار الاهتمام الاجتماعي المنظم لهذه الحركات موازيا للشعور الأوربي والنموذج التبشيري. وقد قدم المستشرقون الأوربيون مصدرا خارجيا للتأثير في استعادة ماضي الهند على قواعد علمية.

كان الجواب الهندوسي على هذه المؤثرات وعلى خطر التهديد بالتحول إلى الديانة المسيحية هو محاولة تجاهلها على أنحاء شتى، والقيام بمحاولة لإحياء الهندوسية وبعثها، أو إصلاحها بطرق تناسب حاجات العصر والنظرة الإنسانية في وقت واحد. والحقيقة البارزة في هندوسية القرن التاسع عشر هي أن الإصلاح الجذري للدين ظهر أولا، بينما الحركات التي انتشرت انتشارا واسعا وكانت أكثر صراحة في الدفاع عن الديانة التقليدية، ظهرت في النصف الثاني من القرن تحت الضغط المتزايد للتحديث الذي أثر على

أعداد متزايدة من الهنود. ولعل أعظم أحداث ذلك العصر خطورة هو العصيان الذي حدث عام 1857 وكان شعاره «الدين في خطر». ولقد وقع الدين في القرن العشرين، وحتى استقلال الهند وباكستان، بطريقة لا فكاك منها، في شراك القومية والمشكلات الملتهبة التي تطرحها يوما بعد يوم. وقد ظلت القومية الدينية حية بعد الاستقلال وكذلك ثمار الاحتكاك المبكر، مع الإدارة البريطانية وبعثات التبشير المسيحية وردود الفعل عليها.

39- رام موهون روي: Rammohun Roy

أطلقت الأجيال المتأخرة على رجارام موهن روى (1772- 1833)[62] بحق لق «أب الهند الحديثة». فقد كان رجلا مرموقا، في عصر رجال مرموقين. درس الفارسية، والعربية ليكون في خدمة الحكام المغول، كما واصل الدراسة الدينية باللغة السنسكريتية، وأتقن اللغة الإنجليزية إتقانا تاما أثناء عمله في خدمة شركة الهند الشرقية، وعندما ظهر اهتمامه بالمسيحية تعلم اللغتين العبرية واليونانية من.، إرساليات سرامبور Serampore قرب كلكتا.

لم تكن علاقات «رام موهون روى» بالإرساليات ودية على الدوام، فقد تعاون معهم بعض الوقت في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغتين البنغالية والسنسكريتية. غير أن كتابه مبادئ «يسوع: مرشد للسلام والسعادة» الذي نشره عام 1820 وامتدح فيه التعاليم الأخلاقية للمسيح، قد أغضبهم برفضه لعقيدة التثليث ودفاعه عن الهندوسية، ضد الهجمات الجاهلة وغير اللائقة التي كان يشنها عليها الصحفيون المسيحيون. قدم «رام موهون روي» دعما قويا للعديد من إجراءات الإصلاح الاجتماعي التي كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالمفاهيم الدينية، كتحريم عادة دفن الأرملة Sutte، وإدخال التعليم باللغة الإنجليزية وهما إجراءان تما في حياته، ويدينان بالكثير لجهوده، فضلا عن أنه أثر في تنفيذ العديد من الإصلاحات الأخرى التي ألح على المطالبة بها.

وفي عام 1828 كون رامهون جمعية «براهمو-سماج»[63] من مجموعة من مثقفي البنغال كانت تجتمع أسبوعيا لقراءة «اليوبانشاد» وتلاوة المواعظ والأناشيد والتراتيل الدينية ولا تختلف في صورتها عن الخدمات الدينية البروتستانية، وما كان لهذه الجماعة أن تستمر طويلا بعد وفاة مؤسسها في برستون عام 1833، لو لم يعد تنظيمها دابندرانات طاغور عام 1843[64]،

وهو ابن أحد الأعضاء الأثرياء المتميزين. ولقد أصبح للجماعة، تحت قيادته، طابع «تأليهي» مختلف عن الفرق الأخرى، كما أسس مدرسة للتبشير «ببراهما» بدأت الآن تجذب أعضاء جددا بأعداد وفيرة. أما تحت القيادة الساحرة لرئيسها الثالث «كيشاب شادراسن Keshab Chadrasen»[65] فقد وصلت الجماعة إلى الذروة ثم بدأت تنحدر، ذلك لأن كيشاب راح يبشر عام 1879 بشريعة جديدة زعم أنه تلقاها من الله لتتويج الشرائع القديمة لليهودية والمسيحية والإسلام، وبذلك أحدث انقساما داخل الجماعة.

وفي الوقت الذي تأسست فيه «جمعية براهما» أو براهمو سماج ظهرت حركات مماثلة في الساحل الآخر من المدن الرئيسية في الهند البريطانية، مدراس وبومباي، انضم الكثير منها إلى التراث كما بقي اتحادها حيا بعد الانقسام الذي حدث بين صفوف «جماعة الشريعة الجديدة».

40- أريا سماج[66] AryaSamaj

كانت «أريا سماج» في أصولها وتوجهها أقل نصيبا من الحضارة المدنية من جماعة «براهمو-سماج». وقد تأسست هذه الجمعية عام 1875 على يد متسول ديني هو «ديننداا سارسفتي Dayananda Sarasvati»[67] الذي كان من أتباع شيفا منذ ميلاده في «جوجارت Gujarat» على الجانب الغربي من الهند. واتخذ ديننداا شعارا «العودة إلى الفيدا»، ويتضمن هذا الشعار رفض عبادة الأوثان، ونظام الطبقات المغلقة الذي كان مزدهرا في ذلك الوقت. وكان الشعار يستهدف الإصلاح الديني فسمح لجميع الطوائف في المجتمع الهندي بدراسة الفيدا، وهي التي كانت حتى ذلك الوقت حكرا على المولودين مرتين. وفضلا عن ذلك فقد وقفت هذه الجمعية في صف التكنولوجيا العلمية لصالح الهند، واستطاعت بتفسير خاص للنصوص أن تعثر على خطوط السكك الحديدية والتلغراف في ثنايا النصوص القديمة. كما أن الحركة الدينية التي قامت في العصر الحديث لحماية البقرة كانت. من ناحية أخرى، مستمدة من «ديننداا» وإن ظلت موضوعا سياسيا قابلا للانفجار. أما الاتجاه السائد في تعاليم «ديننداا» فهو الإصلاح الديني للهندوسية، والدفاع عنها دفاعا شرسا ضد من يهاجمونها، وتقوية الهند بتزويدها بالتكنولوجيا الحديثة، ورفض السيطرة الغربية في الفكر والدين

والتقاليد، وعلى الأقل ضمنا في السياسة أيضا.

إذا كان ديننددا قد جمع بين التحديث والتقليد، فإن راما كريشنا برامهمسا Ramakrishna Paramahamsa (1834- 1886) كان نموذجا نمطيا لقديس العصر الوسيط. فهو بنغالي غير متعلم عاش في معبد الإلهة كالي Kali في كلكتا، وكثيرا ما راح في غيبوبة خلال تعبده وتأمله للإلهة. وقد ظل في إحدى المرات في غيبوبة لا تنقطع حوالي ستة أشهر، ولم ينقذه من الموت جوعا سوى رفاقه الذين أدخلوا الطعام في جوفه بالقوة خلال فترات وعيه المحدودة. وقد مر بتجارب روحية صوفية سواء كان موضوع تأمله هو الأم الكبرى أو سيتا Sita، أو كرشنا أو محمد أو يسوع ومن هنا ذهب في تعاليمه إلى القول بصحة جميع الأديان.

عاشت هذه الشخصية البسيطة حياة زهد وتقشف متطرف مستخدما في أحاديثه الأمثال البسيطة الساذجة. وسرعان ما جذب اهتمام عدد من المتعلمين والمصلحين من علية القوم في كلكتا لاسيما «البراهمة» وذلك من خلال «كيشاب شاندراسين» -الذين نظروا إليه بإعجاب شديد. التقى به، ذات مرة، شاب متشكك اسمه «نارندرا نات داتا Narendra Nath Datta» فلم يلبث أن غادره وقد تحول إلى العقيدة الجديدة وأصبح ناسكا باسم «سوامي فيفيكاانندا Swami Vi-vekananda»[68] وأسس إرسالية «راما كرشنا» للتبشير التي ساهم رهبانها في الأعمال الخيرية والبحث العلمي ونشروا تعاليم أستاذهم في جميع أنحاء الهند، كما كان لها مراكز في أوربا وأمريكا.

41- لا بد من تعاون الهند والغرب:

بذل «فيفيكاانندا» من الجهد أكثر مما بذل أي شخص آخر في سبيل ذيوع الهندوسية في الغرب، كما عمل في الوقت نفسه على تجديد صورتها بين المثقفين في الهند وذلك أثناء حضوره في عام 1893 لاجتماع برلمان الديانات في شيكاغو. ولقد قضى السنوات الأربع التالية في أمريكا في تعليم مجموعة من المعجبين، وعندما عاد إلى الهند ببعض التلاميذ الغربيين عُد في الحال بطلا قوميا. ويعتقد «فيفيكاانندا» أن من واجب الهند أن تتعلم العلم من الغرب، وأن الغرب يجب عليه أن يتعلم الجوانب الروحية من الهند لكي يتغلب على ماديته، وقد كان لهذه الأفكار تأثير واسع المدى.

ومادمنا نتحدث عن انخراط الهندوسية في الحركة القومية الهندية، فلا بد أن نشير إلى دور الثيوصوفية Theosophy[69]-وهي حركة وصلت إلى الهند عام 1879 بعد أربع سنوات من تأسيسها في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، ولقد تبنت الثيوصوفية فكرة تناسخ الأرواح أو الكرما Karma كل كما قال بها«أساتذتها القدامى» ودافعت عن الهندوسية، وبوذية «سري لانكا» ضد نقادها الأوربيين. وبعد موت مؤسسة الجمعية الثيوصوفية «مدام بلافتسكي»[70] في نهاية القرن التاسع عشر، انخطرت الثيوصوفية على نحو مباشر أكثر من ذي قبل في السياسة القومية تحت زعامة آني بزنط Annie Besant[71] التي أصبحت عام 1917 رئيسة المؤتمر الوطني الهندي.

لم يلجأ أول جيل من القوميين الهنود صراحة إلى الدين في نشاطهم السياسي، فقد كانوا رجالا لهم وضعهم ومكانتهم وكانوا في حياتهم الخاصة ذوي نزعة إنسانية ومتدينين في الغالب، وسعوا إلى الإصلاح الاجتماعي وإلى قيام حكومة مسؤولة، كما تطلعوا إلى قيام حكومة مستقلة استقلالا ذاتيا داخل الإمبراطورية البريطانية، من هؤلاء القوميين جوبال كرشنال جوكهال Gopal Krishna Gokhal الذي عمل في المجلس التشريعي في بومباي، ثم في المجلس التشريعي الهندي. وأسس «جمعية خدام المجتمع» الهندي عام 1905 لتدريب ومؤازرة العمال الذين وهبوا أنفسهم لحياة البساطة وللنهضة الاجتماعية العملية، وكان أعظم هؤلاء «الخدام» شهرة شاب اسمه موهنداس كراماشاند غاندي (1869- 1948).

42- الفوضى والاغتيالات:

في العقد الأول من القرن العشرين طفا على السطح انقسام سياسي حاد خصوصا في معارضة تجزئة البنغال إلى منطقتين واحدة للمسلمين وأخرى للهندوس عام 1905 تحت قيادة «لورد كيرزن Lord Curzon»[72]، وأصبحت مسألة طرد البريطانيين واجبا مقدسا في هذا الصراع مما أدى إلى الفوضى والاغتيالات كانت الهندوسية قد اندمجت مع القومية. وعلى الرغم من أن هذا الخليط المؤثر الفعال أحدث شغبا يكفي لإعادة توحيد البنغال المنقسم بالقوة عام 1961 فقد أسهم كذلك في تجزئة ثانية عام 1948 عندما انفصلت باكستان عن الهند، وهكذا دفع التوحيديين القومية

والهندوسية بالعلاقات بين المسلمين والهندوس إلى أقصى حد من العداء. كان للقومية الهندوسية كذلك مناطق ومقاطعات غلبت عليها النعرات المحلية والإقليمية لاسيما البنغال التي كانت تحميها «الإلهة الأم»، وفي دولة بومباي حيث كان بال جانجادهر تيلاك Bal Gargadher Tilak(1856-1920) يقيم احتفالات سنوية على شرف جانيشا Ganesha، وهي احتفالات تزامنت مع احتفال المسلمين «بالشهر الحرام» وبشفاجي بطل ماراثا الذي أحيا «تيلاك» ذكراه كرمز للقومية الهندوسية للشعب الماراثي. ولقد حملت شروح تيلاك على «الباجفادجيتا Bhagavad Gita» رسالة تقول إن العمل السياسي كان من تعاليم كرشنا، كما تضمنت القول بأن للعنف في تدعيم هذا العمل أهمية مقدسة.

كان القادة الثلاثة العظام للهندوسية في النصف الأول من القرن العشرين هم «المتطرف السابق أوربندو جوز Aurobindo Ghose(1872-1950) والمعتدل رابندرانات طاغور (1861-1941) والقيام بدور الوساطة بين هذين القطبين هو «المهاتما غاندي» (1869- 1948) وقد كانت حياة جوز، ودوره كقومي متطرف، إبان اضطرابات الانقسام الأول حول البنغال حياة قصيرة، وبعد أن أفرج عنه وخرج من السجن هجر العمل السياسي، وأسس صومعة دينية للنساك في مقاطعة بوندشيري Pondichery-وكانت آنذاك مقاطعة فرنسية- وأصبح معلما روحيا لعدد كبير من الأتباع الذين أطلقوا عليه لقب سرى أوربندو Sri Aurobindo. أما رايندرانات طاغور فلم يكن رجل سياسة على الإطلاق، وإنما كان أعظم شعراء البنغال على الإطلاق، ونال جائزة نوبل في الآداب عام 1913، وقد ولد في أسرة براهمة مشهورة وعرف بتدينه العميق وثقافته العالية ونظرته المستنيرة الواسعة الأفق. ولقد حذر«طاغور» في كتاباته ومحاضراته من أخطار النزعة القومية التي بدأت تنتشر في العالم، ولم يقبل تصور غاندي لها إذ بدا له هذا التصور تعبيرا عن الخوف المرضي من الأجانب، فضلا عن تخلفه ورجعيته.

43- مهاتما غاندي:

كان المهاتما غاندي مختلفا أشد ما يكون الاختلاف عن طاغور، فبساطة حياته والتجاؤه إلى الدين حركا الجماهير، كما أن كراهيته للعنف ورغبته في جعل الإصلاح والنهضة الأخلاقية جانبا تكميليا لحركة التحرر زادت

نضاله شرفا ونبلا. اعتقد غاندي مثل تلاك Tilak-أن «البجفاد جيتا» تعلمنا أن الدين حياة ذات فعل هادف. لكنه على خلاف «تلاك» رفض العنف وجاء بفكرة «الأهمسا»[73]، ليستخدمها في الحياة السياسية. ولقد أحرجت طريقته في اللاعنف وعدم التعاون-القادة الإنجليز إحراجا لا مثيل له. كما جعلت سيطرته الفعلية على المؤتمر القومي الهندي-بعد وفاة تيلاك-مهندس الاستقلال الهندي. والواقع أن فكر غاندي يعود، بصور مختلفة إلى ثورو[74]، ورسكن[75]، وتولستوي[76]، وإن كان معظمه يعتمد على مذهبي «الفشنا» و«الجينية» اللذين أخذهما من موطنه الأصلي جوجارات Gujarat. لقد كان فعالا ونشطا في مسألة الذين لا يجوز لمسهم (أي الطبقات الدنيا في الهند) وهم الذين أطلق عليهم اسم «هاريجان Harijan» أي أطفال الله، وعمل على تحريرهم من العجز الاجتماعي، كما ساند بفكره حماية البقرة، وحظر الحرمات، واستخدام اللغة الهندوسية بوصفها لغة قومية. وكانت رؤية غاندي للهند هي رؤيته لبلد تتألف من مجموعة من القرى المكتفية بنفسها، لا تلوثها شرور الصناعة الحديثة، إنما تغزل قطنها بنفسها، وتنسج منه ملابسها، وتوفر غذاءها بجهدها وتعيش في وفاق ووئام وقناعة. وكان النجاح الذي حققه هو قيام جمهورية هندية مستقلة.

ولقد سعى خليفته أكاريا فينوبابهاف (توفي عام1982) إلى التوسع في رؤية غاندي بمحاولة إقناع القرويين والأغنياء من ملاك الأراضي بالتعاون على رعاية أراضيهم والعمل فيها، والاشتراك في التمتع بمحصولها معا (وهو ما سمي بام بهودان Bhudan أو «سياسة منحة الأرض») ولقد نجح في تخصيص حوالي أربعة ملايين فدان تزرع على هذا النحو وكانت الخطة التي وضعها أقرب إلى شيوعية القرية، مع إحلال المحبة والإقناع القائم على أساس أخلاقي محل الصراع الطبقي.

حزن غاندي حزنا عميقا بسبب العداوة بين المسلمين والهندوس وما نتج عنها من تجزئة ساعدت النزعة القومية الهندوسية على تغذيتها فأضرب عن الطعام وأعلن الصيام، وقام بأعمال المصالحة ليثوب المتعادون إلى رشدهم، وفي 30 يناير عام 1948 اغتاله هندوسي من القوميين المرثيين، ولكن التيارات العميقة التي أثارها «تيلاك» واصلت التأثير في بعض فرق الهندوس ولا يحتمل أن يزول تأثيرها بسرعة.

طيف الهندوسية:

لا يزال طيف الهندوسية يرى حتى اليوم في الهند على الرغم من أن الفرق التي لم تمسها المؤثرات الحديثة عددها قليل، ومعظم هذه الفرق قد فتح مدارس، وحقق النصوص المهملة وقام بطبعها ونشرها، وأدخل الإصلاحات على نظام الكهنة، وإدارة المعابد وممارساتها، وأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن الديانة وأعمال التبشير. وتقف مؤسسة «راماكرشنا» التبشيرية شاهدا وممثلا للهندوسية اللبرالية الحديثة، ومع ذلك فما تزال توجد بجانبها نظم وفرق أقدم منها تحافظ على خصائصها التقليدية. أما ما يكشف عنه المستقبل فذلك شيء لا يعرفه سوى نبي. وإن كان تفكك نظام الطبقات المغلقة سيغير الهندوسية تغييرا عميقا، وبطرق لا يعلمها إلا الله وحده. وفي استطاعة المذهب الإنساني اللاأدري، على المدى البعيد، أن يخفض للغاية من عدد أعضائها (أي الهندوسية)، ولكن سجل تاريخها الطويل في الماضي يقول إن فرصها في البقاء لا تزال جيدة.

7 "مذهب السيخ Sikhism"

السيخ، على نحو ما نعرفهم اليوم، هم حصيلة ثلاثة عناصر أولية: أولا: النظام الديني الذي علمه للناس المعلم الروحي ناناك Nanak في البنجاب خلال العقود المبكرة من القرن السادس عشر ثانيا: بنية المجتمع في البنجاب لا سيما المجتمع الريفي البنجابي ثالثا: حقبة التاريخ البنجابي التي تمتد من زمن المعلم الروحي «ناناك» حتى يومنا الراهن. ولا يمكننا أن نفهم السيخ بغير الإشارة إلى هذه العناصر الثلاثة مجتمعة. لقد أضافت الأنماط الاجتماعية وضغط الظروف التاريخية إلى القاعدة الأساسية التي أقامتها تعاليم المعلم ناناك-معتقدات وأعرافا وسلوكا اجتماعيا، شكلّت جميعها طريقا متميزا في الحياة. كما وجد هذا المجتمع تعبيرا دينيا متماسكا في المذهب الذي عرف عند السيخ أنفسهم باسم الجورمات Gurmat والذي عرف عند الغرب باسم مذهب السيخ.

ولا بد لنا أن نسوق هنا كلمة تحذير قبل أن نقوم بأية محاولة لوصف هذا المذهب: فمن الأهمية بمكان ألا نحدد الخطوط بدقة مبالغ فيها، لأن التقسيمات الواضحة الحادة سوف تكون مضفلة في فهم الطبيعة الحقة لديانة السيخ ومجتمعهم.

ولا شك أن هناك منطقة للعقيدة وللطقوس يتميز بها السيخ غير أن الحدود الأبعد من ذلك لمذهبهم تلقى ظلالا لا تدركها العين في المدى الفسيح للتراث الديني في شمال الهند. ويتضح ذلك لأول وهلة من الناحية الاجتماعية حيث نجد خيوطا طبقية، مشتركة تجري أفقيا خلال مجتمعي الهندوس والسيخ، ويصدق الأمر نفسه من الناحية العقائدية.

بيد أن مناطق المعتقدات والممارسات المشتركة، لا ينبغي أن تعمل على الخلط بين التميزات وتشويشها، فمذهب السيخ لا يتوحد تماما مع التراث الهندوسي، ولا يتميز تماما عنه. وثمة مقياس للتوحد يعتد به ويمكن أن نجده في مقدمات فكر المعلم ناناك في القبول العام لتصورات مثل عقيدة التناسخ، وفي مراعاة أعراف مرتبطة بها ارتباطا وثيقا. أما التميزات فنجدها في رفض بعض المواصفات الهندوسية العامة مثل الدلالة الدينية لتقسيمات الطبقات المغلقة، وفي عقيدة الأخوة بين السيخ أو «الخلسا Khalsa»[1]، وإصرار السيخ أنفسهم على التميز.

١ - حياة المعلم ناناك:

تتوافر مادة غزيرة حول حياة المعلم الروحي «ناناك»، ولا تزال أعظم أشكال النثر البنجابي شعبية حتى الآن في القرن العشرين هي تلك التي تسمى «جنام ساخي Janam-Sakhi» أي «شواهد الميلاد» للمعلم، غير أن شواهد الميلاد هذه إنما هي أقرب إلى سير حياة القديسين، وروايات تفيض بالورع وتضفي المثالية على «ناناك» ولكنها لا تنقل لنا إلا النزر اليسير عن حياته الفعلية ولا نستطيع من هذه الكتابات ومن الإشارات العارضة في كتب أخرى. إلا أن نعيد كتابة موجز بسيط.

ولد المعلم الروحي ناناك Nanak عام ١٤٦٩م، والمكان الحقيقي الذي ولد فيه موضع خلاف، ولكن لا يمكن أن يكون هناك شك في أن والديه ينتميان إلى قرية تلفاندي Talvandi التي تبعد أربعين ميلا جنوب غربي «لاهور»، وتعرف الآن باسم ننكانا-صاحب Nankana-Sahib. ولقد قضى ناناك طفولته، وشبابه في هذه القرية ولم يتركها إلا بعد أن تزوج وأنجب غلامين.

ثم انتقل ناناك، وهو لا يزال شابا، إلى مدينة «سلطانبور Sultanpur» وهناك دخل في خدمة «النواب» المحلي. وفي أواخر عام ١٥٠٠ غادر هذه

المدينة وتبنى حياة الزهاد المتجولين. ويصف كتاب «شواهد الميلاد»، تنقلاته وصفا مسهبا، ولكنه لا يقدم إلا أقل القليل مما يمكن الاعتماد عليه. ومن الواضح على كل حال أن المعلم لا بد أن يكون قد أنفق عدة سنوات وهو يتجول داخل الهند بهذه الطريقة. ومن الممكن أن تكون تنقلاته وأسفاره قد ذهبت به إلى مسافات نائية خارج حدود الهند.

ويتضح من الإشارات التي ذكرها في كتبه أنه شهد جانبا من غزوات إمبراطور المغول بابير Babur، كما يبدو أن سفرياته توقفت، إبان غزوات بابير Babur، وأن شخصا ما تبرع له بقطعة أرض تقع على ضفاف نهر رافي Ravi فأقام عليها قريته المسماة «كارتربور Kartur pur». ومن الواضح أنه قضى معظم سنوات حياته المتبقية في هذه القرية إلى أن مات هناك قرب نهاية العقد الرابع من القرن السادس عشر حوالي شهر سبتمبر 1539.

2- مقدمات فكر المعلم ناناك:

تعرض تعاليم المعلم الروحي «ناناك»، في العادة، على أنها مزيج ملفق من تراث الهندوس وإيران المسلمين، وتلك مبالغة مسرفة في التبسيط ينبغي رفضها رفضا تاما حين يعبر عنها بأنها «خليط من الهندوسية والإسلام». صحيح أن تعاليم «ناناك» تمثل بالفعل مركبا، غير أن العناصر التي يتألف منها هذا المركب لا يمكن تعريفها أبدا بأنها جمع بين الهندوسية والإسلام، مهما يكن هذا التعريف مرنا فضفاضا.

لقد كان المركب الذي عبر عنه المعلم «ناناك»، مثل هذا التعبير الواضح، مذهبا System تطورت عناصره الجوهرية من قبل. فقد وجدت على عهده مجموعة متنوعة من الإيمان الديني يشار إليها الآن باسم «نرجونا سمبراديا- Nirguna Sam pradaye» أو باسم «تراث سانت Sant Traditin» للهند الشمالية، وكان «كابير Kabir» هو أعظم شراح هذا التراث قبل ناناك. ويتم الخلط في العادة بين هذا التراث وبين تراث «فشنافا بختي Vaisnava Bhakti» (المخصص لعبادة تجسيدات فشنو) ولا شك أن الأخير تقدم بعض المكونات الرئيسية «لتراث سانت» لكن الاثنين ليسا شيئا واحدا على الإطلاق.

لقد أضيفت إلى تراث فشنافا، عنصر أساسي، رغم تغيير شكله من عناصر اليوجا التنترية Tantric Yoga، بجانب قدر ضئيل من تأثير التصوف

(الصوفية الإسلامية). وكانت النتيجة نمطا من الإيمان يؤكد أهمية الخصائص الفشنافية Vais nava في عبادة المحبة، ولكنه يختلف عن «الفشنافية بختى» في نقاط هامة. فقد رفضت نظرية الأفتار Avatar (التجسيد) الإلهي، واستخفت بعبادة الأصنام وذكرت أهمية التمسك بدقة بالعبادة الباطنية، وأعلن أن هذا النمط من التأمل الباطني ليس هو الطريق السهل للبختى التقليدية، وإنما هو طريق ضيق لا يمكن أن يأمل في السير عليه سوى القلة.

كان هذا المركب هو الذي ورثه المعلم «ناناك»، ونقله إلى أتباعه، لكن هذا الاعتراف ينبغي ألا يوحي بأن تعاليم «ناناك» تنقصها الأصالة أو أنها لا تمثل نقطة تحول جديدة. إذ الواقع أن أصالة المعلم «ناناك» تكمن في طرحه الجديد لمركب «سانت» على ضوء خبرته وبصيرته الخاصة، وفي عبقريته في تعبيره عنه بجمال ووضوح.

3- تعاليم المعلم ناناك:

مع بداية أول مؤلف تم تسجيله من كتب السيخ المقدسة نجد الرقم «١» الذي يمثل وحدانية الله، وهو مفهوم فسره المعلم «ناناك» تفسيرا واحديا. فالله عند المعلم «ناناك» شخصي وواحد، وهو الخالق، المفارق المتعالي الذي يجب أن يرتبط به ارتباطا وثيقا أولئك الذين يبحثون عن الخلاص. وهذا السعي من أجل الخلاص هو الذي يهم «ناناك» الذي يكرر القول بأن طريق الخلاص هو الذي يشكل فحوى تعاليمه.

ويعبر المعلم «ناناك» عن فهمه لله بعدد من المصطلحات المكررة من قبل. المصطلح الأول هو نرنكر Nirankar أي «مالا شكل له» ومن أبرز ما يوصف به الله أنه هو «الواحد الذي لا شكل له». والصفة الثانية لله هي أكالAkal أي «الأزلي»، والثالثة هي الخ Alakh أي «مالا يوصف». وهناك تأكيد خاص على أهمية هذه الصفة الأخيرة. ولقد استخدم المعلم كلمات لا حصر لها للتعبير عنها: فكيف يمكن للمرء أن يعرف الله؟ الجواب الأول للمعلم «ناناك» أن المرء لا يستطيع أن يعرف الله، لأن الله في تمامه يجاوز كثيرا فهم الموجودات الفانية.

غير أن هناك إجابة ثانية تقول: إذ كان الله في تمامه «لا يمكن معرفته» فليس عدم إمكان معرفته «تماما»، ذلك لأنه أيضا هو إله النعمة الذي بعث بوحي يمكن للإنسان العادي محدود العقل فهمه، وهو الوحي الذي يتجلى

في الخلق. فالله «حاضر في كل مكان» (ساراب فياباك Sarab Viapak)، وهو محايث في كل مخلوقاته، ويمكن لعين الشخص اليقظ روحيا أن تراه في كل مكان. ولهذا الوحي العام بؤرة مركزية معينة هي القلب البشري. ولا بد للمرء أن يكون قادرا على الرؤية بعينه الخارجية، ولا بد له كذلك، أولها، أن يكون قادرا على الرؤية بعينه الداخلية. ولا بد للتأمل أن يتم في الباطن، وسوف تتاح للشخص المتأمل بهذه الطريقة استنارة تدريجية تؤدي في النهاية إلى الخلاص. وللوحي المتجلي في الخلق أهمية بالغة عند المعلم «ناناك» إذ يمكن عند هذه النقطة أن يتم الاتصال بين الله وبين الموجودات البشرية. ولا يمكن لطريق الخلاص الذي يهبه الله أن يوجد إلا إذا فهم هذا الاستبصار وطبق بصرامة.

4- طريق الخلاص:

إن العقبة الرئيسية التي تعوق عملية السعي إلى الخلاص هي الوضع البشري، فالناس في ضلالهم واقعون في عبودية العالم، لأن ولاءهم للعالم ولقيمه، وهذا التعلق بالعالم يسجنهم داخل دورة تناسخ لا نهاية لها من الميلاد والموت.

إن العدو العظيم هو «المايا ـMaya» (اللاواقع) (اللاواقع)[2]، و«المايا» عند المعلم ناناك لا تعني نظرية عن اللاواقعية المطلقة عن العالم ذاته، بل هي بالأحرى عن لا واقعية القيم التي تمثلها. أن العالم يقدم كيفيات يقبلها الناس على أنها خيرة ومرغوبة في آن معا، مع أنها وهم «وخداع» وأولئك الذين يقبلون العالم على هذا النحو، ويسعون بالتالي إلى تحقيق الخلاص عن طريق التعلق بالقيم الدنيوية هم ضحايا «المايا»، ضحايا الوهم الذي يصور لهم أن هذه التعلقات، إن لم تكن هي الحقيقة في ذاتها، فهي على الأقل ليست معادية للحقيقة. ونتيجة هذا التعلق أو الولع بالعالم هي التناسخ أو عذاب الموت بعد الموت، بدلا من الفرح الأزلي بالرؤية السعيدة، ذلك لأن مصير الضال الذي لا يتوب ولا يندم هو الانفصال الدائم عن الله.

إن وضع الضال(الجاحد) وضع يائس، ولكنه لا يعدم الأمل. ذلك لأن الله بفضله ونعمته قد كشف عن نفسه في خلقه، ويمكننا أن نظفر بالخلاص عندما نحوز على هذا الكشف. والمصطلحات الرئيسية التي يستخدمها

ناناك ليعبر بها عن هذا الكشف الإلهي هي: نام Nam، سهاباد Shabad، وجورو Guru وحكام Hukani وأول مصطلحين، وهما Nam «اسم الإلهي» و Shabad الكلمة الإلهية-مترادفان، وكل مصطلح منهما يصلح لتلخيص الكشف أو التجلي الإلهي في شموله. وكل ما يقال عن الله هو جانب من الاسم الإلهي أو الكلمة الإلهية. لكن الناس، في حالة الضلال وعدم التوبة، تفشل في إدراك تجليات الحضور الإلهي. وهذه التجليات هي التي يوضحها لهم المعلم الروحي Guru(المصطلح الثالث)، أو المرشد الإلهي الذي يدل في استخدام ناناك على صوت الله الذي ينطق بطريقة غامضة داخل الجانب الباطن من فهم الساعي اليقظ المتهيئ للخلاص.

أما لفظ حكام Hukam أو النظام الإلهي، فهو يعبر عن طبيعة الكشف الإلهي أو التجلي. ويتحتم على الناس أن تفهم النظام الإلهي للكون، ماديا ونفسيا، وأن تكافح لكي تصل بأنفسها إلى الانسجام معه، وبلوغ هذا الانسجام معناه الخلاص.

5- نظام العبادات:

لكي يحقق الساعي إلى الخلاص هذه الغاية عليه أن يدخل في نظام للعبادة، وأن يثابر على تطبيقه بانتظام حتى يبلغ الانسجام النهائي. وهذا النظام كما أوضحه ناناك لا علاقة له بالشعائر الخارجية: كطقوس المعبد أو صلاة المسجد أو الحج أو الزهد. إن المقصد الوحيد المقبول للحج «والبيت الوحيد الذي يمكن قبوله للعبادة هو القلب البشري الذي ينطق فيه المعلم الروحي بالكلمة الإلهية».

والمصطلح الذي يستخدم، في الغالب، للتعبير عن النظام الذي يعلمه المعلم «ناناك» هونام سمرام Nam-Simram (تذكر الاسم الإلهي). وقد كان التكرار الآلي لكلمة معينة أو لمقطع من كلمة مقدسة يعني ممارسة محددة للعبادة، لكن المعنى الذي يضيفه المعلم ناناك إلى المصطلح يتجاوز ذلك بكثير. فهناك أولا إصرار على الجانب الباطني المطلق للنظام. ثم توسع في الكلمة الواحدة لتصبح نظرية متطورة عن التأمل.

وحتى هذا التأمل لا يكفي وصفا للممارسة، فالمثل الأعلى هو التعرض الكامل لكيان المرء أمام الاسم الإلهي، والتطابق الشامل لكل ما يكونه المرء ويعمله مع النظام الإلهي الذي يجد التعبير عنه في الاسم الإلهي.

6- النمو في اتجاه الله:

ونتيجة التطبيق المنظم لمصطلح «تذكر اسم الله» (نام سيمران) هو النمو نحو الله، والنمو في الله. وهي عملية متدرجة شبهها المعلم ناناك بسلسلة من المراحل الصاعدة، وخامس هذه المراحل وآخرها هي المسماة «عالم الحقيقة» (ساخ كهاند Sach Khand) وهي الإتمام النهائي أو الإنجاز الأخير حيث تجد الروح اتحادها الصوفي بالله. وفي هذا الوضع الذي تشعر فيه بسعادة لا يمكن وصفها تتنسخ أغلال التناسخ وتبلغ الروح مرحلة الإنعتاق المطلق باندماجها في الله.

7- أول خلفاء المعلم ناناك:

عين المعلم ناناك قبل وفاته تلميذا يخلفه وانعقد لواء القيادة في الجماعة الجديدة لأكثر من قرن ونصف قرن لسلسلة من المعلمين الروحيين. وانتهت هذه السلسلة بموت المعلم العاشر وهو «جوبند سنج Gobind Singh» عام 1708. وكان أتباع المعلم يسمون في البداية «ناناك بانتيز Nanak-panthis» (المتحدون مع ناناك) ثم سرعان ما حملوا اسم «السيخ» Sikh وهي كلمة تعني بالمعنى الحرفي «المتعلم» أو «التلميذ».

لم تكن لفترة المعلم الثاني،«أنجا Angad» أية أهمية نسبيا، ولكن بعض التطورات الهامة طبعت عهد خليفته المباشر المعلم «عمار داس Amar-Das» ففي خلال عهده نجد علامات لا يخطئها البصر على مجموعة دينية متحررة من الأتباع تتبلور في جماعة متميزة، والظاهر أن تأكيدات المعلم «ناناك» قد انحصرت تقريبا في السعي إلى الخلاص وأساليب الحصول عليه. ومن الواضح أن «المعلم أنجاد» قد حافظ على هذه التأكيدات، ولكن في عصر المعلم «عمار داس» تزايد الشعور بالحاجة إلى قدر أكبر من التماسك، ولقد لبى المعلم «عمار» هذه الحاجة بإقامة احتفالات متميزة للميلاد، والزواج والموت، وبتأسيس نظام مبدئي للرقابة الرعوية (وهو نظام مانجى Manji) وحددت ثلاثة احتفالات هندوسية باعتبارها كذلك احتفالات للسيخ، كما أن إقامة المعلم في مدينة جوندفال Goindval جعل من المدينة مركزا لحج السيخ.

وهناك عامل آخر له أهمية أولية ويبدو أنه ظهر في عهد المعلم «عمار» وذلك هو الأساس الريفي لتطور جماعة السيخ، فالمعلمون الروحيون أنفسهم كانوا جميعا ينتمون إلى طائفة الخاتري Khatri المتمركزة في المدينة (والتي

تشتغل بالتجارة والإدارة والكهانة) وكان كثير من تلاميذ المعلمين الروحيين (الجورو) من «الخاترية». ولكن خلال الفترة نفسها بدأ اتباعهم القادمون من «جاتز Jats» أو المناطق الزراعية يتزايدون، وفي النهاية صارت الغلبة للفلاحين داخل الجماعة. وعند هذه النقطة أصبحت سيادة النماذج الاجتماعية الريفية لا سيما النماذج الثقافية المتميزة للمزارعين واضحة للغاية، ولقد كانت التطورات السياسية والعسكرية التي جرت بعد ذلك داخل الجماعة، في جانب منها استجابة لهذه العوامل الأساسية، ووجدت هذه التطورات إبان القرن الثامن عشر التعبير النظري عنها في معتقدات السيخ المتطورة.

أما المعلم «عمار داس» فقد خلفه زوج ابنته «رام داس Ram-Das» مؤسس مدينة «عمرستار Amristan»، وقد خلفه هو نفسه أصغر أبنائه «أرجان Arjan». وسار هذا التسلسل في خط ذكور أسرة معينة (هي سوذي خاتري Sodhi Khatri) فكان جميع المعلمين الذين تولوا الخلافة من نسل هؤلاء المعلمين الثلاثة. أما فترة المعلم «أرجان» فكانت هامة لسببين: فالمعلم أرجان هو المسئول عن جمع كتاب مقدس بعينه وهو المسمى (آدي جرانت Adi-Granth أو جرانت صاحب-Grant Sahib) وفي عهده لفت تزايد قوة الحركة أنظار السلطات المغولية المتنمرة لأول مرة. وفي خلال حكم الإمبراطور «جهانكير» قبض على المعلم الروحي أرجان ومات في السجن عام 1606[3].

8- التورط السياسي والعسكري:

كان مطلع القرن السابع عشر هو حقبة الرجعة النقشبندية[4] في الهند المغولية التي تصدت للقوة المتنامية لجماعة السيخ، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى اهتمام رسمي متزايد بهم، وتدهور مناظر في العلاقات بين معلمي السيخ والدولة. وكان موت المعلم الروحي أرجان، ووقوع سلسلة صغيرة من ثلاث مناوشات مع القوات المغولية-هي الأسباب التي دفعت المعلم الروحي السادس «هاروجوبند Hargobind» إلى ممارسة قدر من السلطة السياسية والعسكرية، وبذلك طرأت على جماعة السيخ تغيرات هامة في الاتجاه السياسي والعسكري، ولكن هذه التغيرات لم تكن على حساب التخلي عن النظام الديني الذي وضعه المعلم الأول. ولقد أدت التغيرات التي جاءت نتيجة لزيادة التورط العسكري والسياسي للجماعة-إلى توسعات ذات مغزى

في مذهب السيخ، وإن لم تؤد إلى تخليه عن أسسه الأصلية.

وتجدد الصراع بين السيخ والسلطات المغولية خلال فترة تولي المعلم التاسع تيغ بهادر Teg Bahadur ثم تزايدت شدته خلال فترة المعلم العاشر والأخير «جوبند سنغ Gobind Singh»[5]-وفي فترة هذا المعلم الأخير امتد الصراع أيضا إلى أمراء Rajahs تلال شفاليك، وهي مشهورة بسيادة الإلهة شاكتي Shakti وتصورات القوة المرتبطة بها، ولقد قضى المعلم جوبند سنغ معظم حياته في هذه المنطقة كما اتخذ داخل إطار هذه الأحداث قرارات بالغة الخطورة.

٩- «الخلسا Khalsa»[6]

كان قرار المعلم الروحي «جوبند سنغ» نتيجة واضحة لاقتناعه بأن أتباعه يحتاجون إلى تنظيم أكثر قوة ورسوخا، وكان من بين القرارات التي اتخذها تأسيس الخلسا Khalsa عام ١٦٩٩. وأفضل وصف للخلسا هو أنها نظام من الأخوة-تندمج فيه الواجبات الدينية والعسكرية مع الواجبات الاجتماعية في نظام واحد، ونحن لا نعرف ماذا حدث بالضبط عند تأسيس هذا النظام بالفعل في عام ١٩٦٩، وإن كانت بعض الكتابات المتأخرة تسهب في وصف الاحتفال. لكن ليس لذلك سوى أهمية ثانوية، أما الأهمية الأولى فهي أن جماعة الخلسا أو الأخوة في القرن الثامن عشر، أصبحت بالنسبة لمجتمع السيخ هي بؤرة الحاجات والمثل العليا والطموحات التي تطورت سريعا خلال ذلك القرن.

وكان القرن الثامن عشر المضطرب بالنسبة لجماعة السيخ حقبة تميزت باتساع الآمال والتوقعات، فقوة المغول في البنجاب تنهار تحت تأثير الضربات المتلاحقة من قائد جماعة السيخ «بندابهار BandaBahadur» (توفي عام ١٧١٦) ومن نادر شاه في فارس، وأحمد شاه عبد الله الأفغانستاني، وتحت وقع هذه الضربات المتلاحقة، تداعت قوة المغول في النهاية، وقامت على حكامها القوة العسكرية للسيخ، وظهر السيخ في أواسط القرن كجماعة مهلهلة من المحاربين غير النظاميين تسمى «مسلس Misls». وقرب نهاية القرن تمكن واحد من قادتهم اسمه «رانجت سنغ Ranjit Singh» من السيطرة الشاملة على الفرق الأخرى، وأسس مملكة للسيخ شملت معظم البنجاب.

وخلال هذا القرن المضطرب الممتد من عام ١٦٩٩ حتى ظهور «رانجت

سنج» وقع التحول الرئيسي، فمن الأحداث الأساسية التي تعزى لهذه الفترة ظهور مصطلح السيخ Sikhism ودخول جماعة السيخ في هذه الفترة بتنظيم مهلهل ونظام بدائي ثم خروجها منه بتنظيم محكم ونظام متميز للخلسا Khalsa (أو نظام الأبرار).

ومن السمات الرئيسية في هذا النظام ظهور عدد من المحرمات وبخاصة تحريم «تدخين الغليون» والإصرار على الالتزام «بالكافات» الخمس[7] وهي: 1- كيش Kesh أي عدم قص الشعر. 2- وكانجا Kangha مشط لتصفيف الشعر. 3- وكيربان Kirpan خنجر أو مدية. 4- وكارا Kara سوار من الصلب أو خلخال من الفولاذ. 5- والكاخ Kachh سروال قصير لا يتجاوز تحت الركبة. ولم يكن لبس العمامة مطلوبا بصراحة، لكنه أصبح ضروريا بعد الإصرار على عدم قص الشعر. وعلى جميع السيخ الذكور الذين انتظموا في جماعة الخلسا (الأبرار) أن يحملوا اسم سنغ Singh[8] واسم كور Kaur في حالة النساء. أما السيخ الذين تطهروا «بالخلسا» وانضموا إليها ثم هجروا طقوسها، فأولئك يشير إليهم إخوانهم أعضاء الجماعة على أنهم باتت Patit (أي الساقطين). والآخرون الذين لم يتطهروا قط وإن أعلنوا أنهم من أتباع المعلم يسمون «السيخ بطيء التبني».

أما إلى أي حد كانت هذه التطورات قائمة في نية المعلم الروحي «جوبند سنغ»، فذلك موضوع لم يسبر غوره بعمق، ولا شك في وجود سمات معينة قام هو نفسه بإذاعتها ونشرها، ولكن لا شك أيضا في أن هناك سمات أخرى ظهرت استجابة للأحداث التي وقعت عقب وفاته. وقد أصبح النموذج واضحا مع نهاية القرن الثامن عشر، وسيطر منذ ذلك الوقت على تاريخ السيخ وديانتهم. وكان هناك عدد كبير من «بطيء التبني» الذين يدعون أنهم من السيخ دون أن يقبلوا الانضمام إلى نظام «الخلساء». غير أن المثل الأعلى للخلسا قد زعم منذ ذلك الحين أنه هو الصورة الحقة للإيمان عند السيخ.

15- كتب السيخ المقدسة:

هناك مجموعتان من الكتابات التي ترتفع إلى مرتبة الكتب المقدسة لجماعة السيخ، رغم أن إحدى هاتين المجموعتين واسمها «آدى جرانت Adi-Granth» هي التي تتمتع بوضع تشريعي لا خلاف عليه، أما الأخرى

اللاحقة لها «داسام جرانت Dasam-Granth» فلها أهمية متميزة.

والمجموعة الأولى آدى جرانت Adi-Granth والاسم يعني حرفيا المجلد الأول، جمعت خلال عامي 1603 و1604) بواسطة المعلم الروحي «أرجان Arjan» ويستخدم المعلم الروحي في هذه المجموعة تصنيفا آخر كان قد تم إعداده في فترة مبكرة تلبية لوصية المعلم «عمار داس» ثم أضاف إليه مؤلفاته الخاصة ومؤلفات والده المعلم «رام داس»، وبعد ذلك لم تضم للمجموعة سوى أعمال قليلة أضافها المعلم الروحي «تاج بها دوره»، ثم اكتمل التشريع أثناء فترة المعلم الروحي «جوبند سنغ» أو بعدها بقليل. وفضلا عن ترنيمات المعلمين، فقد أضيف عدد من مؤلفات شخصيات مبكرة في «تراث سانت Sant». وقد اشتهر من بينهم كابير Kabir، ونامديف Namdev، ورافيداس Ravidas، كما أضيفت مجموعة من المقاطع الشعرية المزدوجة (الكوبلية أو الدويت) تعزى إلى الشيخ فريد الباك بتاني Pak Pattan. ويصنف المجلد كله تبعا للوزن الشعري (راج) وداخل كل وزن أو بحر تقسيمات فرعية أخرى تبعا للمؤلف ووفقا لحجم القصيدة. ومعظم المادة تتألف من الترانيم التي استخدمها المعلمون من قبل في إرشادهم الديني، وهي كلها-تقريبا-مكتوبة بلغة «سانت بهاشا» Sant Bhasha وهي لغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بكل من اللغتين الهندوسية والبنجابية. كما أنها لغة استخدمها أصحاب الديانة الشعبية على نطاق واسع في أواخر العصر الوسيط في شمال الهند كلغة مشتركة عامة والنص المكتوب هو «جرميخي Gurmukhi» الذي لا يستخدمه اليوم إلا أهل البنجاب.

ويمثل الوضع الحالي لـ «آدي جرانت Adi-Granth» (أي المجلد الأول)-الوضع الأخير في تطور عقيدة السيخ على يد «الجورو» أو المعلمين الروحيين. فقد كان المعلم الروحي في التراث الهندي معلما إنسانيا على الأصالة، ثم أصبح في «تراث سانت Sant» وعند ناناك Nanak هو صوت الرب أو كلمة الله، وسرعان ما تحول دوره داخل جماعة السيخ إلى الرجال الذين قدموا التعبير المعتمد عن تلك الكلمة الإلهية، وهكذا اكتسب مرة أخرى مفهوما شخصيا. ولقد أعلن المعلم الروحي «جوبند سنغ» قبل وفاته كما يقول تراث السيخ أن خط الجورو (المعلم الروحي) الشخصي قد انتهى، وأن وظائفه تتمثل في جانبين معا هما جانب الجماعة المتماسكة وجانب الكتب المقدسة.

ويبدو أن هذا التفسير قد استمر فترة من الزمن، لأننا نجد عنه إشارات قبل المعلم «جوبند سنغ» كما أن الفراغ فن القيادة (أو الفراغ القيادي) الذي أعقب موته شجع تشجيعا قويا على إيجاد صيغة محددة لهذا المذهب. غير أنه لا يمكن أن يكون ثمة شك في أنه اكتسب أهمية أساسية إبان القرن الثامن عشر، ومع ظهور «رانجيت سنغ Ranjit Singh» أهمل جانب الجماعة المتماسكة وارتفع جانب الكتاب المقدس فاحتل مكانة السلطة المطلقة التي احتفظ بها منذ ذلك الوقت. ونحن نجد لـ «آدي جرانت» (أو المجلد الأول) دلالة مركزية مطلقة في الحياة اليومية للسيخ المؤمنين، وفي احتفالات السيخ جميعا حيث يعرف بصفة عامة باسم «جورو جرانت صاحب Guru Granth Sahib».

وفي مقابل ذلك نجد أن رفيقه الذي جاء بعده لا يقرأ إلا قليلا في يومنا الراهن. ولقد جمع هذا الرفيق وهو «داسام جرانت Dasam-Granth» في القرن الثامن عشر من أعمال متنوعة تنتسب إلى المعلم «جوبند سنغ»، وظهرت صحة هذه النسبة في بضع مؤلفات قليلة، لكن الجانب الأكبر من المجموعة يتألف من حكايات هندوسية، وروايات عن حيل النساء، ولا يمكن أن يكون مما كتبه هذا المعلم. غير أن أهمية «داسام جرانت» الخاصة تكمن في الشهادة التي تقدمها عن المثل العليا عند السيخ في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما ترجع كذلك إلى أنها مصدر ذو قيمة كبرى لتاريخ السيخ في هذه الفترة.

١١- عبادة السيخ:

تعبر العبادة المنتظمة للسيخي المخلص عن نفسها في ثلاثة طقوس:

أولا: التلاوة اليومية لفقرات معينة من كتاب العلم «جرانت صاحب» خصوصا الجابجي Japji للمعلم ناناك الذي ينبغي تلاوته من الذاكرة بعد النهوض من النوم والاغتسال مباشرة. ثانيا: الطقوس اليومية للأسرة رغم أنها ليست عامة على الإطلاق فتتجمع كثير من الأسر كل صباح ومعهم نصوص المعلم «جرانت صاحب» ويقرؤون فقرات يتم اختيارها عشوائيا. ثالثا: هناك لقاء مع الأسرة الأكبر وهي أسرة الخلسا (الأخوة الأبرار) في الجوردوارا Gurdwara[9] أو المعبد.

ومنذ أيام المعلم الروحي ناناك و«الجوردوارا»-أو البناء المناظر له-يشغل مكانة ذات أهمية ملحوظة في حياة جماعة السيخ. ونمط العبادة المتبع في

«الجوردوارا» يعتمد أساسا على إنشاد فقرات من نصوص «المعلم جرانت صاحب». وعندما يدخل السيخي هذا البناء لأول مرة فإنه يتجه نحو الكتاب المقدس وهو الجورو جرانت صاحب، ويلمس الأرض بجبهته ويقدم قربانا. وفي أوقات معينة يشترك جميع الحاضرين في تلاوة الأرداس Ardas أي صلاة السيخ، وهي شكل معين من الابتهالات للنعمة الإلهية، وتذكر الآلام الماضية التي مرت بها الجماعة وكذلك أمجادها. وقد نشأت هذه الصلاة إبان القرن الثامن عشر ولم يطرأ عليها منذ ذلك التاريخ سوى تعديلات عرضية طفيفة، وهى تختتم بالإشارة إلى «جورو جرانب صاحب» بوصفها التجلي الجسدي للمعلم، بالإعلان الشهير بأن: «الخلسا سوف تحكم»! («راج كاريجا خالسا Raj Karega Khalsa»).

12- السيخ اليوم:

يبلغ تعداد السيخ الذين يعيشون اليوم في الهند حوالي 12 مليون نسمة، و هم يمثلون بنسبة 3٪ من سكان البلاد، وحوالي 90٪ من هذا العدد الإجمالي يعيشون في مقاطعة البنجاب التي تركت للهند بناء على تقسيم عام 1947(أعني المنطقة التي تشمل الآن ولاية البنجاب Punjab وهارايانا Harayana)، وحوالي 4٪ يعيشون في المنطقة المتاخمة لشمال راجستان ودلهي، ولا يبقى سوى 6٪ فقط ينتشرون في بقية أنحاء الهند. ولقد هاجر عدد كبير منهم إلى بلاد أخرى، ولكن لا تتوافر لدينا إحصاءات عن عدد هؤلاء المهاجرين.

لم ترجح كفة السيخ العددية في أي مكان من الهند فهم حتى في ولاية البنجاب يشكلون حوالي 50٪ من السكان، وإن كان لهم تأثير كبير يزيد عن حجم تعدادهم لا داخل ولاية البنجاب وحدها، بل كذلك داخل ميادين واسعة من الحياة الهندية. وهذا التأثير يشمل القوات المسلحة، والنقل والمواصلات، والنشاط السياسي، والنشاط الرياضي. وتنعم جماعة السيخ أيضا بوضع اقتصادي ممتاز نسبيا، وهم يبلغون في التعليم درجة أعلى من المتوسط في كل أنحاء الهند. وهناك أسباب متعددة يمكن أن تفسر هذا الوضع المميز وأحد هذه الأسباب وأكثرها أهمية، هو أن الغالبية العظمى من السيخ يعيشون في مناطق عالية الخصوبة. وقد تحالفت البيئة مع وسائل التقنية الزراعية المتقدمة فأنتجت الكفاية الاقتصادية وجلبت في

حالات كثيرة رخاء ملموسا إلى طبقة المزارعين من السيخ الجاتJat[10].
وليس في عقيدة السيخ أو إيمانهم ما يعوق هذا التقدم، بل إن تحررهم بصفة عامة من العادات والتقاليد المعوقة قد أعطاهم على العكس من ذلك ميزة كبرى لم يتوانوا عن استغلالها. أما طائفتا الخاتري Khatri والأرورا Arora (وهما من الطوائف الدنيا في المدنية) فهما تنعمان كذلك بقدر وافر من النجاح الاقتصادي في الصناعة والحرف والمهن المختلفة. ويمكن أن نفسر ذلك من ناحية، بأنه يرجع إلى المهارة التجارية الموروثة، كما يرجع، من ناحية أخرى، إلى تأكيد السيخ على أهمية التعليم. والسيخ في أيامنا هذه هم وحدهم الذين ينتمون إلى الجماعات المنبوذة التي تعاني من عدم الأمان الاقتصادي الواسع النطاق، وإن كان وضعهم، بصفة عامة، أفضل من وضع الهندوس أو الطبقات المسيحية المقهورة. وقد ظلت العلاقات المتواصلة بين السيخ والهندوس، عموما، علاقات صداقة وزواج متبادل عبر خط حدود الطبقات المغلقة-وهي علاقات ليست مجهولة على الإطلاق. صحيح أن قادة السيخ يعلنون بين الحين والحين عن وجود نوايا سيئة عند الهندوس، غير أن هذه التصريحات تكون عادة لأغراض سياسية ولا تؤثر في العلاقات إلا قليلا. غير أن خلافا أكثر خطورة نشب في مجتمع البنجاب أدى إلى تصدع الجماعة والإنشاق بين «الجات Jats» (الفلاحين والمزارعين) وبين بعض الطبقات المدنية. ولقد كان هذا الخلاف في أساسه خلافا اقتصاديا كما كان ارتباطه بالتميزات الدينية ثانويا. ومن أهم مظاهر تحرر السيخ من العادات والتقاليد المعوقة استعدادهم للهجرة إلى بلاد أخرى. ويمكن أن نجد السيخ اليوم في كل ركن من أركان المعمورة، لا سيما في المملكة المتحدة، وشرق أفريقيا وماليزيا، والساحل الغربي لكندا، والولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان عدد كبير من المهاجرين الهنود الذين جاءوا إلى المملكة المتحدة من السيخ، وفي إنجلترا اليوم خمسون جوردوارا Gurdiwara (معبدا للسيخ). أما القول بأن عددا كبيرا من هؤلاء المهاجرين أصبح من الصعب التعرف عليهم بوصفهم أعضاء في مذهب السيخ، فإنه يشير إلى لون من ألوان القلق الذي تعاني منه هذه الجماعة. ولقد أظهرت السنوات الأخيرة استعدادا لدى شباب السيخ للتخلي عن الرموز الخارجية لعقيدتهم عندما يعيشون خارج الهند، بل إننا نجد علامات مميزة لهذا الاتجاه داخل البنجاب نفسها.

8 البوذية Buddhism

إن ما أصبح معروفا اليوم في الغرب باسم مذهب البوذية، بالمماثلة مع غيره من المذاهب-يعرف في موطنه في آسيا باسم بوذا-ساسانا Buddha-Sasana أعني طريقة حياة، أو نظام «الواحد المتيقظ» وهو البوذا. وهو يعرف أيضا باسم «بوذا- داهما Buddha-Dhamma»، وتعني في هذا السياق-بقدر ما يمكن أن يكون المعنى الإنجليزي مؤديا لكلمة «داهما-الحقيقة الخالدة» للواحد المتيقظ، وهذه الترجمة بالطبع ملتبسة الدلالة وغامضة. ويتمثل الغموض والالتباس في المصطلح الأصلي أو بالأحرى في كثرة معانيه، فالحقيقة الخالدة «للواحد المتيقظ» تعني في آن معا الحقيقة التي تدور حول واقعة «المتيقظ»، وكون هذه اليقظة ممكنة. وكذلك الحقيقة التي يعلنها ذلك الشخص الذي ينظر إليه على أنه المتيقظ، على نحو أصيل، ألا وهو «بوذا» أو جوتاما Gautama الذي عاش في شمالي الهند في القرن السادس قبل الميلاد.

ولا بد هنا من شرح بسيط يساعدنا على تجنب الخلط حول تنوع الأسماء والألقاب التي عرف بها هذا الرجل على مر التاريخ. فكما عُرف كاتب المسرح الإنجليزي في عصر الملكة إليزابيث باسم

«شكسبير» فكذلك عرف هذا الرجل باسم «جوتاما»، إذ كان هذا هو اسم عائلته، أما اسمه الشخصي فهو «سدهاتا» (وفي اللغة السنسكريتية سدهارتا) وكانت أسرته من عشيرة جمهورية تدّعي أنها من أصل نبيل وعريق، وهي عشيرة سكياس Sakyas، ولذلك كان اللقب الذي عُرف به سدهارتا هو لقب حكيم سكياس أو سكياموني Sakyamuni. وهناك أسماء وألقاب أخرى تطلق عليه في الكتب المقدسة البوذية، مثل «التتاجاتا Tathagata»[1]، ومعناها غامض، لكن أفضل اسم هو الذي عرف به عموما في الغرب وهو «بوذا Buddha». ولكن هذا ليس اسما شخصيا، ولا بد أن يكون القارئ قد تحقق من ذلك الآن، ولا ينبغي أن يستخدم على أنه اسم شخص. فالواقع أن بوذا-طبقا للتراث البوذي-قد ظهر من وقت لآخر طوال التاريخ البشري، وسوف يواصل الظهور على هذا النحو كلما فقد الناس معرفة الداهما Dhamma وتوقفوا تماما عن ممارسة «الساسانا Sasana»، ويحدث هذا حسب مصطلحاتهم التقليدية تقريبا كل 5,000 سنة.

ويسجل التراث البوذي أسماء ما لا يقل عن 24 بوذيا سبقوا بوذا جوتاما وليس هناك دليل على وجودهم كشخصيات تاريخية، وإنما وجودهم مؤكد «كحقيقة تجلت» وأعلنها بوذا جوتاما. وهكذا يتصور التراث البوذي فترة زمنية تقدر بمائة وعشرين ألف سنة سبقت العصر الذي عاش فيه «جوتاما» في القرن السادس قبل الميلاد، غير أن هذه كلها ليست سوى أرقام رمزية.

إن قياس الزمن عند الرجل البوذي، وفي الفكر الهندي عموما، شاسع جدا، إذا ما قورن بمقاييس التاريخ الغربي، فهو يرتد في الماضي ارتدادا لا أول له، ويمتد إلى الأمام امتدادا لا نهاية له. ومسار زمان الساعة ليست له دلالة أولية، رغم أنه ليس بغير دلالة على الإطلاق، فإذا أمكننا أن نقول زمان الساعة أفقي الأبعاد يمتد من الحاضر إلى الأمام وإلى الخلف، فإن البعد الذي له مغزى مطلق عند الرجل البوذي، هو بعد رأسي أو عمودي. إنه يهتم بما حدث في هذا البعد داخل مسار الزمن المتقدم، ويرى من الضروري بصفة خاصة أن نوقظ في الناس بعض الوعي بهذا البعد مهما يكن هذا الوعي معتما، لأنه سوف يؤدي إلى حالة اليقظة أو إلى عالم آخر من الوجود، غير أن في ذلك استباقا لما ينبغي أن نقوله حول تعاليم جوتاما بوذا، ولهذا يتعين علينا أولا أن نقول كلمة عن حياته وتجاربه.

١ - حياة جوتاما:

إن ما نعرفه عن حياة بوذا يقوم أساسا على شواهد من نصوص الشريعة، وأكثر هذه النصوص اتساعا وشمولا هي التي كتبت بلغة بالي Pali، وهي إحدى لغات الهند القديمة. وتشكل هذه النصوص شريعة الكتب المقدسة لمدرسة ترافادا Theravada (البوذيون الترافيديون) في «سري لانكا» و«بورما» وتايلند، وكامبوتشا، ولاوس، رغم أن البوذيين من مدرسة ماهاينا Mahayana البوذية في الصين وكوريا واليابان ينظرون إليها كذلك باحترام (وسوف نعالج فيما بعد الفروق بين هذين النمطين من مدارس البوذية). وتقدّم لنا نصوص «بال» كذلك شهادة على الظروف العامة للحياة الاجتماعية والدينية والسياسية في شمال الهند في فترة مبكرة من التاريخ البوذي، وهي شهادة أيدت بعض جوانبها المكتشفات الأثرية في المنطقة.

كان البوذا جوتاما وفقا لما يقوله التراث-ابنا لأحد قادة قبيلة سكيا Sakya التي كان موطنها مدينة على تلال الهملايا تسمى كابيلافاستو Kapilavastu، وتقع في الإقليم الذي يعرف اليوم باسم نيبال. فها هنا في التلال الواقعة أسفل جبال الهملايا نشأ الشاب سدهاتا Siddhatta وقضى فترة رجولته المبكرة، وتزوج وأنجب ابنا هو «راهولا Rahula». وبدأ سدهاتا ينشغل ويقلق-ولا يزل ابنه طفلا-بمشكلات أزلية مثل: لماذا يولد الإنسان؟ هل يولد فقط ليعاني المرض، ثم تنهكه الشيخوخة وفي النهاية يموت؟

وتروي النصوص كيف التقى، على التوالي، برجل يعذبه المرض، ثم برجل في آخر مراحل الوهن والشيخوخة، ثم بجثة محمولة إلى مكان المحرقة، ومن خلفها يسير الحزانى من الأقارب والأصدقاء.-وبينما هو يتفكر في هذه الوقائع، وكيف أن هذا هو مصير كل إنسان، إذ رأى شخصا رابعا هو رجل مقدس حليق الرأس، جوّال متدين، وواحد من الذين نذروا أنفسهم للسعي إلى حياة الزهد، لكي يعثروا على طريق للتحرر من عبث الحياة الظاهر.

وهؤلاء الرجال المتدينون الجوالون هم الذين يعرفون باسم «الشرماينيين Shramanas»، ولم يكونوا ظاهرة غريبة على الهند القديمة. وهكذا تحول «سدهاتا» إلى هذه الحياة، حياة الزاهد المتجول، آملا أن يجد حلا لمشكلات الوجود البشري.

2- القادة الدينيون في الهند في القرن السادس قبل الميلاد:

كثيرا ما يصور هؤلاء الشرمان Shramanas أو المتجولون المتدينون في صورة مخالفة للشخصيات الدينية الرئيسة الأخرى في الهند في ذلك العصر، وأعني بهم البراهمة Brahmins، أو الكهنة، إذ يقوم الشرمان، في الأعم الأغلب، بتعليم بعض العقائد الدينية والنظريات الفلسفية، وهي عقائد متنوعة ومختلفة كانت تجعل الشرمان ينشغلون بالمجادلات الدينية، ولكن الشيء الذي كان يوحد بينهم عموما هو أنهم يمثلون بدائل للمذهب البرهمي وطقوس التضحية والقرابين. ولما كان نظام القرابين الذي يترأسه البراهمة معقدا ومكلفا فإنه لم يقدم الكثير مما يلائم رب البيت العادي، أو المزارع أو صغار التجار. ولهذا كان هؤلاء ينجذبون بقوة إلى تعاليم الشرمان، وكان الدافع المسيطر على معتقداتهم المختلفة هي فكرة التحرر من متاعب الحياة، وذلك في أغلب الأحيان عن طريق التنظيم الصارم أو الزهد.

انضم «سدهاتا» إلى جماعة من النساك أو الزهاد، وظل فترة من الوقت يعمل بجدية تامة جاهدا في السعي وراء الحقيقة الروحية بمنهج الزهد، وأخيرا وجد أنه لم يتقدم كثيرا في سعيه على الرغم من أن نظام الزهد الذي اتبعه بلغ من الصرامة حدا جعله «جلدا على عظم»، واقترب به كثيرا من الموت، فقرر أن ما يبحث عنه لا يمكن الوصول إليه عن هذا الطريق، ولا عن أي طريق آخر من الطرق التي يمثلها القادة الدينيون المعاصرون له.

3- الصحوة:

ترك «سدهاتا» الزهاد، ومضى في حال سبيله حتى وصل إلى ضفة نهر جايا Gaya، وهو رافد يصب في وسط نهر الكنج، وجلس تحت شجرة البو Bo-Tree، وهناك بدأ في التأمل الجاد على طريقة الرجال المقدسين في الهند، عازما على أن يظل في تأمله على هذا النحو حتى يصل إلى الاستنارة التي يسعى إليها. ويخبرنا التراث كيف هاجمه الشيطان مارا Mara وبناته الثلاث، وكيف حاولوا بحيلهم المختلفة أن يجعلوه يحيد عن تحقيق هدفه في أن يصبح بوذا (أي المستنير)، غير أن جهودهم كلها ذهبت هباء[2]. وبعد ليلة من الصراع الروحي أمكنه أن يتغلب على جميع العوامل الشريرة التي

تربط الناس، في رأي البوذية، بهذا العالم الفاني الناقص-وهكذا استيقظ بوذا ودخل في نطاق الوجود الأزلي المتعالي.

ويوضح التراث أنه كان باستطاعته عند هذه النقطة أن يظل هكذا، دون أن ينشغل أو يهتم بالعالم الفاني الزائل، لكن بوذا رحمة منه، وشفقة على جماهير الجنس البشري-طرح هذا الإمكان لكي يكرس نفسه خلال الفترة الزمانية الباقية من حياته الفانية لإعلان الدهاما Dhama أو الحقيقة الأزلية التي أيقظته[3].

ومن ثم ظل في تأمله لمدة أسبوع واحد آخر، ثم لبث فترة يتجول جيئة وذهابا في المنطقة المجاورة لشجرة «البو»[4]. وخلال هذه الفترة عاد إليه الشيطان «مارا» من جديد وحثه-وقد أصبح الآن بوذا-أن يهجر عالم الفانين هذا، ويستمتع بغبطة النبانا nibbana، وإن كانت كلمة النرفانا Nirvana السنسكريتية أكثر شيوعا، فأجابه بوذا بقوله: إنه لا بد له أن يعلن أولا الدهاما Dhamma للآخرين، ولا بد أن يرى نظام الرهبان وقد استقر، وعندها فقط يغادر نهائيا هذا العالم الفاني.

ويقال إن أول موعظة ألقاها بوذا عن «الداهما» (الحقيقة الخالدة) كانت في الهواء الطلق في حديقة غزلان قرب «بنارس» وتعرف هذه الموعظة في التراث البوذي باسم «موعظة تحريك عجلة الداهما»[5]. ومن المرجح أن الشكل الذي حفظ به نص هذه الموعظة في لغة بالي Pali-كان نتاج فترة متأخرة، رغم أنها قد احتوت على بعض العناصر الأساسية في الفكر والممارسات البوذية المبكرة (وسوف نشرح المعالم الرئيسية لهذا المذهب المبكر فيما بعد).

4- بداية الجماعة البوذية:

بدأ بوذا منذ ذلك الوقت يجذب إليه التلاميذ الذين كانوا شغوفين لسماع المزيد من تعاليمه، والاسترشاد بالطريق (ماجا Magga) الذي يتحدث عنه. ولقد كانت تعاليم بوذا توجه إلى كل الناس بغير استثناء سواء كانوا من علية القوم، أو من أراذلهم، كما عبرت عنها بألفاظ ذات معنى حتى بالنسبة لأبسط الناس-وذلك على خلاف تعاليم البراهمة وغيرهم من فلاسفة الهند القديمة، وهم الذين حفظت فلسفتهم في بحوث عرفت

باسم اليوبانشاد (وهو اسم يشير إلى حلقة خاصة من التلاميذ)[6].

ولقد عرض بوذا هذه التعاليم في مجموعة كبيرة من الحكايات والأمثولات والتشبيهات والطرائف وأمثالها من أساليب التعليم الشعبي، وكان باستمرار يشرح ذلك بطريقة تثير اهتمام الناس وتشجعهم على أن يلزموا أنفسهم على نحو شخصي «بالطريق» الذي عن طريقه وحده، يمكن أن يأملوا في الوصول إلى فهم تام وعميق للحقيقة. وهذا التأكيد على أهمية الحاجة إلى التحقق الشخصي مما تم قبوله في البداية على أساس الإيمان قد ظل هو السمة الغالبة على الممارسات البوذية حتى يومنا الراهن.

كان أتباع بوذا خلال الأربعين سنة التي قضاها في ممارسة نشاطه العام، من جميع الطبقات ومن كافة المهن والأعمال. وقد احتقر البوذيون نظام الطبقات المغلقة الهندي المتزايد، فعندما ينضم رجل إلى نظام «السنغا Sangha»[7]، وهو نظام أولئك الذين انشغلوا طول الوقت بالسعي وراء الحياة البوذية المقدسة، لا يهم من أية طبقة أو طائفة جاء، لأن احترام أعضاء النظام إنما يكون بناء على درجة قداستهم فحسب، أعني بناء على عمق تجربتهم في نظام «السنغا». وقد كانت هناك كثرة أخرى، إلى جانب أولئك الذين دخلوا النظام، ممن ظلوا أتباعا عاديين يمارسون قواعد الحياة البوذية لرب البيت، حتى يأتي الوقت الذي يقررون فيه الانخراط في حياة الرهبان البوذيين فيصبحون مثلهم بلا مأوى، ولا مقتنيات، مكرسين أنفسهم أساسا لحياة التأمل.

5- تطور النظام:

كان بوذا وتلاميذه في البداية يشكلون جماعة من «الشرمان» المتجولين، ولم تتبن هذه الجماعة طريقة مستقرة في الحياة إلا فيما بعد. وغطيت منطقة وسط وادي نهر الكنج كلها بمدنها المختلفة كبيرة أو صغيرة، بجماعة الرهبان البوذيين الجائلين ذهابا وإيابا، حتى أصبح اسم «حكيم سكياس» (بوذا) معروفا معرفة جيدة ومحترما للغاية بطول هذه المنطقة وعرضها.

وكانت ظروف العصر مواتية لنمو الجماعة البوذية، فقد اختفت الاتحادات القبلية قبل قدوم النظم الملكية الأكثر قوة والأشد عدوانية كالنظام الملكي في منطقة مجاذا Magadda بعاصمته بتليبوتا Pataliputta (بتنا Patna).

ومع اختفاء الجمهوريات اختفت كذلك طرق وأساليب الحياة القديمة المألوفة، وكان تنظيم النظم الملكية أوضح وغير شخصي أكثر، ولذلك سر الناس أن يجدوا في الجماعة البوذية التي نظمت على غرار الاتحادات القديمة، شيئا من الحياة المشتركة التي فقدوها. وفضلا عن ذلك فقد أدت الظروف المضطربة للعصر إلى ظهور أسئلة كهذه بمزيد من الحدة: لماذا نعاني نحن البشر؟ وما الغاية النهائية من الحياة البشرية؟.. وما إلى ذلك. وقد وجد الكثيرون إجابات شافية عن هذه الأسئلة في التعاليم البوذية.

لم يكن بوذا وتلامذته يتجولون طوال العام، إذ يصبح التنقل مستحيلا لمدة ثلاثة أشهر، أو نحو ذلك، وهي فترة الأمطار الموسمية الغزيرة في شمال الهند، وكانت مجموعات الرهبان البوذيين تلجأ خلال هذه الفترة إلى أماكن أشبه بالمخابئ حيث يعيشون حياة جماعية، ثم يعودون بعد أن تنتهي فترة المطر إلى التفرق في أماكن شتى مرة أخرى. ولكن مع مرور الزمن امتدت هذه الممارسة للحياة المشتركة خلال انحسار المطر إلى فترة ما بعد انتهائه حيث بدأت جماعات من الشرمان البوذيين في الاستقرار[8].

6- استقرار البوذية في الهند:

لا يتضح من الشواهد المتاحة طبيعة التسلسل التاريخي للكهانة البوذية. ويبدو من التراث المروي أنه عندما توفي بوذا في سن الثمانين كان قد أصبح شخصية شهيرة ومحترمة للغاية، كما كان له أتباع ومؤيدون من الأغنياء والفقراء على السواء. فقد كان ملك «مجاذا» المسمى بمبزارا Bimbisara واحدا من أخلص تلاميذه[9]، ويبدو أن موقف بوذا تجاه النظام الملكي كان يشوبه بعض الالتباس، إذ تدل بعض الأقوال المنسوبة إليه، على أنه نظر إلى ممارسة الملكية بوصفها عقبة في سبيل السعي إلى الحياة الدينية وأنها مصير ينبغي تجنبه إذا أمكن. ويبدو من ناحية أخرى أنه أخذ بوجهة النظر التي تقول إن الملك إذا كان لديه استعداد طيب نحو «الحقيقة البوذية«، يستطيع أن يفعل الكثير لتيسير التطبيق المؤثر للحياة البوذية على رعاياه، وذلك بأن يؤكد وجود عدالة اجتماعية داخل مملكته، وأن أحدا لا يعاني من الفقر أو الحاجة، كما لا تسنح الفرصة لأحد لكي يزداد ثراء على نحو فاحش.

ونحن نجد هنا تطبيقا للمبدأ الذي تميزت به البوذية ألا وهو «الطريق الوسط»، وهو يعني الطريق الذي يقع بين حياة الحس والمتعة المسرفة، وبين حياة الزهد والتقشف المتطرفة. ولقد رفض بوذا نفسه هاتين الحياتين المتطرفتين في مسار حياته وهو يدنو من البوذية. والظاهر أن خلق الظروف المثالية لتحقيق حياة بوذية بأكبر عدد ممكن من المواطنين، كان في نظر بوذا هو المهمة الحقيقية للملك الورع. فالنظام الاجتماعي العادل تفترضه سلفا تعاليم بوذا بدلا من أن تأمر به، على الرغم من أننا لا نفتقر إلى الإشارات الكثيرة في تعاليم بوذا التي تقول بوضوح إن هذا النمط من الحياة الاجتماعية هو الذي تهدف إليه. ولهذا السبب فإن المؤرخين الهنود المحدثين من أمثال «د. د. كوزامبي D.D.Kosambi» و«روميلاتابر Romila Thaper» يعتبرون البوذية في بدايتها «فلسفة اجتماعية» يجد أي حاكم صالح أنه من الضروري أن يتوافق معها.

7- وفاة بوذا:

سُجلت الأسابيع القليلة الأخيرة في حياة بوذا، على خلاف السنوات السابقة، بشيء من التفصيل في مقال «حول الدخول في النرفانا النهائية» ماهابارينيبانا سوتا Mahaparinibbana Sutta، وها هنا نجد الشيطان «مارا» يواجه «بوذا» مرة أخرى على نحو ما فعل مرات عديدة خلال السنوات التي انقضت منذ أن أصبح «بوذا»، وإن كان دائما قد تراجع مهزوما مدحورا. وفي هذه المرة أيضا يلح على بوذا أن ينسحب من الحياة الأرضية ويدخل النرفانا الأخيرة. ولقد تلقى الشيطان هذه المرة ما يبدو أنها إجابة مقبولة، فقد أكد له بوذا أن هذه النهاية ستكون بعد ثلاثة أشهر من ذلك اليوم.

غير أن الرواية تبين بوضوح أن الشيطان مارا لم يجد في هذه الإجابة أي لون من الراحة، فنظام الأخوة في البوذية، ونظام الأخوات فيها، وكذلك أنظمة العامة من التلاميذ من الجنسين، قد استقرت الآن تماما. وبعد سبعة أيام من وفاة بوذا في مدينة كوشنجارا Kushingara (وفي السنسكريتية كوزنجارا Kusinagara)، وهي مدينة صغيرة (اسمها الآن كازيا Kasia) إلى الشمال الغربي من بتنا Putna وبالتحديد جنوب حدود نيبال، تم إحراق جثته. وأقيم احتفال مهيب بهذه المناسبة على غرار ما كان يحدث في حالة

وفاة الملك في تلك الأيام، وقسم رفاته (ما تبقى من حرق الجثة) بالتساوي على ثماني مجموعات، ونقلت كل جماعة نصيبها حيث أقامت فوقه ضريحا مقدسا على غرار أحد أشكال تخليد وتكريم الموتى المعروفة في الهند باسم «ستوبا-Stu pa». وأصبح هذا الفريح عند عامة البوذيين مركزا لعبادتهم، ثم تطور إلى الصورة التي عرف بها في سري لانكا وجنوب شرق آسيا إلى ما يسمى الباغودا Pagoda على نحو ما سنذكر فيما بعد.

8- مذهب بوذا:

سيكون من الحمق أن نفترض أن أية عقيدة دينية أصيلة يمكن تركيزها في بضع صفحات مضغوطة، ثم تقديمها كعينات للباحث المهتم ليأخذ منها ما يريد. ولا يصدق هذا على شيء كما يصدق في حالة العقيدة البوذية، لأنها ببساطة ليست نسقا أيديولوجيا قصد به التقييم العقلي. ويصر البوذيون، وهم على حق، على: «انك إذا أردت أن تفهم العقيدة البوذية فلا بد لك أن تمارسها!». فتعاليم العقيدة أريد لها، منذ البداية، أن ينفذها أولئك الذين ارتبطوا بالحياة البوذية، وأن ترتبط بمواقف الحياة عند التلميذ، خطوة خطوة، وهذا هو أسلوب ممارستها في آسيا حتى يومنا الراهن. ومع ذلك فإن ما يمكن نقله مطبوعا ومضغوطا هو الوصف العام لوجهة النظر البوذية من الموقف الإنساني، والحاجات الروحية للإنسان، وهي التي يعترفون أن بوذا بلغهم عناصرها الجوهرية.

9- الحقائق الأربعة المقدسة:

يمكن لأي عرض لهذه العقيدة أن يبدأ بأي نقطة من بين عدد من النقاط. ومن المناسب هنا أن نبدأ بأفضل العروض التمهيدية المعروفة- وهى تبدأ بما عرف عند البوذيين «بالحقائق الأربعة المقدسة». أولى هذه الحقائق: التأكيد على أن الوجود الفاني كله يتسم «بالدوخا.. Dukkha» - وهي كلمة تشمل جميع المعاني التي تحملها كلمات «المرض»، و«الشر» و«الضيق أو السخط» و«النقص» و«الداء أو العلة». فهناك أوقات في حياة الإنسان-قد تمتد فترات طويلة-لا يدرك فيها المرء عن وعي هذه الخصائص كلها، ولكنها تؤكد نفسها في النهاية. ويمر المرء بتجارب مرة فيشعر أن

الأشياء ليست على نحو ما ينبغي أن تكون عليه، ولا كما يتمنى لها المرء أن تكون، وكلما كانت حساسية الإنسان مرهفة ازداد وعيه بهذه الحاجة الأساسية لكل وجود فان.

الحقيقة الثانية هي ما يسمى «بالسامودايا .. Samodaya» أو «نشأة» هذا الإحساس بالضيق، وهو يأتي من الشهوة أو الرغبة، ويقصد بها عطش الروح البشري الدائم إلى استهلاك الأشياء أو التجارب أو الأفكار، وهو في الواقع ميل الفرد للتحكم في البيئة من حوله واستغلالها في إشباع ملذاته.

الحقيقة الثالثة هي «النيروذا Nirodha» أو «كف» الرغبة، أي وضع حد للرغبة الفردية، الأمر الذي يعني كذلك وقف تجربة «الدوخا»، وهذا التوقف يعادل «النرفانا» وهي الحالة المثالية للوجود، فأن تكون في هذه الحالة المثلى معناه أن تكون في حالة «النبوتا .. Nibbuta» - وهي كلمة تستخدم في الحياة اليومية في الهند، وكانت تعني في عصر بوذا «البرودة» بمعنى حالة البرودة التي تعقب الحمى، أعني حالة الصحة والعافية. ولقد كانت كلمة النبوتا تعني في الاستخدام البوذي الخاص وصفا للإنسانية المثالية التي هدأت أو «بردت» من حرارة الانفعالات الرئيسية الطاغية؛ من الكراهية، والجشع، والوهم، (والأفضل من ظلام الروح أو عمى الروح).

الحقيقة المقدسة الرابعة: إن هناك طريقا يمكن أن يسلكه المرء لإيقاف الرغبة، والوصول إلى مثل هذه الصحة، وإلى مثل هذه الحالة النقية من الوجود التي تحدثنا عنها فيما سبق. وهذا هو «الطريق Magga»، الذي أراده بوذا، والذي يمكن كذلك للآخرين أن يتعلموا كيف يسلكونه.

١٥ - الطريق البوذي:

أ- الأخلاق:

إن الوصف الأساسي والقديم للطريق هو أنه ذو ثلاث شعاب هي: الأخلاق، والتأمل، والحكمة. وهي ليست ثلاث مراحل متعاقبة يمر المرء بالواحدة منها تلو الأخرى، وإنما هي شعاب أو دروب نسير عليها جميعا في وقت واحد، بيد أن للأخلاق أولوية خاصة: فبدون الجهد الجاد في مراعاة المبادئ الأخلاقية، لن تكون ثمة ممارسة فعالة ومؤثرة للتأمل.

ويعبر عن القواعد الأخلاقية الخمس الأساسية-بالنسبة للرهبان ولعامة

الناس على حد سواء-في صيغة تستخدم بانتظام في العبادات اليومية، ويمكن ترجمتها على وجه التقريب كما يلي: «أتعهد بالإحجام عن إلحاق أي أذى بالكائنات الحية، وأن لا آخذ شيئا لم يعط لي (أي أن أمتنع عن السرقة)، وبأن أمتنع عن الممارسات الجنسية اللاأخلاقية، وعن الكذب، وتناول الخمر والمخدرات التي تذهب العقل». وهناك درجة أكثر تقدما في النظام الأخلاقي يتبعها البعض من عامة الناس، وتعتمد على مراعاة ثلاثة مبادئ إضافية هي: أن أمتنع عن تناول الطعام بعد الظهر، وأن أمتنع عن الرقص والغناء وألعاب التسلية، وأن أمتنع عن استخدام أكاليل الزهور أو مستحضرات التجميل، وأن لا أتزين بأي نوع من أنواع الزينة. وهذه الإضافات إلى قاعدة الحياة لعامة الناس يؤخذ بها في الغالب أيام العطلات والأيام المقدسة كتعبير عن عمق الإيمان.

ومجموعة القواعد الثمانية هذه هي التي يشير إليها البوذيون الجادون، عندما يتحدثون عن «مراعاة المبادئ الثمانية في الأيام المقدسة في المعبد والدير» وهذه المبادئ الثمانية ينبغي ألا تختلط مع الطريق ذي الشعاب الثمانية، لأنها مجرد تطوير أبعد وأوسع للبنية الثلاثية الأصل للأخلاق والتأمل والحكمة، وسوف نعرض لها في القسم التالي. وينبغي على أعضاء النظام في جماعة «السنغا Sangha» مراعاة المبادئ الثمانية في جميع الأوقات، مع إضافة مبدأين هما الامتناع عن قبول الذهب والفضة، والامتناع عن استعمال فراش وثير. وهناك التزامات وواجبات أخلاقية واجتماعية أخرى يتعين على الرهبان والعامة مراعاتها، وسوف نشير إليها عندما نتحدث عن المسؤوليات الاجتماعية. قد يبدو حتى الآن أن طريق البوذية سلبي إلى حد كبير، أعني أنه يعتمد فيما يظهر على الامتناع عن أنواع مختلفة من الأنشطة التي تعتبر ضارة بالتقدم الروحي. وقد يبدو كذلك أننا أ نقل الشيء الكثير حتى الآن عن المذهب البوذي.. والواقع أن النقطة الأولى الهامة في هذا المذهب هي أن الحياة الأخلاقية الطيبة هي الأساس الذي يجب أن يبدأ منه فهم الطبيعة الحقة للأشياء. وتقول تعاليم بوذا إن هذا هو نوع الحياة الأخلاقية الذي ينبغي اتباعه.

ب- التأمل:

والجانب الرئيسي الثاني من الطريق الذي وضع بوذا معالمه هو التأمل.

فالسلوك الحق ينبغي أن يصحبه الفكر الحق أو المواقف الحقة. والفكر والعمل معا مرتبطان بالوجود الحق، لأن تنمية الفكر الحق، أو المواقف الحقة (أو النصائح السديدة)-أي السليمة من الناحية الأخلاقية-هي من أول أهداف التأمل. والتأثير المتبادل بين الفكر والعمل موجود في الوصف المفصل للحياة البوذية بوصفها طريقا ذا ثمان شعب، والبنود الثمانية وعلاقتها بالتخطيط الثلاثي للأخلاق والتأمل والحكمة يمكن أن تعرض على النحو التالي:

1- الفهم الحق الإيمان الحكمة
2- الفكر الحق كبداية كنهاية أو غاية
3- الكلام الحق
4- الفعل البدني السليم الأخلاق:
5- المعيشة الحقة
6- الجهد الأخلاقي الحق
7- الانتباه العقلي السليم تأمل
8- التركيز الحق

وسوف نرى أن مسلسل: الأخلاق-التأمل، الحكمة، يسبقه الإيمان بصورة مبدئية. وفي بداية الحياة البوذية نجد أن الفهم الحق (أي فهم طبيعة العالم والموقف الإنساني) والفكر الحق (أي الموقف الذهني الداخلي الحق)، يعتمدان على قبول التفسير الذي قدمه بوذا للأشياء. ولكن، في النهاية، وبعد أن نحيا حياة بوذا الأخلاقية والتأملية، يصبح ما سبق قبوله عن طريق الإيمان موضوعا للمعرفة المباشرة أو الحكمة. ويصبح الفهم الشخصي للحقيقة ممكنا، حيث كان ينبغي قبوله في البداية اعتمادا على ارتباطه بهذا التحقق النهائي من خلال مسار الحياة البوذية.

يكفي أن نقول هنا، بالنسبة للتأمل، إنه في حين أن تعاليم بوذا كانت تشتمل على إشارات كثيرة لممارسات التأمل العملية، فإن موضوع التأمل نفسه من حيث مراحله المختلفة، وفوائده المتعددة كان أحد الموضوعات التي ينظر إليها في تراث البوذية على أنها تعلم على أفضل وجه عن طريق الإرشاد الشخصي من قبل أستاذ أو معلم للتأمل. ولا بد أن يوضع في الاعتبار الموقف الشخصي للتلميذ، ومزاجه، ونوع شخصيته، ومنهج التأمل

المناسب له. وبمقدار ما يمكن بحث هذا الجانب من البوذية بمساعدة الكتب، فيمكن أن نوصي القارئ بالاطلاع على كتاب ا. كونز E.Conze عن التأمل البوذي.

ج- الحكمة:

إن السمات الرئيسية للحكمة التي يصل إليها، في النهاية، من يحيا الحياة البوذية، متخذا من وصايا بوذا مرشدا، تعرضها تعاليم بوذا. ولكن ينبغي التأكيد على أن وجهة نظر بوذا هي أن الحقيقة حول طبيعة الأشياء التي أدركها بوذا وأعلنها لن تفرض على المتعلق بالدنيا أن يقبلها مباشرة، فالفهم الشخصي لهذه الحقيقة هو الحكمة: وهو الهدف من الطريق البوذي، ولكن بلوغ هذه الحكمة يقتضي الارتحال عبر هذا الطريق.

والسمات الرئيسية للحكمة التي أعلنها بوذا هي كالآتي: لقد لاحظنا فيما سبق أن الحياة كلها «دوخا Dukkha» ولا بد أن نضيف إليها خاصية عامة أخرى للحياة الفانية، وهي أن «الكل زائل» أو «أنيكا Anicca» (وفي اللغة السنسكريتية أنيتا Anitya)، أي عدم الدوام، لا شيء يمكن أن يبقى نفس الشيء، أو أن يظل على حاله، فالكون كله الذي يمثل أمام الإدراك الحسي هو في حالة تدفق مستمر. والناس لا ينظرون إلى الأشياء على أنها دائمة إلا على سبيل الخطأ، وهم يخطئون حين يتصورون أنها أساسا على ما هي عليه عبر جميع الأحداث العارضة التي تمر بها. ويقودنا إدراك هذه الحقيقة إلى حقيقة أخرى، وهي «العلامة» أو الخاصية الثالثة للوجود الأرضي، وأعني بها «أناتا Anatta» (في اللغة السنسكريتية Anatman) وهي الحقيقة ذات الأهمية القصوى التي تقول إنه لا توجد روح دائمة، ثابتة وحقيقية (Atman)داخل الفرد الإنساني.

ويرى بوذا أن الناس في حمقهم يعتقدون في وجود مثل هذا الكائن الحقيقي الذي لا يتغير داخل كل فرد. إنهم يفكرون ويتصرفون على هذا الأساس فيحارب بعضهم بعضا للدفاع عن تلك الأرواح الفردية الخالدة المزعومة أو لإنقاذها. ولقد أعلن بوذا، معارضا بعض فلاسفة الهند المعاصرين له الذين يعلمون الناس أن الحقيقة الكونية النهائية (وهي برهمان Barahman) متحدة مع الروح (Atman)-أعلن بوذا أن الأرواح البشرية تتألف من التحام زمني مؤقت لخمس مجموعات من العوامل (أو الخندات

Khandhas[10]، أولاها عوامل بدنية والمجموعات الأربع الأخرى غير بدنية.

١١- التدفق المستمر

يستغرق اتحاد هذه المجموعات الخمس إلا لحظات مؤقتة، فهي في تدفق مستمر، وفي النهاية، عند موت الفرد، يتوقف ارتباط هذه العوامل، ولا يبقى منها شيء. وهذه المجموعات الخمس من العوامل هي ١- الصورة البدنية. 2- الإحساس. 3- الإدراك الحسي. 4- الإرادة. 5- الوعي. وينبغي أن نلاحظ أن مذهب بوذا لا يؤكد أنه لا شيء خالد، وإنما يذهب فحسب إلى أن (هذا الشيء لا يمكن أن يوجد في الفرد البشري المنعزل.

لقد أنكر بوذا حقيقة الروح الفردي، وهذا الإنكار هو أهم ما يميز مذهبه عن مذاهب الفلاسفة الدينيين الآخرين في الهند، ولهذا نظرت هذه المذاهب الفلسفية إلى آرائه على أنها هرطقة. وقالوا إننا إذا أنكرنا الروح، فإن السعي الأخلاقي سيكون بلا قيمة، ولن يكون هناك أساس للعدل الأخلاقي. وإذا لم تكن هناك روح باقية وثابتة، فلن يكون هناك من يستحق المدح أو الذم، والثواب أو العقاب، وإذا لم يجن الإنسان ثمار أعماله الصالحة أو الطالحة، فما الذي يجعله يهتم بطريقة حياته؟

هذا الإلتجاء إلى المصلحة الذاتية كباعث محرك للحياة الأخلاقية، بدا عندئذ للكثيرين، ولا يزال يبدو حتى الآن، وجهة نظر صحيحة كل الصحة يقتضيها الحس السليم بالأشياء، ولا يمكن التخلي عنها إلا لصالح الفوضى الأخلاقية والاجتماعية. وقد كانت هذه الحجة من القوة بحيث نشأت حتى بين البوذيين أنفسهم فرقة غير تقليدية غرفت باسم «الشخصانيين Personalists» ذهبت إلى أنه على الرغم من أن بوذا أنكر حقيقة الروح، فلا بد أنه أكد حقيقة الشخص بوصفه الأساس الدائم للوجود.

لكن بوذا في رفضه ما اعتقد أنه وهم «الذاتية Selfhood» الذي ينبغي أن يبدد بواسطة الأنظمة الأخلاقية والتأملية للحياة البوذية، قد أكدّ حقيقة عالم أوسع للوجود لا ينحصر داخل حدود «الأنا» أو ذاتي، أو ملكي mine، كما ألح على الناس مبينا أهمية تدمير هذه النظرة المتمركزة حول الذات Egocentric، وهي النظرة التي تفرض بالضرورة أن تتألف الحقيقة الروحية من كثرة من موجودات متمركزة حول ذاتها، وذلك لكي يستطيع الناس أن

يعيشوا حياة أوسع وأكثر حرية، وهي الحياة التي تجاوز الحدود الضيقة لرغبات الفرد وشهواته، الحياة المتعالية المتحررة من الرغبة التي هي النرفانا Nirvana. والسعي نحو هذه الحالة المتعالية هو الذي يزودنا بكل دافع ضروري للكفاح الأخلاقي، طبقا لوجهة النظر البوذية، وهو الطريق الذي دعت الناس أن يسلكوه، ولقد كان بوذا يتكلم من موقع رجل خبر ما تحدث عنه. وفي مثل هذا الموقف الممتاز لا نستطيع في الواقع أن نقول إلا ما قاله بوذا وهو إيهي باسيكوا Ehi Passiko أي «تعال وانظر!».

12- جماعة بوذا:

كانت الدعوة في المقام الأول، دعوة إلى أن يفقد المرء وجوده الفردي في الحياة المشتركة لجماعة «السنغا Sangha» أو النظام البوذي «للبهخوس Bhikkhus» وهذه الكلمة الأخيرة تترجم عادة «بالرهبان» أو «الراهبات» وهي بغير شك ترجمة أقرب إلى معناها من كلمة «كاهن» التي يستخدمها الأوربيون أحيانا استخداما خاطئا عندما يطبقونها على أعضاء الجماعة البوذية في آسيا في وقتنا الراهن. والكلمة تعني حرفيا «المشارك Sharer»، وكانت تشير في البداية إلى واقعة أن «البهخو Bhikku» يعتمدون في قوت بعضهم على المشاركة في الطعام الذي يقدمه كل من يريد دعم الجماعة من أصحاب النوايا الطيبة، وهي تعني كذلك الشخص الذي يشارك في الرصيد العام من «الصدقات» التي تقدم إلى الجماعة في أية منطقة معينة سواء أكانت أطعمة أم سلعا.

وحياة «البهخو» كانت (ولا تزال) حياة تستلزم نبذ جميع المقتنيات والامتيازات الشخصية، والاستعداد للعيش في حياة مشتركة من الفقر والعفة. وداخل هذه الحياة المشتركة بأنظمتها المعترف بها، وممارساتها التأملية، تنحل «أنا» الفرد، ويزداد وضوح المنظور البوذي الحق.

لقد طورت البوذية في مرحلة مبكرة وقننت قاعدة للحياة عرفت باسم الفينايا-Vi naya أي «النظام» وقد كانت البنود المنفصلة في هذه الشريعة البوذية في المقام الأول أحكاما أصدرها بوذا، حول مشكلات نوعية تتعلق بالسلوك ظهرت في مواقف معينة. ثم قبلت هذه الأحكام فيما بعد وأصبحت معيارا اتخذ شكل القانون في مجموعة هائلة تشغل الآن القسم الأول من

الأقسام الرئيسية الثلاثة في شريعة الكتب البوذية المقدسة. وهذه الأقسام الثلاثة هي 1- النظام 2-الأحاديث 3- لب المذهب[11]. وكانت إحدى الوظائف الهامة لجماعة «السنغا» هي حفظ هذه المجموعات ونقلها في البداية مشافهة ثم في شكل مكتوب، ولا تزال هذه هي وظيفة السنغا حتى يومنا الراهن، وهي وظيفة ينظر إليها بجدية تامة، لا سيما في مدرسة ترافادا Theravada البوذية التي تنتشر في «سري لانكا» وجنوب شرقي آسيا.

13- انتهاكات ينبغي تجنبها:

أهم قسم بالنسبة للبهخوس من كل المجموعة المعروفة باسم «النظام» هو قسم يضم قائمة من 250 بندا تتعلق بالسلوك وتعرف باسم «الباتيموخا Pat imokkiha» وهي تتألف في الواقع من قائمة من الانتهاكات التي ينبغي تجنبها ابتداء من أكثرها خطورة، وهي التي تكون عقوبتها الطرد من النظام، يعقبها انتهاكات عقوبتها وقف العضو لفترة زمنية محددة، ثم انتهاكات تقل خطورتها بالتدريج حتى يصل الأمر إلى مسائل تتعلق بآداب السلوك واللياقة. وهذه القائمة تتلى في الاجتماع الكامل الذي تعقده الجماعة كل 14 يوما، ويطلب فيه الاعتراف بأي انتهاك لها. وهذه التلاوة ضرب من الممارسة القديمة للنظام البوذي، ولا تزال تراعى بإيمان وخشوع في أديرة الرهبان والراهبات على حد سواء وهي تذكرة مستمرة للرهبان والراهبات بمعيار السلوك الملائم لأعضاء جماعة «السنغا».

هناك فارق هام بين «السنغا» البوذية والأنظمة الدينية في الغرب، وهو أن العضوية في حالة البوذية يمكن أن تستمر أو لا تستمر طوال حياة الرجل أو المرأة، فإذا ما شعر العضو «أو البهيخو» في أي وقت أنه لم يعد قادرا على الاستمرار في النظام، وأن عليه أن يعود إلى الحياة العادية، فهو حر في أن يفعل ذلك، بعد أن يبدي رغبته إلى رئيس الدير. وليس من غير المألوف في بعض بلدان جنوب شرق آسيا أن يصبح الشخص عضوا في جماعة «السنغا» لمدة محدودة فحسب. وينظر إلى ذلك على أنه أمر جدير بالتقدير كما أنه نافع ومفيد. فإذا استطاع العضو البقاء في «السنغا» طوال حياته كان ذلك أفضل. وكثير من البوذيين يفعلون ذلك بطبيعة الحال، فيصبحون محترمين لهم تقدير خاص في المركب الاجتماعي الديني في

المجتمع البوذي في آسيا.

هناك خطأ يقع فيه الغربيون بسهولة عندما يتصورون أن «السنغا» البوذية هي انسحاب من العالم. ويرجع ذلك، من ناحية، إلى استخدام الكلمة المضللة إلى حد ما وهي كلمة «الراهب». والواقع أن الرهبان البوذيين ليسوا، في العادة، رجالا قطعوا صلتهم بالمجتمع كله، وليس الدير البوذي مكانا منفصلا عن المجتمع الأوسع، فهناك علاقات متبادلة بين الرهبان وعامة الناس، والناس يزودون الرهبان بالطعام والثياب ويساندون الدير بطرق شتى، بينما يقدم الرهبان خدمات مختلفة إلى الناس المحليين.

ويعد التعليم من أوضح الخدمات التقليدية: فالدير مدرسة يذهب إليها البنين والبنات من أبناء القرية لتعلم القراءة وللكتابة. والنتيجة هي أن بوذية الريف في آسيا تحصل، عموما، على نسبة أعلى من المتوسط في معرفة القراءة والكتابة. وهناك خدمات أخرى يقدمها الرهبان وتختص بالاحتفالات، لا سيما في الأعياد أو في المناسبات المختلفة مثل الجنازات. وهم يقدمون إرشادات منتظمة للجمهور حول طريقة الحياة البوذية، ويعملون مرشدين روحيين وناصحين أخلاقيين. وفضلا عن ذلك فهم يؤدون دورا قياديا في شئون المجتمع المحلي ومشروعاته لا سيما في تايلاند، على سبيل المثال، حيث تسعى الجهات الحكومية (في الزراعة والطب.. إلخ) إلى تعاونهم في تنفيذ الخطط الحكومية.

14- الواجبات الاجتماعية لعامة الشعب:

هناك التزامات اجتماعية وأخلاقية معينة ومعترف بها-بالإضافة إلى المبادئ الأخلاقية الموجهة لعامة الشعب التي سبق أن ذكرناها-وصفها بوذا في أحد أحاديثه المعروفة باسم السيجالوفادا سوتا Sigoalovada Sutta، وهو حديث يشرح واجبات الأبناء نحو آبائهم، والآباء نحو أبنائهم، والتلاميذ نحو معلميهم، والمعلمين نحو تلاميذهم، والأزواج نحو زوجاتهم، والزوجات نحو أزواجهن، والخدم نحو مستخدميهم، والمستخدمين نحو خدمهم، وأخيرا واجبات عامة الناس نحو معلميهم الدينيين، أعني الرهبان، وواجبات الرهبان نحو عامة الشعب. وهذه المجموعات من الواجبات التي يبدو أنها ترجع إلى فترة قديمة جدا في تاريخ البوذية، لها في حالات كثيرة تطبيقات حديثة

ملائمة بصورة ملفتة للنظر. وهذه السوتا Sutta بوجه خاص معروفة جيدا في سري لانكا وجنوب شرقي آسيا، وهي على العموم تراعى بإخلاص شديد أكثر من أمثالها من الشرائع الأخلاقية القديمة.

15- انتشار البوذية في الهند:

إذا عدنا الآن إلى قصة تطور الجماعة البوذية بعد وفاة بوذا (484 ق. م) فيكفينا أن نلاحظ خلال القرنين الأولين النمو المستمر لعدد أعضاء «السنغا» ولتأثيرها أيضا، كما نلاحظ تدهورا إلى حد ما في الحمية الدينية. وهذا اللون من رد الفعل ليس مجهولا في أنواع التراث الديني الأخرى حيث يخبو حماس السنوات الأولى. فقد انشغل بعض الرهبان، على نحو متزايد بالتفصيلات الحرفية للشريعة المنظمة، وانصرفوا عن روح المذهب إلى النواحي القانونية، فبدأوا في انتقاد غيرهم من الرهبان الذين اتهموهم بالتراخي والإهمال في مراعاة النظام. ولقد أدى ذلك إلى حدوث انقسام كبير في المذهب بعد قرن واحد من وفاة بوذا، إذ انفصل أولئك الذين تمسكوا بحرفية النظام وشكلوا جماعة خاصة استقلت عن أصحاب النظرة الأكثر تحررا. أما التطور الرئيسي الثاني الذي حدث في القرنين الأولين فهو تطور المنهج التحليلي للفلسفة البوذية الذي كان قد بدأه بوذا.

16- جوهر العقيدة أو أبهي داهما Abhidhamma

كانت تعاليم بوذا توجه إلى جمهور المستمعين، ولهذا جاءت إلى حد كبير على هيئة محاورات، وأمثولات، وحكايات طريفة (طرائف) وتشبيهات، وما إلى ذلك. لكن بعض الأحاديث المنسوبة إليه، لا سيما تلك الأحاديث التي كان يعقم فيها «البهيخوس Bhikkhus» تحتوي على تلخيصات للمسائل الجوهرية في قوائم أو رؤوس مجموعات تستهدف المساعدة على التذكر. ونجد هذا بوجه خاص في تحليل مجموعات العوامل الخمس «الخندات Khandha» التي تشكل ما يسمى «بالشخص»، ولقد خضعت هذه المجموعات من العوامل لتحليلات أخرى، ونتجت عن ذلك قائمة من الظواهر الذهنية والنفسية وعلاقاتها المتبادلة وتفاعلاتها شكلت ما عرف باسم «أبهيداهما» أو «جوهر العقيدة».

وأصبحت دراسة هذه التجريدات أحد الموضوعات التي نالت اهتماما كبيرا من رهبان البوذية في الفترة التي تلت وفاة بوذا: ونشأت الاختلافات حول تفسير بعض النقاط، وبعد حوالي قرنين تطور الخلاف إلى انقسام كبير بين مدارس فكرية. غير أن تعقيدات «جوهر العقيدة» (الأبهيداهما) تجاوز نطاق بحثنا الحالي. ويمكن للقارئ أن يجد فكرة عن طبيعة هذه الموضوعات في كتاب «كونز Conze» الفكر البوذي في الهند، الجزء الثاني، وكتاب «ت. ر. ف مورتي T.R.V.Murti» الفلسفة المركزية للبوذية، الفصل الثالث. ومن المناسب هنا أن نشير فحسب إلى أن المجادلات دارت إلى حد كبير حول مشكلة ما إذا كان من الممكن النظر إلى الأحداث الماضية والمقبلة على أنها حقيقية، قبل حدوثها أو بعده. ويؤكد«الستافيراس» الكبار (أو التقليديون) أن الأحداث التي تقع في الحاضر هي وحدها الأحداث الحقيقية. أما خصومهم من السارفاستقادين Sarvastivadims فيؤكدون أن أحداث الماضي والحاضر والمستقبل هي كلها بالتساوي أحداث حقيقية، ومن هنا استمدوا اسمهم من سارفا بمعنى كل و آستي Asti بمعنى «يوجد» وفاديز Vadins أي المؤكدون أو المثبتون.

17 - التطورات البوذية في عهد أشوكا:

لم يكن تحول واحد من أقوى حكام الهند، وهو الإمبراطور أشوكا (273-232 ق. م) إلى الديانة البوذية-عملا ذا تأثير ضئيل على التطورات التالية للجماعة البوذية، لا سيما أنه أصبح بوذيا في فترة مبكرة من حكمه، وقد حدث ذلك بعد اشتباكه في معركة عسكرية مع كالينجا Kalinga مما أدى إلى اتساع إمبراطوريته حتى الساحل الشرقي بعد انتصاره عليه. غير أن سفك الدماء أثناء القتال جعل أشوكا يشعر بالاشمئزاز حتى لقد مر بأزمة روحية ونذر أن لا يُسمع بعد ذلك صوت الطبول في مملكته، وأن يسمع فحسب صوت الدهما Dhamma (جوهر العقيدة أو الحقيقة).

ولقد أقام أشوكا في جميع أنحاء الإمبراطورية العديد من المباني الصخرية ذات الأعمدة التي تم اكتشافها في العصور الحديثة وكانت مصدرا غزيرا للمعلومات التي تكشف عن خطط أشوكا وأعماله التالية. وعلى الرغم من أنه هو شخصيا كان يدعم «السنغا» البوذية، فقد مد بوصفه

الإمبراطور رعايته وحمايته إلى جماعات دينية أخرى متنوعة. وتدل المباني التي أقامها على رغبته في رؤية التقوى والعدالة والرخاء الاجتماعي في المجتمع الذي كان يحكمه. وأدت صلة أشوكا الشخصية بالجماعة البوذية إلى نموها وزيادتها من حيث العدد والاتساع، فضلا عن نتيجة أخرى هي الزيادة الملحوظة في شعبية «السنغا» حتى أصبحت تضم ضمن طبقاتها رجالا دخلوها لأسباب ودوافع لم تكن دائما هي الأسباب والدوافع السامية.

وحوالي عام 250 ق. م، أي في منتصف حكم أشوكا، انعقد مجلس الرهبان البوذيين في بتنا Patna وكان من أهدافه الأولى مناقشة الموضوعات الفلسفية التي انقسم حولها البوذيون، كما سبق أن ذكرنا، إلى ستافيراس Sthaviras وسارفستفادا Sarvastvadins». وفي النهاية انحسم الموقف لصالح المدرسة الأولى. ويبدو أن «سارفستفادا» قد انتقلت منذ ذلك الوقت تقريبا من العاصمة إلى الشمال الغربي في أعالي وادي الكنج، وأخيرا اتخذت مركزا لها مدينة «ماثورة» (وهي مترا الحديثة جنوبي دلهي) على نهر جيمنا Jumna. وامتدت إمبراطورية «أشوكا» حتى الحدود الشمالية الغربية للبنجاب، ولما كان الرهبان البوذيون أحرارا في التنقل في شتى أنحاء المنطقة، فمن المرجح أن تكون الجماعة قد وصلت قرب نهاية عهد أشوكا إلى حدود مملكته حيث التقوا بإحدى الممالك الهلنستية في جاندهارا Gandhara.

ولم يكن هذا الاحتكاك بالثقافة الهلنستية بغير أثر على البوذية، وإنما كانت إحدى نتائجه أن تطورت فنون العبادة وأشكالها كما حدث لتمثال بوذا الذي يشير إليه الغربيون عادة باسم «صورة بوذا»، في حين يسميه البوذيون بوذا-روبا-Buddha Rupa أي هيئة بوذا[12]. فحتى هذه الفترة لم تكن هناك تماثيل أو نحت لبوذا، ولكن يبدو أن استخدام صور بوذا قد بدأ منذ فترة الاحتكاك بثقافة البحر الأبيض في شمال الهند. وبعض الأمثلة المبكرة التي تبدو فيها شخصية بوذا واقفا تشبه شبها قويا شخصية «أبوللو» اليوناني. غير أن هناك وجهة نظر أخرى تذهب إلى أن تطور هذا الشكل في الفن البوذي لا يرجع إلى صلات ثقافية أجنبية بقدر ما يرجع إلى تطور محلي تمركز حول مدينة «ماثورا».

ولقد كانت الطريقة التي يعبر بها عن محبة بوذا حتى ذلك العصر، طريقة رمزية تستخدم أشكالا حجرية صلبة أو ربوة عالية (ستوبا Stupa)

تمثل نصبا تذكاريا يضم رفاتا من نوع ما . وتم بناء الكثير من هذه الأشكال في شمال الهند في عهد الإمبراطور «أشوكا» تعبيرا عن تقوى البوذي. ولا تزال بعض نماذج هذه الأشكال المعمارية القديمة قائمة في الهند .

18- النشاط التبشيري:

كانت إحدى طرق انتشار البوذية في عهد أشوكا هي التخطيط المنظم لحركة التبشير، فقد أرسل عدد من البعثات من مدينة بتنا Patna في تلك الفترة، وانتشرت في جميع المناطق التي تقع على حدود إمبراطورية أشوكا . ومن الصعب الآن أن نحدد بيقين الأماكن التي ذهبت إليها هذه البعثات المذكورة في الوثائق. ولكن هناك منطقة لا يمكن الشك فيها، فقد أرسلت بعثة من الرهبان إلى «سري لانكا» وسوف نعود إلى الحديث عنها فيما بعد .

استقرت جماعات البوذية في جميع أنحاء الإمبراطورية التي أقامها أشوكا وازداد عددها، ومن المرجح أن تكون قد ازدادت من حيث الاتساع ومن حيث التوقير والإجلال الذي لقيته أيضا . وبينما كانت «السنغا» مفتوحة باستمرار أمام الرجال والنساء على حد سواء ومن جميع طبقات المجتمع، كانت هناك إضافات ملحوظة إلى «السنغا» من طبقات البراهمة، فيبدو أنها لم تبلغ من الكثرة العددية مثل ما بلغته في عمر «أشوكا» وما بعده. ولقد ساهم ذلك في ظهور اتجاه جديد في الفكر والممارسة البوذيين سمى في النهاية بالمهايانا Mahayana-أما كيف ظهرت، وكيف تطورت فهذا ما ينبغي علينا أن ندرسه الآن.

19- نمو بوذية المهايانا في الهند:

كلمة «المهايانا» تعني «المنهج الكبير» أعني المنهج أو الطريق التي تحقق هدف البوذية. ولقد تبنى الاسم أتباع هذه المدرسة وهم على وعي بالفرق بينها وبين ما سمي باسم «المنهج الصغير» أو الميناايانا Minayana. والفرق بين هاتين المدرستين هو أن المهايانا كانت أكثر وعيا بالشمولية، بمعنى أنها تقدم نفسها لقطاع أوسع من المجتمع. أما الصورة الأقدم-والأكثر تقليدية- للحياة البوذية، فقد تضمنت تفرقة أكثر حدة بين الرهبان وعامة الناس

عندما أكدت أهمية حياة الأديرة ودعت إلى المراعاة الدقيقة لشريعة «الفينايا Vinaya» كما ذهبت إلى أننا لا نستطيع أن نبلغ هدف البوذية، وهو النرفانا Nirvana إلا إذا عشنا حياة الأديرة. أما أتباع «المهايانا» فقد رأوا أن هذه نظرة ضيقة لا ضرورة لها، ورغم أنهم لم ينكروا صحتها أو مشروعيتها، فقد اعتقدوا ببساطة أنها صارمة بغير داع. وكان هناك جانب نقدي آخر وجهته مدرسة «المهايانا» إلى مدرسة «المانايانا»، وهو أن تأكيد المدرسة الأخيرة يشجع على الغرور الروحي، وهو غرور يقوم في رأيهم على أساس سيئ.

كان التوجه الشعبي للمهايانا، إلى حد ما، استمرارا لأحد الجناحين الكبيرين اللذين ظهرا بعد وفاة بوذا بقرن من الزمان تقريبا-أعني الجناح الذي أخذ بتفسير أقل حرفية وصرامة لنظام الأديرة. وهناك وشائج قربى بين هذه الحركة التحريرية المبكرة في القرن الرابع الميلادي وبين المهايانا، أي بعد وفاة بوذا بحوالي خمسة قرون.

20- مفهوم البوذيستفا Bodhisattva[13]

كانت إحدى الخصائص الرئيسية للبوذية إذن هي الأساس الشعبي الواسع الذي قامت عليه، بالإضافة إلى موقفها الأكثر تحررا من القواعد والممارسات الدينية، ومعنى هذا أن الأشكال الشعبية للإيمان والعبادة وجدت قبولا سريعا. ولقد تبنت البوذية باستمرار موقفا متسامحا من المعتقدات الأصلية في البلاد التي دخلتها، ومن ممارسات الناس الذين انتشرت بينهم، ولم تزل تفعل هذا في المجتمعات الريفية في آسيا. وكان هذا الاتجاه على كل حال أكثر ظهورا بين أتباع المهايانا. وقد نتج عن ذلك اندماج قدر لا بأس به من العبادات المحلية واستيعاب الآلهة المحلية البوذية التقليدية الصارمة. أما كيف حدث ذلك فهو ما لا يمكن تفسيره إلا بالإشارة إلى تطور آخر طرأ على «المهايانا» وأعني به مفهوم «البوذيستفا». يقال إن «البوذيستفا» هو كل شخص يكون على أعتاب «النرفانا» ثم يؤجل عامدا الدخول في حالة الغبطة النهائية «النرفانا» شفقة منه على جماهير الناس العاديين. وبدلا من أن يتحول إلى «بوذا» كامل فإنه-أو هي-يظل مقيما في العالم الزماني المؤقت مكرسا نفسه لخلاص الآخرين. هذا التأكيد على أهمية «الشفقة»

التي يمثلها مفهوم «البوذيستفا» لم يكن أمرا جديدا كل الجدة. فقد اعتبرت الرحمة بالآخرين فضيلة عند البوذية المبكرة، لكنها كانت تحتل فيها مكانا تابعا للحكمة، ثم احتلت مع تطور المهايانا، موضعا مماثلا للحكمة بوصفها فضيلة أساسية للمثل الأعلى الروحي الذي تمثله «البوذيستفا» لكن حتى هذا التطور لم يكن سوى استعادة لما كان عليه المثل الأعلى الروحي المبكر أو ما يسمى بالأراهات Arahat (أهل الفضل والاستحقاق) أي الأشخاص الذين جاوزوا حدود فكرة «الذات Self»، وأصبحوا لهذا السبب مصدرا للتأثير الروحي والأخلاقي الخير. غير أن المثل الأعلى «للأراهات» قد فسد خلال القرون التي سبقت نشأة المهايانا مباشرة ولهذا احتاجت إلى اكتساب هذه الصورة الجديدة.

هكذا نظر أيضا إلى البوذيستفا بوصفه شخصا تحرر من الخضوع للحدود البدنية للحياة البشرية، وأصبح يسكن عالما «سماويا» ومجالا روحيا أوجده بفضل قداسته، وقد اعتقد الناس أنه يستطيع أن يدخل الآخرين في هذا العالم المبارك عن طريق قواه الروحية. ولم يكن هناك، من الناحية النظرية، حلا ضروري للأعداد الممكنة من البوذيستفين»، ولذلك نشأ الإيمان بعدد من هؤلاء الأشخاص الذين يعرف كل واحد منهم باسمه إن كان ذكرا أو باسمها إن كانت أنثى، وقد عرفت أسماء بعض هذه الشخصيات المرموقة مثل «أفالوكيتشوارا Avalokiteshwara» أي ذلك الذي يتواضح ويرحم، و«أميتبها Amitabha» أي النور الذي لا حد له، و«مانجوشري Manjushri» أي «السيد الجميل»- وكل واحد من هؤلاء الأشخاص أصبح عند عامة الشعب في الهند في تلك الأيام الشخصية الرئيسية في عبادة كانت، من الناحية الظاهراتية (الفيتومينولوجية)، قريبة الشبه جدا بعبادة إله واحد. ومن هذه الزاوية تمثل بوذية المهايانا انتقالا من عبادة آلهة الهند المحلية إلى العقيدة البوذية وتطبيقاتها العملية.

21- تطور فلسفة المهايانا

في الوقت الذي كانت فيه المهايانا تتطور لتصبح إغراء بوذيا واسعا لعامة الشعب في الهند، كان رهبانها يطورون فلسفة دينية على درجة عالية من التجريد. وانعكس ازدياد أعداد الرجال من أسر البراهمة (الكهنة)

الذين دخلوا جماعة «السنغا» البوذية-انعكس على الدرجة المتزايدة من النقد العقلي البرهمي الذي تعرض له نظام «الأبهى داهما» القديم.

كان البراهمة أساتذة المنطق الهندي القديم، ولهذا نقدوا نظريات الأبهى داهما ومدارس المهايانا على أسس منطقية. أما منهج «الأبهى داهما» الذي يقوم بتحليل ما يبدو أنه كائنات موضوعية حقيقية إلى مكوناتها العارضة فقد تبلور في النمط النهائي «للداهما» التي كان يظن أنها هي «الذرات» النهائية والواقعية التي تتألف منها جميع الأحداث الذهنية والنفسية والبدنية، كما كان يعتقد أن عددها معين محدود (وإن كان العدد الدقيق يختلف من مدرسة إلى أخرى).

انتقد فلاسفة «المهايانا» هذه النظرية في الوجود بحجة أنها تتعارض مع المنهج التحليلي، وذهبوا إلى أن الهدف من هذا المنهج هو أن يبين أنه لا توجد كيانات حقيقية مطلقة طالما كان الأمر يتعلق بالعلم التجريبي. فمن غير المنطقي في رأيهم النظر إلى أي من هذه «الدهما» على أنها واقعية، كما أن من غير المنطقي النظر إلى الروح البشري على أنه واقعي. ذلك أن كل شيء في تدفق مستمر، وقد كان منهج بوذا يستهدف بيان ذلك، ولم يقل بوجود أي «محطة» نهائية ساكنة داخل العالم التجريبي، حتى ولا فيما يسمى «بالدهما». ولهذا اتبعوا المنهج التحليلي بصراحة تامة مؤكدين أن «الداهما» التي قال بها رهبان الهنايانا Hinayana لم تكن سوى محطات تعسفية خالصة.

لا يمكن من الناحية المنطقية أن يكون هناك حد لعملية التحليل والمزيد من التحليل. فلا يوجد شيء يمكن أن ننسب إليه صفات دائمة، ولا نستطيع أن نصل إلى الواقع الحقيقي Reality إلا بعد أن نستبعد كل صفة إيجابية، لأن أي صفة أو خاصية تحمل معها قدرا من النسبية، ومن ثم لا يمكن النظر إليها على أنها مطلقة. والحق أن ما كانوا يسعون إليه هو شيء مطلق، وقد وصفوا هدف التحليل البوذي بأنه هو ما نصل إليه عندما تفرغ كل صفة إيجابية وتصبح «خواء». والمصطلح الذي يستخدمونه للإشارة إلى المطلق هو Shunyata الذي يترجم أحيانا بكلمة «الخواء Void».

ولقد أطلق على فكر مدرسة المهايانا كلمة مدهياميكا Madhyamika التي يمكن ترجمتها على وجه التقريب «بمذهب الحياد»، كما تعرف أحيانا أخرى

باسم شونيا-فادا Shunya-Vada[14]. وأكبر دعاة هذه المدرسة كان راهبا بوذيا من أسرة برهمية في جنوب الهند اسمه «نكارجونا Nagarijuna» وتلميذه أرياديفا Aryadeva، وقد كان نشاطهما في أوائل القرن الثالث الميلادي.

22- رد فعل:

إذا كان هذا النوع من الموضوعات يبدو بعيدا جدا عن الممارسات العملية للدين-فإن علينا أن نتذكر أن أمثال هذه الرياضة العقلية لم تكن تمارس إلا في سياق حياة العبادة التأملية داخل الأديرة. لكن حتى في هذه الحالة كانت هناك درجة معينة من رد الفعل في الدوائر البوذية ضد الإسراف في البراهين العقلية-ولقد اتضح ذلك في شكل واحد انبثقت عنه مدرسة تعرف باسم «يوجاكارا Yogacara» نشأت في الهند حوالي نهاية القرن الرابع الميلادي. وكان دعاتها من الناحية الأدبية هما أسنجا Asanga) (310-390)وشقيقه فاسوباندا Vasubandha (320- 400).

وتمثل اليوجاكارا Yogacara[15] تحولا عن التشدد السائد داخل المهايانا وعودة إلى الجوانب الأخلاقية والتأملية في الدين. وفي مقابل إصرار «المادهيمكا Mad hyamika» على «الخواء» بوصفه الشيء الوحيد المطلق، تؤكد مدرسة «يوجاكارا» حقيقة الوعي الخالص «فيجنانا Vijnana». ولهذا السبب عرفت هذه المدرسة أيضا باسم فيجنانا فادا Vijnana-Vada، وأصبح هدف الحياة البوذية هو تنقية الوعي وتطهيره عن طريق التأمل والجهد الأخلاقي، وبالتالي بلوغ الوعي الخالص الذي هو الشيء الحقيقي والمطلق.

23- انتشار البوذية في الصين واليابان:

في الوقت الذي نشأت فيه مدرسة «فيجنانا-فادا» في الهند، كانت البوذية قد وصلت بالفعل إلى الصين، وبدأت تمكن لنفسها هناك. وحوالي منتصف القرن الثاني الميلادي، ارتحل الرهبان البوذيون على طول الطريق التجاري المزدحم المؤدي من شمال غرب الهند خلال آسيا الوسطى إلى غرب الصين. ولقد قامت في ذلك الجزء من الهند، مراكز بوذية واسعة ومأهولة كانت من المناطق ذات التأثير القوي في تطور «المهايانا». عهد بوذا نفسه بمهمة التبشير للرهبان الأول ونشر «الداهما» بين جميع الناس.

ولقد أصبحت هذه المهمة، من جوانب معينة، أسهل بالنسبة لرهبان «المهايانا» منها بالنسبة لرهبان «الهنايانا» لأنهم لم يعتبروا أنفسهم ملتزمين التزاما دقيقا بحرفية الشريعة في نظام الدير، وإنما استطاعوا مثلا عندما كانوا يخاطرون بالتجول في الأجواء الباردة، أن يرتدوا ثيابا تبعث على الدفء، أكثر من ثوب الراهب الذي كان في العادة مقررا على رهبان الهند. وقد كان الوضع مستقرأ في الصين في أواخر حكم أسرة «هان Han» (النصف الأخير من القرن الثاني) مما جعل الناس في حالة استعداد لتقبل ديانة جديدة. صحيح أن فقهاء الكونفوشية-من علية القوم-ربما نظروا إلى الأمر بازدراء، لكن غالبية جماهير الشعب الصيني كانت على استعداد للترحيب بالتعاليم الجديدة، لا سيما رسالتها عن «البدهشتا» «السماوية» التي يمكن أن يلجأ إليها المرء للمساعدة لالتماس الخلاص من شرور هذه الدنيا وأحزانها.

وما أن استقرت مدرسة «المهايانا» البوذية في الصين حتى انتشرت من هناك إلى كوريا، ومنها إلى اليابان، في أواخر القرن السادس الميلادي. وأصبحت عقيدة البودهشتفا-أميتبها Bodhistattvu-Amitabha بصفة خاصة، عقيدة شعبية عرفت في اليابان باسم «أميدا Amida» وصار الإيمان بقدرة البوذية على تخليص البشر بنعمتها، وإدخالهم عند الموت في جنتها، أو أرضها الطاهرة، صار هذا الإيمان أحد التيارات المسيطرة على بوذية اليابان وظل كذلك حتى العصور الحديثة.

24- تدهور البوذية في الهند:

في ذلك الوقت كانت «اليوجاكارا» تمكن لنفسها في الهند مما ساعد على تطور العديد من عبادات التأمل وممارسات اليوجا التي استخدمت فيها على نطاق واسع، الرسوم البيانية السرية أو المندال Mandalas والأشكال المقدسة، والمانترا Mantra، ومعينات أخرى مختلفة للمساعدة على تهيئة حالات الغيبوبة. ولقد استمدت كثرة من هذه الممارسات من الديانة الشعبية التقليدية في الهند، ثم اندمجت، مع بعض التعديل أو بغير تعديل، في سياق البوذية من الناحية الاسمية. وهكذا تطورت صورة البوذية المعروفة باسم مانترا Mantra أو «مانترا-يانا» التي تميزت بها فترة العصور الوسطى

في الهند، والتي سبقت الاختفاء الفعلي للديانة البوذية من معظم شبه القارة. ولقد لعب الميل إلى حياة الأديرة دورا في تدهور الطقوس من ناحية، والإيمان البوذي من ناحية أخرى بين عامة الشعب، إذ صاحب زيادة عدد مراكز الأديرة الكبرى-حيث كان يتم تدريس التعليم الدنيوي والفلسفي لذاته-تناقص مماثل في عدد الأديرة المحلية الصغيرة «أو الأبرشيات» التي ظلت حتى ذلك الحين تخدم البوذية كنقاط تجمع مركزية لأهل الريف والمدن الصغيرة.

أما الحجاج البوذيون الصينيون فأخذوا يفدون على الهند «أرض بوذا» المقدسة. والحكايات التي يرويها بعضهم عن رحلاتهم تقدم شهادة لها قيمتها عن حالة البوذية في الهند من القرن الخامس حتى القرن السابع الميلادي. وهناك مجموعة من أشهر حجاج الصين الذين جاءوا إلى الهند سعيا وراء المخلفات أو النصوص المقدسة ومعرفة طقوس البوذية ونظم الأديرة-من أمثال فا-هسين Fa-hsien (الذي بقى في الهند من عام 399 حتى عام 414 م). وهو سانج-تسانج Hsueng-tsang الذي استغرقت رحلته منذ سفره من الصين حتى عودته من عام 629 م حتى عام 645 م، و«أي-تسنج I.Tsing» الذي بقى في الهند من (671 حتى 695 م). وقد تدهورت البوذية فيما بين زيارة «فا-هسين» وهو «سانج تسانج»، تدهورا واضحا فأصبحت الأديرة التي وجدها أول هؤلاء الحجاج الصينيين-مهدمة ومهجورة على أيام آخرهم. كما أن «هسوانج- تسانج وجد لومبيني Lumbini»(قرب مدينة كابيلافستو) مسقط رأس بوذا على هذا النحو من الإهمال. وتلك واقعة لها أهميتها الخاصة من زاوية التوقير والإجلال الذي تضفيه البوذية المبكرة على الأماكن المقدسة الأربعة وهي «لومبني» مسقط رأس بوذا، وبوذا-جايا وهي المكان الذي شهد الصحوة، ثم «سارنات Saranat» المكان الذي ألقى فيه بوذا موعظته الأولى عن الداهما Dhamma، وأخيرا كوشنجافا Kushinagava المكان الذي توفي فيه بوذا. وهكذا يوحي إهمال «لومبيني» في القرن السابع الميلادي لا بتدهور الأديرة المحلية فحسب، بل يدل كذلك في هذه الحالة على فقدان الاهتمام بالأماكن المحلية التي ارتبطت بشخصية بوذا-جوتاما التاريخية، وربما حدث ذلك نتيجة لتشديد الاهتمام بفكرة «البودهستافا» الموجودة الآن.

25- ازدهار بضعة مراكز:

في هذه الأثناء ازدادت من حيث الحجم والمكانة الاجتماعية مجموعة من مراكز الأديرة الكبيرة التي ازدهرت فيها في البداية فلسفة «الماهيانا»، ثم ازدهر الفكر النظري التنتري Tantriec بعد ذلك. وكانت المراكز البارزة موجودة في نالاندا-Na landa في إقليم بيهار وفكرا ماسيلا Vikramasila غرب البنجاب[16]، وامارافاتي Amaravati، ونكارجوناكوندا Nigarjunakonda في جنوب الهند (منطقة أندرا برادش). ويصف سكوماردت Sukumar-Dutt في كتابه «رهبان البوذية والأديرة في الهند» الندن عام 1962)، هذا التحول في مركز الجاذبية من أديرة محلية صغيرة إلى مؤسسات ضخمة تشبه الجامعات بأنها حركة انتقال من «دراسة العقيدة» إلى «دراسة المعرفة».

وخلال هذه الفترة انتشرت البوذية في التبت، وكان مؤسسها الفعلي في ذلك القرن هو «بادما-سامبهافا Panda-Sambhava» وتصطبغ صورة الديانة البوذية التي أدخلها هذا الرجل إلى التبت بالتنترية على نحو واضح، أعني بصورة الإيمان والممارسة التي تضفي أهمية كبرى على الرموز السرية والأناشيد المقدسة والأنشطة الدينية المستورة الأخرى. وكان ذلك من الأسباب التي جذبت إليها أهل التبت، فهم شعب لعب السحر دورا كبيرا في ديانتهم حتى ذلك الوقت. وبعد أن واجهت الديانة البوذية قدرا من المعارضة والاضطهاد ثبتت أقدامها في بداية القرن الحادي عشر. وكان أتيشا Atisha وهو أحد الشخصيات اللامعة التي أعادت إدخال البوذية إلى التبت-راهبا بنجاليا من دير «فكراماسيلا»- ومرة أخرى كانت الصورة التنترية هي التي نقلت إلى التبت من شمال الهند، وهي التي أضفت على بوذية التبت ملامحها الخاصة التي عرفت بها عند الأوربيين في العصور الحديثة.

26- البوذية في الهند منذ عام 1200 :

هناك ما ينبغي أن يقال حول وجهة النظر التي ترى أن البوذية اختفت تماما من الهند حوالي عام 1200. ولقد سبق أن رأينا أن تدهور المراكز البوذية المحلية ذات التأثير قد استمر لعدة قرون، وأن الأشكال المؤسسية للبوذية بدأت تتركز على هيئة معاهد دينية سرعان ما تحولت بالتدريج إلى مراكز كبرى مثل دير «نالندا-Na landa». وفي النهاية، عندما جذبت ثروة

هذه المراكز الكبرى وفخامتها، أعمال السلب التي قام بها غزاة مسلمون من الشمال الغربي، كان سقوطها يعني من الناحية الفعلية نهاية البوذية كمؤسسة معترف بها في الهند. غير أن مسئولية هذا السقوط لا تقع يقينا على الإسلام أو حتى على عاتق وحشية الممثلين الفرديين للإسلام الذين عاجلوا، فيما يبدو، المؤسسات البوذية في الهند، بضربة قاضية في ذلك الوقت [17]، فالواقع أن البوذية بوصفها مذهبا دينيا مستقلا عن معتقدات الهندوسية وفرقها كانت إلى حد كبير قد اختفت فعلا عن الأنظار.

ولقد ذهب البعض إلى أن ديانة البوذا تواصل الحياة في مذهب التفاني والولاء الديني Devotionalism الموجود في معتقدات البختي Bhakti الهندوسية. ولا شك أن مركب الأفكار والممارسات المعروف باسم الهندوسية مدين بدين كبير للأفكار والمؤثرات البوذية. ولقد قيل إن البوذية، وقد أورثت كنوزها للديانة الهندية على هذا النحو، اختفت برقة وهدوء عن المسرح كديانة قائمة بذاتها. ويبدو أن بعض جوانب عبادة الإله «فشنو» بصفة خاصة يمكن أن تدعم هذه النظرة، لا سيما مرونتها النسبية تجاه التمييزات الطائفية ومذهبها في الحب المتفاني وعقيدتها في التجسيدات أو التجليات Avatars التي كان بوذا واحدا منها، وسلوكها النباتي.. وما إلى ذلك. ومن ناحية أخرى رأى البعض أن المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها فيلسوف هندوسي مثل «شنكارا Shankara» ترجع بصورة غير مباشرة إلى تأثير التفكير البوذي، لأن هذا الفيلسوف قد تأثر فيما يبدو ببعض أفكار المهايانا في صياغة فلسفته الواحدية حتى قيل عنه إنه «بوذي متخفي».

ولاعتبارات من هذا القبيل أخذا. كونز Conze مثلا بالرأي الذي يقول إن الوجود المستقل للبوذية لم يعد يخدم أي هدف نافع، وأن اختفاءها لم يكن خسارة لأي إنسان، بل لقد خضع أيضا لقانون التغير والتحول الكلي الذي أعلنه بوذا. ومن وجهة النظر هذه «يكون السبب في موت البوذية في الهند هو الشيخوخة أو الإنهاك الكامل [18]» ومع ذلك فالبوذية في «سري لانكا» لم تمت من الإنهاك أو الشيخوخة بالغا ما بلغ اقترابها منها في بعض الحقب التاريخية، وهي اليوم أبعد ما تكون عن الضعف والوهن بعد مرور اثنين وعشرين قرنا من الوجود المتواصل في تلك الجزيرة، ويبدو من المرجح من وجهة نظر المؤرخ، أن المصير الذي لقيته الجماعة البوذية في الهند

يرجع إلى مجموعة معقدة من الظروف، يمكن أن نتعرف على عدد منها: كالنزعة المركزية، وفقدان الصفات المميزة مع اقتراب المهايانا من الهندوسية، وفقدان الحماية الملكية، وأخيرا هجمات الغزاة المسلمين.

لكن البوذية لم تختف تماما، بل ظلت صامدة في الأماكن النائية على حدود الهند، لا سيما في الشمال. وفي القرن العشرين نما عدد البوذيين في الهند، وكان ذلك بسبب التحول الديني لجماهير غفيرة من الطبقة التي كانت تعرف باسم طبقة من لا يجوز لمسهم. ولقد كان الباعث الهام على هذا التحول هو التأييد العلني للبوذية من جانب الدكتور «د. ر. أمبدكار D.R.Ambedkar» الوزير السابق في مجلس وزراء الهند المستقلة عام 1956 م. وكان «أمبدكار» رائدا لطبقة «من لا يجوز لمسهم» فحذا حذوه معظم أعضاء هذه الطبقة.

ولقد ذهب جماعة من رهبان «سري لانكا»- ومن أماكن أخرى-إلى الهند لكي يساعدوا الجماعة البوذية الجديدة، وتوجد نسبة كبيرة منهم في ولاية «مهاراشترا harashtra-Ma» ويبلغ عددهم الآن حوالي خمسة ملايين. وبالإضافة إلى هؤلاء يلاحظ الاهتمام بالبوذية على مستوى مختلف تماما: فقد ظهر اهتمام متجدد بالبوذية بين بعض المواطنين الهنود «المتحذلقين» والمتشبعين بالطابع الغربي، رغم أن هذه حركة ثقافية إلى حد كبير ويصعب أن توصف بأنها حركة بعث شعبي للبوذية.

27- البوذية في سري لانكا[19]:

كانت سري لانكا، بقدر ما نعرف حتى الآن، هي أول بلد خارج إمبراطورية أشوكا في الهند تستقبل البوذية، ولا شك أنها البلاد ذات التاريخ الطويل المتصل لممارسات البوذية، وأنشطتها. أما عن قصة دخول البوذية إلى الجزيرة بواسطة الراهب ماهندا ورفاقه فإننا نعتمد، في معظمها، على الأحداث التاريخية باللغة البالية Pali[20]، ورغم بعض الزخرفة التي ربما زينت بها تفصيلات القصة، فليس ثمة شك كبير في أن بدايات البوذية في سري لانكا ترجع على الأقل إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وقد يرجعها البعض إلى فترة أقدم.

كان ملك سري لانكا في ذلك الوقت هو الملك ديفانمبيا Devanampiya

Tissa ويعني اسمه «تسا المحبوب من الآلهة»، وفي اسمه إشارة إلى الديانة الموجودة في «سري لانكا» قبل دخول البوذية، وهي ديانة تعتمد على عبادة عدد من الآلهة يحمل معظمهم نفس أسماء آلهة «الفيدا» التي عبدت في الهند القديمة، فبراهما Brahma، و«أندرا Indra»، و«ياما Yama» و«فارونا Varuna»، وكوفيرا Kuvera، كانت هي الآلهة الرئيسية هناك-إلى جانب آلهة أخرى تشمل بلاد ايفا Bladeva و «راما Rama» وفاسوديفا Vasudeva. ولقد أصبح الملك نفسه، طبقا للرواية المأثورة، بوذيا عاديا مثله مثل معظم الناس في سري لانكا، ولم تتوقف عبادة الآلهة القدامى، وإنما تعدلت بالتدريج وتحولت إلى مذهب بوذي في أساسه افترض فيه تحول آلهة الفيدا إلى الديانة البوذية بحيث أصبحت الآن تابعة لبوذا الذي راحوا يقدمون له أسمى ألوان التوقير والاحترام.

وقد كانوا يعبرون عن محبة بوذا تعبيرا رمزيا بعبادة تمثاله Stupa أو تقديس الربوة التي تضم رفاته، أو تقديس شجرة «البو Bo»[21]. وأول تمثال نحت في سري لانكا أقامه الملك توا Tissa في العاصمة[22]. وكانت في ذلك الوقت أنورا ضابورا ولا يزال الحجاج البوذيون يمجدونه حتى الآن، ولقد احضر البوذيون نبتة[23] من شجرة البو الأصلية من «بوذا جايا-Buddha Gaya» في موكب مهيب وغرسوها في احتفال لائق في مكان أعد لها خصيصا في جنوب المدينة[24]. وكان الحدث الأكثر أهمية أثناء توطيد دعائم البوذية في الجزيرة هو دخول الرجال والنساء من السنغاليين في مراتب السنغا Sangha، وإقامة دير في «أنورا ضابورا» عرف باسم مهافيهرا Maha Vihara(أي الدير العظيم)، وأصبح منذ ذلك الوقت أهم مراكز الديانة البوذية في الجزيرة.

أما المدرسة البوذية التي وصلت «سري لانكا» وصارت لها السيادة في عاصمة الإمبراطور أشوكا فهي مدرسة ستافيرا Sthaviras أي الشيوخ أو الكبار (أو مدرسة الناضجين) وقد عرفت فيما بعد باسم مدرسة ترافادين Theravadin، وظلت النمط المسيطر من البوذية في سري لانكا، وكان رهبانها محافظين في موقفهم من التعاليم الأساسية عند «بوذا جوتاما» وفي تفسيرهم لشريعة الأديرة، وهم الذين حافظوا على الكتب المقدسة باللغة البالية Pali.

أ- خصومة حادة:

في تاريخ لاحق لاستقرار البوذية في سري لانكا ظهرت محاولة-نجحت لبعض الوقت-لإدخال صورة المهايانا من جنوب الهند. وقد نشأت خصومة حادة بين رهبان الترافيدا (أو رهبان الدير العظيم) وبين رهبان دير المهايانا المقام حديثا أو «الأبهياجيريين Abhayagiri» واستمرت هذه الخصومة عدة قرون. ويحظى هذا الجانب، في بداية الأمر، بمساندة الحاكم، ثم يتلوه الجانب الآخر، وإن كان الشعب، فيما يبدو، قد وقف بصفة عامة في صف رهبان الترافيدا. وانتهت الخصومة في القرن الرابع الميلادي عندما تدخل الملك لصالح الترافيديين الذين كتبت لهم السيادة بعد ذلك حتى أصبحوا بالفعل المدرسة الوحيدة للبوذية التي استمرت في الوجود في سري لانكا.

ولقد ساعدت على صعود هذه المدرسة وسيطرتها في القرن الخامس أعمال بوذا جوستا Buddha-ghosta[25] الذي يمكن أن تكون إنجازاته في ميدان عرض الكتب المقدسة وشرحها، وفي تأليف مرجع شامل حول أصول العقيدة، شبيهة بإنجازات القديس توما الإكويني في التراث المسيحي. لقد ظلت دراسة البوذية بلغة بالي Pali في تدهور لعدة قرون، إذ حجبتها تقريبا المكانة التي حصلت عليها اللغة السنسكريتية التي هي لغة براهمة الهند، ولغة مدرسة المهايانا البوذية. وكالبن «بوذا جوستا» هو الذي استعاد للغة بالي مكانتها في التعليم والأدب وأنزلها منزلة الشرف، وأصبح بذلك الشخصية التي استحقت من البوذيين أعظم الاحترام والتقدير، لا في سري لانكا وحدها بل في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا بعد ذلك. وربما كان أعظم مؤلفاته هو كتاب «طريق التطهر» الذي يعد في نفس الوقت ملحقا لكتابات البوذية المقدسة وعرضا نسقيا للروحانية البوذية.

ثم واصلت الممارسات البوذية في سري لانكا-بعد ألف سنة من وفاة بوذاجوستا-متابعة النموذج الذي أخذه هذا الرائد عن الرهبان القدامى الذين تلقى العلم بالتراث على أيديهم ثم صاغه بعد ذلك بتمكن في صورة أدبية. ولقد ظل الحظ في القرون التالية يبتسم «للسنغا» حينا في سري لانكا ويعبس لها حينا آخر، واقتضى الأمر في بعض الأحيان العمل على إحياء «السنغا» في البلاد البوذية المجاورة لجنوب شرق آسيا وهي بورما، وتايلاند، وكمبوديا، وفي أحيان أخرى كان الرهبان الترافيديون أنفسهم

يقومون بإحيائها في تلك البلاد عندما تنحط مكانتها.

ب- وصول البرتغاليين إلى سري لانكا:

لعل أصعب الفترات في تاريخ البوذية في سري لانكا قد بدأت على الأرجح مع وصول البرتغاليين الكاثوليك في القرن السادس عشر. ففي خلال قرن أو ما يقرب من سيطرتهم على سري لانكا، ثم بعد ذلك تحت حكم الهولنديين لمدة قرنين، وأخيرا تحت حكم البريطانيين مع بداية القرن التاسع عشر، مرت البوذية بفترة حرمت فيها أديرتها من أراضيها، كما تحطمت علاقاتها بالدولة، وأجبر أتباعها من عامة الشعب إما على ترك دينهم، وإما على التظاهر باعتناق دين آخر. وهكذا عانت البنية الرقيقة للمجتمع البوذي-سواء في ذلك عامة الشعب أو رهبان الأديرة-من أضرار خطيرة. ومع ذلك فقد بدأ بعث البوذية في سري لانكا من جديد في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت في ذلك الوقت في أشد حالاتها تدهورا.

وبدأت تظهر حركات جديدة من الرهبان وعامة الشعب، كما تجدد الاهتمام بكنوز الأدب المكتوبة بلغة بالي، ويرجع ذلك إلى حد ما لحماس المستشرقين الغربيين وطلاب الدين. ثم أقيمت مراكز جديدة للتعليم البوذي العالي، كما بدأت ممارسة التأمل البوذي تبعث من جديد في أديرة حديثة أو في صوامع في الغابات. ومع مرور الوقت أصبحت سري لانكا أمة مستقلة مرة أخرى عام 1948م، واستعادت البوذية مكانتها على نطاق واسع، وإن لم تستعدها بصورة تامة، باعتبارها القوة الرئيسية المرشدة والموجهة للثقافة في سري لانكا. وامتد تأثير البوذية من سري لانكا مرة أخرى وبصفة رئيسية من خلال منشورات الرهبان التبشيرية وأنشطتهم لا إلى بلدان آسيوية أخرى فحسب، بل إلى الغرب أيضا.

28- البوذية في بورما:

قدم المبشرون من الرهبان خلال القرون الأولى للعهد المسيحي كلا من «الهنايانا» و«المهايانا» إلى جنوب شرقي آسيا، وكانت منطقة جنوب بورما وجنوب تايلاند بأكملها مأهولة بشعب يسمى المون Mons، وكان هؤلاء يتبعون صورة البوذية الترفادية Thervada التي جاءتهم على الأرجح من شرق الهند. واستقرت مدرسة هامة للهنايانا في وسط بورما وشمالها، وهي مدرسة

سارفستفيدا Sarvastivada، وأصبح لها تأثير ملحوظ، وهكذا كان للمهايانا تأثيرها مع حلول القرن الخامس الميلادي. وهناك شواهد من علم الآثار على أن هاتين المدرستين من مدارس البوذية قد ازدهرتا في بورما العليا في تلك الفترة، وربما وصلا إلى بورما من البنجاب عبر أحد الطرق البرية. ويبدو أن المراحل التي مر بها تطور المهايانا البوذية في الهند قد تكررت مرة أخرى في بورما، ومما لا شك فيه أنه بحلول القرن السابع الميلادي بدأت البوذية تظهر في صورتها التنترية في بورما العليا على نطاق واسع.

وفي ذلك الوقت كان الجزء الشمالي من بورما يحكمه ملوك من الجنس التبتي-البورمي-Tibeto-Burmese أسلاف سكان وادي بورما المعاصرين. وكان أحد هؤلاء الملوك هو «أناوراثا Anawrahta» الذي بدأ حكمه عام 1044 م، ثم تحول إلى الصورة الترفادية من البوذية بتأثير راهب من جنوب بورما. ولقد شرع «أناوراثا» في ذلك الحين في إعداد برنامج لإصلاح البوذية التنترية التي يمارسها في مملكته كهنة يسمون Aris(حرفيا «المقدسون» أو «أصحاب القداسة»، وهو لقب يبدو أنه غير مناسب تماما في هذه الحالة). وقد حصل من مملكة مجاورة عن طريق مناف للروح البوذية، وهو طريق استخدام القوة المسلحة، على نسخة كاملة من الشريعة المقدسة بلغة بالي Pali وجعلها معيار ممارسة البوذية في مملكته.

وهكذا أصبحت الترافيدا هي صورة البوذية السائدة في جميع أنحاء بورما، واختفت «المهايانا» وإن بقيت حية فقط حين تمارس في المناسبات الطارئة التي اندمجت مع توليفة الإيمان البوذي والمحلي للسكان الأصليين وممارساتهم بحيث أصبحت تشكل النموذج المتميز لما ينبغي أن يسمى «بوذية بورما» على مستوى عامة الناس. وعلى كل حال فإن الديانة التي تمارس في أديرة بورما تتحد مع ترافيدا بلاد أخرى في جنوب آسيا (سري لانكا، تايلاند، كمبوديا، لاوس) وتقوم أساسا على شريعة بالي.

أ- أديرة كثيرة:

في بورما أديرة كثيرة، وهي توجد بالقرب من كل مدينة وقرية تقريبا، لا سيما في مناطق بورما السفلى حيث يعيش معظم السكان. ولقد كان للأديرة تأثير قوي على الحياة الأخلاقية في البلاد، كما كانت عبر القرون مراكز محلية للتربية. وقد تخصصت الأديرة في بورما في دراسة الأدب الخاص

«بالأبهاداهما» (أو جوهر العقيدة)، وهو القسم الثالث من الشريعة الذي يعالج تحليل الظواهر العقلية والأخلاقية. ولقد أشارم. هـ. بود M.H.Bode إلى أن الخلفية التي تكمن وراء هذا النوع من المعرفة هي ذلك القدر الملحوظ من الدعم من جانب الأثرياء الأتقياء من عامة الشعب، لأن العمل الأدبي يتطلب «فيهارا Vihara» (أي مباني للأديرة)، توفر من الاتساع والراحة أكثر مما تحتاجه جولات المتسول في حياته العادية، فضلا عن مكتبة كاملة من النصوص المقدسة. والقيام بتزويد الرهبان بذلك كله، إلى جانب الضرورات الأخرى للمعرفة، عمل جدير بالثناء إلى أقصى حد. وكان الأثرياء من عامة الشعب شغوفين بالحصول على هذا الثناء بتلك الطريقة بقدر اغتباط الرهبان بقبول عطاياهم (م. هـ. بود M.H.Bode «الأدب البالي في بورما» عام 1909 وقد أعيد طبعه عام 1966 ص 15).

وقد تحقق بعث آخر للبوذية في الجزء الجنوبي من بورما في القرن الخامس عشر، وكان المسئول عنه، فيما يبدو، هو الملك «دماتشي Dhammaceti»(1460- 1691)، وكان هذا الملك قد تحول إلى راهب في فترة مبكرة من حياته، كما عرف بتقواه بعد أن أصبح ملكا، فاستمر يعمل على حماية «السنغا» طوال عهده، واهتم بإصلاح جوانبها الأقل تشددا في التمسك بالمعتقد القديم، كما أرسل بعثة من الرهبان إلى سري لانكا للدراسة وإعداد أنفسهم للعمل على بعث حياة الدير في مملكته بعد عودتهم، وقرب نهاية القرن الخامس عشر تراجع استخدام لغة بالي بصورة مطلقة بوصفها لغة الدين أمام استخدام اللغة البورمية، وهي عملية اكتسبت دفعة قوة في القرن السادس عشر بعد أن تزايد بالتدريج عدد الكتب المقدسة، والشروح، والتعليقات، والأدب الديني التي بدأ إنتاجها باللغة العامية (وهي عملية توازي بشكل مثير عملية مماثلة حدثت في نفس الوقت تقريبا في الهند وأوربا مع استخدام اللغة السنسكريتية واللغة اللاتينية على الترتيب).

ب- الإنجليز يحكمون بورما:

لم تتأثر بورما، على خلاف سري لانكا، إلا أقل تأثر بقدوم البرتغاليين. ولم يبدأ الاستعمار الأوربي في التأثير على بورما إلا في مطلع القرن التاسع عشر، وتم ذلك عن طريق التوسع التدريجي لحكم الإنجليز على ثلاث مراحل «1826 و1853 و 1885 م»، وقد عزل آخر ملوك بورما من مدينة

مندلاي Mandalay[26] وأصبح الإنجليز هم حكام البلاد كلها. ونتج عن استغلالهم مواردها الطبيعية، مع دفع تعويضات بالغة الضآلة عن المنافع الاقتصادية، آثار مدمرة على الحياة في بورما لم تبرأ منها حتى يومنا هذا، كما تحطم النموذج القديم للحماية الملكية «للسنغا» ورعايتها. ولم يفعل البريطانيون شيء لإصلاح الأضرار التي أحدثوها مما جعل حياة «السنغا» تعاني بشدة نتيجة لذلك. وعلى الرغم من أن التكوين الاجتماعي الخاص بالمعاهد البوذية في بورما قد عانى من أضرار الحكم الاستعماري، فإن التكوين المادي بقى قائما دون أن يمس من جانب البريطانيين أو من جانب حكم اليابانيين الذي كان أقصر منه قليلا. وفي بورما توجد مجموعة من أفخم «الباغودات Pagodas»[27]، البوذية في آسيا، وأعظمها شهرة هو المسمى Shwe Dagon أو الباغودا «الذهبية» في الضاحية الشمالية من مدينة رانجون Rangoon[28]. ويتألف هذا المركز العظيم للعبادة البوذية من كتلة من الحجارة الدائرية المركزية تغطيها تماما صفائح رقيقة من الذهب الخالص، ويبلغ ارتفاعه قدر ارتفاع قبة كاتدرائية القديس بولس في لندن، ويحيط بالمبنى رصيف دائري مكشوف من المرمر، أقيمت على أطرافه الخارجية مجموعة متنوعة من الهياكل والأديرة. وهو مكان يؤمه الحجاج البوذيون من كل أنحاء جنوب شرقي آسيا، ولا سيما مدن وقرى بورما، وهناك باغودات أخرى شهيرة في مدينة مولمين Moulmein وفي العاصمة السابقة مندلاي.

كان بعض رهبان البوذية-خلال تقلبات فترات الاستعمار-يدعمون التراث التقليدي في دراسة «الأبهى داهما» التي اشتهرت بها بورما، وكذلك أساليب معينة في التأمل تقوم على أحاديث بوذا في شريعة «بالي» التي تخصص فيها رهبان بورما. وهناك خاصية ملحوظة منذ حقبة الاستقلال ألا وهي نمو مراكز التأمل التي يرتادها عامة الشعب لا سيما حول مدينة رانجون، حيث يزور هذه المراكز خدم وتجار ومعلمون.. إلخ لقضاء فترة أسبوعين أو ثلاثة-وربما أربعة أسابيع في ممارسة التأمل تحت إشراف وإرشاد دقيقين من أستاذ في التأمل.

29- تايلند:

يرتبط أقدم شاهد على وجود البوذية في تايلند بشعب المون Mons

(وقد سبق أن ذكرناه ونحن نتحدث عن بورما). وتدل شواهد أثرية في بعض المواقع في سهل جنوب تايلند-مثل سهل «نكورن باتون Nakorn-Pathon»-حيث يوجد هيكل Stupa[29] قديم وضخم-على أن البوذية كانت تمارس طقوسها هناك منذ القرن الثاني الميلادي. ويبدو أن القطع الفنية التي عثر عليها، وهي تماثيل لبوذا، وقطع من الفخار عليها كتابات منقوشة و«والدهما كارا» (عجلة العقيدة)، ويبدو أنها لموضوعات تنتمي إلى هذه الحقبة. ولقد ظلت تقريبا صورة البوذية منذ هذه الفترة المبكرة وحتى قرب نهاية القرن السابع الميلادي هي أساسا صورة الهنايانا البوذية.

لكن منذ القرن الثامن وما بعده تزايدت قوة المملكة المجاورة-مملكة شري-فيجايا Shri-Vijaya(في سومطرة) لدرجة جعلتها تؤثر تأثيرا كبيرا فيما يسمى الآن بجنوب تايلند. وقد شمل ذلك تأثير الدين الذي كان سائدا في سومطرة في ذلك الوقت، وهو خليط من مهايانا البوذية وبعض عناصر هندوسية. وتماثيل بوذا التي عثر عليها في تايلند وتنتمي تاريخيا إلى هذه الحقبة، أي فترة سيادة مملكة «شري- فيجايا»، تعكس خصائص المهايانا. وقل مثل ذلك عن شرق تايلند الذي وقع تحت سيطرة أسرة «خمير Khmers (مملكة هندوسية في المنطقة المعروفة الآن باسم كمبوديا) فيما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر، الأمر الذي نتج عنه تدفق سيل من عناصر الثقافة الهندوسية. لكن في القرن الثالث عشر كان شعب التاي Thai يتحرك بالفعل نحو شمال البلاد قادما من جنوب الصين[30]، ثم انتشر في الجنوب مع مطلع القرن الرابع عشر. وأثناء انتشاره استوعب صورة الهنايانا البوذية الخاصة بشعب المون الذي يقطن السهل الأوسط.

ومنذ هذا التاريخ فصاعدا نشأت فيما يبدو في تايلند علاقة تشبه تلك التي قامت في بورما بين الملك والرهبان، حيث نجد الحاكم في معظم الأحوال يبسط حمايته ورعايته على جماعة السنغا في مملكته. ولقد شهدت مدرسة «ترافيدا» البوذية حركة إصلاح في «سري لانكا» إبان القرن الرابع عشر تحت حكم الملك المشهور باركاماباهو Parkkama Pahu، وجذب ذلك عددا من الرهبان من تايلند إلى سري لانكا، وعندما عاد هؤلاء الرهبان إلى وطنهم أدخلوا فيه الإصلاحات التي أدخلت على الترافيدا سواء في الممارسات أو التعليم، ومنذ ذلك الحين وصورة مدرسة الترافيدا هي

المسيطرة في تايلند.

أ- عاصمة جديدة:

في نهاية القرن الثامن عشر أقيمت عاصمة جديدة في جنوب البلاد على نهر تشاوفيا Chao-Phya (أو نهر مينام) أولا باسم دهون بيري Dhonburi على ضفة النهر الغربية، ثم بعد ذلك على الضفة الشرقية المقابلة لدهون بيري في كرنج تيب Krung Thep أو بانكوك. ولقد عرفت أسرة ملوك تابي الذين أسسوا هذه العاصمة الجديدة باسم راما Rama[31]، الذي جرى العرف على أن يلحق به رقم معين. ومن أشهر هؤلاء الملوك: الملك راما الرابع المعروف كذلك باسم مونجوت Mongkut، وقبل أن يصبح ملكا عقب موت أخيه عام 1851- كان قد عاش راهبا بوذيا لمدة ثلاثين عاما، وظل في الجزء الأخير من هذه الحقبة رئيسا للدير أو المعبد Wat في بانكوك. ولقد أدخل في هذه الفترة عددا من الإصلاحات، وسعى إلى تطوير تفسير جديد للأفكار البوذية من منظور الفكر المعاصر، فقد كان هو نفسه عالما وملما بالثقافة الغربية في عصره. وكان تأسيس مدرسة متطورة «للسنغا» تسمى داهمايتيكا Dhammayatika واحدا من أهم إنجازاته. والواقع أن هذه المدرسة لم تعرف كمدرسة مستقلة من مدارس السنغا إلا في العهد التالي «لمونجوت»، وهو عهد ابنه شولا لونجكورن Chulalongkorn (أوراما الخامس).

ولقد خرجت هذه المدرسة من أفواج الرهبان الذين بدأ مونجوت في تجميعهم عندما عين رئيسا لمعبد بوفورانيف في بانكوك عام 1837. وفي خلال الأربع عشرة سنة التي حكم فيها اكتسب مونجوت سمعة طيبة استحقها كواعظ ومعلم وشارح للأفكار البوذية بمصطلح سهل يستطيع جميع المستمعين فهمه. ولقد تعلم اللغة اللاتينية من أسقف كاثوليكي كان جارا له هو الأسقف باليجوا، ثم تعلم اللغة الإنجليزية من بعثة تبشيرية تابعة للكنيسة المشيخية الأمريكية. واهتم بصفة خاصة بالمعرفة العلمية المعاصرة وتطبيقاتها العملية، كما أنه كان يحتك باستمرار، في جولاته اليومية بوصفه راهبا، بعامة الناس في مدينة بانكوك. وعندما ترك الدير ليتولى مسؤوليات الملك بعد وفاة أخيه عام 1851، كان معبد بوفورانيف Bovoranives قد أصبح واحدا من أعظم مراكز «السنغا» البوذية أثرا في تايلند.

لم يسع «مونجوت» إلى تفسير «الداهما» تفسيرا معاصرا فحسب، بل نجح كذلك في أن يرد لحياة «السنغا» بعض جوانبها الأساسية العامة التي كانت قد غابت عن الأنظار. ولقد أدى تطهيره لحياة السنغا وإصلاحه لنظامها إلى تنشيطها وإنعاشها، الأمر الذي انتشر من الدير الذي كان يرأسه إلى أديرة أخرى كثيرة، وظلت هذه العملية متواصلة حتى يومنا الراهن.

ب- الأثر الباقي للبوذية:

تقدم لنا تايلند مثلا جيدا لنوع الحياة (الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية) التي كانت «الترافيدا» البوذية قادرة على تطويرها وتدعيمها في جنوب شرقي آسيا عندما تحررت من الآثار المدمرة للاستعمار والشيوعية. لقد قنع الشعب تماما بالفرص التي قدمتها «الترافيدا» للتعبير عن الحياة الدينية وممارساتها. فقد عملت بعثات التبشير المسيحية بين شعب تاي Thai لعدة سنوات وتلقاها بروح طيبة واحترمها بصفة عامة، ولكن لم يعتقد سوى أقل من 2٪ من الشعب بضرورة التحول إلى ديانة أخرى.

في عام 1982 كان في تايلند 24 ألف دير، و175 ألف راهب وراهبة، وحوالي 100 ألف راهب تحت الإعداد. والسبب في تأرجح أعداد الرهبان هو أن كثيرا من الناس لا يلجؤون إلى حياة الأديرة إلا في مواسم المطر فقط، أي من شهر يونيو حتى أكتوبر. ومنذ عام 1902 م، و «السنغا» تدير أعمالها مستقلة عن الحكومة الدنيوية من خلال «مجلس السنغا الأعلى»، رغم أن الملك ظل بوذيا وراعيا للنظام وحاميا له. وقد نشط الرهبان في الوعظ وتفسير العقيدة البوذية والأسلوب البوذي في الحياة في جميع أنحاء البلاد، لا عن طريق الاجتماعات المحلية في المعابد فحسب، بل كذلك عن طريق الإذاعة والتليفزيون. وهكذا تم إرسال الرهبان في بعثات تبشيرية بوذية إلى ماليزيا، والهند، ولاوس، وإنجلترا. وأصبحت بعض الأديرة مراكز للخدمة الاجتماعية وشملت بداخلها مدارس مختلطة ومكتبات ومستشفيات.

35- كمبوديا، ولاوس، وفيتنام:

ظلت المستعمرة الفرنسية السابقة في الهند الصينية لعدة قرون تشمل

عددا من الممالك المستقلة قبل أن يستعمرها الفرنسيون في أواخر القرن التاسع عشر. وكان التراث الديني البوذي هو المسيطر في كل هذه الممالك، إذ سيطرت مدرسة ترافيدا في كمبوديا ولاوس، والمهايانا في فيتنام، لكن تراث المهايانا كان هو السائد قبل القرن الثالث عشر في كمبوديا ولاوس أيضا، وهو تراث اندمجت فيه عناصر من الديانة البرهمية. ومع نهاية القرن الثالث عشر كانت المجموعات الدينية الثلاث الممثلة في كامبوديا هي الهندوسية، والبراهمة عبدة الإله شيفا، ومدرسة الترافيدا البوذية. ونتيجة لتأثير التاي، منذ القرن الرابع عشر وما بعده-بدأت كمبوديا تصبح أكثر فأكثر بلادا ترافيدية. ثم تأسست دولة لاوس عام 1353 بواسطة أمير تابي علمه أحد الرهبان البوذيين في كمبوديا. ومنذ ذلك الحين ولاوس تتطور إلى بلاد تسودها الترافيدا البوذية التي ارتبط رهبانها بروابط وثيقة برهبان البلد المجاور وهو تايلند.

وكانت المهايانا البوذية قد وصلت إلى فيتنام في فترة سابقة على القرن الحادي عشر الميلادي، ولقي فيها الرهبان البوذيون قدرا من الإحترام لتميز حياتهم وتعاليمهم على حد سواء. وفي عام 1010 م تولى أحد البوذيين واسمه «لي تايي-تو Ly Thai-To» حكم فيتنام، ومن ذلك الحين فصاعدا حظيت بوذية تشن (زن Zen) بمكانة مرموقة. وكان خلفاؤه من أسرة «لي Ly» في القرنين الحادي عشر والثاني عشر حتى عام 1225- أتباعا متحمسين لبوذية زن Zen . ثم وقعت البلاد تحت سيطرة الصينيين في أوائل القرن الرابع عشر. ونتج عن ذلك نمو الأثر الكنفوشي والتاوي والحد من نشاط رهبان البوذية. أما فيما يتعلق بعامة الشعب فقد أدى ذلك إلى نشأة نزعة التوفيق الدينية، وخضعت البوذية مرة أخرى لقيود صارمة في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر تحت حكم الإستعمار الفرنسي، وكان ذلك نتيجة لنمو التأثير الكاثوليكي، وواصلت الأقلية المخلصة من الرهبان ممارستها الدينية في عزلة بينما ساند الرهبان البوذيون المنخرطون في الحياة العامة Bonzes[32] نزعة تلفيقية ضمت عناصر من البوذية التنترية مع الديانات البدائية وتعدد الآلهة.

ومنذ بداية القرن العشرين، وحتى اندلاع العداوات التي خربت البلاد في ستينات القرن-بدأت البوذية في استرداد عافيتها بانتظام في فيتنام.

وقد كانت أبرز صور إحياء البوذية هي أميدا Amida (أي الأرض الطاهرة)، وهي صورة من المهايانا التي نمت على حساب بوذية (زن Zen)، وإن كان تأثير مدرسة ترافيدا قد أخذ كذلك في النمو. ففي عام 1951 تشكلت رابطة تضم جميع البوذيين الفيتناميين، ولعدة سنوات ظل رهبان البوذية الفيتنامية يلتقون معا، لا مع مواطنيهم فحسب، وإنما مع البوذيين من بلاد أخرى أيضا، وكانوا يزدادون وعيا بأن البوذية جماعة دينية عالمية. وبعد عام 1962 فرض على قادة البوذية في فيتنام القيام بدور سياسي أكثر علانية، في الوقت الذي أحيا فيه بعضهم ممارسات المهايانا الصينية التي تقول بالتضحية بالنفس في سبيل بوذا. وتشهد الصورة الحديثة لهذه الممارسات بإخلاصهم وإيمانهم بالتراث البوذي بقدر احتجاجها على تخريب البلاد وتدمير الشعب الفيتنامي.

32- إندونيسيا:

لا نعرف الشيء الكثير عن تاريخ البوذية المبكر في البلاد التي تعرف الآن باسم إندونيسيا، ولكن يمكن القول ونحن مطمئنون إنها دخلت إلى جزيرة «جاوة» حوالي القرن الخامس الميلادي، وأنها قامت بدور هام خلال القرون التالية في معظم المناطق الأخرى التي تعرف اليوم باسم إندونيسيا. ويبدو أن دخولها هذه المنطقة جاء نتيجة لنفس الدافع التبشيري الذي اتسمت به بوذية الهند. ولقد استقرت في سومطرة في القرن السابع تحت حكم ملوك أسرة srivijaya الذين كانوا يحكمون الجزيرة في ذلك الوقت. وشهد أحد الحجاج البوذيين الصينيين بأهمية مملكة «سرفيجيا» كمركز للتعاليم البوذية عندما زار جزيرة سومطرة خلال رحلاته.

أدى الاحتكاك بالهند الشرقية إلى تطور في المهايانا البوذية في الهند انعكس في سومطرة، ومع مطلع القرن الثامن كانت الصورة التنترية للبوذية قد انتشرت هناك، ومنذ بداية القرن التاسع استقرت البوذية تماما في شبه جزيرة الملايو التي كانت عندئذ تحت حكم أسرة سلندرا Sailendra. وفي «جاوة» بناء ضخم يعرف باسم البوربودير Borobudur[33]، وهو منحوت على شكل هرم كبير، ويرجع تاريخه على الأرجح إلى القرن الثامن ويدل على المكانة الكبيرة التي اكتسبتها البوذية في جاوة. وطوال الفترة التي

اكتسبت فيها البوذية مكانة شعبية مرموقة في إندونيسيا ظلت تتعايش على نحو ودي وحميم مع الصورة «الشيفية» من الديانة الهندوسية، كذلك مكنت الصورة التنترية من البوذية إلى حد ما للنزعة التوفيقية مع المعتقدات والممارسات الدينية الوطنية في إندونيسيا، والملايو، ثم أزاحها الإسلام ابتداء من القرنين الثالث عشر والرابع عشر وما بعدهما بطريقة تدريجية وسلمية إلى أقصى حد، ويرجع ذلك إلى أن صورة الإسلام التي جاءت إلى إندونيسيا من الهند نفذت بعمق عن طريق الصوفية، وتحولت الأديرة البوذية إلى مراكز دينية إسلامية، كما أن نمط الحياة الدينية الذي أقامته تلك المراكز الدينية الإسلامية كان يشبه نمط الحياة الدينية في النظام الاجتماعي البوذي[34] شبها لم يشعر أحد معه بتغير كبير أو صغير.

وعلى الرغم من أن معظم سكان إندونيسيا الآن من المسلمين فلا يزال فيها بعض البوذيين، وعلى حين أن عددهم فد يكون ضئيلا، فإن ذلك لم يمح الأثر البوذي تماما. فالاحتفال المسمى فيزاك Vesak، وهو احتفال بمولد بوذا وصحوته ودخوله النرفانا الأخيرة البارينيرفانا Parinirvana لا يزال يقام سنويا، كما أن هناك مركزا بوذياً وديرا في باندونج. وبصرف النظر عن ذلك فقد تركت البوذية بصماتها على كثير من جوانب الثقافة الإندونيسية، ولعبت دوراً أساسيا في إضفاء سمات معينة على إندونيسيا المسلمة.

32- التبت:

استقرت البوذية في التبت، كما سبق أن رأينا، منذ القرن الحادي عشر. وفي عام 1076 اجتمع في التبت الغربية مجلس «ثو-لنج Tho-Ling» وأتى إليه الرهبان، كما قيل، من جميع أنحاء البلاد، فبدا واضحا منذ ذلك التاريخ أن البوذية قد انتشرت انتشارا واسعا في التبت. وتميزت فترة النمو من القرن الحادي عشر حتى القرن الخامس عشر بظهور عدد من الحركات المختلفة. وقد نشأت هذه الحركات على نطاق واسع، كما يحدث عادة في أنواع أخرى من التراث الديني، نتيجة الاختلافات الاجتماعية والسيكولوجية بين الأتباع المختلفين المؤمنين بدين معين، ولكن ربما يكون نمو هذه الحركات كذلك علامة على حيوية كبيرة اكتسبتها الديانة البوذية في التبت في تلك

الفترة.

ولا شك أن البنغال المجاورة شهدت ضربا من الإحياء أو الانتعاش للبوذية إبان القرن الحادي عشر، وشق كثير من الرهبان طريقهم من البنغال إلى التبت خلال هذا القرن والقرون الثلاثة التالية. وترجع هجرة الرهبان البنغاليين هذه، إلى حد ما، إلى الصعوبات المتزايدة في تدعيم مراكز الأديرة في البنغال خلال تلك الفترة التي نمت فيها القوة الإسلامية في شمال الهند. وقد انتقلت الصورة التنترية من البوذية إلى التبت في أواخر هذه الفترة، وجلب الرهبان معهم قدرا من الروح السائدة في مراكز التعليم العظيمة من أمثال نالندا Nalanda وفكراماسيل Vikramasile وكانت النتيجة أن أصبحت المراكز المماثلة للأديرة ذات سمة خاصة تميزت بها بوذية التبت واحتفظت بها حتى القرن العشرين.

وكان راهب يدعى ميلا Mila هو أحد الشخصيات الكبيرة في القرن الحادي عشر في التبت، ثم أضيف إلى اسمه لقب Repa (أو لابس القطن) إشارة إلى تقشفه التام في طريقة حياته، وارتدائه ثوبا من القطن على الرغم من برودة الجو في التبت، كما قيلت أشياء كثيرة حول زهده البالغ، فضلا عن أنه كان شاعرا نظم «مائة ألف أغنية»، أصبح الكثير منها شائعا عند أهل التبت ولا يزال كذلك. وكان هذا الراهب نفسه تلميذا لمعلم اسمه «ماربا Marpa» أسس فرقة من أكثر الفرق شعبية اسمها «كا-جيو-با Ka-gyu-pa» اهتمت اهتماما خاصا بممارسة «اليوجا» وغيرها من الرياضات الروحية أكثر من اهتمامها بالحكمة الفلسفية. وهناك فرقة أخرى تقابلها عنيت بالالتزام الدقيق بالشريعة التقليدية لنظام الدير، وفرقة ثالثة بالسعي وراء الأفكار الفلسفية العميقة، وفرقة رابعة انصب اهتمامها على التنظيم الاجتماعي الذي كان من آثاره العارضة تقديم أسس راسخة للتنظيم الاجتماعي في البلاد بعد تدهور النظام الملكي. غير أن هذه الفرق المختلفة لم توجد داخل البوذية متنافسة متناحرة، بل كانت في حالة انسجام ووئام، واتفق على أن تنوعها واختلافها يجعلها تؤلف معا وحدة واحدة، فكل فرقة تقدر الفرق الأخرى وتعتبرها أجزاء من كل شامل هو الذي يشكل البوذية في التبت.

وبدأت في القرن الرابع عشر حركة إصلاح هامة بقيادة معلم اسمه

تسنج كابا Tsong-Kapa(1357-1417)[35] انتهت بتشكيل «جلج با Gelug-pa» وهي فرقة معروفة على المستوى الشعبي باسم «جماعة أصحاب القبعات الصفراء». وقد أحيت هذه الفرقة تراث نظام الأديرة الدقيق، فأعضاؤها لا يتناولون الخمر، ولا يتزوجون «على خلاف بعض رهبان التبت الآخرين» ويتمسكون بقدر عال من الأخلاق الشخصية. وشاع الاعتقاد بأن أحد رؤساء الأديرة الذي توفى عام 1475 قد تجسد مرة أخرى في جسد راهب شاب، وأنه بدوره تجسد بعد موته في راهب آخر.

وهذا الـ «لاما Lama» الذي تجسد المرة تلو الأخرى ونظر إليه بإجلال كبير أطلق عليه اسم «التالاي Talai» (المحيط). ومن هنا بدأت سلسلة التالاي أو الدلاي لاما[36]. وفي غام 1642 أصبح أصحاب القبعات الصفراء القوة الحاكمة في التبت، واستمروا على هذا النحو حتى استولى الصينيون على التبت في عام 1950.. وكان «الدلاي لاما»، بوصفه الزعيم الروحي لأصحاب القبعات الصفراء، هو أيضا رأس الدولة في التبت، ويمكن أن نقارن مركز «الدلاي لاما» بوضع البابا في أوربا الكاثوليكية، فهناك أوجه شبه بينهما، لكن الفارق الجوهري هو الاعتقاد بأن الدلاي لاما هو تجسيد لكائن سماوي أو «بوديساتفا Bodhisattva»(وهو أعظم «اليوديستافات» الذين تقول بهم مهايانا الهند شهرة) والاعتقاد السائد هو أنه عندما يموت الدلاي لاما يكون التجسيد التالي طفلا يولد بعد تسعة وأربعين يوما، وهناك طريقة معتادة ومحددة تحديدا جيدا للبحث عن الطفل والتعرف ذلك الذي سيصبح الدلاي لاما الجديد، وذلك لتدريبه على الواجبات الروحية.

ولقد ظل عدد من أديرة التبت قائما لمدة تبلغ الثمانية قرون حتى عام 1950 م كما ظل مسايرا لتراث جامعات الأديرة في الهند بوصفها مراكز كبرى للتعليم. وكانت دراسة التاريخ تمثل أحد الاهتمامات الرئيسية عند عامة الشعب، فالمؤرخ بو-ستون Bu-Ston، وهو من أهل التبت، هو الذي كتب أقيم وأشهر كتاب في تاريخ بوذية الهند.

أما بوذية عامة الناس في التبت فقد تشربت الكثير من الديانة المبكرة التي سبقت البوذية وكانت تعرف باسم «بون Bon أو BPon»، وكانت ضربا من «الشامانية-Sha manism» مع عبادة الأرواح والآلهة الحارسة من مختلف الأنواع. وكان إله التربة، وهو أحد الآلهة الهامة، يتم تبجيله بواسطة عصا

مستقيمة أو عمود تتم زخرفته في الغالب بقطع من الخرق أو القماش الملون. ولهذا وصف الرحالة الذين مروا بالتبت أهلها بأنهم مشغولون بصفة مستمرة «بعجلة الصلاة»، إذ يقدمون الصلوات إلى هؤلاء الآلهة كلما فرغوا من أعمالهم الأخرى، وكانت هذه سمة من سمات الديانة السابقة على البوذية. أما أعظم خاصية للرمز البوذي، وأعني بها المعبد أو الباغودا، فكانت له صورة خاصة في التبت معروفة باسم «تشو-تن Cho-ten»، وهو منظر مألوف في التبت.

ويشير هـ. أ. ريتشاردسون H.E.Richardson-وهو أحد مؤرخي التبت المحدثين-إلى أن السمات التصويرية المعتادة في بوذية التبت هي التي كثيرا ما لفتت أنظار الغربيين، على حين أننا لا نسمع إلا قليلا عن التقوى اللافتة للنظر والتأثير الأخلاقي للحياة الهادئة في الأديرة. وهو يضيف إلى هذا أن حياة عامة الناس يسودها التدين الصادق الذي لا يثير ولا يلفت الأنظار، وهو يمارس داخل الأسرة ويعدّ عنصر تماسك واستقرار في حياة أهل التبت.

لقد كان الأثر البارز الذي تركته البوذية في شعب التبت هو تحويل القبائل التي كانت في السابق مولعة بالقتال والعمدوان إلى شعب مسالم بلغت نزعته إلى المسالمة حد النفور من القتال والعجز عن مقاومة الغزوات التي يشنها من الشمال شعوب أخرى من غير أهل التبت. وآخر مثال على ذلك هو سيطرة الصين على البلاد بحجة أن التبت من الناحية السياسية جزء لا يتجزأ من الصين، وهو ادعاء يقوم على أساس أمثلة تاريخية أقدم لحكم صيني مماثل. وقد نتج عن هذه السيطرة تشكيل جذري جديد لبنية الحياة التقليدية في التبت التي اختفت تقريبا فيما يبدو داخل التبت نفسها، وإن احتفظت لنفسها بوجود قلق بين المهاجرين من التبت الذين يعيشون فوق التلال الملاصقة لسلسة جبال الهمالايا في شمال الهند، حيث تقدم الحكومة الهندية الصديقة بعض المؤن لهؤلاء اللاجئين حتى تنقذ ما تبقى من ثقافتهم التقليدية. ويمكن على كل-حال أن نتصور أن جماعة التبت في شمال الهند تستطيع أن تقوم في المستقبل بدور ما في إعادة استقرار البوذية في البلد الأصلي الذي جاءت منه. وقد أعيد فتح «قصر بوتالا» في عام 1980 في «لهسا» للبوذيين من أهل التبت، كما سمح لبعض الحجاج

بزيارته.

33- خاتمة:

ربما يكون من المناسب أن نسوق في خاتمة هذا البحث الموجز بعض الملاحظات العامة لتساعد القارئ على أن يحكم من منظور سليم على ما ذكرناه عن البوذية في الفترات التاريخية المتعاقبة وفي البلاد المختلفة التي انتشرت فيها.

وإذا كان في استطاعتنا أن نفرق بين قسمين رئيسيين في البوذية هما: المهايانا، والهنايانا (ولا تمثل الأخيرة في الوقت الحاضر إلا واحدة فحسب من مدارسها الأصلية الثماني عشر وهي مدرسة ترافيدا)، فسوف يكون من الخطأ النظر إلى هذين القسمين على أنهما يشكلان انقساما أو انشقاقا يشبه ذلك الذي حدث في التاريخ المسيحي بين الكنيسة الرومانية والأرثوذكسية اليونانية، أو بين الكاثوليكية الرومانية والبروتستانتية. ورغم أن الظروف المحلية أدت، في فترات معينة، إلى خصومة عنيفة بين دير المهايانا ودير الهنايانا (كما حدث في سري لانكا) فقد استطاع رهبان المدرستين في ظروف أخرى، كما هو الحال في الهند، أن يعيشوا معا في دير واحد. وهناك اليوم، كالأيام الخوالي تماما، مشاركة ملفتة للنظر في التعليم والتجربة بين ممثلي الجناحين. والاختلافات بينهما هي بالضبط اختلافات في التشديد على جوانب معينة. وفي البلاد التي تسيطر فيها إحداهما (كما هو الحال في بورما وتايلاند مثلا حيث تنتشر صورة الترافيدا البوذية) لا نفتقد الشواهد التي تدل على انتشار أفكار المهايانا وتطبيقاتها.

والواقع أن طابع البوذية وروحها غريب تماما عن التعصب الأعمى تجاه أولئك الذين يختلفون معها في الرأي. ويمكن توضيح ذلك على مستوى آخر هو كرم الضيافة أو حسن الوفادة، الذي استقبلت به مدرستا المهايانا والهنايانا معتقدات البلد الأصلية وتعاليمها. فهي لم ترفض هذه المعتقدات رفضا عنيفا ولم تدنها بغير تردد، بل سمحت لها بالاستمرار وضمتها بالتدريج للمعتقدات والممارسات البوذية التي تتم في الأديرة حتى أصبحت وسائل للتعبير عما هو بوذي أساسا.

ربما وجد الملاحظ الغربي في ذلك أخطارا حقيقية تهدد المحافظة

على الصورة «النقية» للدين، لكن الشواهد التي تقدمها 200, 2 سنة من التاريخ البوذي، في سري لانكا مثلا، تدل على أن التسامح، عندما يرتبط بالحرص الجاد على الدعوة وبالتعاطف الرحيم، لا يؤدي إلى اختفاء الاستبصار الأصلي أو إلى إضعاف التجربة والممارسة الدينية-والموقف الذي تلخصه العبارة القائلة بأن «ما تؤمن به وتمارسه يختلف عما أؤمن به وأمارسه، ومادامت الصورة التي أؤمن بها صحيحة، فلا بد أن تكون الصورة التي تؤمن بها خاطئة وينبغي عليك أن تقلع عنها»، هو في الحقيقة موقف لا يتناسب مع السياق البوذي حيثما كان موطنه. وعند الاختيار بين التسامح والإحسان من ناحية، وبين العداء وامتلاك الحقيقة المطلقة الشاملة من ناحية أخرى-نجد أن البوذيين يفضلون بصفة عامة الخيار الأول.

هكذا ظل الحظ يبتسم للبوذية حينا ويعبس لها حينا آخر، ولا شك أنه سوف يواصل ذلك. ويقدم لنا تاريخ سري لانكا مثالا واضحا على ذلك، فهناك امكانان اثنان على الدوام: ففي عصور الانهيار والمصاعب والمقاومة أو الكراهية من قبل الشعب، يتعرض التراث البوذي لأشد أنواع المعاناة من تزايد العداء له، غير أن هناك أيضا إمكانا آخر هو أن تبعث البوذية من جديد، وأن تسترد عافيتها، على نحو ما حدث في عدة مناسبات طوال التاريخ. ومن الصواب بصفة عامة أن تقول إن البوذية لم تنتشر قط بقوة السلاح، وأنها قد قاست في بعض الأحيان من العجز عن التأثير بسبب روحها النبيلة الرقيقة. قد يكون ذلك عيبا، لكنه قد يثبت من ناحية أخرى أنه ربما يكون في المستقبل في صف البوذية.

ليس الرجل البوذي رجل سلام بالمعنى السلبي، فهو بموقفه الباطني قوة فعالة لصنع السلام، على نحو ما يثبت التاريخ الداخلي للبلاد البوذية. فقد ازدهرت البوذية في أوقات السلام، واستخدمت، باستمرار، فنون السلام بنجاح تام لخدمة أهدافها. وفن النحت البوذي، والرسم، والعمارة تقدم شهادة ناطقة على الأثر النبيل الرفيع الذي كان للبوذية على المجتمع البشري. وفي التحليل النهائي نجد أن الأفق البوذي، شأنه شأن الأفق المسيحي، ليس محدودا بالعالم الزمني والمادي العابر الزائل، فالسلام الذي أعلنه بوذا أو الداهما Dhamma وكذلك «السنغا» هو سلام عالم أزلي.

٩ الصين

تقف الصين وحدها وسط حضارات العالم العظيمة. فقد تطورت في عزلة تامة، تقريبا، عن بقية الحضارات، ولهذا كانت إنجازاتها فريدة. وهذه الخاصية الفريدة جعلتها في آن معا ممتعة لمن يشاهدها، محيرة لمن يحاول فهمها. أجل فقد تطورت الصين بنفسها وساعدتها على ذلك عزلتها الجغرافية عند النهاية الشرقية القصوى (في الطرف الشرقي الأقصى) من العالم الأوربي الآسيوي القديم، تحيط بها جبال وصحراء ولا تمر بها أية طرق للتجارة.

ويتكلم الصينيون لغة لا يربطها صلة بأية جماعة لغوية أخرى، وتكتب بخط اخترعوه لا يشبه غيره. لكن لهذا الخط ميزة كبرى، إذ تعبر رموزه في الكتابة عن الأفكار لا الأصوات، ولذا يمكن قراءتها في جميع أنحاء الصين بغض النظر عن «لهجة» المتكلم، بل إن الكتب التي كتبت بهذا الخط قبل ألفي سنة يمكن قراءتها اليوم بسهولة. وقد قامت اللغة وطريقة كتابتها بدور قوي في إحساس الشعب لا بالوحدة والهوية فقط، بل كذلك بالاستمرار والاتصال.

كان الشعب الصيني في تراثه التقليدي يعتبر نفسه مركزا للكون. وكلمة شنج-كيو Chung-kuo وهي

الاسم الصيني للصين، تعني حرفيا «مملكة الوسط» فقد عدّ الصينيون أنفسهم، على نحو ما فعل الإغريق، جزيرة من الثقافة وسط بحر من التوحش والهمجية-وظلوا لمدة طويلة، على خلاف الإغريق وعلى نحو أشبه بالرومان، يفهمون فنون الإدارة الحكومية على نطاق واسع. وابتداء من الخدمة المدنية التي تقوم على أساس اختيار الكفاءة، فإن البيروقراطية الصينية حافظت على الإمبراطورية فظلت سليمة لا تمس لمدة ألفين من السنين. ولقد ظلت خاصيتا التفرد والاتصال اللتان يتميز بهما روح الشعب الصيني حيتين على نحو مذهل، رغم أن هذه الإمبراطورية حل محلها في البداية النظام الجمهوري من 1912 حتى 1949، ثم النظام الشيوعي.

لقد كان للصين كذلك، مثلها مثل الغرب، عصر تشكل فيه الفلاسفة، وفترات إمبراطورية، وعصور نهضات ثقافية، وإن كانت الحضارة الصينية تتعارض في كل نقطة تقريبا مع التجربة الغربية. ومن حيث الأفكار الدينية والفلسفية، بالإضافة إلى أمور أخرى كثيرة، استوعبت التجربة الصينية مشاعر وتطلعات الجنس البشري كله، ولكنها عبرت عنها باستمرار بطريقة صينية خاصة.

1 - ثلاث ديانات رئيسية:

لعبت ثلاث ديانات الدور الرئيسي على مدى ثلاثة آلاف سنة من التاريخ الصيني. وهذه الديانات هي: الكونفوشية، والتاوية (الطاوية) والبوذية. أما الكونفوشية والتاوية فهما ديانتان قوميتان أصيلتان في الصين، وجدتا قبل دخول البوذية إليها من الهند بحوالي خمسمائة سنة. وحتى قبل ظهور الكونفوشية والتاوية كانت هناك ديانة أقدم (تفرعت عنها الكونفوشية والتاوية كل بطريقتها الخاصة). وسيطرت هذه الديانة القديمة على الصين لما يقرب من ألف سنة. وهكذا امتد تاريخ الدين في الصين لأكثر من ألف عام ونصف الألف قبل أن تواجه أفكاره تحدي التراث الأجنبي.

وقد بقى هذا التراث القومي قويا حتى بعد أن دخلت البوذية إلى الصين، إذ ازداد طابعها الصيني، وظهرت المدارس البوذية الصينية الخالصة. ولكن تأثير الفكر الهندي، وتجربته الدينية على عقول الصينيين، كان كذلك من القوة بحيث غير من الكونفوشية والتاوية، اللتين عادتا إلى الظهور في

شكلين جديدين هما الكونفوشية الجديدة، والتاوية الجديدة، اللذين لم يكونا سوى إعادة تشكيل للتراث القومي الأصلي حتى يواجه تحدي التراث الغريب الجديد.

في حضارة كالحضارة الصينية التي استمرت هذا الأمد الطويل، وظلت متماسكة على نحو لم تؤثر فيه، نسبيا، حضارات خارجية-كان لا بد أن تزدهر عبادات ونحل كثيرة، وقد أدخلت إليها كذلك ديانات غريبة عليها ولا سيما الصور الغريبة من الديانة المسيحية، رغم أن دخولها إليها قد تأخر إذا ما قورنت بالبلاد الأخرى. ومع ذلك فإن الكونفوشية، والتاوية، والبوذية، قامت على المدى البعيد بالأدوار الأساسية في التجربة الدينية الصينية.

ومن المهم أن نذكر القارئ الغربي، ونحن نتحدث عن الكونفوشية والتاوية بوصفهما ديانتين، أنهما تمثلان عند العقل الصيني «شياو Chiao(أي تعاليم)»، وأن هذه التعاليم ليست تعاليم دينية على سبيل الحصر، أو التخصيص، رغم أنها تتعلق بأمور كثيرة مما ننظر إليه نحن على أنه يخص الدين.

لقد نظر إلى كتابات مؤسسي الكونفوشية والتاوية على أنها جزء من التراث الثقافي الجامع للصينيين. أما في حالة الكونفوشية فإن شريعتها المقدسة لا تتكون من مؤلفات مؤسسي الكونفوشية فحسب، بل كذلك من الوثائق الدنيوية التي كانت موجودة قبل كونفوشيوس وتشكل التراث الكلاسيكي للصين. لقد ظلت الشريعة الكونفوشية لألفين من السنين هي العصب الرئيسي لمنهج التربية والتعليم في الصين، وكان الإلمام بالشريعة على سبيل المثال، هو أحد المتطلبات الرئيسية في امتحانات الخدمة المدنية. وفي جزء كبير من تاريخ الصين اعتقد الصينيون أنفسهم أن الكونفوشية والتاوية (الطاوية) مظهران أصيلان للروح القومي، لا مجرد أنواع من الإيمان الديني الذي يدعو إلى الهداية ويتطلب الانتماء والالتزام الشخصي.

ومن ناحية أخرى ظهرت مع دخول البوذية في بداية العهد المسيحي، فكرة الدين بوصفه مؤسسة رسمية منتظمة-فطورت التاوية، كرد فعل عاجل على البوذية، مؤسسات من هذا القبيل، كان لها على نحو ما كان للبوذية بالفعل نظام كهنوتي هرمي، كما كانت لها معابد وأديرة وشريعة مقدسة، وجذبت كل منهما مؤيديهما بوصفهم المهتدين إلى الإيمان. ثم كانت هناك فترات في تاريخ الصين أصبح فيها الولاء الطائفي الذي ظهر على هذا النحو-حرجا للغاية. وكان الأمر كذلك، بصفة خاصة، في تلك الفترات

النادرة التي اعتنق فيها أعضاء الأسرة الإمبراطورية الديانة البوذية أو التاوية. غير أن القصر الإمبراطوري والمؤسسة الحاكمة في الصين ظلتا في المقام الأول كونفوشيتين. وتأصلت الكونفوشية، بوصفها الفلسفة السائدة بين الطبقات المسؤولة عن الإدارة، وفي المراسم والطقوس الرسمية، وما تقدم الدولة من قرابين إمبراطورية. وبهذه الطريقة أصبحت جزءا من الجهاز الحكومي، بل أصبحت عقيدة الدولة. غير أن كلأ من الكونفوشية والتاوية، كانتا في الأصل وببساطة مذاهب فلسفية خالية من أي عنصر من عناصر العقيدة، وتعتنقهما «مدارس» وأفراد، ولم يشكلا مؤسسة ولا كان لهما طابع ديني خاص.

غير أننا لو قصرنا نطاق بحثنا على الجوانب الدينية من الكونفوشية والتاوية لكان معنى ذلك أن نتجاهل الكثير من تعبيرات الفكر الديني الصيني ومشاعره سواء أكانت من الأنواع «العليا» أو «الدنيا»، وهي التعبيرات التي لا ترتبط ارتباطا خاصا بأي من هذين المذهبين الفلسفيين. فهناك، أو بالأحرى كانت هناك، عناصر دينية كامنة في كثير من مظاهر التنظيم العائلي والاجتماعي، وفي طقوس وممارسات الجماعات الاقتصادية وغيرها من الجماعات، وفي النظرية السياسية، والفعل على جميع المستويات تقريبا من الحكم المحلي إلى الحكومة الوطنية. وكثرة المعابد والأضرحة في كل مدينة وقرية وتنوعها في جميع أنحاء البلاد، فضلا عن وجود الآلهة المحلية والمذابح الخاصة بها فيما لا حصر له من البيوت-إنما يقدم دليلا ملموسا على ذلك.

2- عالم العرافة أو التنبؤ بالغيب:

يبدأ التاريخ المسجل للصين بأسرة شانج Shang التي استمر حكمها من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وكانت سجلاتها تتألف من مجموعة من العظام نقشت عليها نبؤات، وتم اكتشافها قرب نهاية القرن التاسع عشر، حيث أصبحت منذ ذلك الحين المصدر الرئيسي لتاريخ أسرة «شانج». كانت هذه العظام إجابات عن أسئلة قدمت إلى العرافين، وقد تم إنقاذ مئات الألوف من شذراتها، وكانت الأسئلة تحفر على عظام الحيوانات والقواقع والأصداف، وتوجه إلى الأرواح طلبا للهداية والإرشاد. وبعد أن يحفر السؤال يقوم العراف بتسليط النار على ثقوب يحدثها في العظم، ثم يؤول ما

ينتج عن الحرارة من تصدعات بأن الأرواح تجيب ببشائر خير أو نذير شؤم[1].

ونحن نحصل من طبيعة الأسئلة المطروحة على صوره لمجتمع ينظمه، في كل جانب تقريبا، من جوانب الحياة اليومية-التنبؤ بالغيب، وتحكمه اعتبارات الحظ الحسن أو الفأل السيئ. أما «القوى» التي يستشيرونها في عملية التنبؤ بالغيب فهي أرواح الموتى من الملوك أو تي Ti، وكذلك أرواح الأسلاف. ونحن نعرف أن هناك عنصرا جنسيا في هذه العبادة، وذلك من الآثار الباقية من أشكال الخطوط التي لا يزال من الممكن تمييزها. ولكننا نعرف أيضا، من الأسئلة التي تطرح حول آداب تقديم القرابين وتأدية الطقوس، أن آلهة التلال والأنهار وغيرها من آلهة الطبيعة والأرواح الحارسة، كانت تعبد إلى جانب أرواح الموتى. ولم يكن الموتى وحدهم هم الذين يسألون عن الهداية والإرشاد في مسائل السلوك، بل كان يتوسل إلى قوتهم الداخلية (مانا Mana) حتى تكفل خصوبة الرجال والنساء والمحاصيل والحيوانات.

3- الديانات القديمة:

لم تكن الأرواحية Animism[2] (عبادة آلهة الطبيعة) وطقوس الخصوبة وعبادتها--ولا سيما عبادة الأسلاف-مجرد مظاهر لأقدم الممارسات الدينية الصينية التي حفظها التاريخ فحسب، وإنما هي تتكرر في صور منوعة ومختلفة في «الديانة الشعبية» للعصور التالية.

وفي عام 1027 ق. م خلفت أسرة تشو Chou أسرة شانج Shang. وحكم القصر الملكي لأسرة تشو حتى عام 771 ق. م بوصفهم «الملوك-الكهنة»، وظلوا يسيطرون سيطرة تامة على العالم الصيني. ولقد بقيت من هذه الحقبة مجموعة من الوثائق، وعدد لا بأس به من النقوش على أواني برونزية مقدسة، وهي جميعا تعطينا فكرة عن ديانة القصر الملكي لأسرة تشو. والديانة الملكية لأسرة تشو تدعى لنفسها أهمية خاصة لا تتناسب مع أهميتها الحقيقية، وذلك لأن كونفوشيوس نظر إلى هذه الحقبة على أنها العصر الذهبي. وقد استشهد ببعض وثائقها باعتبارها شواهد قديمة، وبذلك ضمت إلى الشريعة الكونفوشية، وهكذا دخلت كثرة من عناصر ديانة «أسرة تشو» الملكية إلى العقيدة الكونفوشية.

كان ملوك الصين الأوائل ملوكا وكهنة في آن واحد، وتعتمد سيادة الملك

على أن السماء هي التي قلدته «مهام منصبه». وعندما ثار «ون Wen» (وهو الذي لقبه ابنه بلقب الملك بعد وفاته) على أسرة شانج تولى ابنه الملك «وو Wu» (1025- 1027 ق. م) العرش وأسس أسرة تشو. وحكمت هذه الأسرة على نحو ما تؤكد وثائق عهدها، معتقدة أن رسالتها قد قضت بها السماء- فالسماء هي التي أزاحت أسرة شانج وأنهت تفويضهم بالحكم، وهي التي كلفت أسرة تشو الملكية بتولي هذا المنصب الذي هو «تفويض من السماء»[3].

وتعتقد أسرة «تشو» أن الإله الأعلى هو السلف الأعظم (شانج-تي- Chang Ti) وهو لفظ مرادف لـ «تين Tien» (أي السماء). وتمسك السماء-أو هكذا كان الاعتقاد السائد-بيدها الكون بأسره (العالم الطبيعي وسكانه- وهو العالم المعروف للصينيين)، وتقضي بتعاقب الفصول في مواقيتها، وتأمر بدورة الموت والتجدد، وتكفل خصوبة الرجال والنساء والحيوانات والمحاصيل. غير أن السماء تمنح مسؤولية تنظيم الكون لوصيها على الأرض وهو «ابن السماء تين تزو (Tien-Tzu)». ولقد وقع الاختيار على أسرة تشو للقيام بهذا الدور كما تزعم. و«تنظيم الكون» مسألة لا بد أن تكون مقبولة عند السماء (بي P.ei) عن طريق الطقوس والشعائر ومن خلال تأدية هذه الطقوس التي تستحث وقائع النظام الطبيعي وتسلسله في الكون ووسط الجنس البشري.

4- دور الملك:

كانت السماء تبدي غضبها بأن تقلب الجو في غير أوانه، أو ترسل علامات أخرى خارقة كالصواعق (وهما اضطراب في الدورة المنتظمة)، وكذلك عن طريق الفشل في الإخصاب (بأن يسحب الموتى الأقوياء قوتهم الداخلية أو المانا Mana) لذلك كانت الوظائف الكهنوتية للملوك تعتمد على تقديم القرابين للملوك الأموات وإلى «شانج- تي Shang-ti» الأكثر بعدا، ومن ثم الأكثر قوة من بينهم. كما تعتمد على تقديم تقرير لله عن مسار الأحداث الدنيوية، والانخراط في طقوس إيمائية مثل حرث الأرض، وبذر البذور أو الغزل الشعائري لشرانق الحرير من شجرة التوت في حالة مليكاتهم، لكي تكفل الخصوبة ولتبدأ من جديد دورة الحياة وتجدد السنة. وقد كانت عبارة «مقبول من السماء عن طريق الشعائر» (باي Pei) هي رخصة الملك

إلى السيادة، وهي التي تزوده بالنفوذ السياسي القوي الذي يلزم رعاياه بالولاء له. ويساعد الملك في التأدية الصحيحة لواجباته الكهنة والمرتلون، فهم خبراء في أشكال الطقوس، ومن أهم واجباتهم المراقبات الفلكية التي يقومون بها وتجعل إعداد التقويم ممكنا.

ويشهد على طبيعة الملك شبه الإلهية اختيار السماء له على أنه ابنها، مما يعطي للملك سلطة سياسية على رعاياه الذين يكلفون بدورهم «بالمناصب» عن طريقه. وكما أن الملك يحكم بفضل «تفويض» السماء له، فكذلك يفعل أمراء الإقطاع في مملكته، إذ-تكون لهم سيادة محلية تحت إشراف الملك. وأمراء الإقطاع بدورهم وهم يفوضون الإقطاعيين التابعين لهم بالقيام بواجبات معينة. وهكذا نجد الهرم الإقطاعي كله لأسرة تشو الغربية يقوم من القمة إلى القاع على إرادة السماء.

والملك يحكم على نحو مباشر في ملكه، بينما يحكم بتفويض الإقطاعيين عنه في ولايات الأركان الأربعة، ولكل إقطاعي داخل نطاق سيادته الحق في العبادة واستحضار الأرواح الحارسة. و«الشؤون الكبرى للدولة هي التضحية والحرب»، على نحو ما تقول القاعدة الدينية القديمة. ونحن نجد النبلاء، في الديانة الملكية لأسرة تشو-هم الكهنة والمحاربون في الدولة.

5- العبادة الملكية:

تقام العبادة الملكية في معبد الأسلاف، وهو المبنى المركزي في مجموعة مباني القصر، أما تخوم القصر التي توجهها الشمس صوب الجنوب. ويتم الاقتراب منها البوابة الجنوبية، فتفتح على فناء عظيم يقع في الجانب الشمالي منه ضريح أسلاف أسرة «تشو» وفي المؤخرة عبر بوابتين أخريين يوجد الفناء الرئيسي، حيث يقوم في جانبه الشمالي القصر الذي يقيم فيه الملك.

ويصف قائد مظفر، في نقوش على آنية مقدسة، المراسم النموذجية التي شارك فيها، وكانت في جانب منها عبادة، وفي الجانب الآخر حفلا ملكيا، فيقول: في اليوم الأول وقبل الشروق يقوم الكهنة الكبار بتجهيز الملك في قصره، ثم يتقدم الملك إلى معبد الأسلاف، ويقف أمراء الإقطاع العائدون من حملات عسكرية، أمام البوابة الجنوبية، ثم يدعون إلى الفناء الكبير حيث يعرضون أساهم، عندئذ يضحى بالأسرى كقرابين في معبد

الأسلاف، ويتقدم المشاركون نحو الفناء الرئيسي حيث يتلى تقرير عن الحملة، ثم يسير الملك من الفناء الرئيسي إلى المعبد لتقديم القرابين للأسلاف الملكيين. وفي اليوم التالي تولم للرعايا المجتمعين وليمة من اللحوم والخمور التي سبق تقديمها مكافأة لهم من الملك.

ولقد حفظت لنا الطقوس التي كانت تؤدي في مثل هذه الخدمات الدينية في أقدم قسم من «كتاب الأغاني»- وهو مختارات من الشعر الصيني المبكر وهي ترنيمات لملوك أسرة تشو، وبغض النظر عن أنها أقدم شعر في اللغة الصينية، فإن لها أهمية خاصة بوصفها أول تعبير أدبي للصينيين عن المشاعر الدينية.

وتتألف الترنيمات من تضرعات واعترافات موجهة إلى الأسلاف من الملوك، وتراتيل تتلى للآلهة عن أعمال البسالة. وقصائد أخرى تحتفي أمام الآلهة بحضور الإقطاعيين وأتباعهم أثناء الاحتفال وتأدية الطقوس. وهناك أغان ترحب بالأتباع وأغان أخرى تعبر عن الإخلاص والولاء ينشدها هؤلاء الأتباع للملك. ومن ذلك كله تتألف طقوس العبادة الملكية. ويبدأ الشعر في الصين بإنشاد هذه الطقوس الدينية، ولقد نشأت المحاولات الأولى لعلم العروض من فقرات نثرية وضعت لتتلاءم مع دقات الآلات وإيماءات الرقص في طقوس المعبد.

ويمكن أن نكون فكرة عن المشاعر الدينية التي تنطوي عليها طقوس المعبد من المقتطفات التالية:

«بهدوء جليل، وانسجام مهيب،
يسجل الوزراء والفرسان الحاضرون
فضائل سيدهم المنشئ،
المتكفل بنا من قبل السماء،
الملك العظيم ون.. Wen،
آه يا مولاي! لعلك تجد وأنت في جلالك العظيم،
في العمل المتزن، والكلمة المهذبة،
مديحا لا يغضبك من بأثر فانين.
جليل ولا حد لجلاله،
هو تكليف السماء،

فضيلتك أيها الملك الشهير ون،
تهبط لتغمر بالبركة،
خدما على الأرض.
ليس علينا إلا أن نتلقى عطفك وإحسانك،
فليحفظها من يأتون بعدنا.
إننا نأتي، بتواضع، بما لدينا من قرابين،
من ثيران وخراف،
فلتتبع منها،
عناية السماء،
ورضا الملك.
ليكن علينا على الدوام أن نخشى غضب السماء،
حتى نصون عطف الملك،
ونحافظ على طريقنا المستقيم،
ينبغي علينا، لكي نجلب السلام على الأرض،
أن نطيع أوامر الملك ون Wen،
وأن نثق في تشريعاته،
وسوف يراقبنا من بعيد، ويشملنا بالتشجيع والتأييد. ثيابه من الحرير البراق،
وقبعته مرصعة بالأحجار الكريمة،
خمرة معتقة للغاية لكنها لا تسكر،
في تواضع جليل يمشي هونا وبلا صوت!
وسط الركائز المقدسة.
والقرون الخاصة بالشراب!
يمشي من القاعة إلى العتبة
بخطوات محسوبة،
ويمنح عفوه في النهاية للمسنين».

ولقد أمدّت توجيهات ملوك أسرة تشو، وترنيمات كهنتهم الدينية أثناء تأدية الطقوس-أمدت كونفوشيوس«بوثائق الماضي العتيق» كما أيدت أفكاره السياسية والدينية بسلطات قديمة. فأصبحت أفكار معينة من الديانة الملكية لأسرة تشو، معتقدات دينية أساسية عند كونفوشيوس وفي الدولة

الكونفوشية التي جاءت بعد ذلك. ومن هذه الأفكار الأساسية فكرة «الموجود الأسمى» (تشانج-تي Shang-Ti) أو «الله في الأعالي»)، وفكرة الملك الذي تقلده السماء نائبا أو مفوضا عنها (تكليف السماء)، وفكرة أن السماء تسحب تفويضها من الأشرار وتوافق على خلع الأسرة الحاكمة عندما تنضب فضائلها، وتبرر إحلال أسرة أخرى محلها بأنها«مقبولة من السماء».

ولقد أدت مركزية الأسلاف من الملوك في مجتمع الآلهة الملكي كما أدت عبادتهم وتقديم القرابين إليهم في الديانة الملكية-إلى مركزية الأسلاف في الممارسات الدينية التالية، كذلك أصبح إجلال الأموات الأقوياء، والتضرع، «للمانا Mana» عندهم من أجل الإبقاء على حياة العشيرة، جزءا من العادات الاجتماعية للصينيين، كما أصبح ولاء الأبناء للأسرة أحد تعاليم كونفوشيوس المركزية.

وقد أضفى كونفوشيوس الوارع الأخلاقي على الكثير من الممارسات الدينية المبكرة، لكنها ترجع إلى عصر ما قبل الأخلاق (كما يذكرنا قدر كبير من القرابين البشرية التي ذكرناها فيما سبق) فلم يكن الباعث الذي يحرك الأفكار الدينية أخلاقيا سواء كان خيرا أم شرا، وإنما كان هو التحكم في القوى عن طريق الشعائر، لضمان حسن الطالع ولتجنب الحظ السيئ، وللتضرع للقوة الجامعة للأموات الراحلين.

وبينما انشغل الملوك والأرستقراطيون «بالحرب والتضحية» وتأدية وظائفهم الكهنوتية في الديانة الملكية، فإن الإيمان في الريف-كما تدل على ذلك إشارات من القصائد الأخيرة في كتاب الأغاني-اتخذ شكل طقوس الإخصاب، فكانت جموع الناس في الربيع والخريف تتضرع إلى «مانا» Mana الميت لتخصيب أرضهم وحيواناتهم بل وإخصابهم هم أنفسهم.

6- الديانة الأرستقراطية:

في عام 771 ق. م، نقل ملوك أسرة تشو الغربية عاصمتهم إلى الشرق، ومع تغيير العاصمة جاء انهيار قوتهم ونفوذهم، إذ انتقلت القوة السياسية الحقيقية في مقابل القوة الشرفية، إلى أمراء دولة المدينة ثم أكد حكام دولة المدينة استقلالهم شيئا فشيئا بعد أن كانوا في الأصل حكاما إقطاعيين تابعين للبيت الملكي في أسرة «تشو». ومع نمو الاستقلال اتخذوا لأنفسهم، على نحو متزايد، بعض الامتيازات الملكية، ومنها الوظائف الكهنوتية التي

كان يتقلدها الملوك القدامى. وترأسوا الطقوس الدينية التي كانت تقام للتربة والمحاصيل (أعني عبادة آلهة الخصب المحلية التي استمتع الأمراء بالسيطرة عليها)، وأكدوا عبادة الأسلاف في هياكل الأسرة وبذلك وضعوا أيديهم على رموز السلطة في دول المدينة، ورد أمراء الإقطاع نسبهم إلى أبطال الماضي الذين يعبدون محليا. وهكذا أصبح «هو-تش» أمير ميلت Millet هو الجد الأكبر المزعوم لعشرية تشي Chi وصار «يو العظيم» بطل الطوفان الأول، هو الجد المزعوم لأسرة تسو Szu. وبهذه الطريقة دخل عدد من أبطال الزراعة-الذين كانوا حتى الآن محليين ومجهولين في الديانة الملكية لأسرة تشو-الغربية دخلوا مجمع الآلهة الصيني. ثم اخترع المؤرخون فيما بعد أساسا تاريخيا لأبطال العبادة هؤلاء ورتبوهم في تسلسل تاريخي. ولقد حدث ذلك في الحقبة العظيمة للكتابة التاريخية من القرن الثاني إلى القرن الأول ق.م، وهكذا دخل «الأباطرة الأسطوريون» بتواريخهم «الخيالية» التاريخ الصيني، وأرجعوه إلى الوراء عدة آلاف من السنين، وأصبح لهؤلاء الأباطرة أهمية كبرى في العبادة لا سيما عند أسرة هان Han وأخذوا يظهرون كشخصيات لامعة في «العبادات المحلية» والديانة الشعبية لذلك العمر، والواقع أنه ليست هناك سوى دلائل قليلة من الفترة السابقة لأسرة «شانج» على وجود أية شخصية من الشخصيات التاريخية التي حكمت الصين.

وهكذا استطاع أمراء دول-المدينة-من خلال استحواذهم على الخدمة الدينية المحلية، وحقهم في القيام على خدمة آلهة الخصب، مع سهولة وصولهم إلى «مانا» أسلافهم المقدسين استطاعوا أن يفرضوا سيطرتهم السياسية على رعاياهم.

ولقد حافظت دول-المدن على السجلات التي بقى واحد منها كاملا في حين بقيت شذرات متفرقات من بعضها الآخر. وتزودنا «حوليات الربيع والخريف Ch‘un-Ch‘ui»[4] لمملكة «لو Lu» والشروح التي قامت عليها بالمصدر الرئيسي للأفكار الدينية التي كانت سائدة في تلك الحقبة. وتحتوي السجلات نفسها على رؤوس موضوعات في عبارات موجزة تسجل أمورا خاصة بالأسرة المالكة، كحالات الزواج والموت في البيت الملكي، والمعاهدات والاتفاقات التي عقدت بين «لو» والولايات الأخرى، والأحداث المشؤومة (كالطقس في غير أوانه، أو ظهور مواليد مشوهة، وما شابه ذلك)، ومراقبة

الكسوف والخسوف والشهب، وكان لهذه السجلات غرض شعائري هو أن تحفظ وتدون ما يتعلق بالأسر الحاكمة. ولقد حكمت تقاليد الشعائر عبارات التدوين التي صنفت على أساسها. ويذكر كونفوشيوس بكل الإكبار أنه كان له الفضل في جمع «حوليات الربيع والخريف» حتى أن الحوليات أدخلت في كتب الشريعة المقدسة لكونفوشيوس[5] وأصبح التفسير السري لها-الذي كُتب في أسرة هان-جزءا من التعاليم الكونفوشية.

7- شامانية الجنوب:

تختص جميع المصادر التي بين أيدينا عن أسرة تشو في الشرق، تقريبا، بديانة أمراء دولة المدينة وبديانة الطبقات الأرستقراطية، فنحن في هذه الفترة لا نعرف إلا القليل عن الديانة الشعبية. لكن من ولاية تشو Chu، التي أصبحت منذ القرن الرابع قبل الميلاد تسيطر على الجزء العلوي من نهر يانج تسي وضمت أجزاء تعرف الآن باسم أنهوي Anhwei وهونان Honan وهيونان Hunan وهيبه Hupeh وستشوان Szechuon-بقى لنا مجموعة من أغاني الشامان كجزء من «مرثيات تشو»، وهي «الأغاني التسع» المعروفة بترنيمات الشامان.

وتختلف الممارسات الدينية الموصوفة هنا أتم الاختلاف عن الشعائر الدينية للأمراء في دول المدينة، فالآلهة التي يتضرعون إليها من آلهة المناطق المحلية في كيو Ch‘u هي إلهات الجبال والأنهار والأبطال المحليين. ويغتسل الشامان-سواء الرجال منهم أو النساء-طبقا للشعائر ويتعطرون ويرتدون ثيابا رائعة الجمال، ويغنون ويرقصون على أنغام الموسيقى وهم يؤدون طقوس الغزل، ويدعون الآلهة للنزول والاشتراك في معاشرات شهوانية. وعندما تنصرف الآلهة يبدؤون في النواح حزنا لفراقهم. أما الطقوس المعروضة في «الأغاني التسعة» وهي تُعد أغاني همجية من وجهة نظر كونفوشية لما فيها من جنس وروعة وحزن-فقد أنتجت شعرا رفيع المستوى، وهاك مثالا منه:-

«بدأت أخرج من الشرق مندفعا،
وأشرق «فو-سانج» على عتبتي،
وبينما كنت ألح على خيلي لتحث الخطى،
سطع ليل السماء، ولاح ضوء النهار.

وركبت عربة التنين، وقدت المركبة وسط الرعد،
بينما كانت رايات السحب ترفرف فوق الريح،
أطلقت تنهيدة طويلة عندما بدأت الصعود،
كارها الرحيل، متطلعا بشغف إلى العودة،
فللجمال والموسيقى سحر خاص،
يجعل المشاهد المستمتع، ينسى أن عليه أن يمضي.
شد أوتار القانون ثم اتركها تتآلف مع النغم
اقرع الأجراس حتى تترنج المنصة التي تحملها!
ولتعزف الناي! ولتنفخ في أنابيب المصفار (1)
انظر إلى الكاهنات: كم هن ماهرات فاتنات!
يدرن بخفة، وينخفضن ويرتفعن كالطير أثناء طيرانه!
ينشدن بالأغنيات، في حينها، للراقص!
وطبقات الصوت مع النقرات في انسجام تام!
وتهبط الأرواح لتحجب الشمس،
في سترتي الداكنة كالسحاب، وتنورتي المزركشة كقوس قزح،
أحلق عاليا في السماء قابضا على قوسي.
صوبت سهمي الطويل وأطلقته على ذئب السماء.
وأمسكت بالمغرفة لأغرف خمرا بلون القرفة!
ثم قبضت على العنان، وهبطت مسرعا إلى موضعي،
عائدا إلى الشرق بعد رحلة في ليلة مظلمة».

ويبدو أن البلاط في «تشوها Ch'u» كان ينعم بهذه الممارسات الدينية. ومن المحتمل أن يكون السر في بقاء الأغاني التسع أنها خلبت لب البلاط بهذه المشاهد الدينية. ولكن يكمن خلفها عقيدة شامانية لم تحصر نفسها في الجنوب. وإنما انتشرت كديانة شعبية بين الناس داخل دول المدينة. ولقد لعب الشامان دور طاردي الأرواح الشريرة، ودور الأنبياء والعرافين أو قارئي البخت، ومفسري الأحلام، كما كانوا أيضا الأطباء الذين يعالجون الأمراض.

وتوحي الإشارات المتفرقة عن الشامانيين في آداب تلك الفترة أنهم كانوا متواجدين في كل مكان. وفي الاقتراحات التي قدّمت من أجل الأعداد لاستعمار جديد في القرن الأول قبل الميلاد، على سبيل المثال-كان على

المستعمرين الجدد أن يتزودوا بالأطباء وبالشامانيين للعناية بهم في مرضهم، ولمواصلة تقديم تضحياتهم»، مفترضين أن العرف قد جرى على أن يكون «الشامان» عضوا من أعضاء مجتمع القرية. وتشير عبارة «أسرة الشامان» إلى أن مهنة الشامان كانت وراثية. لكن مع ظهور الكونفوشية ظهرت آراء متحيزة ضد الشامان، بدأت بقول كونفوشيوس «إن الأرواح ينبغي احترامها، وإن كان ينبغي أيضا إبقاؤها بعيدة عنا» ولما كان الجانب الأكبر من الأدب في أيدي الكونفوشيين، فقد ازداد تحفظه تجاه الشامانية.

8- عصر الفلاسفة:

لقد تم وضع البذور الدينية لكل من الكونفوشية والتاوية خلال عصر الفلسفة فمن القرن السادس حتى القرن الثالث قبل الميلاد في دول المدينة الواقعة في السهل الرئيسي في الشمال، نعمت الصين بفترة غير عادية من ازدهار العقل البشري، وكثر عدد الفلاسفة وأخذوا ينتقلون من بلاط إلى بلاط، ويجمعون الأتباع حولهم، ويشرحون نظرياتهم، ويطرحونها للنقاش في حوار علني، وكل منهم يسعى للعثور على أمير «يضع طريقهم (أي فلسفتهم) موضع التطبيق العملي». ولقد وصفهم تسو ماشين Szu ma-chien (ازدهر من سنة 145- 90 ق. م). اللقب بأبي التاريخ الصيني-وصفهم بأنهم «المدارس المائة»، ومن هذه المدارس المائة خرجت مدرستا الكونفوشية والتاوية اللتان أقيمت عليهما تعاليم الفلسفتين والديانتين الكونفوشية والتاوية في القرون التالية.

غير أن الفكر يعتمد على البيئة التي ينشأ فيها، إذ لم يتوقف تنازل ابن السماء، حاكم الصين الحدة، عن السلطة إلى أمراء الصين المقسمة إلى إمارات مستقلة عند هذا الحد، وإنما انتقلت السلطة داخل دول-المدينة نفسها من الأمراء إلى الأوليجاركيين وهم جماعات النبلاء الأقوياء، ومن الأوليجاركيين وعلى الأقل في حالة واحدة، إلى دكتاتور من الرعاع. ولقد أبرز ذلك من وجهة نظر دينية، المشكلات الخاصة بإقرار السماء للسلطة السياسية، وحقوق رعاية الخدمات الدينية.

ثم أضيفت أيضا مشكلة التغير الاجتماعي والاقتصادي إلى الوضع السياسي المتدهور لحكام دول المدينة، إذ كان المجتمع الصيني في حالة تغير، والمؤرخ الاقتصادي يلاحظ بغير شك، أن كثيرا من التواريخ الأساسية

عنده هي تواريخ لأحداث وقعت في القرن السابع ق. م. حيث عرف الحديد وشكت النقود، وهناك أسطورة تشير إلى وجود مدينة لسك النقود-كما ظهرت في دول المدينة جماعات من التجار منظمة تنظيما يكفي لجعلهم قادرين على التفاوض مع أمرائهم بشأن الأوضاع والعمليات التجارية. كما ذكر شيء في هذا السياق أيضا عن احتكار الدولة لصناعة الملح وتوزيعه، وكذلك عن تحكم الدولة في سوق السمك.

وباختصار، برزت فجأة ضغوط قوية للتعقيدات المربكة للإنتاج المتخصص وللتجارة بين المناطق، وأسس يقوم عليها الاقتصاد مختلفة عن اقتصاد تخزين السلع الكمالية المؤدي إلى تراكم الثروة، واشتدت هذه الضغوط على المجتمعات ذات الاقتصاد الزراعي البسيط التي تكفي نفسها بنفسها محليا، والتي لم يكن لها التزامات خارجية سوى إرسال الجزية إلى الحاكم الأعلى، وقد أدت هذه التغيرات في مجال الاقتصاد إلى اضطرابات عميقة الجذور في التوازن الاجتماعي، كما أدى التغير الاجتماعي إلى قلاقل سياسية. وهكذا توجهت الفلسفة الصينية في المقام الأول إلى دول-المدينة الناشئة ومشكلات الحكم التي اقترنت بها. وازدادت كذلك الحركة الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية، إذ انقلب بعض الأرستقراطيين إلى مرتزقة ووضعوا أنفسهم في خدمة من يحميهم.

وأصبح آخرون تجارا انخرطوا في مهنة التجارة بين الولايات (والكلمة الدالة على التجارة هي «شانج Shang» وربما جاءت من استقرار ذرية حكام أسرة شانج في ولاية «سونج Sung»)، وآخرون أجّروا أنفسهم ليعملوا مؤدبين لأبناء الأسر النبيلة أو قاموا بفتح مدارس.

وقد أطلقوا على أنفسهم لقب «جو Ju» أي «المهذب» أو «الطيّع الوديع»، وراحوا يعلمون الناس فنون الحياة في دولة المدينة والمراسم، والطقوس، والقراءة والكتابة، مستخدمين مقتطفات أدبية مختارة من الأغاني الشعبية، وأغاني البلاط، ووثائق الدولة التي اعتمدوا عليها جميعا لتكون بمثابة كتب مدرسية. وشكل تلاميذهم «حلقة» تحولت فيما بعد إلى أتباع أو أنصار، وسرعان ما ظهرت بينهم مدارس متميزة، وشخصيات رائدة، وبدؤوا ينتشرون في دول-المدينة، ويقدمون للأمراء نظرياتهم عن الحكومة وخدمات تلاميذهم، ومع حلول القرن الرابع قبل الميلاد، أصبح الفيلسوف «المشاء»

شخصية مألوفة في بلاط الأمراء والحكام، ونظم بعض الحكام لهؤلاء الفلاسفة مناظرات علنية، وبذلك أمكن مناقشة النظريات المتنافسة وعرضها على الملأ. وأنشأ أحد الحكام وهو ملك تشي Chi أكاديمية حاضر فيها أئمة الفلاسفة في ذلك الوقت، وكانت هذه الأكاديمية بشيرا بأكاديميات العصر الإمبراطوري-وهي الجد المباشرة للجامعة الصينية الحديثة.

وهكذا واكب عصر الفلاسفة فترة معقدة مركبة، من التغير والتجديد، فالقوى الاجتماعية والاقتصادية كانت تسير في اتجاهات خاطئة، ولم تفهم طبيعتها في ذلك الوقت إلا على نحو غامض. ولكنها طرحت مشكلات لم يكن من الممكن الإجابة عليها إلا بعد فترة طويلة من التفكير والتأمل النظري. غير أنه كان يعتقد باستمرار أن المشكلة ذات طبيعة سياسية وهي: كيف يمكن استعادة النظام والتوازن في دولة المدينة، ذلك التوازن الذي لا يزال حيا في الذاكرة، لكنه تحطم بفعل الأحداث الحديثة؟!

وأكثر ما يهم دارس الدين من بين مدارس العصر الفلسفي هي مدرسة كونفوشيوس وخليفتيه في الكونفوشية، وهما منشيوس Mencius وهسون-تسو Hsun-Tziu، ومدرسة المتصوفة، شوانج تسو Chuang-Tzu، ولاوتسو Lao-Tzu. ذلك لأن الكونفوشية والتاوية ارتفعتا فوق صراعات المدارس المائة وأورثتا الإمبراطورية الصينية فلسفتهما الرئيسيتين والأصليتين.

9- كونفوشيوس:

الكونفوشية هي أقدم المدارس الكثيرة التي تتألف منها المدارس المائة، وكان مؤسسها، كونفوشيوس، هو الفيلسوف الصيني الأول. ولد عام 551 قبل الميلاد في دولة المدينة في مملكة «لو Lu» ومات فيها عام 479 ق. م واسمه هو الصورة اللاتينية لـ «كونج فو-تسو Kungfu-Tzu» الصينية التي تعني «المعلم كونج». وهو ينحدر من أسرة أرستقراطية، وبوصفه مؤدبا لأبناء الطبقة الأرستقراطية في المدينة، فقد علمهم فنون الحياة في دولة المدينة، ودراسة كتاب «الوثائق التاريخية» وهو مجموعة من السجلات التي تتعلق أساسا بأسرة تشو الغربية، وإن لم تكن مقصورة عليهم، و«كتاب الأغاني» الذي يحتوي، ضمن أشياء أخرى، على ترانيم شعائرية لملوك أسرة تشو الأول. وهكذا غرس في تلاميذه ذوي الأصل الأميري مذهب

أسرة تشو في الديانة الملكية.

غير أن كونفوشيوس لم ينظر إلى هذه الوثائق على أنها إنجيل الديانة الملكية-رغم أن الكثير منها يتعلق بالدين ويزودنا بالسوابق القديمة لممارسة الدين عند الحكام-وإنما ينظر إليها كبقايا للعصر الذهبي. ولقد كانت استعادة القيم والممارسات المعروفة في هذا العصر هي في رأي كنوفوشيوس الإجابة السياسية على مشكلات دولة المدينة، وعنده أن أبطال هذا العصر الذهبي هم ملوكه المؤسسون ون، وو للّه, Wen Wu، ودوق تشو-الوصي على تشي نج Cheng ابن الملك «وو». كانت القاعدة السياسية التي سار عليها كونفوشيوس هي استرجاع سياسات ملوك أسرة تشو الأول. ولقد استند كونفوشيوس، بوصفه فيلسوفا إلى نصوص «كتاب الأغاني» وكتاب الوثائق التاريخية ولجأ إليها باعتبارها سلطته المرجعية، وكان منهجه كتابيا «أشبه بمنهج الكتاب المقدس». وكانت رؤيته كمنظر سياسي، رؤية محافظة، أما برنامجه فهو استعادة التراث المبكر والمحافظة عليه،وهو يعلن أنه إنما «ينقل ما تعلمه دون أن يخترع من عنده شيئا». (المختارات رقم 7, 1).

15 - نظام أخلاقي واجتماعي:

وباستخدام هذه الوثائق التاريخية ككتب مقدسة، وتأويل لغتها العتيقة، تأويلا معاصرا أنشأ كونفوشيوس مذهبا أخلاقيا واجتماعيا من كتابات تتعلق بالعرافة ويسيطر عليها السحر واللاأخلاقية. وهكذا نجد «تي Te» القوة السحرية، ومانا Mana (القوة الداخلية) عند القدماء تصبحان فضيلة بالمعنى الأخلاقي والاجتماعي. وتصبح القوة التي تمارسها «المانا» هي قوة المثال التي رأى كونفوشيوس أنها قادرة على تحويل «الخير» إلى قوة لا يمكن مقاومتها. وصار أمير النصوص القديمة «تشن شو» Chun-Tzu عند كونفوشيوس هو «الأمير الحقيقي» وهو الرجل المهذب على نحو ما ينبغي أن يكون عليه الرجل المهذب، كما صارت جين Jen التي تدل على صفات أعضاء القبيلة ذوي المستوى الرفيع، عند كونفوشيوس صفة عالية للخير لا يصل إليها إلا حكماء الماضي وحدهم.

ولقد كانت عبقرية كونفوشيوس هي التي قلبت الكثير من مفردات لغة الديانة البدائية إلى مفردات أخلاقية، وحولت تلك الديانة إلى نظام أخلاقي

وذلك مع انتقال المجتمع مع الاهتمام بالفأل الحسن والسيئ، إلى الاهتمام بالصواب والخطأ. ولما كان كونفوشيوس قد أنشأ نظاما أخلاقيا جديدا فقد ظل يؤثر في الصين، كما ظل موضوع إجلالهم واحترامهم لألفين من السنين، وإن كان إخلاص أتباعه له قد جعلهم يخلعون عليه شرف النجاح العالمي باعتباره رجل دولة ودبلوماسي حتى مجدوه ونادوا به «ملكا لم يتوج قط» أما كونفوشيوس التاريخي-في مقابل كونفوشيوس الذي قدمته الأساطير وولاء الطلاب. فكان في الحقيقة معلما جوّالا محبطا، يئس من أن يضع حاكم مدينته تعاليمه موضع التنفيذ، فارتحل إلى ولايات مجاورة لم يجد فيها إلا نفس الإهمال والاستقبال العدائي. ولم يعترف بفضله في أيامه إلا حلقة صغيرة من الأتباع والمريدين، وكان لا بد من مضي قرون قبل أن تسود تعاليمه، ومات وهو يشعر بالإحباط.

١١- المختارات:

جمعت تعاليم كونفوشيوس في كتاب عنوانه «المختارات» (Lun-Yu) وهي تشتمل على عشرين كتابا (أي فصلا)، يتألف كل منها من مجموعة من الجمل أو الفقرات من أقوال المعلم التي سجلها تلاميذه، ومن المرجح أن يكون تاريخ بعض أجزاء المختارات سابقا على وجود كونفوشيوس، لكن هذه مشكلات لا تهم إلا المختصين، كما هو الحال مع الكتابات الدينية المقدسة بصفة عامة. أما الرجل الكونفوشي العادي فإن «المختارات» عنده هي أقوال كونفوشيوس، وهي من هذه الناحية تشكل جزءا من الشريعة الكونفوشية المقدسة، ولقد أضيفت إلى «المختارات» على نحو ما ظلت تدرس قرنا بعد قرن-شروح للتوضيح وتوسعات في التأويل. ثم وجد الكونفوشيون المتأخرون في المختارات، مرجعا وسندا لأفكار غريبة عن معناها الأصلي، ويمكن تلخيص أفكار كونفوشيوس الأصلية على النحو التالي:

هناك طريق على الأمير أن يتبعه وهو «طريق الملوك السابقين» ولما كان الملوك السابقون، في نظر كونفوشيوس، قد سلكوا في حكمهم وفق ما أمرت به السماء، فقد قدّموا نماذج تحتذيها الأجيال القادمة، وقد فعلوا ذلك لأنهم كانوا مهذبين «Jen». وكلمة «جين» كانت تدل في الأصل على عضو من أعضاء العشيرة رفيع المستوى (قارن كلمة gens اللاتينية)، وهي عند كونفوشيوس تعني أن تكون خيراً إلى أقصى حد، وبأوسع معنى ممكن

للكلمة. ومن ثم كانت صفات مثل «انعدام الأنانية»، واحترام الآخرين، والأدب، والولاء للأسرة والإخلاص للأمير كلها صفات الرجل «الجين». فالرجل المهذب الخيّر (الجين) لا يتذمر ولا يشكو وقت المحن، وهو جريء واضح في مسألة الحق. لكن هذه كلها مجرد جوانب «للجين»، فعند كونفوشيوس أن «الجين» نفسه هو نموذج متعال لم يبلغه سوى حكماء الماضي إنه كيان صوفي وهو الصفة الجوهرية للقداسة.

12- الفضيلة:

إذا كانت «الجين Jen» هي صفة القداسة، فإن تي Te هي القوة التي تبلغ بها هذه القداسة: فالفضيلة ليست مضادة للرذيلة، وإنما هي بالأحرى، فضيلة باطنية ملازمة-هي قوة شيء ما أو فاعليته، وهي بهذا المفهوم أقرب إلى المعنى الذي يقصده كونفوشيوس. وهكذا يكون على الأمراء أن يحكموا عن طريق الفضيلة، التي هي مركز رفيع تجاوز قوته كثيراً القوة البدنية أو القهر. والشخص الخير يمارس الفضيلة فيتحول الآخرون إلى الخير، والإنسان الذي يسعى لأن يكون «جين» بتهذيب قوته Te، يبلغ المثل الأعلى للأمير، وهذا المثل الأعلى الأميري وهو «تشن-تزو- Chun Tzu» (حرفياً: الأمير) يصبح في تعاليم كونفوشيوس تجسيداً للمثل العليا للسلوك البشرى، إنه الإنسان في أحسن أحواله، الإنسان كما ينبغي أن يكون، وهذا الإنسان الأعلى «تشن-تزو» تحكم «لي Li» (الشعائر) سلوكه كله. وكلمة «لي Li» تعني طقوس الديانة المبكرة-أصبحت عند كونفوشيوس شريعة كاملة للسلوك المهذب، فهي تتحكم في ارتداء الثياب، وفي المراعاة الدقيقة للآداب الاجتماعية والأخلاق الحسنة، بصفة عامة، بل في التصرفات والإيماءات والإشارات بحيث يضاف المظهر الخارجي الملائم إلى السلوك الأخلاقي. وتحت سطح التأكيدات الكونفوشية لدقائق الحياة اليومية يكمن الاعتقاد القديم القائل بأن للطقوس نفسها قوتها السحرية.

ويهتم كونفوشيوس في حديثه عن الخير، وتهذيب القوة التي تولده وأداء الإيماءات، والإشارات المناسبة التي هي علامته الخارجية-يهتم بالأخلاق الشخصية والأخلاق الاجتماعية، لأن هذا هو الطريق إلى الإنسان المهذب الحقيقي أو المثل الأعلى عند كونفوشيوس، وتلك هي إضافة

كونفوشيوس نفسه المتميزة للديانة القديمة إذ أضفى على الدين مضمونا أخلاقيا.
ويبدو أن كونفوشيوس-أثناء انشغاله بالسلوك الشخصي، وبالواجب الشخصي - قد أوحى بأنه لا يهتم إلا قليلا بعالم الأرواح وعالم ما فوق الطبيعة- «لم يتحدث المعلم عن مشيئة السماء، أو عن معجزات الطبيعة أو اضطراباتها» (المختارات 7: 20)ولم يتحدث عن الأرواح (المختارات 11: 2). «لكن المسألة هنا مسألة تشديد في الاهتمام، فكيف يمكنك أن تخدم الأرواح خدمة صحيحة قبل أن تؤدي هذه الخدمة إلى الأحياء من البشر؟!». بذلك رد كونفوشيوس على سؤال وجه إليه عن أهمية الطقوس الدينية. باختصار: إن خدمة الإله تصبح لا معنى لها إذا أهملت خدمة الناس. ومن هنا انصب اهتمام كونفوشيوس الأساسي على مشكلات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية في علاقته برفاقه من البشر وذلك هو جوهر تعاليمه.

13- ولاء الأبناء:

الولاء البنوي هو أحد تعاليم كونفوشيوس الأخرى وقد اكتسب أهمية كبرى عند بعض مدارس الكونفوشية. وهو باللغة الصينية «هسياو Hsiao» التي تعني أصلا الولاء للآباء الموتى وللأسلاف، والواجبات التي ينبغي أن تؤدي لهم كتقديم القرابين، والطعام. أما بالنسبة لكونفوشيوس الذي كان يشدد على تأدية الواجب للأحياء، فقد أصبح الولاء البنوي يعني خدمة «الوالدين أثناء حياتهما»، ومن ثم اكتملت العلاقات الخمس لتعاليم كونفوشيوس وهي علاقة الأمير بالرعية، وعلاقة الابن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الصديق بصديقه. واحترام الابن لأبيه، عند معظم الصينيين ينطوي في التطبيق العملي، على مواقف احترام الصغير للكبير، والحب والمودة المتبادلين من جانب الكبير للصغير- فكلاهما جزء من السلوك اليومي بين الأحياء، ومن الالتزام الديني في مراسم العبادة بعد الموت.

14- منشيوس:

بعد موت كونفوشيوس عام 479 ق. م تفرق تلاميذه (ويروى أنهم كانوا

سبعين تلميذاً)، ونشأت منهم مدارس كونفوشية متعددة، وأهم شخصيتين بين هؤلاء التلاميذ هما «منشيوس Mencuis» وهسون تسو Hsun-Tzu، ولقد ذهب واحد من الفلاسفة الصينيين المحدثين إلى تشبيه مكانة كونفوشيوس في تاريخ الصين بمكانة سقراط في تاريخ الغرب، كما شبه منشيوس (المثالي في مزاجه الخاص في فلسفته) بأفلاطون، وهسون تسو«الواقعي» بأرسطو. ويشكل كونفوشيوس، ومنشيوس، وهسون تسو-نوعاً من الثالوث بوصفهم الآباء المؤسسين للكونفوشية.

ولد منشيوس بعد وفاة كونفوشيوس بقرن. واسمه الصيني هو «منج كو Meng k'o»، لكنه يشار إليه بإجلال على أنه «منج تسو» (أي منج المعلم)، وقد ولد عام 390 ق. م في إمارة صغيرة جدا هي «تسو Tsou» لا تبعد كثيراً عن دولة مدينة «لو» مسقط رأس كونفوشيوس. وتوفى عام 305 ق. م. وكان مثل كونفوشيوس سليل طبقة أرستقراطية، رغم أننا لا نعرف إلا أقل القليل عن أسلافه المباشرين، ويجعله التراث الصيني تلميذاً لـ «تسو-زو Tzu szu» حفيد كونفوشيوس وهو أمر قد لا يكون صحيحاً. و كان منشيوس مثل كونفوشيوس معلما شغوفاً أن ينال منصبا في بلاط دولة من دول المدينة، فبحث عن أمير «يضع طريقه موضع التطبيق» ومر مثل كونفوشيوس بتجارب محبطة عندما أخفق في العثور على مثل هذا الأمير. وبعد أن خدم فترة وجيزة وزيرا في ولاية «تشي» اعتزل العمل ليعيش حياته الخاصة، وهناك واصل تعليم طريقه لتلاميذه المخلصين.

وبعد وفاة منشيوس، جمع أتباعه أقواله وتعاليمه. وهناك نص بعنوان «أعمال منشيوس» لا تزال باقية ويحتوي على كثير مما جمع بهذه الطريقة. ويسير كتاب أعمال منشيوس على غرار كتاب «المختارات» لكونفوشيوس، فهو يحتوي على أقوال للمعلم على شكل جمل وفقرات، وحكايات توضيحية، وحكم وأمثال سائن وما شابه ذلك.

غير أن الفقرات مطولة والمعالجة أكثر تفصيلا مما هي عليه عند كونفوشيوس، وليس ثمة محاولة ملحوظة لترتيب الفقرات حسب الموضوعات أو التسلسل. والقارئ-الذي لا يوجه إليه منشيوس الحديث مباشرة-مدعو إن صح التعبير إلى أن يسترق السمع للمحاورات التي تدور بين المعلم وتلاميذه، وإلى أن يتجول عشوائياً عبر جميع درجات الطيف لفكر منشيوس.

وبدلاً من أن يحصل على أية تعاليم مباشرة فإن عليه أن يقوم بضم شتات تلميحة هنا، أو إشارة ضمنية هناك، أو مثل، أو حكاية رمزية، وأمثولة، وحكمة- بحيث يسلك ذلك كله في عبارة منسقة هي فلسفة منشيوس. إن كتاب «أعمال منشيوس» مثله مثل «المختارات»، يشكل جزء من الشريعة المقدسة للكونفوشية.

والهدف الذي نذر له منشيوس نفسه-كما فعل معلمه ومرشده كونفوشيوس-هو أن يستوعب حكمة القدماء دون أن يبدع شيئا من ذات نفسه[6]. لكن عملية النقل دون إبداع، على نحو ما حدث في أحيان كثيرة في تاريخ الكونفوشية، تحولت إلى عملية «الإبداع عن طريق النقل». فقد كان منشيوس يتحدث إلى عصره الذي رأي من الواجب عليه تأويل حكمة القدماء تأويلا جديدا. وفي هذه العملية نفسها يكمن إسهامه المميز في الكونفوشية.

15- أفكار عن التاريخ:

كان طريق الملوك السابقين، عند كونفوشيوس، هو طريق أباطرة أسرة تشو المبكرين (في القرنين الحادي عشر والعاشر ق. م). أما أسرة تاشنج Shang وأسرة هسيا Hsia اللتان سبقتا أسرة تشو، فقد وجدتا في رأي كونفوشيوس في عهود وهمية مبهمة، وهو لا يكاد يذكر البطلين «ياو Yao» و«شون Shun»[7]. أما في عصر منشيوس، فقد نمت أفكار الصينيين عن تاريخهم المبكر، ووصلت إلى مرحلة موغلة في القدم، ومن هذه الزاوية بدأ العالم بالطوفان، ثم أصبح صالحا للسكني بفضل جهود ثلاثة من الأبطال هم ياو، وشون ويو الأكبر. ولقد عين ياو و«شون» من يخلفونهما على العرش. أما يو الأكبر فقد ظهر معه مبدأ تولي الملك بالوراثة، وبذلك أصبح يو الأكبر هو المؤسس المزعوم لأسرة «هسيا»[8]. ثم نظم المؤرخون بعد ذلك، هؤلاء الأبطال في أسر واعتبروهم حكاما دنيويين. ولكن في أيام منشيوس كان العصر الذهبي، أو عمر الكمال الأول هو عصر «ياو وشون». وأصبحت أفكار منشيوس عن القداسة أكثر دنيوية وسط هذه اليوتوبيا الموغلة في مثاليتها ففي إمكان أي إنسان أن يكون «يا وأوشون»، كذلك أصبح الجين Jen، وهو المثل الأعلى الذي لا يمكن تقريبا بلوغه عند كونفوشيوس، أصبح عند منشيوس «سلوكا إنسانيا» أي مثلا أعلى يمكن لأي إنسان بلوغه في سهولة ويسر، لقد اهتمت التعاليم الأساسية لمنشيوس بالمثل العليا «للجين»

والى «يي» Yi وهي في الأصل كلمة تعني «الحقوق شديدة القدم» أو ذات الجذور السحيقة-وأصبحت عند منشيوس تعني العدالة: العدالة الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا أصبحت الإنسانية والعدالة الدعامتين الرئيسيتين لتعاليم منشيوس.

16- الإنسانية والعدالة:

أدخل منشيوس من خلال تأكيده على العدالة، الاهتمام بالناس العاديين أو الشعب، أي المين min في مقابل الجين Jen (أو الأرستقراطية). لم يكن لدى كونفوشيوس ما يقوله عن الشعب إلا أقل القليل، في حين أصبح ضمان وصول الشعب إلى حقوقه هو واجب الأمير الأول عند منشيوس، ثم إن السماء هي حارسة الشعب، وهي تبدي استياءها وغضبها عندما يعاني الناس. هذا التأكيد على أهمية خير الناس وسعادتهم في الكونفوشية، والفكرة التي تقول إن ذلك هو معيار الحاكم الفاضل-كانت إحدى إسهامات منشيوس في «الطريق». ولقد كان لدى منشيوس الشيء الكثير ليقوله عن الاقتصاد، وعنده أن حلقة الاتصال بين الاقتصاد والأخلاق حلقة محكمة: «فالذهن الثابت بلا معيشة ثابتة أمر مستحيل«(منشيوس 3 أ: 5). وهكذا يصبح هدف الحكومة «هو توفير ضرورات الحياة بكميات كافية» (منشيوس 7 ب:12).

والرجل المهذب عند منشيوس «هو الذي يكون مهذبا بحق» فلا يكفي أن يكون قادراً على تحقيق «الجين»، بل يجب أن يكافح لتحقيقها بالفعل. والأمير الذي تتحقق فيه هذه الصفات، هو الذي يحقق أهداف الحكم الملكي الصحيح، وهي رفاهية الدولة، واستمرار الملك في نسله، وولاء العالم كله له. إن «الجين» يتولد عنها السلطة أو القوة «تي Te». وهي الهيبة أو المكانة والمصداقية التي هي الضد المقابل للبا Pa(أي القوة البدنية أو الإكراه). ومن ثم يكون الوانج Wang(وهو الحكم الملكي الصحيح)، والبا Pa(الحكم عن طريق القوة) هما على هذا النحو ضدين متعارضين، وسوف يصبح الحكم عن طريق فضيلة عليا بدلاً من الحكم عن طريق القوة، عاملاً مؤثراً للغاية في التفكير السياسي الكونفوشي المتأخر. أما التزامات الطاعة والولاء البنوي فهي تلقى تأييداً خاصا عند منشيوس. وإذا كانت إحدى الفلسفات المعارضة تذهب إلى «أن الناس ينبغي عليهم أن يحبوا بعضهم بعضاً على

قدم المساواة، فإن منشيوس يرى تعارضاً بين «الواجب الأسري الخاص، وتدرج العواطف بأولياتها من حيث كبر السن والتماسك الاجتماعي الذي يكفل ذلك-وبين «حب البشرية بأسرها» وهو الحب الذي رأى أنه يدمر التنظيم الاجتماعي للأسرة والدولة.

17- الموجودات البشرية ومصيرها:

كان منشيوس يدخل في النقاش المستمر الذي دار في عصره حول موضوع الطبيعة البشرية والمصير الإنساني. وبينما نجد أن كونفوشيوس لم يتحدث قط في هذا الموضوع، فقد كانت الطبيعة البشرية (هسينج Hsing) عند منشيوس خيّرة بفطرتها (وظهرت في عصره عدة نظريات حولها). فيشهد على صدق خيريتها الفطرية وجود إحساس عام شامل عند الناس بالتقارب وبالصواب والخطأ. ووجود هذا الإحساس يجعل الموجودات البشرية مختلفة عن غيرها من الكائنات الحية الأخرى بيد أن الطبيعة البشرية يمكن أن تشوه وأن تصاب بالضمور والاختفاء ما لم ترب على نحو قويم. وتعتمد تربية الطبيعة البشرية على حماية الذهن، «تسون-هسين Ts'un Hsin»، وذلك لأن العقل هو مستقر العدالة الإنسانية والطبيعة (هسينج Hsing) والعقل (هسين Hsin) يحددان من نحن وماذا نكون. فقدرنا (مينج Ming) هو الذي يتحكم في حظنا ويحدد فرصنا في الحياة. ولقد كان القدر أو المصير Ming، في الأصل، في يد صاحب الإقطاعية، وكان منحة من ابن السماء بوصفه نائبا عن السماء في حكم الإقطاعية. ثم أصبح في الاستخدامات الأوسع هو نصيبنا في الحياة أو المصير الذي رسمته السماء. وإذا كان الناس قادرين على حماية عقولهم وتحديد سلوكهم، فإنهم لا يستطيعون تحديد مصيرهم الذي هو بين يدي السماء. وهكذا اعتقد منشيوس أنه على الرغم من أن جميع البشر هم بفطرتهم خيرون، فإن تحقيق هذا الخير يرتبط بمعرفة الذات وتهذيب النفس.

18- هسون تسو:

هسون تسو (ازدهر حوالي 312- 238 ق. م) هو العضو الثالث في ثالوث الآباء المؤسسين للكونفوشية. عاش قرب نهاية عصر الفلاسفة. لقد قدم

كونفوشيوس، بوصفه رائداً لعصر الفلاسفة، تعاليمه دون أن يتحداه الفلاسفة الخصوم. ثم قام منشيوس بتطوير تعاليم كونفوشيوس تحت تأثير هجوم النفعيين واللذيين (انظر فيما بعد رقم 20). أما هسون تسو فقد دافع عن الكونفوشية وهو مزود بالمعرفة الكاملة لدعاوى الفلسفات المعارضة، وتسلح بوسائل فنية عالية مكنته من المشاركة في المناظرات الفلسفية التي تطورت مع اقتراب العصر من نهايته، فعرض الكونفوشية بطريقة جعلت من عرضه أكمل البحوث الفلسفية وأحسنها تنظيما في عصر الفلاسفة.

وعلى حين أن منشيوس أعجب بالفضيلة عند كونفوشيوس، فإن «هسون تس» أعجب بتعاليمه، ويهاجم «هسون تسو» منشيوس بسبب ميوله المثالية، مفضلا لنفسه عقلية أكثر صرامة ونظرة واقعية للمشكلات. ولقد أعاد هسون تسو، لهذه النظرة، تأويل الكونفوشية بطريقة تختلف في جوانب هامة عن منشيوس.

لجأ «هسون تسو» مثل أسلافه إلى القدماء. لكنه فضل على خلاف منشيوس عصر ملوك أسرة تشو المبكرين مقتربا بذلك من كونفوشيوس. ولقد أطلق عليهم اسم «الملوك المتأخرين جدا» في مقابل تسمية منشيوس لهم «الملوك السابقين»، لأن القدم على الأصالة في رأي منشيوس يعني أيام البطلين الأسطوريين «ياو» و «شون». أما عند «هسون تسو» فتعبر عنه الحقبة التاريخية المسجلة للملوك الأول من أسرة تشو، وبذلك جعل السلطة تقوم على أساس متين من سجلات التاريخ ووثائقه بدلاً من أن تعيش في عالم الأساطير والخرافات اليوتوبي.

ولقد أصبحت الكونفوشية عند «هسون شو» في مثل هذا الجو العقلي الصارم،أكثر عقلانية، وأكثر مادية، صارت السماء غير مشخصة وغدت هي الطبيعة، والصورة الطبيعية. والطبيعة البشرية التي هي أبعد من أن تكون خيّره بالفطرة كما ذهب إلى ذلك منشيوس-كانت في أساسها شريرة في رأي هسون تسو.

ربما كانت كونفوشية «هسون تسو» أقل من غيرها تعالياً (ترنسند نتالية) وأكثر تركيزا على الجانب الإنساني، فقد بدأ من مقدمة قاسية تقول إن البشر ولدوا شريرين لكنه في الوقت نفسه يؤكد بقوة عن اعتقاده بأنه في استطاعتهم، أن يصبحوا أخيارا بالتربية والتهذيب الأخلاقي. وتستمد التربية والتهذيب الأخلاقي من النصوص الكلاسيكية، ومن النظر إلى حكماء الماضي

باعتبارهم قدوة، وهؤلاء الحكماء لا يختلفون عن سائر البشر في طبيعتهم ومواهبهم الأساسية، وإنما هم نماذج لما يمكن للمرء بلوغه بالفهم والبصيرة الأخلاقية، إذا هو استخدم العقل استخداما سليما. وإذا تم ذلك فإن «هسون تسو» يقدم آمالا براقة لا حد لها للإصلاح من خلال الدراسة، وهذا الارتفاع بفضائل الدراسة والبحث، أعطى للكونفوشية-على نحو ما تطورت فيما بعد-إحدى سماتها الأساسية. وكذلك أصر «هسون تسو» على أن غاية العملية التربوية، والوظيفية المناسبة للرجل المتعلم هي أن يحكم، ومن ثم فقد أصبحت إحدى بديهيات الكونفوشية المتأخرة هي القول بأن أفضل المتعلمين هم أولئك القادرون على خدمة الدولة، وهي فكرة عبرت عن نفسها في الخدمة المدنية الصينية، التي كانت تزود بحاجتها من الموظفين الأكفاء عن طريق الامتحانات.

هذه الوجهة المتفائلة من النظر-رغم قسوتها-إلى الآمال البشرية المرتقبة في هذه الحياة، جعلت «هسون تسو» لا يرى في السماء إله كونفوشيوس المتعالي، ولا إله منشيوس المشخص الأخلاقي-وإنما يرى الطبيعة غير المشخصة، وعملية الصيرورة الطبيعية.

19- العقل البشري-مركز الكون:

ما دام النظام الأخلاقي، والكمال البشري، يبدآن من العقل، فإن العقل البشري يصبح في نظر «هسون تسو»، مركزا للكون. ولقد قادته هذه الفكرة إلى نظرة إنسانية وعقلانية للدين، فأدان، بغير تحفظ، بعض الممارسات الدينية واعتبرها من قبيل الخرافات-ومن ذلك: الصلاة استجلابا للمطر، وطرد المرض بالرقى والتعاويذ، وقراءة بخت المرء من ملامح وجهه. لكنه أباح غير ذلك من أمور كالتنبؤ بالغيب، شريطة أن تقوم التأويلات على ضوء العقل البشري، كما أنكر وجود الأرواح الشريرة والأشباح الضارة. وأصبحت أرواح الأسلاف وقوى الطبيعة عند «هسون تسو» تجليات للسمو الخلقي. وبالفهم الكامل للطبيعة يستطيع الناس في رأيه أن يسيطروا على الكون وعلى بيئتهم، وهكذا أصبح «هسون تسو» أعظم الفلاسفة العقليين في الكونفوشية.

لقد سبق أن رأينا أن «لي Li» (طقوس الديانة المبكرة) عند كونفوشيوس

أصبحت شريعة السلوك البشري، ومراعاة «لي» تؤدي دورا هاماً في الكونفوشية المتأخرة. ولقد اشترط «هسون تسو» تبريرا عقلياً جديدا للدور الذي تقوم به «لي» في الحياة. فمراعاة الإشارات أو الإيماءات المناسبة، وارتداء الملابس اللائقة، والمحافظة على المظهر السليم، والسلوك الصحيح، أي كل ما تتضمنه «لي» عند «هسون تس» تعد في نظره نظاما لكبح الرغبات، ولتصحيح السلوك السيئ الذي يتعرض الموجود البشري الفطري «غير المتعلم» للوقوع فيه. بذلك أصبحت «لي» وسيلة تدريب نافعة في تنقية الانفعالات البشرية وتجميلها.

ولقد أدى هذا المذهب العقلي الكامل، والآراء التشاؤمية عن الطبيعة البشرية الأصلية، في مقابل تعاليم منشيوس-أدت بالكونفوشية المتأخرة، عندما أصبحت آراء منشيوس تقليدية-إلى قدر من الاستهانة بشأن «هسون تسو». ولكنه عبّر عن فكرة أصبحت مركزية في الكونفوشية، وهي التأكيد على أهمية الفضائل في التربية وواجب العالم في أن يحكم.

ونحن نجد في كتابات «كونفوشيوس» و«منشيوس» و«هسون تسو» النواة الفلسفية والدينية، إن صح هذا التعبير لما عرف فيما بعد باسم الكونفوشية. لقد كان على الكونفوشية المبكرة في عصر الفلاسفة أن تتنافس مع المذاهب المعارضة، ولم تكن قد قبلت بعد على أنها الفلسفة والدين الرسميان، وقد استمر هذا الحال لمدة قرنين أو ثلاثة، وكان على الكونفوشية أن تتعرض للمزيد من التهذيب على يد الفلاسفة المتأخرين، قبل أن تستقر صورتها التقليدية.

20- النفعيون واللذيون:

كان منشيوس يشكو من أن العالم بأسره يخضع في أيامه لتعاليم يانج تشوه Yan، chu وموتسو Mo-Tzu وهما فلسفتان منافستان، تمثل الأولى مذهب اللذة عند «يانج تشو» كما تعبر الثانية عن مذهب المنفعة عند «مو-تسو» وهما معا يمثلان تحديا جادا وخطيراً للكونفوشية المبكرة.

ولقد كان «لموتسو» (الذي ازدهر عام 479- 381 ق. م) والمدارس الفلسفية التي تطورت بين تلاميذه-تأثير قوي في عصر الفلاسفة، ولكن هذا الأثر تضاءل في عصر الإمبراطورية، حتى لقد عانت فلسفة مو أو الموهية Mohism من خسوف حقيقي. ثم زاد الاهتمام بها، وعلى نطاق واسع، في العصر

الحديث، إذ يبدو أنها احتوت أفكارا معينة سارت في تواز مع تعاليم المسيحية والماركسية في آن واحد.

لم يستفد مو، على خلاف كونفوشيوس، من سلطة القدماء إلا قليلا، فهو لم يجد بأسا من الاقتباس من السابقين القدماء، ولكنه فضل أسرة هسيا Hsia على أسرة «تشو»، كما أنه لم يلجأ على الإطلاق لأي حدس صوفي، إذ تكشف لنا الفقرات المسهبة التي خصصها المتصوفة في كتاباتهم لنقد منطق «مو» وتفنيده إلى أي حد كانت المعارضة التي آثارها «مو» ومدرسته ضد التصوف مرعبة. فمشكلات المجتمع عند «موتسو» لا يمكن اقتحامها إلا بنبذ السلطة والسلف والبدء من جديد في ضوء العقل الخالص. ولقد وصل مو إلى مسلماته عن طريق الاستنباط ثم أخذ يواصل الحجاج بطريقة استقرائية من مقدمات معطاة. ذهب مو إلى أن المجموع الكلي للتجربة البشرية يشهد بوجود إله، وأن لهذا الإله غاية وإرادة، ويمكن أن نتصور الغاية والإرادة في الحب والرحمة. والنظام هو التجلي النهائي للرحمة الإلهية. ويكمن سر نجاح الأمير في بحثه عن أسباب الاضطراب إذ يمكنه عندئذ فقط أن يعالج شروره. ومادامت الناس جميعاً تصغى للسماء، فمعنى هذا أن الناس جميعا متساوون في أعين السماء، إن السماء تمطر على العادل والظالم[9]. والسماء تنشر حبها على الناس جميعا، بغض النظر عن أشخاصهم، ويترتب على ذلك أنه ينبغي على الناس أن يحبوا بعضهم بعضاً بلا تمييز وبقدر متساو.

والفكرة التي تقول إن على الناس أن يحبوا بعضهم بعضا على قدم المساواة بصرف النظر عن أولوية الحب للأسرة وللأمير، بدت لمنشيوس مدمرة للحياة ذاتها، ولهذا نراه يحتج قائلا «إنها إهانة للمشاعر البشرية كلها». وفي العصور الحديثة، ومع الدعاية لإنجيل المسيحية في الصين، اكتشف بعض الباحثين الصينيين في «موتسو» مبشرا آخر بإنجيل المحبة.

وعلى الرغم من اعتراضات الكونفوشية على نظرية المحبة للناس جميعاً على قدم المساواة، فقد واصل «موتسو» عرض فكرته موضحا أن الناس يفهمون ما الذي يجلب لهم النفع، وما الذي يسبب لهم الضرر، ولو أتيحت لهم الفرصة لاختاروا المحبة الشاملة الجامعة. ولا بد أن يكون المعيار هو الإجماع على الصالح العام، وهذا الصالح العام لا بد أن يكون المحبة الشاملة الجامعة.

ولقد أدت فكرة الإجماع على الصالح العام «بموتشو» إلى بديهيتين سياسيتين، الأولى هي بديهية الصالح العام (أعظم نفع لأكبر عدد من الناس) الثانية هي بديهية الإجماع العام (النظرية التي تقول إن السياسة التي تؤدي إلى أعظم نفع لا بد أن يوافق عليها الجميع). وينتج عن ذلك أن القادرين وحدهم هم الذين يصلحون لخدمة الدولة بغض النظر عن الطبقة أو الأسرة. ويجب أن تكون أسمى آيات الشرف وأعظم ألوان التقدير من نصيبهم.

إن الفعل الأخلاقي الأسمي للفرد-في مذهب موتسو إنها يوجد في فعل التضحية من أجل الجميع. ولقد كون مع تلاميذه لتحقيق هذه الغاية، جماعة متعاهدة من الإخوان، وانخرطوا في مذهب متطرف من الزهد وارتدوا ثيابا خاصة ووضعوا شعارات مميزة وأذعنوا تماما لرئيس الجماعة أو النظام. وهم يذكروننا بنظم الرهبنة الدينية في الغرب المسيحي، وقد كانت الحرب في نظام الأخوة عند «مو» هي النقيض الصريح للحب الشامل، ولهذا انتقد هذا النظام أي ضرب من ضروب العدوان انتقادا شديداً، وذهب خصومه إلى أن الحرب هي سوط عقاب في يد الصالحين، وأن القتال في سبيل قضية عادلة هو نفسه عدالة، بينما ذهب أتباع «مو» إلى أن الحرب في ذاتها شر، وإن كان ذلك لم يمنعهم أيضا من القول بأن الصالح العام الذي هو أعظم قدر من الخير قد يكون في دفع العدوان.

ولقد كرس فرع من المدرسة نفسه لتحقيق هذه الغاية عن طريق دراسة فنون الدفاع عن المدينة. وكان من أعجب النتائج الجانبية لهذا الهدف اختراع عدد من وسائل التحصين. وتتضمن «قوانين المنطق» عند مدرسة «مو»، إشارات عديدة إلى الميكانيكا، ومبادئ علم البصريات-ولا شك أن منشأ ذلك هو الاهتمام بالهندسة الحربية-وهي تعدّ من أقدم الملاحظات العلمية في اللغة الصينية وكان يؤكد للمدينة التي تدعو الأخوة «الموهيين»-في تلك الأيام-، لتولي شؤونها، إن الدفاع عن المدينة خليق بأن يتولاه رجال كرّسوا أنفسهم للفكرة القائلة بأن أعظم قدر من الخير يكمن في تضحية المدافعين بحياتهم. وهناك آثار طريفة لهذه الفكرة في اللغة الصينية إلى يومنا الراهن، لأن تعبير «موشو Mo-Shou» (التي تعني: دفاع مو) هو تعبير يرادف الدفاع «العنيد»، أو الدفاع «بدون تفكير». ومع ذلك فقد تفوق، تلاميذ «موتسو» في الدفاع عن مذهبهم. أما الغرض الرئيسي من كتابهم

عن قوانين المنطق فكان هو دراسة أساليب البرهنة التي أخذوها على عاتقهم.

ولقد ذهب «يانج شو Yang chu» الفيلسوف الأبيقوري، المنافس الرئيسي الثاني لمنشيوس، إلى أن دولة المدينة أصبح إنقاذها أمرا متعذرا، إذ لم يعد من الممكن أن تسترد عافيتها، ولهذا ينبغي أن يكون الاهتمام الرئيسي عند الناس هو اهتمامهم بأنفسهم، وعليهم أن يبحثوا، في عصر محفوف بالمخاطر، عن المحافظة على أشخاصهم هم، والعناية بتكاملهم، كما ينبغي عليهم أن يرفضوا التورط في الانشغال بالأمور المادية وألا يتركوا شيئا رهينة في يد القدر بانغماسهم في رغبة غير مثمرة. وقبل كل شيء ينبغي عليهم ألا يورطوا أنفسهم مع رفاقهم. ولقد رفع «يانج شو» راية المذهب الفردي ضد فضائل النظام الاجتماعي. وبدلا من أن ينقذ المدينة اعتقد أن الأهم هو إنقاذ الحياة الفردية.

لم يترك لنا «يانج شو» أية كتابات، ولم تعرف فلسفته إلا من إشارات الخصوم إليها. وهناك كتاب يستظل باسمه هو جنة الفذة الذي كتب وطبع بعد موته بوقت طويل، وربما كان تجميعا منحولاً. ولقد عانت سمعته كما عانت سمعة أبيقور ولنفس الأسباب إلى حد كبير. ومع ذلك فإن معاصري «يانج شو» يشهدون بتأثيره في عصره. ومن المرجح أن يكون هو الذي بشر بالمفكرين التأمليين والمتصوفة الذين جاءوا بعده بوقت قصير، والذين اشتهروا بأسماء «شوانج تسو» و «لاوتسو».

21- التاوية الفلسفية:

كانت الكونفوشية والموهية Mohism فلسفتين فعاليتين اهتمتا بفنون الحكم في دولة المدنية وبالأخلاق الاجتماعية، وبذلك كانتا فلسفتين دنيويتين مشغولتين بالعالم الذي نعيش فيه. وقد كان من شأنهما أن يؤديا في النهاية إلى كونفوشية تصبح هي ديانة الدولة وهو جانب الحياة الدينية الصينية الذي يمكن أن نفكر فيه باعتباره جانبا أخلاقيا.

ولكن بينما كان الفلاسفة «الفعّالون» يدعون إلى نظرياتهم في بلاط دول المدينة وعواصمها، كانت أنشطة فلسفية مختلفة أتم الاختلاف تتم في الريف، أعني خارج المجتمع إن صحّ التعبير، وكانت هذه الأنشطة هي فلسفات دعاة السكينة و«الطمأنينة».

انصب اهتمام هذه الفلسفات على «العالم الآخر»، وسعت إلى إدراك الذات وتهذيب النفس من خلال تمرينات «اليوجا» للوصول إلى أقصى درجات العلو. وهم يرون في العلو تلك الواحدية الثابتة التي تكمن خلف عالم التغير وتعطي في نفس الوقت كلا من قوة الدفع وحركة الحياة، وهذه الواحدية هي التي يسمونها تاو Tao[10] ويتحدث جميع الفلاسفة في الصين القديمة عن التاو عندهم، أي عن طريقهم، أما فلاسفة الطمأنينة فهم يتحدثون عن التاوية نفسها، ونتيجة لذلك أطلق عليهم اسم «التاويين»، وكانت أفكار هؤلاء التاويين هي التي أوحت في النهاية بالديانة التاوية- وذلك جانب من الحياة الدينية الصينية يمكن أن نقول عنه إنه جانب صوفي.

لقد ألهمت الكونفوشية ديانة الأخلاق والسلوك الاجتماعي، وكانت لها جذور في ديانة القدماء الأرستقراطية. أما التاوية فقد ألهمت ديانة التصوف، وأصولها أقرب إلى الديانة الشعبية عند القدماء فهم يسعون إلى دخول عالم المعرفة عن طريق غيبوبة الشامان أكثر مما يفعلون ذلك عن طريق سجلات القدماء ووثائقهم. وتعكس الكونفوشية والتاوية في صورتيهما المتأخرتين-شيئاً من هذه الأصول: فالكونفوشية كانت، في الأعم الأغلب، ديانة البلاط وعلية القوم من الأرستقراطيين، في حين لم تفقد التاوية قط صلتها بجذورها الشعبية.

22- محور الكتابات المقدسة عند التاويين:

يضيف لنا مجموعتان من كتب التاوية من عصر الفلاسفة، وهما المجموعة المسماة بكتب شوانج تسو Chuang Tzu» و «ليه تسو Lieh Tzu. وفضلاً عن ذلك فهناك كتاب تاوي موجز ظهر غُفلاً قرب نهاية هذه الحقبة، وهو كتاب خلافي للغاية في نغمته عرف باسم «تاوتي كنج Tao te Ching»- وتشكل هذه الكتب الثلاثة محور التاوية، وهو بغير شك أقدم كتب في المؤلفات الدينية التاوية من بين مجموعة هائلة من الدراسات التاوية التي تشكل الشريعة التاوية.

ينسب مؤلف «تاوتي كنج»[11]، في التراث التاوي، إلى «لاوتسو» وهو شخصية تعد من الناحية التاريخية موضع شك. وتلك هي الحال نفسها مع كتاب «ليه تسو». أما تشوانج تسو (286؟ ـ369؟ ق. م)[12]، فقد كان على

خلافهما شخصية تاريخية ومعاصرا لمنشيوس، غير أن الكتاب الذي يحمل اسمه يحتوي فيما يبدو، على كتابات لمؤلفين مختلفين وفي فترات مختلفة. وإذا نظرنا إلى هذه الكتب من حيث هي فلسفة، فلا بد من النظر إليها في ضوء هذه النظرة التاريخية الصارمة. أما من حيث هي كتابات مقدسة لديانة متأخرة، فيمكن النظر إليها على أنها شرائع «لاوتسو» و «تشوانج تسو» المؤسسين المزعومين للتاوية الدينية، اللذين يضيف إليهما احترام الأتباع فيما بعد الكثير من تفصيلات سير القديسين.

وتتمثل أفرع الفكر التاوي في الأجزاء المختلفة من كتب «شوانج تسو» و «ليه تسو» و «لا وتي تشنج» ولكن هناك أفكارا أساسية معينة وأسساً مشتركة بينها جميعاً، وتلك هي الفلسفة التاوية.

ويصف كتاب «شوانج تسو» في صورة أمثولات أو حكايات رمزية، وحوارات متخيلة بين «شوانج تسو» ونقاده، وانتقادات لاذعة لأحاديث المقاطعة، وقصص عن القديسين التاويين-يصف شكلا من أشكال المعرفة لا يلم به إلا الخبير أو السالك فحسب. والحديث عن هذه المعرفة، دع عنك مناقشته مع أي شخص آخر فيما عدا الخير، عمل لا طائل وراءه، فكما أن آلهة النهر لا تعرف شيئاً عن البحر، أو أن الحشرة لا يمكن أن تتصور طيران الطيور الكبيرة المهاجرة، فكذلك الإنسان «قليل المعرفة» (أو صاحب الفكر الدنيوي) لا يمكنه أن يتصور «المعرفة الأعظم (أو رؤى الصوفي) فهذه المعرفة يظفر بها الخير في حالة الوجد، وهي حالة، «أفقد فيها ذاتي».

يمضي الخبر، في حالة الوجد، في رحلة ممتطيا صهوة الريح، تحمله «عربات السحب» إلى اللامتناهي، فيرى «أن السماء والأرض ظهرا إلى الوجود معي، ومعي أصبحت الأشياء جميعاً شيئاً واحدا». وفي هذه الرؤية تكون كل الأشياء نسبية، وتتآلف جميع الأضداد، وتنسجم جميع المتقابلات. والواحد هو التاو Tao إنه التلقائية الشاملة لجميع الأشياء، فكل شيء هو كذلك من ذات نفسه. ومن ثم يستطيع «التاو» «أن يفعل كل شيء بألا يفعل شيئا»، و «التي Te» (أي الفضيلة أو الأخلاق عند الكونفوشية) هي عند التاوي، «التاو» المباطن في كل شيء، فهي «قوته». إن «التاو»، (الطريق أو النهج أو التي Te (قوته) تصوران أساسيان للتاوية الفلسفية. وما دام كل شيء هو كذلك من تلقاء ذاته، فإن له، إن صح القول، تلقائيته، وأي تدخل

بشري هو تدمير له. ومن ثم يعارض الخبير المؤسسات والقوانين الأخلاقية والحكومية بوصفها حيلا بشرية تعترض الدور الحر للتاو وتعرقله، وكذلك عمل الـ «تي Te» لذلك كانت أفضل طريقة لحكم العالم هو ألا تحكمه. وقل مثل ذلك في فن الحياة، فالسعادة يمكن بلوغها بالترك،-بالسماح للتاو بالقيام بدوره الحر، بالانغماس في أنشطة ليست أفعالا، إن الصفات والقيم نسبية، وما هو موجود فهو خير.

وأخيرا فليس الموت إلا مظهرا للوجود، مثله مثل الحياة، إنه استبدال صورة من صور الوجود بصورة أخرى. وكما يقول «شوانج تسو»: «الحياة والموت شيء واحد، وكذلك الصواب والخطأ»، وهذا هو ما يحرر الإنسان من قيوده وأغلاله.

إن التاوتي-كنج «أي (الطريق وقوته)» هو كتاب التاوية الكلاسيكي. وقد كتب معظمه شعراً، ومنهجه في العرض هو أساساً منهج الشعر. ولقد تم تأليفه قرب نهاية عصر الفلاسفة، وتخلى مؤلفه عن طريقة الحكاية، والقص المستخدمة في كتاب «شوانج تسو» وركز جوهر تعاليم مذهب الطمأنينة في كل واحد. وإذا وضع كتاب «تاوتي كنج» في مكانه التاريخي في الفلسفة الصينية المبكرة. أمكن أن يقرأ على أنه تعبير عن الوضع الفلسفي لأصحاب مذهب الطمأنينة، وتفنيدهم لخصومهم من الفلاسفة في عصرهم. ولكنه ينسب، بوصفه كتاباً مقدساً»، إلى «لاوتسو» الأب الروحي للتاوية، ولذلك كانت له الصدارة في التاوية الدينية. وفي اللغة الإنجليزية أكثر من ثلاثين ترجمة لكتاب «تاو تي كنج» وقد عُرف بوجه عام ككتاب كلاسيكي في التصوف يتجاوز حدود الصين.

23- مدارس أخرى:

أشرنا حتى الآن إلى مدرستين رئيسيتين تعبران عن الديانة المحلية للصين من بين المدارس المائة التي ظهرت في عصر الفلاسفة-وهما المدرسة الكونفوشية والمدرسة التاوية، وذكرنا أيضاً مدرسة «موتسو» التي كان تصورها للسماء أقرب التصورات التي نلتقي بها في الفكر الصيني القديم إلى فكرة الإله المشخص. وإن لم تكن لذلك أهمية كبيرة من الناحية التاريخية في تطور الفكر الديني الصيني، ومع ذلك فقد تم إحياء الاهتمام «بموتسو» في العصر الحديث بسبب هذه الفكرة إلى حد كبير.

وفضلا عن ذلك فقد كانت هناك حركتان فلسفيتان لا بد من الإشارة

إليهما إذ كان لهما أثر هام في التاريخ الديني الصيني، وأول هاتين الحركتين هي حركة الكسمولوجيين.

في وقت ما من أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، بدأ الفكر النظري يدور حول نظرية الكون بوصفه كلا منظما، وحول القوانين التي تحكمه. ولقد لمع في هذه الحركة «تسوين» Tsou Yen ومدرسته التي أثرت تأثيرا عميقاً في مسار الفلسفة في عهد أسرة هان وفي عهود تالية.

لقد وضع «تسوين» دورة من خمسة عناصر هي: الأرض، والخشب، والمعادن، والنار والماء، وكل عنصر منها يتغلب بدوره على العناصر السابقة عليه في دورات متكررة، ويبقى قائما فترة من فترات التاريخ، ومن هذه الفكرة وضع «تسوين» نظرية الدورات التاريخية التي كان لها أثر كبير في الفكر الصيني المتأخر. ولكن كل عنصر من هذه العناصر يحكم العالم الطبيعي في فترة ظهوره وانهياره بحيث يمكن تفسير جميع الأحداث الطبيعية والبشرية (أو التنبؤ بها) من هذه الزاوية. ولقد عرف أتباع «تسوين» باسم مدرسة «ين يانج» وكلمة ين Yin تعني حرفياً «الجانب المظلم»، كما تعني كلمة يانج Yang الجانب «المشمس». ومع ظهور نظرية العناصر الخمسة تقريباً وردت كلمتا «ين وبانج» كمقولتين في النظرية الكسولوجية الثنائية، التي كان فيها «ين ويانج» أي النور والظلمة، والذكر والأنثى، والقوي والضعيف-يعدان مبدأين كسمولوجيين (كونيين) تنتج ظواهر الكون كلها من خلال التفاعل بينها.

ولقد دخل مذهب «ين يانج» الثنائي إلى العقيدة الكونفوشية، فأدمج في «كتاب التغيرات» (آي كنج I Ching) وهو تجميع متأخر وتنظيم عقلي للكتب القديمة التي تدور حول التنبؤ بالغيب، و«كتاب التغيرات» مرتب من حوالي ثماني فقرات ثلاثية تتألف كل منها من ثلاثة أسطر مقسمة أو غير مقسمة، وعن طريق الجمع بين كل فقرتين ثلاثيتين، تحصل على 64 شكلا سداسياً تضاف إليها أوصاف لمعانيها الرمزية المفترضة. وكان يعتقد أن الأشكال السداسية وتأويلاتها، انحدرت من ماض سحيق، كما جرت العادة أن تنسب بعض الملاحق في كتاب التغيرات خطأ إلى كونفوشيوس ومن هذا الطريق دخل كتاب التغيرات مع «الين واليانج أو الجانب المظلم والجانب المنير»[13] إلى الشريعة الكونفوشية.

ولقد ألهم «ين يانج» والعناصر الخمسة معظم الفلسفة الطبيعية الصينية

التي جاءت بعد ذلك، ولكنها دخلت كذلك الديانة الشعبية عن طريق التاوية وأصبحت رموزها عاملا مشتركا في صنع الأيقونات في الفن الشعبي الصيني.

24- مدرسة القانون (الشرائع):

وأخيراً هناك مدرسة فكرية يطلق عليها الصينيون اسم مدرسة القانون (أو مدرسة الشرائع) لأنها أيدت إحلال القانون محل الأخلاق. ولقد نشأت من تعاليم «الملك شانج» Lord Shang في دولة «تشن» Ch'in، وهي الدولة التي غزت بقية الصين في نهاية عصر الفلاسفة، وأقامت في ظل أول إمبراطور الدولة التي وحدّت الأمة الصينية. ولقد نبذت مدرسة القانون أي التجاء إلى التراث أو اعتماد على توجيهات قوى تعلو على الطبيعة، أو أي ثقة في إرشاد هذه القوى وهدايتها فاهتمت فحسب «بواقع العالم على نحو ما هو موجود» في الوقت الحاضر.

ونادت مدرسة القانون (الشرائع) بإلغاء الامتيازات الإقطاعية، وتقنين واجبات الشعب تقنيناً دقيقا تدعمه العقوبات الصارمة، وتشجع عليه المكافآت السخية. وعندما تسلح حكام تشن بهذه الأساليب الصارمة، فرضوا على الصين كلها الوحدة والسلام، وبذلك أنقذوا البلاد من الاستنزاف الذي أصابها بالشلل من حروب دول المدن المتنازعة. ومع ذلك فقد بلغت ضراوة النظام الشمولي الذي أخذ به الإمبراطور الأول حداً جعل مدرسة القانون أو الشرائع تسقط في نظر الناس من حيث هي فلسفة.

25- الدين في العصر السابق للأمبراطورية:

كان التراث الديني للصين، فيما قبل عمر الإمبراطورية (أي قبل القرن الثاني ق. م) يتألف من عنصرين متميزين تماماً. وتأتي أهمية أولهما من تأثيره على الجوانب الدينية للكونفوشية وأعني به عبادة السماء والأسلاف المقدسين، حيث كان الأمراء والطبقات الأرستقراطية يقومون في هذه العبادة باسترضاء السماء والأسلاف ويلتمسون عون الموتى الأقوياء الذين حكموا، إذا صح التعبير، وفق نظام تصاعدي سياسي في السماء، ونقلوا التفويض بالحكم الذي حصلوا عليه منها إلى مندوبيهم الذين يحكمون على الأرض. وهذه العبادة كان الهدف منها أن تظل السماء على وفاق مع الموجودات البشرية عن طريق الطقوس السحرية أولا ثم عن طريق وصايا الأخلاق، بعد ذلك-هي التي

أصبحت بفضل الكونفوشية عقيدة الدولة في عصر الإمبراطورية الصينية.

أما العنصر الثاني الذي كان يتألف منه التراث الديني للصين فهو عالم السحر والعرافة الذي يمثل فيه الروح الوسيط أو الشامان حلقة وصل بين البشر والأرواح. ولقد بقيت هذه العقيدة حية بين الناس، محتفظة بعناصر ديانة أكثر بدائية أدت فيها التعاويذ، والتنبؤ بالبخت وما شابه ذلك بالنسبة لطبقات الفلاحين، وظيفة الطقوس والممارسات الدينية. وتتوازى مع حالة النشوة أو الغيبوبة التي يمر بها الشامان، حالة أخرى متعالية هذبتها التاوية وأصبحت هي الأساس المعرفي للتاوية الصوفية. ولقد قام كهنة التاوية بكثير من الوظائف التي كان يتولاها الشامانيون الأوائل.

26- الدين في عهد أسرة شن وأسرة هان:

انتهى عصر الفلاسفة بانهيار دول-المدينة، وقيام الإمبراطورية تحت حكم أسرة شن Chin وتوحدت الصين لأول مرة لمدة خمسمائة عام. ولقد استلهم حكام تشن مذهب التطبيق الحرفي للقانون في تطبيق نوع من الحكم الشمولي، فوحدوا دول المدينة في دولة واحدة تمثل الأمة. ونجح أول إمبراطور من أسرة شن في إخضاع الأمراء والشعوب السابقة لدول المدينة وجعلهم رعايا له هو وحده، بل سعى كذلك لكي يثبت لهم أن سيادته المطلقة تمتد إلى المذابح في المعابد والآلهة التي يعبدونها أيضا. ولقد قام بسلسلة من الرحلات طاف فيها حول الإمبراطورية، صاعداً جبالها المقدسة، وزائراً هياكلها، ومقدماً القرابين المناسبة للآلهة المحليين، وبذلك أكد سيادته التي لم تقتصر على الناس بل شملت جميع آلهة البلاد. ولقد رمز إلى الزعم بأن قوته الدينية لا تقل عن قوته الزمنية باللقب الذي اتخذه لنفسه وهو Chin Shih Huang-ti «شن شيه هوانج تي». وكلمة شن هي اسم بيته الحاكم، و«شيه» تعني الأول-الأول في سلسلة تخيل أنها تمتد لعشرة آلاف جيل-وكلمة Ti هي الاسم الذي كان يتسمى به الملوك الآلهة في الماضي، وهوانج تعني «المرموق» أو «الشهي» وتوحي بأنه كان «أكثر ملوك تي شهرة»

واستجاب «شن شيه هوانج تي» لمشورة وزرائه من مدرسة القانون أو الشرائع، فأمر بإحراق جميع الكتب فيما عدا الكتب الخاصة بالفنون العملية النافعة، قاصداً من وراء ذلك تدمير تعاليم المدارس المائة.

ولما تقدم الإمبراطور الأول في العمر، سعى لصداقة الشامانيين والسحرة من مختلف أجزاء الإمبراطورية باحثاً عندهم عن عشب الخلود على أمل إطالة عمره إلى غير حد. وفي هذه العملية جاءت عناصر الديانة الشعبية إلى البلاط بكل أنواعها الأصلية المختلفة. ومات الإمبراطور المصاب بجنون العظمة دون أن يأسف عليه أحد.

أما أسرة «هان» (من 202 ق. م إلى 220 بعد الميلاد) التي خلفت أسرة «شن» فقد ورثت البنية والمؤسسات ووحدة أسرة شن، ولكنها نبذت كلا من قسوة قوانين أسرة شن والتطبيق الحرفي للقانون وما فيه من تعصب. وكانت أسرة هان تبشر باقتراب فترة غنية من منجزاتها العقلية، والثقافية، ولا يزال الصينيون حتى اليوم يحبون أن يطلقوا على أنفسهم لقب «رجال أسرة هان». وخلال هذه الفترة استقرت الكونفوشية عندما أصبحت هي العقيدة الرسمية. كما أصبحت التاوية ديانة شعبية، وقرب نهاية عصر أسرة هان، ظهرت البوذية في الصين لأول مرة.

27- انتصار الكونفوشية:

وصلت أسرة شن إلى السلطة عن طريق الغزو العسكري، وخلفتها أسرة «هان» من خلال ثورة مسلحة، ولكن عانى الملوك من الإمبراطور الأول وحتى عصر الإمبراطور «وو Wu» معاناة شديد من مشكلات القرارات الدينية التي تعد النظام الملكي، وتؤيد شرعيته. ولقد سبق أن رأينا كيف أثرت هذه الفكرة في سلوك الإمبراطور الأول، كما انزعج الأباطرة الأول من أسرة هان بمشكلات مماثلة، وقد أرخ أبو المؤرخين الصينيين «سو-ماشن Su-ma-chein» في بحث يسمى «قرابين فنج Feng وشان Shan» لتاريخ الانشغال بهذه المشكلات، فكتب في أثناء عصر الإمبراطور «وو Wu» معبراً عن الإيمان السائد في ذلك الوقت بقوله إن تفويض السماء يقتضي أن يكون الحاكم قادراً على تقديم قرابين «فنج وشان». وفي محاولته لتعقب تاريخ هذه القرابين، قدم لنا هذا المؤرخ ما يعد في الواقع تاريخاً للإيمان الديني الملكي الذي يزودنا بقدر كبير من المعلومات عن الإيمان الديني في عصره رغم أنه كان في بداياته الأولى خيالياً.

والواقع أنه ليس ثمة دليل على أن قرابين «فنج وشان» كانت تمثل جانباً

من الطقوس التزم بها الملوك قديما، ولكن البحث عن الصيغ الملائمة أدى بملوك أسرة هان الأول إلى استكشاف مدى الإيمان الديني في سائر الإمبراطورية، وقد دونت في سجلات هذا البحث أشياء كثيرة لم تسجل في أي مكان آخر.

بدأ نجم فقهاء الكونفوشية-خلال تقديمهم النصائح المتضاربة لأباطرة أسرة هان الأول عن تأدية الطقوس والمراسم وواجبات الملك في تقديم القرابين-بدأ في الصعود في بلاط أسرة هان حتى انتهى بالانتصار النهائي للكونفوشية، بوصفها عقيدة الدولة، والحارس، والوسيط للطقوس الدينية المتعلقة بحكامها. وراح الكونفوشيون يعلمون الأمراء في القصر الملكي وأصبحوا مرموقين في خدمة الدولة. وفي عصر الإمبراطور «وو Wu»(حكم من 87- 140 ق. م) الذي تعلم هو نفسه على يد الكونفوشيين، قدم اقتراح فحواه أن الكونفوشية ينبغي أن تكون هي الفلسفة الوحيدة للحكومة. وعين الموظفون الرسميون في البلاط ليخصصوا في دراسة الآداب الكلاسيكية للكونفوشية وتفسيرها. بل لقد أنشئت جامعة إمبراطورية لتدريس الكونفوشية، واختيار ضباط الدولة من بين خريجيها، وهكذا تم بالتدريج-تحت وطأة هذا الضغط طرد أتباع الفلاسفة غير الكونفوشيين. وفي النهاية تحت حكم الإمبراطور هسوان Hsuan(حكم من 49 إلى 73 ق. م)، دعى مجلس إمبراطوري من ثقات الكونفوشيين، ليناقش على مدى ثلاث سنوات مشكلات تأويل الآداب الكلاسيكية، وكتبت مداولات المجلس في مذكرة رفعت إلى الإمبراطور، وفي عام 51 ق. م. صدق الإمبراطور على مضمونها، ومنذ ذلك الحين استقرت عقيدة رسمية وتأويل رسمي للآداب الكلاسيكية الكونفوشية التي أصبحت لها سلطة رسمية في الحكومة.

وهكذا نجد الكونفوشية-التي كانت محرومة من الحماية في عهد أسرة شن Chin، كما كانت حركة محلية صغيرة في بداية حكم أسرة هان-وقد انتصرت مع استمرار حكم هذه الأسرة على المدارس المائة جميعاً، فأصبحت عقيدة البلاط، وعقيدة الدولة، كما أصبحت آدابها الكلاسيكية مادة المناهج التي تدرسها الطبقات المثقفة. وكانت البراعة في هذه الآداب هي المحك في اختيار الأعضاء لخدمة الدولة، وهي معيار ترقيتهم، كما صارت الأفكار الدينية الكونفوشية، وما تحدده من طقوس للعبادة هي الديانة الرسمية

للقصر الملكي. وهكذا أصبحت الكونفوشية هي عقيدة الدولة.

28- الحاجة إلى آلهة مشخصة:

إبان عصر الفلاسفة، حلت بالتدريج محل فكرة الإله المشخص، وأفكار الشفاعة، والتوسط الفردي، والعبادة-بين الفلسفات «النشطة» -أفكار مادية شبه علمية عن الكون، ونظام طقوسي للسلوك البشري خال تماماً من التعالي. وحذف الفلاسفة المتأخرون حذفا كاملاً عناصر الديانة الملكية لأسرة تشو Chou التي كانت قد تحولت إلى سمو أخلاقي على يد الفلاسفة الأول. ولقد كانت طرق الوجد والنشوة، عند فلاسفة الطمأنينة كما كانت أهداف «السالك» في هذا المذهب-بعيدة تمام البعد (بغض النظر عن صلتها الأولى بها) عن أفكار الشامان في الديانة الشعبية الذين كانوا وسطاء بين الناس والآلهة، وبين الناس والأرواح، لتلبية الحاجات الدينية للشعب.

غير أن الإيمان بآلهة مشخصة استمر قائما. كما انتشر وجود الأرواح المشخصة والشامان والسحرة والمشعوذين. وأيا ما كانت تعاليم الديانة الرسمية، فإن الناس ظلت تسعى لإقامة علاقات شخصية وفردية مع الآلهة والأرواح والإيمان بوجود مثل هذه الآلهة والأرواح، وكذلك الإيمان بأن الشفاعة الشخصية ممكنة من خلال توسط الشامان وغيرهم، كان يلبي تلك الاحتياجات الدينية التي تجاهلها الفلاسفة وأهملتها الديانة الرسمية.

أما بالنسبة لأولئك الذين يشقيهم مصيرهم بعد الموت أو مصير من يحبون، فلم تقدم لهم الديانة الرسمية أي عزاء إذ ساد الاعتقاد بأن أرواح الشخص-المتعددة-تنفصل عند الموت وتتفرق، أما البدن فيتحلل. ولقد ادعى الشامان، والمشعوذون، والسحرة، من ناحية أخرى، أنهم قادرون على استحضار أرواح الميت الهائمة، كما زعموا أنهم، بوسائل تقنية مختلفة وعقاقير معينة، قادرون على ضمان خلود الجسد، وهكذا يمكن أن تتكامل الأرواح المبعثرة من جديد في جسد خالد، ويمكن تجنب ما يحدثه الموت من فناء.

وانشغل الإمبراطور الأول بالبحث، في جميع أنحاء الدولة، عن مثل هذا الخلود، عند أصحاب الوصفات الطبية، أي عند أولئك الكهنة الشعبيين القادرين على تلبية مثل هذا العزاء. وانكشفت أثناء هذا البحث مدى انتشار العقائد والممارسات الدينية الشعبية وراء حدود النخبة المثقفة. وانشغل

أحد أباطرة أسرة هان-وهو الإمبراطور وو Wu-بعد ذلك بقرن ونصف القرن ببحث مماثل عن حياة أخرى. ولقد كان السحرة والمشعوذون الذين ظهروا في بلاطه-واستنكرت وجودهم النخبة الكونفوشية المتزايدة في البلاد استنكارا شديداً-كانوا أبلغ شاهد على استمرار شعبية الدين القديم بين الناس.

29- السماء الصفراء:

قرب نهاية حكم أسرة هان وصل مجموعة من المشتغلين بالكيمياء القديمة والعلاج-إلى نتيجة تقول إنه سرعان ما تحل «السماء الصفراء» محل «السماء الزرقاء»، ويكون لها مركز الصدارة والقوة في الكون. وتنبؤوا بعمل ثوري جديد يبدأ في عام 184 ميلادية، ويبشر-بألف سنة من السلام الشامل. ولقد حدثت هذه الرؤيا الكوارثية في عصر كان في معظمه عصر اضطراب سياسي شامل، مما أثار صحوة الفلاحين الذين استجمعوا قواهم للثورة. وكان المتمردون يضعون على رؤوسهم مناديل صفراء اللون علامة على ارتباطهم بالسماء الصفراء، ولهذا السبب عرفت حركة تمردهم باسم «ثورة أصحاب العمامة الصفراء».

وأيا ما كانت أسباب التمرد، فإن هذه الحركة كانت تاوية في قيادتها، كما أنها استلهمت التاوية في أيديولوجيتها، واتجهت لتحقيق الإصلاحات التي سعت إليها عن طريق دولة تاوية. لكن التمرد تم قمعه، وإن كان قد كشف عن وجود ديانة سمت نفسها تاوية، وهي ديانة منظمة تنظيما جيدا مع نسبة كبيرة من أتباعها من الشعب. وأصبح من الواضح أنها استقرت قبل ثورة 184 ميلادية بفترة طويلة.

ويذكر شانج ليانج Shang hiang-في التاريخ التاوي-وهو الذي خدم الإمبراطور الأول في أسرة هان، وكان تلميذا للمذهب التاوي-يذكر أنه سعى عبثاً «لبلوغ الخلود»وبعد ذلك بسبعة أجيال هاجر واحد من سلالته هو «شانج لنج Chang ling» إلى غرب الصين حيث كتب بحثا عن المذهب التاوي، وكون جماعات من التلاميذ، يقال إن عددها بلغ عشرات الألوف-واشتهر عنه بأنه وصل إلى مرحلة الخلود. وفي القرن الثاني الميلادي وجدت بالفعل كنيسة تاوية، وكان لقب شانج فيها لامعاً ومرموقاً، كما كانت السلالة المحترمة لأسرة «شانج لنج» من قادتها المرموقين.

وانقسمت الكنيسة التاوية إلى جماعتين حسب المناطق: واحدة في الشرق بتوجيه «شانج شوه Chang Chueh» وأخويه (وهم الأخوة شانج الثلاثة). وأخرى في الغرب بتوجيه الشانجيين Changs المنحدرين من أسرة «شانج لنج». ولقد قيل إن الكنيسة الشرقية في عصر ثورة أصحاب «العمامة الصفراء» حصلت على ولاء ثمانية أقاليم أي ثلثي إمبراطورية هان، وأنها جندت 000 , 360 من أتباعها، وكان للكنيسة التاوية في هذه الأقاليم الثمانين 36 منطقة. وكان على رأس النظام الهرمي الأخوة الثلاثة شانج: قائد وحاكم السماء، وقائد وحاكم الأرض، وقائد وحاكم الإنسان. و«الخبير أو السالك الأعظم» هو المسؤول عن المناطق الواسعة، مع أكثر من عشرة آلاف شخص من المريدين-أما المناطق الصغرى فتخضع لمسئولية «الخبير الأصغر». ولقد كان هناك أيضا تقسيم مماثل في الكنيسة الغربية يشرف عليها «شانج هنج <Chang Heng و«شانج لو Chang Lu» وامتد النظام الديني التصاعدي هابطاً إلى المجتمع الفردي، مشكلا مراتب من الكهنة وجمهور المؤمنين.

30- الطقوس والخدمات الدينية:

طورت الكنيسة التاوية ضروبا من الطقوس والخدمات الدينية التي تقام للتكفير عن الخطيئة وكفارة المرض (الذي يعتقد أنه حدث بسبب الخطيئة). ويقوم الكاهن بتلاوة بعض التعاويذ على الماء ثم يقدمه إلى التائب ليشربه، فإذا فشلت هذه العملية في تحقيق الشفاء، يعزي الفشل إلى نقص الإيمان، وفي الكنيسة الغربية يدفع المؤمن خمسة مكيالات من الأرز فدية مالية (وقد ظلت الكنيسة الغربية لعدة قرون بعد ذلك تعرف على المستوى الشعبي باسم «عقيدة مكيالات الأرز الخمسة»). وتدون الخطايا كما تسجل الاعترافات: وتعد ثلاثة نسخ توجه إلى السماء والأرض والماء، توضع واحدة على قمة جبل، بينما تدفق الثانية في باطن الأرض، وتغطس الثالثة في الماء-أما الخطايا التي يكفر عنها بهذه الطريقة فهي، السكر، والفسق، والسرقة.

كانت الديانة التاوية-والكنيسة التي تدعو لها-في نهاية أسرة هان أبعد ما تكون عن مدرسة التصوف التي كانت تحمل اسم التاوية في القرنين الرابع والثالث ق. م. فقد تحولت التاوية من نظرية فلسفية تقوم على

أساس الحدس الصوفي إلى ديانة للخلاص. ومن مسألة تأمل شخصي، وخاص إلى كنيسة منظمة ذات نظام كهنوتي تصاعدي وأتباع. وفي نهاية أسرة هان تحولت التاوية إلى ديانة على نحو ما كانت عليه البوذية، وما صارت إليه الكونفوشية-كانت استجابة الناس لها شعبية وعلى نطاق واسع، وازدادت أهميتها واستجابة الشعب لها خلال عهود ست أسر حاكمة وحتى أسرة «تانج T.ang» بل إنها صادفت بعض العصور التي تمتعت فيها بفترات وجيزة من الرعاية الإمبراطورية.

قدمت التاوية، بوصفها ديناً، طريقاً للخلاص، بل عبّدت للمؤمن عدة طرق توصله إلى الجنة. ولما كان المؤمن المخلص لها في صورته الشعبية البسيطة للغاية شديد الفقر بحيث يعجز عن المشاركة في الأساليب المكلفة من غذاء صحي، وتنفس، وتناول العقاقير، والتقشف، و لما كان كذلك منعدم الثقافة بحيث لا يمكنه أن يتابع البحوث الموضوعية عن الاتحاد والجذب الصوفي، فقد كان باستطاعته عن طريق التقوى والاعتراف والتكفير أن يكتسب ميزة ضرورية يمكن بواسطتها بعد الموت، والبقاء فترة في العالم السفلي، أن يتم إنقاذه أو إنقاذها فينقل إلى الجنة.

ويستطيع المؤمن كذلك-عن طريق الالتزام بالتقوى، وتأدية خدمات دينية خاصة فداء لأرواح الموتى-يستطيع أن يصلى لهم لعلهم بصلاح الأحياء أن يظفروا في النهاية بالإنعتاق من العالم السفلي ودخول الجنة.

وفي مرحلة عليا من التدين يستطيع المؤمن بالإحسان، والتقشف، وتأدية الخدمة للجماعة الدينية، أن يبلغ مرحلة يلحق فيها بطبقة الموظفين الرسميين في العالم السفلي، ومن خلال الخدمة في نظامها التصاعدي، يضمن دخول الجنة.

31 - تجنب الموت:

غير أن السالك الحق كان يسعى إلى تجنب الموت تماماً، والعبور إلى عالم الخالدين. عن طريق الانتقال إلى السماء مباشرة، فهناك أساليب متعددة، ونظم كثيرة يمكن بواسطتها بلوغ مرتبة الخالدين. لكن هذه المرتبة تدخر بالطبع لأكثر السالكين تقدما على الطريق.

وهذه النظم، بأوسع معنى للكلمة، هي عادات خاصة بالغذاء الصحي

وتمرينات التنفس، وضبط العملية الجنسية وما شابه ذلك، ويقصد منها حلول عناصر أثيرية لا تفسد محل العناصر الغليظة الفانية في الجسد الفاني. ولقد قيل إن الأبخرة التسعة كانت مندمجة في العماء Chaos مع بداية الخلق، ثم انفصلت: فتكونت السماء من أنقاها، وتكونت الأرض من أغلظها. وتكوّن الجسم البشري من العناصر الغليظة ثم منح الحياة عندما دخله البخار الأصلي لحظة الميلاد. ويتصل هذا البخار بالماهية (أو الجوهر) فتتشكل الروح وهي: مبدأ الحياة. وعند الموت ينفصل البخار عن الماهية. والجسم تحكمه الأرواح التي تحكم الكون، وإذ أريد للجسم ألا يتحلل، فإن هذه الأرواح لا بد أيضاً أن تظل موجودة لتمنع مغادرة الروح والماهية، وبذلك يبلغ مرحلة الخلود.

وتستخدم أربع مجموعات رئيسية من أساليب الممارسة لتحقيق هذه الغاية. أما المجموعة الأولى فهي «تغذية مبدأ الحياة»، والثانية هي «تغذية الأرواح»، والثالثة هي «المحافظة على الواحد سليما». وقد ذهبوا إلى أن أحد أسباب الموت هو الإسراف في تناول الحبوب، لأن أبخرتها تغذي الأرواح الشريرة في المعدة. وتستقر هذه الأرواح في المخ والقلب والمعدة.

وعن طريق الانتظام في الغذاء الصحي، واستخدام العقاقير، وتمرينات التنفس، يمكن كبت هذه الأبخرة، فيحل البخار الأصلي-وهو أزلي خالدي بالتدريج محل الأبخرة الغليظة والأرواح الغليظة. وحين يتم امتصاص الزنجفار (كبريت الزئبق) تتحول العظام إلى ذهب كما يتحول اللحم إلى حجر اليشم-(الأحجار الكريمة)-وهذا وعد آخر للفرار من الفساد والتحلل-وفي استطاعة المرء عن طريق التنفس أن يجبر الماهية (أو الجوهر) على الارتفاع من خلال النخاع إلى المخ لتقوية اتجاه البخار والماهية. وبذا يتم تغذية الأرواح التي تمنع التحلل، وعندئذ، يستطيع المرء أيضاً-عن طريق التأمل، والتركيز العميق، وحالة السكينة أو الطمأنينة-يستطيع أن يدخل في اتصال مع الأرواح الخيرة بداخله، وهي التي تؤدي بالتدريج، وكلما تقدمت الرؤية إلى مشاهدة الثالوث الأعظم الذي يتحقق فيه الخلود.

32- الجماعة التاوية:

وأخيراً يأتي بالطبع، أعظم السالكين، وهم أولئك الذين ساروا في طريق «شوانج

تسو»، و«لا وتسو» ونبذوا الخلود الشخصي في سبيل مرحلة أعلى هي التوحد مع «التاو» نفسه، وهي حالة لا يمكن أن يلابسها أي احتواء مادي على الإطلاق.

تركزت الحياة في الكنيسة-تحت زعامة أسرة شانج-حول جماعات المؤمنين المحلية، ويتولى أمور الجماعة معلم «شيه Shih». وتتدرج تحته جماعة الموظفين الرسميين، مرتبة وفق ألقاب مناسبة في ثلاث درجات: الأتقياء والأغنياء في آن معاً، ثم الأغنياء فقط، وأخيراً الأتقياء الفقراء. وقد كان هؤلاء يؤدون طقوس الترسيم لمن بلغوا سن الثامنة عشرة، ويساعدون المحتاجين إلى عون خاص في حالة المرض، ويجمعون المال للاحتفالات والأعياد الدينية، ويقومون بصفة عامة برعاية الجماعة. ويعرف الأعضاء العاديون في الجماعة باسم «تاو-مين Tao-min» (أي الشعب التاوي). وكان التعليم مهنة تورث فتنتقل من الأب إلى الابن. وقد ظلت سلالة هؤلاء المعلمين، فيما تعيه الذاكرة-تتحمل مسؤولية الجماعات التاوية وممتلكاتها، ويوجه إليها الخطاب بلقب شيه كينج Shih Kung أي «المعلم المحترم».

وكانت الحياة في الجماعة حياة ممتلئة، فلكل سنة تقويم خاص بالاحتفالات والأعياد الدينية، وبعضها إلزامي ومحدد وبعضها الآخر يقام بناء على رغبة خاصة من أحد أعضاء الجماعة. ويلتقي جماعة المؤمنين ثلاث مرات كل عام للاحتفال بالعوامل الثلاثة الفعالة: السماء والأرض والماء-وهم الذين يحددون ألوان الثواب والعقاب. وتقام الخدمة الدينية خس مرات كل عام للمؤمن الراحل، وهناك خدمات معينة كالولائم الدينية تقدمها الأسر المتدينة للمعلم بمناسبة الميلاد والوفاة، وقد كان بعضها، بمعنى من المعاني، قداسات تقام. وتقام بعض القداسات من أجل مصالح خاصة-كمولد ابن أو الشفاء من مرض، أو نزول المطر، أو الترقي في الرتبة، أو احتفالات بتحقيق مصالح معينة.

وازدادت بالتدريج طقوس الكنيسة من حيث العدد والتعقيد، فمن الطقوس التي ظهرت بعد ذلك عيد «تعويذة الذهب» الذي يقام احتفالا بالإمبراطور، ويخصص لتفادي كوارث الطبيعة كالفيضانات، والآثار الضارة التي يسببها الكسوف أو الخسوف، وما شابه ذلك ولضمان رخاء الأمة. وهناك كذلك عيد «تعويذة حجر اليشم» الخاص بصحة أفراد المجتمع جميعاً ورخائهم سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، وعيد الغبار والرماد

الذي يحتفل به كفارة عن المرض، وعيد الطلسم الأصغر لضمان الخلاص من الجحيم للأسلاف حتى الجيل السابع.

33- مقدم البوذية:

سبق أن رأينا أن الكونفوشية انتصرت، وأصبحت ديانة رسمية للبيت الحاكم وموظفيه، أثناء حكم أسرة «هان»، في حين أن التاوية سرعان ما انتشرت في الريف بين جماهير الشعب، وأصبحت الديانة الشعبية والقومية للصين. لكن بينما كان ذلك يحدث، وبهدوء، وربما على نحو لم يلحظه أحد، وردت إلى الصين من الهند ديانة أجنبية شكلت تحدياً جاداً وخطيراً لكل من التاوية والكونفوشية، هذه الديانة هي البوذية. ولا نعرف على وجه الدقة متى وصلت البوذية إلى الصين، لكن الصين كانت على صلة بالهند، وبالغرب، منذ أواسط القرن الأول قبل الميلاد. كانت إمبراطورية هان في ذلك الوقت قد استقرت تماماً في وسط آسيا وسيطرت على طريق الحرير المتجه إلى الغرب وبعد ذلك بقرن، في عام 65 ميلادية، سجل وجود جماعة بوذية في بلاط أحد أمراء أسرة هان. لكن قبل ذلك كان الرسل والجنود الصينيون قد خدموا في البلاد البوذية في آسيا الوسطى. وفضلا عن ذلك استقرت مستعمرات غير صينية من هذه البلاد البوذية في المدن التجارية للصين ذاتها. ثم ظهرت قرب نهاية القرن الأول الميلادي جماعة بوذية في «لويانج Loyang» العاصمة ذاتها. وجاء إلى هذه الجماعة في عام 148 م مبعوث بارثي اسمه «شيه كاو Shihkao»(14) وهو أول شخصية تاريخية لا جدال حولها في تاريخ البوذية الصينية. ولقد بدأ «شيه كاو» هذا بالتعاون مع أعضاء البعثة في الكنيسة البوذية في «لويانج» (من السوجديان، والبارثين، واليوشيهين والهنود)(15)، في عمل طويل الأمد هو ترجمة الكتب البوذية المقدسة إلى اللغة الصينية. وفي عام 166 ميلادية أقام الإمبراطور هوان Huan من أسرة هان-مراسم تاوية وبوذية في القصر الإمبراطوري، فكان ذلك بمثابة إعلان رسمي عن مقدم البوذية إلى الصين.

كانت البوذية، كالتاوية، ديانة للخلاص، لكن ينبغي علينا ألا نفترض أن البوذية التي ضربت بجذورها في الصين في عهد أسرة «هان» كانت عقيدة ذات كيان عضوي متكامل وممارسات دينية مثلما كانت في الهند حيث

انقسمت إلى مدارس متعددة، سبق أن تطورت بالفعل تطورا لا بأس به، لقد تلقى الصينيون البوذية على أنها صورة أجنبية من التاوية.

34- عقيدة متناقضة:

كانت التاوية والبوذية عقيدتين متناقضتين في عدد من الجوانب الأساسية. فالتاوية تسعى لإدامة الشخصية الإنسانية، في حين تنكر البوذية وجودها ذاته، فلا يوجد عند البوذيين ما نسميه «نفسا أو أنا»، والتاوية تتطلع إلى خلود الجسد المادي، بينما تنظر البوذية إلى الجسم البشري- على نحو ما تنظر إلى جميع الأشياء المخلوقة-على أنه عابر وزائل. غير أن هذه الخلافات العقائدية كانت في البداية غامضة ومبهمة في أعين الصينيين. لقد كان للبوذية في ممارستها الدينية أشياء متشابهة، في ظاهرها، للتاوية، فهي تمارس عبادة شعبية بغير قرابين، وتضفي أهمية على التأمل وممارسات اليوجا، وعلى الصوم والتقشف. وقل ظل الاعتقاد شائعا في الصين لعدة قرون بأن «لاوتسو» أب التاوية، هو الذي علم بوذا. وأن البوذية هي ببساطة صورة أجنبية من التاوية.

وكانت مشكلات نشر الإيمان مشكلات هائلة، إذ كان إيماناً ينتشر في وسط اجتماعي مختلف أشد الاختلاف عنه في الصين، ويفترض التسليم بأمور كثيرة تحظى في الهند بقبول عام، ولكنها غريبة تماماً عن الصين، ويعبر عنه بلغة تختلف عن اللغة الصينية بقدر ما تختلف عنها السنسكريتية، وبواسطة رهبان لم تستطع إلا قلة منهم، التعبير عن أنفسهم تعبيرا جيدا باللغة الصينية (قبل أواخر القرن الرابع الميلادي لم يكن أحد من الصينيين يعرف اللغة السنسكريتية). ولما وجهت العقيدة والممارسات بهذه المشكلات المحرجة، ارتدا إلى تلك العناصر التي وجدت لها نظائر في الحياة الدينية الصينية وفي الفكر الصيني سواء قام هذا التناظر على أساس تشابه حقيقي أو مزعوم، كما كان من الممكن تكيفها (أي تلك العناصر) مع الممارسات الصينية ودمجها فيها.

35- عصر الإيمان:

على مدى القرون الأربعة التالية حل محل وحدة أسرة هان فترة من

التمزق والتفكك عرفت بفترة الممالك الثلاث والأسرة الست، واستمر التفكك حتى عادت الصين إلى الوحدة مرة أخرى في عهد أسرتي سوي Sui وتانج T'ang.

وكانت فترة التفكك السياسي بداية لعصر الإيمان في الصين، فقد أرخت الحظوظ المتقلبة للبيت الملكي قبضة الكونفوشية عن المثقفين، وفي هذه التربة الحرة الطليقة ازدهرت الكنيسة التاوية، وبدأت الكنيسة البوذية، بالتدريج، تثبت أقدامها.

36- الكونفوشية في عصر الإيمان:

خدمت الكونفوشية الدولة في ظل السيادة لأسرة هان، ونجح الكونفوشيون نجاحا كبيرا، في استبعاد الخصوم من المناصب المؤثرة ومع انهيار سلطة أسرة هان، وسقوط الصين في التفكك السياسي، فقدت الكونفوشية مكانتها المرموقة. وأحيا علماؤها «الإداريون» الاهتمام ببعض المدارس المعارضة ومنها مدرسة التطبيق الحرفي للقانون (أو مدرسة الشرائع Legalism)، والموهية Mohism، والتاوية الصوفية. وفي أواسط القرن الثالث الميلادي، ومن داخل حلقات الكونفوشية نفسها، ظهر تعليم جديد هو «التعليم المظلم» (هسوان هسويه Husen Hsueh أو المعرفة المظلمة التي أصبحت، عند الأرستقراطية المثقفة، صورة عقلانية من الكونفوشية المستمدة إلى حد كبير من إعادة تأويل لكتاب «شوانج تسو»، وكتاب «تاو-تي-كنج»، و«كتاب التغيرات»، وأصبحت طريقة رائدة في التفكير، كما أصبحت بما انطوت عليه من فضوله عقلي ونزعة ميتافيزيقية فلسفة الطبقات الأرستقراطية المترفة وتسليتها. وهكذا أصبح الجو العقلي القائم من العوامل المؤثرة على تطور البوذية. أما صورة الكونفوشية التي ثقفت الأسر الحاكمة في أسرة هان وغلب عليها التشدد في التشريع والاعتقاد فقد كان عليها أن تتنحى لتخلق السبيل أمام كونفوشية ذات نزعة تأملية وعقلانية أصرح، تمكنت أن تخلق في أتباعها ذهنا أكثر تعاطفاً مع دقائق الفكر البوذي.

37- البوذية في عصر الإيمان:

إبان القرن الثالث المضطرب، حصرت الكنيسة البوذية في الصين-وقد كانت لا تزال إلى حد كبير في أيد غريبة-حصرت معظم طاقاتها في

ترجمة الكتب البوذية المقدسة، وتعرضت في سبيل ذلك لظروف بالغة الصعوبة في كثير من الأحيان. وقد استطاع المبشرون الأجانب-وكثيرا ما كانوا ينشأون ويتعلمون في الصين في ذلك الوقت. أن يصلحوا من تعقيد الترجمة ويصقلوا أسلوبها إلى حد كبير.

كان هذا النشاط على جانب كبير من الأهمية، فالبوذية قد جلبت إلى الصين صورة جديدة من التنظيم الاجتماعي-وهو تنظيم جماعة الرهبان أو «السنغا»- الذي أصبح ظاهرة اجتماعية لها دلالتها الكبرى في المجتمع الصيني في العصر الوسيط، إذ لبت الحاجة إلى النشاط العقلي بطريقة لم تكن معروفة من قبل في الصين. غير أن الكنيسة احتاجت إذن الطبقات الحاكمة، ورعايتها، لأهمية ذلك وضرورته بالنسبة لمؤسسة ثورية ومكلّفة إلى هذا الحد. ولهذا كان على البوذية أن تتغلغل في هذه الطبقات التي كانت بمثابة حراس الثروة ورعاتها. وعلى الرغم من المجهود الهائل الذي بذلته البوذية في القرن الثالث للحصول على الكتب المقدسة وترجمتها، فقد أحرزت تقدما بطيئا في هذا المضمار. ولكن خلال القرنين الرابع والخامس نجحت الكنيسة البوذية في تشكيل صفوة كهنوتية عقلية من الرهبان الصينيين والأجانب المتوطنين الذين أخذوا يقومون بدور الدعاة لبوذية متكيفة مع ظروف البلاد، حتى تمكنت هذه الصفوة، من النفاذ إلى الطبقات الصينية العليا، وقويت البوذية منذ ذلك الحين وأصبحت تمثل تحدياً قويا وخطيراً للتاوية.

ومن أهم الهدايا الثقافية التي منحتها البوذية للصين إثراء آدابها، لا بالكتابات البوذية وحدها، بل بأشياء أخرى كثيرة لها قيمتها العلمية والفلسفية المستمدة من الثروة الأدبية الهندية. ومن أهم الدلائل المثيرة على تقوى المؤمنين البوذيين ذلك القدر الكبير من الطاقة والموهبة الذي وضعوه في جهدهم في الترجمة. ولقد سبق أن تحدثنا عن الصعوبات التي وجهها المترجمون للأول. ولكن جهد الترجمة اتخذ منحنى جديداً مع بداية القرن الخامس، عندما أعد كوماراجيفا kumarahuva-وهو بوذي من آسيا الوسطى-مكتباً للترجمة، بمساعدة الإمبراطور، وفاق أي تنظيم من نوعه وجد في الصين حتى ذلك الوقت. فها هنا مع حشد ضخم من المساعدين استطاع أن يخرج كتباً مقدسة جديدة، كما أعاد ترجمة الترجمات السيئة

السابقة ونشرها خارج البلاد، ولقد قام هو ومعاونوه بترجمة ما يقرب من 98 كتاباً بقى لنا منها 52 كتاباً دخلت ضمن الشريعة البوذية، ولقد أضفت رشاقة ترجمات «كوماراجيفا» على الكتابات البوذية المقدسة سحراً جديداً اجتذب المثقفين الصينيين الشغوفين بالأدب.

38- ترجمات شتى:

تزايد عدد الترجمات منذ ذلك الوقت وأصبحت أكثر دقة، وفتحت مكاتب مختلفة للمترجمين ليواصلوا جهود «كوماراجيفا»، ولا بد لنا أن نذكر بصفة خاصة «بارامارثا Paramartha» -وهو رجل هندي من أسرة (برهمية براهمان-Brah man)-الذي ترجم حوالي سبعين كتاباً في منتصف القرن السادس. ونخص بالذكر أيضا هسوان تسانج Hgean-Tsang(16)، وهو صيني من أسرة موظفين رسميين كرس بقية حياته-بعد رحلة حج إلى الأماكن المقدسة بالهند عام 645 ميلادية وبرعاية إمبراطورية-لترجمة النصوص المقدسة التي جمعها في رحلاته. وقيل إن حجمها بلغ خمساً وعشرين مرة من حجم الإنجيل! وترجمة «آي شنج» I ching الذي قام برحلة حج مماثلة بعد وفاة «هسوان تسانج» بوقت قصير فزار الهند عن طريق البحر من جنوب الصين.

سارت الجهود التي بذلت لإحضار الكتب المقدسة إلى الصين وترجمتها بخطى حثيثة، وثابتة، منذ قدوم البوذية إلى الصين، وحتى القرن الثامن عندما انقطع الاتصال بآسيا الوسطى وبالهند عن طريق البر، وقد أضافت هذه الجهود الشيء الكثير إلى الفلسفة الصينية والفكر الصيني بعامة. غير أن نشر الإيمان بين الجماهير كان، إلى حد كبير، من النوع الذي وصل إلى الصين في نهاية أسرة هان، وحقبة الممالك الثلاث، إذ كان هو إيمان البوذية التي عدلتها-الممارسات التاوية تعديلات كثيرة، وتوافقت مع أفكار البلاد الأصلية، ولقيت القبول من الشعب الصيني، غير أن البوذية المترهبنة قد طورت في الصين صورها المتميزة ونفذت هذه الصور ببطء إلى عامة الناس.

كانت العقيدة البوذية وممارساتها قد استقرت ثابتة في الهند وآسيا الوسطى قبل أن تصل إلى الصين بوقت طويل. غير أن البوذية، كما سبق أن رأينا، سواء في صورة الهنايانا (المركبة الصغرى)، أو المهايانا (المركبة الكبرى) وبوصفها ديانة للرهبان أو لعامة الناس، جاءت إلى الصين من خلال عملية

ذيوع بطيء في كثير من الأحيان، عن طريق الكتابات المقدسة والوعظ، وفي أشكال بسيطة وأشكال معقدة، عبر فترة بلغت حوالي خمسة قرون، واستقبلت في بلاد لديها نظام أو نسق قومي من المعتقدات الدينية لا يقل عمره عن ألف عام، وترجمت إلى لغة كانت مفرداتها ذاتها مفعمة بالأفكار الصينية في كثير من الأحيان، وتتعارض مفرداتها تعارضا ملحوظا مع مفردات اللغة السنسكريتية لغة البوذية. ورغم هذه الصعوبات جميعها فقد جلبت إلى الصين ديانة تقوم على أساس الإيمان ببوذا، وبجوهر عقيدة بوذا، وحقائقها الأربع الأساسية: والحقيقة المقدسة الأولى هي أن الحياة شر، والوجود معاناة، والحقيقة الثانية هي أن الميلاد الجديد يعمل على إدامة الحياة، وأن الاشتياق والرغبة هما اللذان يسببان هذا الميلاد من جديد، والحقيقة الثالثة هي القول بأن التحرر من الميلاد الجديد يمكن أن يتحقق بالتخلص من الرغبة والاشتياق. والحقيقة الرابعة هي أن ثماني خطوات تؤدي إلى إيقاف شر الحياة. وتعتمد الطريق ذات الثماني شعب على الفهم السليم، والفكر السليم، والكلام السليم والسلوك البدني السليم والمعيشة السليمة، والجهد الأخلاقي السليم، والانتباه السليم، والتركيز السليم.

وهناك طريق واحد فحسب للفرار من هذه المعاناة، وهو الطريق الذي اكتشفه البوذا، والذي يؤدي إلى النرفانا Nirvana أعني إلى الوجود المطلق غير المشروط، الوجود الذي يدوم دون أن يفضي إلى الموت أو إلى ميلاد جديد، ويأتي الخلاص عن طريق الإيمان ببوذا وتطبيق الشريعة Dharma كما تعظ بها جماعة الرهبان (السنغا). ومن هنا يأتي الاعتراف بالإيمان لديها: «إني أجد ملاذي في بوذا، إنني أجد ملاذي في الشريعة، إنني أجد ملاذي في جماعة الرهبان».

39- الرهبان وجمهور المؤمنين:

للبوذية، كالتاوية، نمطان من الحياة الدينية، حياة الرهبان وحياة العامة. وبينما كان الرهبان وأهل الفكر، والمثقفون في الديانتين يجادلون في الخلافات العقائدية، ويؤثرون بمجادلاتهم في الحياة العقلية الصينية بصفة عامة، كانت الديانتان تتنافسان من أجل استمالة أرواح الشعب الصيني. والديانتان معا تردان العقيدتين اللتين بلغتا مستوى عالياً من الرهافة والعمق

الميتافيزيقي-إلى صيغ بسيطة تسمح لرجل الشارع أن يتذوق بواسطتها العزاء الذي يعينه على الحياة، ويعطيه الأمل في دخول الجنة في الحياة الأخرى، على الرغم من أنه قد يفتقر لأي قدر من الثقافة يمكنه من الدخول في مناظرات مدرسة. وربما كان أفقر من أن ينبذ العالم من أجل الدير البوذي أو المستعمرة التاوية. وعندما عبرت البوذية في الصين عن نفسها من خلال العبقرية الصينية، وتم تفاعلها مع التاوية، أنتجت عدداً من الفرق البوذية الصينية الخالصة. ومن هذه الفرق الأساسية بوذية «تشن Chen» وبوذية مدرسة الأرض الطاهرة Tien Tai وفرقة تشن ين Chen Yen التنترية.

40- مدرسة تشن: Chan

أول مدرسة من هذه المدارس الصينية هي مدرسة «تشن» (وهي الكلمة الصينية التي تقابل الكلمة السنسكريتية ذيانا Dhyana، أي التأمل والكلمة اليابانية زن Zen). ومن تعاليم مدرسة تشن الأساسية القول بأن «الخلاص يأتي من الاستنارة الداخلية. وتأتي هذه الاستنارة في لمحة خاطفة على نحو ما حدث لبوذا. إنها تحول فجائي يمكن بلوغه هنا والآن وهي تعلمنا أن الحقيقة الوحيدة هي طبيعة بوذا، وعندما نستدير إلى داخل أنفسنا بنظرتنا الفاحصة نستطيع أن نرى ذلك، وبرؤية واحدة نهائية تنكشف لنا بغتة. وهكذا نجد أن «تشن» تعادي ما أصبح تراثاً في البوذية، وتنظر نظرة عدائية إلى الصور والكتابات المقدسة، وتنبذ النظر الميتافيزيقي، وكذلك النظرية، لصالح الفكر العيني، وبذلك تخلت عن عمليات التجربة الدينية المتدرجة ومستوياتها في سبيل لحظة واحدة وتجربة شاملة. ولقد جمعت «تشن» في هذه الأمور أشياء كثيرة مشتركة مع تعاليم التاوية الصوفية.

أصبحت «تشن» مدرسة مستقلة في بداية القرن الثامن، وبحلول عام 750 ميلادية كان لديها نظام خاص بالأديرة وقواعد الحياة فيها، وقد زعمت أنها ترتبط بأصول موغلة في سالقدم، وردت بداياتها إلى تشوتا وشنج Chu Tas-sheng (الذي ازدهر عام 397- 434 ميلادية) وتلاميذه الذين تعلموا على يدي لنكافاترا سوترا Lankavatara-Sutra الذي هاجم فكرة «الامتياز أو الجدارة» وإلى «بوذا أهرما» Bodhidharma في أوائل القرن السادس، الذي تنسب إليه الأساطير شرف الحملقة في جدار أبيض ناصع البياض لمدة

تسع سنوات، وإلى الرهبان المشهورين الذين التفوا حول «هوي ننجneng Hui »(637-713 ميلادية). لكن تلميذاً لـ «هوي ننج» هو «تشن هو» أسس مدرسة في جنوب الصين حيث ازدهرت «تشن» فيما بعد. وفي القرنين الثامن والتاسع بلغت «تشن» أوج عصرها البطولي، وفي ذلك الوقت نفسه عمل أساتذة تشن العظام. وبحلول الألف الأول الميلادي لم يكن لـ «تشن» من منافس إلا بوذية الأرض الطاهرة. ومع أسرة سنج Sung كان أثر تشن قويا في تصوير المناظر الطبيعية، حتى أن هذا الأثر تغلغل بقوة في الحياة الجمالية للصين.

41- مدرسة الأرض الطاهرة:

ثاني مدارس الصين هي مدرسة شنج تون Ching Tu (الأرض الطاهرة) أو اللوتس Lotus أو مدرسة أميدا Amidist sch. ومدرسة الأرض الطاهرة هي مدرسة بوذية الإيمان البسيط. لقد كان أحد الفروق بين «المهايانا»، و«الهنايانا»، أن الأولى تذهب إلى أن من يعجز عن بلوغ الاستنارة بنفسه يمكن أن يصل إليها عن طريق الإيمان بفاعلية «بوذا» و«بوذا المنتظر»، فبعض «البوذا» خلقوا أرض بوذا، وأرض أميتبها هي الأرض الطاهرة في الغرب، والتفرع البسيط لاسم أميتبها مقروناً بالإيمان بفاعليته يضمن للمؤمن الميلاد من جديد في الأرض الطاهرة.

نشأت عقيدة «أميتبها Amitabha»(17) (وهو بوذا صاحب الحياة الطويلة اللا متناهية) في الهند، وفي القرن الرابع، وصل إلى الصين من أواسط آسيا، مبشر هو «فا- تو- تنج Fa-tu-tong» (توفى 349 ميلادية) واستقر في مدينة «لويانج-Loy ang»(18)، وبنى الكثير من المعابد برعاية الإمبراطور، كما انشغل بالتبشير بإنجيل البوذية على نطاق واسع لإقامة سكنيسة بوذية تجذب إليها جماهير الناس، ورجال البلاط على السواء. وواصل واحد من تلاميذه هو «تاو-آن Tao-an-385»(314- 385 م) مهمته التبشرية إلى مدى أبعد. وتتلمذ عليه أحد أتباع التاوية السابقين وهو «هوي-يوان Huit yuan» من (334- 416)(19)، وهو الذي أسس مدرسة الأرض الطاهرة مستخدما أساليب التاوية في التعبير المجازي.

وانتشرت عبادة «بوذا» و«للبوذا ستافا» (أي المنتظرين) وهم الذين على وشك أن يصلوا إلى مرتبة البوذا، لكنهم يحجمون عن الدخول في «النرفانا»

ليعملوا على خلاص الآخرين. وفي الصين اكتسب بوذا وبوذا ستافا (أي بوذا المنتظر) أسماء صينية خالصة، كما ظهروا في رسومات الأيقونات وصورها. وأصبح «جوتاما»، أو بوذا التاريخي يحمل اسم «شيه-شيا-فو shih shia fu> ساكياموني Sakyamuni[20]، ويظهر جالساً في زهرة اللوتس في حالة تأمل، أو مضجعاً («يبوذا النائم»)، أو على هيئة ناسك. وأصبح بوذا ستافا (أي المنتظر) «أفالوكيتسفارا Avalokitesvara» يحمل اسم «كوان-ين Kuan-yin»[21]، (وهو لقب ظهر في أساطير التاوية) وكان في الأصل ذكرا، لكنهم يصورونه، في العادة في صورة أنثى هي آلهة الرحمة التي تلتمس الرحمة لمن هم في خطر. وأصبح كيشتجاربها kshitigarbha[22]، يحمل اسم تي تسانج Ti-Tsong أو بوذا المنتظر الذي يسافر عبر الأعراف ليسلم أرواح الملعونين. كما أصبح ميتريا Maitreya يحمل اسم «مي-لو-فو Mi-Lo-Fu»، وهو بوذا المخلص الذي سيعيد إلى الأرض تعاليم بوذا عندما ينسى الناس شريعته.

وعلى الرغم من أن هذه العقائد، ومعها عقائد أخرى، انتشرت منذ القرن الرابع وما بعده، فقد ارتبطت عقيدة أميتبها Amitabha (وهو في اللغة الصينية أومي-تو Omi-To) وعقيدة «كوان-ين» -ارتباطاً وثيقاً بمدرسة الأرض الطاهرة. وألهبت جنة «أميتبها» خيال الصينيين، بنفس الطريقة التي ألهبته بها جنة التاويين أو موطن السحر في جبال كون-لون Kun-Lun[23]، التي كانت موطن الملكة الأم في الغرب.

وتتطلب مدرسة الأرض الطاهرة إيماناً بسيطاً وابتهالات بسيطة من المؤمن المتواضع الذي يرتبط بعمله اليومي، فهو أفقر من أن ينغمس في دراسة الشعائر الدقيقة وممارستها. ولقد كانت هذه المدرسة-بقدر ما تعي الذاكرة الحية أكثر صور البوذية شعبية بين العامة. وما أن حلت سنة 1000 م حتى جذبت مدرسة شان Ch'an ومدرسة الأرض الطاهرة ولا الغالبية العظمى من الرهبان الصينيين.

42- مدرسة «تيان تاي» و«شن- ين»:

أسس شيه يي chih Yi (597- 538م) مدرسة تيان تاي Tien-Tai[24] وهو تلميذ «هوي-سو Hui-su»(توفي عام 577 م) الراهب الذي عمل بهمة للإبقاء على حياة الآداب البوذية. وكانت تعاليم «شيه يي»-الذي كان في بداية

حياته مفسرا وشارحا للشان Chan[25]، تقول إن الخلاص لا يكمن في عملية واحدة فحسب، وإنما يكمن في توازن دقيق للتأمل والتركيز، ودراسة الكتب المقدسة، والنظام الأخلاقي، ومراسم الطقوس، وهذا الرفض للتطرف، بجانب الدور الذي خصص لدراسة الشريعة المقدسة كانا مبعث جاذبية خاصة شدت إليها الكونفوشيين. ولقد أخرجت هذه المدرسة كثرة من الباحثين المتمكنين، كما كتب «شيه يي» عددا من الشروح والبحوث عن البوذية جذبت إليها الطبقات التي دربت على النظام الكونفوشي بفضل اعتدالها وتنافسها وتفسيرها المنهجي البسيط.

أما المدرسة الثانية فكانت من نوع مختلف أتم الاختلاف، وأعني بها مدرسة «شن ين» Chen-Yen (مدرسة الكلمة الصادقة)-وهي فرقة خرجت من صورة الإيمان المعروفة باسم البوذية التنترية Tentric أو السحرية. وكانت تسمى، في بعض الأحيان، باسم «مي-شياو mi-chiao»(أي التعاليم السرية) بسبب طبيعتها المستورة. ويبدأ الخلاص في هذه المدرسة بترسيم من يريد أن يكون مؤمناً للدخول في حلقة معلم يذعن له إذعاناً تاماً، ويأخذ عنه الحقيقة، أو الأسرار والخلاص يعني امتلاك هذه «الأسرار» التي تلتمس باستخدام الرقي، وتأدية إيحاءات وحركات صامتة. والتوحد عن طريق التأمل بكثير من آلهة مجمع التنتزيه.

دخلت مدرسة «شن-ين» إلى الصين في القرن الثامن، وتأسست على مذهب أموجها فاجارا Amoghavajara(705-774م)[26]. وسرعان ما شقت طريقها بعد ذلك من الصين إلى اليابان حيث لا يزال لها كثرة من الأتباع مثل فرقة شنجون[27]shingon، وتخاطب البوذية التنترية الشعور بالأسرار الخفية التي تعود إلى فجر التاريخ، وقد قدمت للبوذية في الصين شعائر سحرية وألواناً من السحر كانت بالفعل جزءاً من الديانة التاوية.

43- التاوية في عصر الإيمان:

وصلت الكنيسة التاوية إلى ذروتها خلال عمر الإيمان، لا سيما إبان حكم الأسر الست، ورغم نجاحها في عهد أسرة «سوي Sui» وبداية عهد أسرة تانج Tang فإنها بدأت بعد ذلك في الانحدار الطويل البطيء إلى أن وصلت إلى حالة الاحتضار في العصور الحديثة. وقد أصبحت هذه الكنيسة

تعارض سياسة العرش مع نهاية أسرة هان Han، أما بعد القرن الرابع الميلادي فقد تمتعت بحماية البلاط والأسر الكبيرة، وظهر مشاهير الشعراء من أمثال «تاويان-منج TaoY» (375- 427م) والفنانين من أمثال الخطاط وانج-هس-شيه Wang Hsi-chih (321- 379) والرسام «كوكاي-شيه Ku,kai-Chih» (344- 406م) الذين تأثروا بالتاوية. وخلال حكم أسرة «سوي Sui» وأوائل عهد أسرة «تانج» نالت هذه الفرقة عطف الإمبراطور بسبب «حجر الفلاسفة[28] الذي قام الكيمائيون التاويون بإعداده كما أرسل ثاني إمبراطور في أسرة «تانج» نسخة من «تاو-تي كنج Tao-Te-Ching»[29] باللغة السنسكريتية إلى أمير أسام Asssam)[30]. وأبدى أباطرة أسرة «تانج» الذين تطابق لقبهم مع اسم «لاو-تسو» (أعني لي Li) تعاطفاً خاصا مع التاوية. وحظيت الزعامة الدينية التاوية في عام 748 م باعتراف رسمي. غير أن التاوية-رغم وصولها إلى مستوى التعاطف الرسمي-فقدت بعد عصر الإيمان شعبيتها التي نالتها بين الجماهير، وتقلصت تدريجياً حتى أصبحت ديانة للرهبان والمشعوذين.

واشتبك البوذيون والتاويون في صراع عنيف، خلال عصر الإيمان للاستحواذ على أرواح الصينيين، فقد وجد التاويون صعوبة في أن يغفروا للبوذيين أنهم سحبوا منهم أتباعهم بهذه الأعداد الغفيرة، وأحنق البوذيين، من ناحية أخرى، أن يوصم دينهم بأنه ليس سوى صورة أجنبية من التاوية، ونشب جدل عنيف حول ما إذا كان بوذا هو معلم «لاو-تسو» أو تلميذه.

وكلما غلب الطابع الصيني على البوذية غلبت عليها كذلك، بطريقة ما، الروح التاوية. غير أن التاوية بدورها، استمدت خلال تطورها الكثير من البوذية.

44- الكونفوشية الجديدة:

لم تفقد الكونفوشية أبدأ سيطرتها على المثقفين وأهل الفكر Literati رغم انشغالهم «بالتعليم المظلم» خلال عصر الإيمان، وبقيت شريعتها، بالنسبة للمثقف تمثل جوهر الثقافة الصينية، كما استمرت دراسة الكلاسيكيات الكونفوشية بعد أن اعترف بها القصر الإمبراطوري رسمياً في عهد أسرة هان. وفي القرن الثاني الميلادي كتب «ما-جنج Ma-Jung»، و«شنج- هسوان Cheng-Hsuan»، شروحاً على هذه الكلاسيكيات، وبذلك بدأ تراث من البحث المدقق لتفسير أفكار «كونفوشيوس» ودراستها لتكون أفضل وسيلة لنشر

أفكار كونفوشيوس-وفي القرن السابع كتب «كونج ينـج- تـا Kung Ying-Ta» شروحا أوسع انبثقت عنها تدريجياً وحدة الكونفوشية، فاعتبر كل كتاب من كتب الشريعة الكلاسيكية مظهراً من مظاهر التعاليم الكلية الموحدة. وعندما درب المثقفون على هذا النحو، كتبوا تواريخ الصين وهو تراث بدأ من أسرة هان وظل يتدعم أسرة بعد أسرة حتى القرن الحالي. ومع عودة الوحدة في عهد أسرتي «سوي وتانج» ورغم افتتان بعض الحكام بالتاوية أو البوذية- فإن الكونفوشية أكدت تأثيرها بوصفها التراث الكلاسيكي للطبقات المثقفة. وكانت أعمال الإدارة الواسعة النطاق تتطلب موظفين مدربين على الكونفوشية لا أصحاب إيمان بوذي أو تاوي.

حافظت النخبة الكونفوشية الموجودة في بلاط الأباطرة، حتى في عصر الإيمان وبصورة أشد في الفترة التي تلته، على معارضتها الثابتة المستمرة للبوذية والتاوية، ونظرت إلى البوذية على أنها ديانة أجنبية، واعتبرتها غير وطنية منذ عصر أسرة «تانج» وما بعدها، أما التاوية فقد كانت خصما للكونفوشية منذ العصور الكلاسيكية. غير أن الكونفوشية بغض النظر عن أخلاقها الاجتماعية فشلت في تلبية المطالب الدينية، كما فشلت في التصدي بصورة مقنعة للتحدي الذي كان الفكر البوذي والهندي قادرا على مواجهتها به.

وتغير ذلك كله في عهد أسرة «سونج Sung» خلال القرن الحادي عشر الميلادي، حيث ازدهرت الدراسات الكونفوشية بصفة خاصة، كما عقد العزم على خطة إصلاح ذي طابع قومي خاص، وقد شرع فلاسفتها، بصفة عامة، من أمثال «شاو يونج Chao Ying»[31]، و«شو تون-آي Chou-Thun-I»[32]، والأخوين «تشنـج KCh'eng»[33]- في استخراج كل منظم من الكونفوشية- تحت ضغط تحدي البوذية والتاوية-يعبر للمثقفين عن أفكار تدور حول الجنس البشري، والكون. ثم اكتمل هذا الفكر النظري في صورة نهائية على يد شخصية عظيمة هي «تشو هسي chu-His» (1130-1200م)[34]. وأصبحت الكونفوشية الجديدة بعد وفاته العقيدة الرسمية للدولة، وظلت كذلك على مدى الزمن الذي تعيه الذاكرة الحية. ولهذا أطلق على «شوهسي» لقب «توما الأكويني»[35] الكونفوشية. من الصعب تلخيص الكونفوشية الجديدة. ويمكن القول كما جاء في كلمات شو هسي أنها تذهب إلى «أنه يوجد في أي عقل بشري ملكة للمعرفة، كما يوجد في أي شيء مبرر

وجوده. ويرجع نقص معرفتنا إلى عدم كفاية بحثنا عن علة كل شيء، ولا بد للطالب أن يذهب إلى جميع الأشياء الموجودة تحت قبة السماء، بادئاً من المبادئ المعروفة، وساعيا للوصول إلى أسمى المبادئ، وبعد بذل الجهد الكافي-يأتي اليوم الذي يصبح فيه كل شيء واضحاً ومفهوماً. تلك هي كونفوشية «شوهسي» التي أصبحت رسميا، منذ القرن الثالث عشر وحتى القرن العشرين، موضوع الإيمان عند معظم المثقفين الصينيين.

وبانتصار الكونفوشية الجديدة التي وضعت نظاما رسميا للتعليم أصبح الأساس المشترك للإيمان عند الطبقة المثقفة، انهارت التاوية والبوذية تدريجيا، وأصبح جانب كبير من فكرهما جزءاً من روح الشعب الصيني وفقدا طابعهما المميز.

45- الديانات الصغرى:

تمثلت ثقافة الشعب الصيني تمثلا تاماً كلاً من التاوية وهي الديانة الأصلية للبلاد، والبوذية، وهي الديانة القادمة من الهند، أما الديانات الأخرى التي دخلت الصين فقد لاقت نجاحاً أقل. فقد جاءت إليها المسيحية النسطورية[36]، في القرن السابع الميلادي، وبعدها بقليل «المانوية»[37] وكذلك «المزدكية Mazda Ism»،[38] والإسلام واليهودية بوصفها ديانة التجار الأجانب خلال عهد أسرة «تانج Tang» وازدهر الإسلام في عهد أسرة «يوان Yuan » لا سيما بين القادة المسلمين في جيش المغول. ويوجد المسلمون اليوم في الصين على هيئة جماعات متفرقة، وإن كانوا يوجدون بأعداد كبيرة في أقصى الغرب وفي الشمال الغربي.

لم تطبع واحدة من هذه الديانات الحياة الصينية بطابعها على نحو جاد وحتى الإرساليات الهائلة التي بعثت بها الكنيسة المسيحية إلى الصين في القرون الثلاثة الأخيرة، عادت بنتائج مخيبة للآمال من وجهة النظر الدينية. غير أن النشاط التبشيري تحالف-تحالفا وثيقا مع المشروعات التعليمية، ففعل الشيء الكثير في نقل الثقافة الغربية إلى الصين، لكنها جاءت في وقت كان الغرب نفسه يزداد فيه اتجاها نحو النزعة الدنيوية، كما أن أثر التبشير في الطبقات المثقفة في الصين، وهي نفسها الوارثة للتراث الدنيوي للكونفوشية الجديدة-كان في الثقافة الدنيوية أكبر بكثير من أثره في الأفكار الدينية.

46- تحت السيطرة الشيوعية:

وقع الجزء الأكبر من بلاد الصين تحت السيطرة الشيوعية عام 1949م، وشن هذا المذهب حملات عنيفة ضد جماعات دينية معينة بوصفها «مناهضة للثورة». غير أن الديانة الشعبية قد وجدت بين الصينيين منذ زمن سحيق، مغزولة في نسيج الممارسات الاجتماعية، بين جماعات الأقارب، والجماعات الاجتماعية والاقتصادية والمجتمعات المحلية.

يشهد على ذلك وجود هياكل الأسلاف المحلية المنتشرة في أرجاء الصين، في كل قرية، وفي كل نجع، وهياكل الآلهة المحلية، والأبطال المحليين ومعابد يتولى شؤونها رهبان البوذية والتاوية ومعبد كونفوشي، وعلى نحو أكثر تكرارا معابد مجمع الآلهة المشترك الذي يشمل عناصر من جميع الديانات، ويكشف في بعض الأحيان عن نزعة تلفيقية تتحدى أي تحليل. ولقد هاجمت الحركات الثورية، منذ بداية القرن الحالي، الديانة الشعبية فيما سمي باسم حركة القضاء على الخرافة، غير أن المعابد والهياكل ظلت باقية، في بعض الأحيان في حالة سيئة، لكنها تقف شاهدا حياً على الحضور الشامل للديانة الشعبية على مدى الزمن الذي تعيه الذاكرة.

كان للكنائس البوذية والتاوية، في ذروة مجدها، تنظيم حقيقي، ونخبة واضحة من الأتباع. ولم يكن للديانة الشعبية شيء من ذلك. وبعد انهيار البوذية والتاوية، وهي عملية بطيئة استمرت منذ القرن الثالث عشر وما بعده حافظت جماعات من الرهبان في مراكز منعزلة حافظت على إيمانها بشيء من نقائه الأول ولا تزال آثارها باقية.

غير أن السيطرة الشعبية الكبيرة لهذه الديانات على جماهير الشعب سرعان ما انهارت، وإن كانت الديانة الشعبية قد امتصت الكثير من العناصر البوذية والتاوية. ومن الغريب أننا لا نعرف إلا أقل القليل عن هذه الديانة الشعبية، رغم أن عناصر منها لا تزال باقية في كل جماعة صينية، ولقد اتجهت أنظار الباحثين نحو ديانات الطبقات البارزة، وسجلوها في كتاباتهم قرنا بعد قرن واستنتج بعضهم من النزعة الدنيوية الكونفوشية، ومن مصير كنائس التاوية والبوذية أن الصينيين ليسوا متدينين على نحو متميز. ولكن المعتقدات والممارسات الدينية بين الناس، رغم سوء تنظيمها قد وجدت منذ عصور سحيقة.

47- التسامح (بقلم المحرر):

بعد وفاة ماو تسي تونج عام 1976 ظهرت اتجاهات أكثر تسامحاً نحو الدين الذي عانى من الكبت خلال ثورته الثقافية. وفي عام 1980 أعيد إصلاح أكبر معبد تاوي في بكين على نفقة الحكومة، جنباً إلى جنب مع إصلاح مجموعة من المعابد والأديرة البوذية. وظل «الدلاي لاما»[39] في منفاه في التبت في الهند، ولكن أعيد افتتاح قصر بوتالا في لهاسا أمام البوذيين الوافدين من التبت، كما سُمح لبعض الحجاج بزيارته. كذلك سمحت الحكومة بإعادة فتح بعض المساجد والكنائس العامة. وفي عام 1981م اقترحت الجريدة الرسمية «صحيفة العلم الأحمر» شيئاً من الدعم، وبعض المعارضة في آن معاً، للحرية الدينية عندما قالت «هناك في الوقت الحالي عدد كبير من الناس في الصين يؤمنون بالدين، ولا بد لنا من احترام الحقيقة الموضوعية».

15 "اليابان"

تقدم لنا اليابان خليطا من التراث الديني يشبه ذلك الخليط الذي وجدناه في الصين، رغم أن «الخلطة» مختلفة. فالديانة الرئيسية في الحقبة التاريخية هي البوذية غير منازع، وان كان التاريخ المكتوب لليابان لا يبدأ إلا في القرن الخامس للميلاد. لكن البوذية، حتى في هذه الحالة، تعكس-كما سيتضح فيما بعد-صورتها الصينية المركبة التي تلاءمت إلى حد كبير مع روح الشنتوShinto[1]، وهي أقدم تراث ديني في اليابان.

وخلال العصر الحجري، كان السكان الذين يعيشون في الجزر اليابانية الأربع الرئيسية، إلى حد كبير، من أرومة الأينو Ainu[2] ويبدو أن ديانتهم التي كانت تشمل التضحية بالدم والطقوس الفظة، لم تؤثر في اليابانيين الغزاة الذين دخلوا البلاد في وقت واحد-من كوريا وسيبيريا في الشمال ومن جزر المحيط الهادي في الجنوب. وكانت قبيلة ياماتو Yamato-التي كُتبت لها السيادة فيما بعد، ونشأت قبل الأسرة الإمبراطورية-تنتمي إلى جماعة الغزاة الجنوبيين.

وأقدم ما في حوزتنا من وثائق كتاب «كوجيكي Kojiki»[3] أي سجلات الآثار القديمة) الذي كُتب عام 712 ميلادية، وهو مكتوب بأحرف صينية تصور

بالألفاظ الصوتية للسكان الأصليين، وكتاب «نيهو نجي Nihongi[4] (الأحداث التاريخية لليابان) وهو وثيقة كتبت باللغة الصينية عام 720 ميلادية، ويستهدف عرض تاريخ اليابان من بدايته حتى عام 697 م. والكتاب الأخير متأثر بالتأكيد الصيني على الخط الإمبراطوري، كما يسعى لإثبات قدم اليابان، وعراقة أسرتها الإمبراطورية بصفة خاصة في آن واحد، ويوحي الكتابان بأن لليابان رسالة إلهية على الأرض، وبهذا ينتقلان في سهولة ويسر من الأسطورة إلى التاريخ، وهما يعرضان الأساطير الخالصة كما لو كانت تاريخا يمكن إثباته. ويفسح عصر كامي Kami (الذي بدأ مع ظهور الكون من العماء)-المجال لعصر التاريخ البشري، عندما هبط ننجي Ningi حفيد إلهة الشمس كامي (أماتيراسو-أو-ميكامي Amaterasu-o-Mikomi إلى المسالك الدنيا، وأصبح حفيدها العظيم جيمو Jimu أول إمبراطور لليابان الموحدة.

والتاريخ الذي تؤرخ به هذه الحادثة هو عام 660 ق. م، غير أن المؤرخين يصعب عليهم قبول هذه الدقة في فترة تمتد ألف سنة قبل ظهور الكتابة، كما أننا لو قارنا هذا التاريخ بالسجلات العينية لوجدنا أن قبيلة ياماتو Yamato لم تظهر بحيث يكون لها أهمية إلا في القرن الأول قبل الميلاد (بل بعد ذلك) ولذلك يعتقد المؤرخون أن توحيد البلاد لم يكتمل إلا بعد هذا التاريخ بنحو ستمائة أو سبعمائة سنة. ويظهر من الوثائق العينية أن السلطة كانت في يد الحكام من النساء اللائي عملن في وظيفة الشامان أو الوسيطات، وبذلك احتفظن في شخصهن بالوحدة الملكية (أو السياسية)، وبوظيفة الكاهن (أو الوظيفية الدينية) التي قام بها الإمبراطور بعد ذلك.

ويعدّ كتابا «كوجيكي» و«ينهونجي» مصدرين قيمين لمختلف الأساطير القديمة، أما كتاب «إنجيشيكي Engishki»[5]، (قوانين فترة إنجي Engi) الذي يرجع تاريخه إلى عام 927 م، فهو يشمل النوريتو Norito القديمة (طقوس الصلوات) التي كانت تستخدمها عائلات الكهنة[6].

ا - تفاعل الأفكار البوذية والشنتوية:

عندما نصل إلى مرحلة دخول البوذية إلى اليابان في القرن السادس، فإننا نستطيع أن نعتمد على وثائق مكتوبة، كما نستطيع أن نلاحظ، لا التنوع الطائفي الواسع فحسب الذي تتميز به فعلا المهايانا البوذية، بل

كذلك اندماج ديانات هند-صينية جديدة مع التراث الديني القديم في اليابان، وظهور أشكال توفيقية جديدة. بل إن الفرق البوذية الأقدم عهدا اتخذت بعداً جديداً على أرض اليابان، وفي خلفية الصراع الإقطاعي، ازدهرت الثقافة البوذية ازدهارا كبيرا وتفريعات كثيرة للفرق أصبحت ملحوظة في القرن الثالث عشر.

وقد استمر التفاعل بين الأفكار البوذية والشنتوية، وتعمق الوعي الديني القومي، بظهور الأوربيين عام 1549 عندما سعى فرانسيس إكسافير F.Xavier لإدخال المسيحية لأول من إلى اليابان[7]. وقد مكنت الخصومات الإقطاعية البعثات التبشيرية المسيحية من التقدم، فبلغ عدد المهتدين أكثر من ثلاثمائة ألف مع نهاية القرن. غير أن التشريع المعادي للمسيحية أولا، وهو المسمى بتشريع هيديوشيHideyoshi [8]ويرجع لعام 597، ثم سياسة أسرة «توكوجاوا Tokugawas»[9]، الأكثر صراحة وعداء (منذ عام 1612)-أديا إلى عزلة اليابان وردتها إلى الأنماط القديمة-وهي عزلة استمرت حتى عام 1853 عندما بدأ رجوع الأوربيين إلى اليابان ثم استئناف البعثات التبشيرية المسيحية في عام 1859، إلى أن تم إلغاء التشريع المعادي للمسيحية عام1873.

2- وضع الشنتو:

كانت الحرية الدينية من بين ما كفله الدستور الجديد على النمط الغربي لعام 1889، لكن ذلك لم يكن يعني غير السماح الصوري للمسيحية بتنظيم نفسها جنبا إلى جنب مع البوذية والشنتوية. والحركات الدينية اليابانية الأخرى التي نشأ عدد منها في أوائل القرن التاسع عشر، كان لا يزال عليها أن تزدهر تحت مظلة الشنتوية أو البوذية، وأن تسجل نفسها بوصفها فرقا بوذية أو شنتوية، غير أن المرسوم الإمبراطوري للتعليم الذي صدر عام 1890-واستغل في تلك الفترة، أساطير الشنتوية وأخلاق الكونفوشية-أدخل ذلك الجانب الرسمي من الشنتوية الذي يعرف أحيانا باسم التيمويهة Temoism (من تيمو Temo التي تعني «الملك السماوي» وأصبحت لقبا للإمبراطور). وبناء على هذه العقيدة الجديدة أعلن أن الشنتوية الرسمية (أو شنتوية الدولة) ليست عقيدة دينية، وأنها مفروضة على جميع المواطنين اليابانيين، وذلك رغم احتوائها على أساطير الشنتو

المعتادة ومراسمها الدينية. وبقى أمام احتلال الحلفاء عام 1945 مهمة إزالة الحماية الحكومية للشنتوية، وكان على الدستور الجديد عام 1947، أن يضمن الحرية الدينية، مع حق تسجيل الهيئات الدينية المستقلة، ونشر المعتقدات التي تؤمن بها أي هيئة دينية في آن واحد. وبسبب هذه الحرية الجديدة سجلت مئات من الحركات التي كثيرا ما تسمى «ديانات جديدة»، رغم أنها تعكس إلى حد كبير كما سوف نرى، الطابع التلفيقي للديانة الشعبية في اليابان، كما تبرز على السطح كثرة من الأفكار والممارسات التي ظلت موجودة لفترة طويلة داخل تراث الشنتوية والبوذية القديمة. ولقد جلبت المسيحية معها مجموعة من الأفكار الجديدة ولكنها اتجهت، كما حدث مع الكونفوشية في تاريخ سابق إلى تقديم الأساس الأخلاقي الذي لم يمكن ظاهرا باستمرار في الحركتين الدينيتين الأخريين.

ومع ذلك ينبغي علينا أولاً أن نتجه إلى ماضي اليابان-أي إلى الشنتوية، لنرى كيف بني هذا الماضي في الحاضر. والشنتو Shinto ليست هي نفسها كلمة يابانية، لكنها صيغت في القرن السادس عندما دخلت البوذية إلى البلاد لتعبر عن التراث الديني الأقدم عهدا، وهو «طريق كامي» Kami، وكثيراً ما توصف بأنها «عقيدة أصيلة» في اليابان، لا لأن عبادتها ذات النزعة الطبيعية القوية لا تضاهيها عبادة أخرى في أي مكان، بل لإثرائها لروح التدين الياباني المتميز الذي أثر كذلك على صور الإيمان اليابانى الأخرى. وتعد سمتها «الحدسية» مظهرا واضحا من مظاهرها، مع تشديد على التجربة الدينية أعظم من الاستدلال من مبادئ لاهوتية[10]. ونادرا ما يسأل المؤمنون بالشنتوية أسئلة أنطولوجية[11]. بل هم، بالأحرى، يشعرون بحقيقة الكامي Kami وواقعيته، لأن المرور بتجربة مباشرة مع الألوهية والإدراك المرهف للسر الغامض أكثر أهمية بالنسبة لهم من النظر العقلي لدقائق العقيدة.

3- معنى الـ كامي Kami:[12]

على الرغم من أن كلمة «كامي» كثيرا ما تترجم «بإله» أو «آلهة»، فإن من الأفضل، فيما يبدو أن تظل بغير ترجمة لأنها تقال على الوحوش، والطيور، والنباتات والبحار، والجبال، وظواهر الطبيعة، كالعاصفة والريح والصدى الذي يبث الرعب ويدوي عبر الحلق أو الحدائق، أو تنطبق على أسلاف

العشيرة أو المحاربين. وبعد أن أقر أحد فقهاء الشنتو في القرن الثامن عشر- وهو «موتوري نورينجا Motoori Noringga»- بعجزه من فهم معنى هذه الكلمة راح يعرفها، بصورة عامة، بألفاظ مقدسة فيقول «جميع الأشياء، أيا كانت التي تستحق التبجيل وتبعث على الرهبة لأنها فوق المألوف، وكذلك القوى الفائقة التي تملكها تسمى كامي». «ويقول أيضا إنها لا تحتاج أن تكون مرموقة بسبب نبلها الفائق أو خيرتها أو نفعها (اقتبسه و. ج. أستون في كتابه «الشنتوية: الديانة القديمة لليابان» ص 6- 7) ولا بد أن لفقيه الشنتوي الحديث سيظل يقول «إن شعب اليابان نفسه ليست لديه فكرة واضحة عن الكامي Kami»- فهو يدرك الكامي، بطريقة «حدسية في أعماق وجدانه، وهو يتصل به اتصالاً مباشراً دون أن يكوّن فكرة عما هو الكامي من الناحية التصورية أو اللاهوتية. ومن ثم فمن المستحيل أن نوضح ونصرح بما هو في أساسه غامض بحكم طبيعته نفسها (أونو سوكو «طريق الكامي» ص 8).

ومع ذلك فكلمة «كامي» موجودة في اللغة اليابانية، وهي تعني «فوق» أو «أعلى» وسوف يكون من الحكمة أن نربط بينها وبين المقطع «Ka» الذي هو تعبير عن التعجب أو الحيرة التي يثيرها الشيء المخيف، أو مال لا يمكن الإحاطة به. وربما يكون مرور الأيام قد جلب معه بعض التنقيح لهذه الفكرة، لكن التنقيح وعدمه يوجدان معا حتى الآن.

4- تصورات الإلهي:

يشير «بللاه Bellah»[13] في تحليله العام للديانة اليابانية، إلى تصورين من أساسيين لما هو إلهي «التصور الأول أنه أي «كائن» فائق مستغني عن الغذاء أو الرعاية أو الحب». غير أن هذه النظرة إلى ما هو إلهي لا تميزه بوضوح عما هو بشرى، فهي تشبه أن تلقى بظلها على مال لا يدرك حسيا فتجعله أقرب إلى الوالدين أو الرؤساء السياسيين الذين نعاملهم على أنهم مقدسون على الأقل في جانب من جوانبهم». أما التصور الثاني فهو أساس الوجود، أو هو الجوهر الداخلي للواقع. وينتمي إلى هذه المقولة تصور طبيعة بوذا (التي يقال إنها حاضرة في الكل) وكذلك تأويلات «كامي» التي يغلب عليها الطابع الفلسفي، والتي نشأت نتيجة للتأثير البوذي.

ولقد أثرت الأفكار الكونفوشية عن «التيان Tien» (أي السماء) في نظرة

كاتب من كتاب القرن السابع عشر الأخلاقية إلى الكامي فكتب يقول: «عندما نقول إن الكامي يختلف عما هو غير طاهر. فإن ذلك يرادف قولنا إن شخصا غير طاهر القلب يثير استياء الكامي.. وسبب ذلك أن الكامي يجسد الاستقامة والأمانة-الجوهريتين. ومن ثم فهو تقدير سماوي يجعلنا نعيش حياة سعيدة وأمينة تنسجم مع إرادة الكامي». كما أراد كاتب آخر أن يربط بين كلمة «كامي» كاجامي kagami (أي المرآة) «ذلك الموجود في السماء هو الكامي kami وهو الروح في الطبيعة، وهو الإخلاص في الإنسان» (الفضيلة الرئيسية في فكر الشنتو).

5- طقوس الشنتو:

كانت طقوس الشنتو في البداية بسيطة إلى أقصى حد، إذ لم تكن تتطلب مباني خاصة، بل تقام الصلوات، وتؤدي الطقوس، في هياكل طبيعية، تحت شجرة ساكاكي Sakaki المقدسة مثلا، وهي موجودة الآن داخل كل هيكل في أية ضاحية. ويتلفظ بالكلمة الإلهية عن طريق الشامان وهو في حالة استحواذ الكامي عليه ويغبر عنها بلفظ كامي-جاكاري Kami-gakari أوكانجاكاري kangakari التي كثيرا ما تتجلى في رقصة الوجد. (ولا تزال خليفة الشامان الأنثى موجودة في الهياكل حتى يومنا الراهن، وذلك في أشخاص الميكو Miko[14] وهن مشرفات الهيكل من النساء المسؤولات عن الكاجورا kagura وهي الرقصة الصوفية التي ترمز عادة إلى توحّد المتعبدين مع كامي الهيكل). ولم تتطور بالتدريج كهانة نوعية خاصة فحسب، بل ظهر كذلك نمط خاص من بناء الهيكل. وليست هناك صورة تمثل «الكامي» بل مجرد «شنتاي Shintai يعبر تعبيرا رمزيا عن الكامي الذي يمكن أن يكون واحداً من Yaos-Yorozo-No-Kami (حرفيا: ثمانية ملايين كامي) الشي تحدث عنها كتابا «كوجيكي» و«نيهونجي»».

كانت العبادة في بدايتها مسألة عائلية خاصة بشؤون الأسرة لا العشيرة، ولما كانت العشيرة امتدادا للأسرة. فهناك عدد كبير من الهياكل مخصصة لـ «يوجي جامي Ujigami» (أي كامي العشيرة) وهي تختص بالمصالح المشتركة للعشيرة، والقول بأن الجماعة تستمد وحدتها من علاقاتها «باليوجي جامي» بوصفهم «يوجيكو ujiko» (أي أطفال العشيرة)-لا بد أن يوحي في الحال بأن

«يوجي جامي» يقوم مقام الأب Loco Parentis بالنسبة للجماعة (أعني أنه ال أويا Oya أو «الأب») كما يوحي بأن طلب الحاجات المادية له مغزاه، لأن الأب على استعداد أن يمنح أطفاله هبات سخية. وهيكل «يوجي جامي» يسمى «هيكل العشيرة» أو هو يسمى أحيانا «هيكل عشيرة كامي».

وعلى الرغم من أن تنقلات السكان حطمت روابط الأسرة والعشيرة القديمة، فلا يزال هناك إحساس بأن هيكل الجماعة هو بؤرة الهوية الواحدة، ويحقق عيدها تماسك التجمع المحلي، وعندما يؤخذ الطفل إلى الهيكل لا يتم ذلك لكي يشارك في عبادة عامة أو ليتلقى تهذيبا، بل لكي يتعرف ببساطة على الرابطة الأساسية التي تربط بينه وبين جماعته وبين الكامي kami.

6- هياكل خاصة:

كان تأثير عبادة الأسلاف يعني، بالطبع، أن الـ «يوجي جامي» يمكن النظر إليه على أنه السلف الرئيسي المحلى أو القائد المحلي، ويمكن أن يحدث العكس، إذ يمكن للسلف الفعلي أن يتخذ مكانة الـ «يوجي جامي». ويبدو أن الحالة الأولى كانت هي حالة الأسرة الإمبراطورية التي كان في يدها زمام القيادة في عشيرة ياماتو Yamato فالإمبراطور لا بد أن يكون كاهن نفسه في عقيدة «أسرته» التي تحولت في تاريخ مبكر إلى «الهيكل الكبير أيس Ise»[15] وأصبح ينظر إلى حارس الأسرة «كامي» بوصفه سلف الإمبراطور (وقد احتفظ لمدة طويلة بالنموذج الشاماني الأقدم عهداً حيث كان يمثل الإمبراطور في الهيكل أميرة من الأسرة الإمبراطورية).

وبالمثل كان هيكل «تيشا Taisha» في إزومو Izumo هو هيكل عشيرة «إزومو»[16] كما وصفت العاصفة كامي، و هي «سوزانو-نو-ميكوتو Susano-no-Mikoto» بأنها مشتبكة في صراع مع «أماتيرا سو. أو. ميكامي» -وهي «كامي» عشيرة «يامات» وكثيرا ما كان يطلق على منطقة «أزومو» اسم «أرض كامي» إذ كانت هي مركز الديانة في اليابان القديمة. وهيكلها هو أقدم هيكل في اليابان. ويقال إنه في شهر أكتوبر من كل عام يجتمع هناك «الكامي» من جميع أنحاء البلاد في لقاء عظيم ويعقدون الزيجات. ولهذا السبب يسمى شهر أكتوبر في «أزومو» كامي-أرى-زوكي Kami ani-Zki (أي شهر مع كامي) بينما تتحدث مناطق أخرى عن Kanna Zuki (أي شهر بدون كامي).

تتجه الهياكل، في العادة، نحو الجنوب، وأحياناً نحو الشرق، أما الشمال والغرب فهما مناطق غير محظوظة كما يعتقدون. وعندما يقترب المتعبد من الهيكل فإنه يمر، أو تمر عبر الـ توري Torii (أي بوابة الهيكل)، وربما مرّ عبر مجموعة كاملة من هذه البوابات. وبوابة الهيكل تشبه بوابة أي منزل، وقد تُصنع من الخشب أو الحجر أو البرونز أو حتى من الأسمنت. وكانت الهياكل القديمة تستخدم بوابات من خشب السرو. وكثيرا ما كان يحتفظ بالطابع الطبيعي للشجرة، رغم أننا نلاحظ الأثر البوذي الصيني بعد ذلك في طلاء الثوري (البوابة) والهيكل كله (باللون الأحمر في العادة). وإذا تركنا «الثوري» وجدنا الطريق إلى الهيكل مملوءاً بمصابيح من الحجر تبرع بها المتعبدون. وكان الهيكل في كثير من الأحيان يحرسه كلبان كوريان، أو أسدان صينيان. باستثناء هياكل الأناري Inari[17] (المخصصة «لكامي» حقول الأرز) التي يحرسها تمثال الثعلب الذي اعتقدوا أنه رسول «كامي» وهو كذلك رمز للخصومة التي كانت الهدف من إقامة هياكل أناري.

7- السلوك المستقيم:

إذا كانت زيارة الهيكل زيارة خاصة سار المتعبد على قدميه بمجرد أن يتخطى «الثوري» الأول (البوابة الأولى)، ولا بد أن يغسل يديه وفمه من ماء نبع طبيعي في مجمع الهيكل، أو من حوض الماء المحفور في الصخر، مستخدما أواني يزوده بها الهيكل، ثم يصفق المتعبد-أو تصفق إن كانت أنثى-وهو يحني الرأس إجلالا أثناء تقديم توسلاته. غير أن التوسل يمكن أن يكتب على ورق، ويعلق على إحدى أشجار السكاكي Sakaki المقدسة.

وتتضمن العبادة الرسمية أكثر من ذلك أربعة عناصر هي: 1- فعل التطهر (هاراي Harai) بالإضافة إلى الاغتسال، عندما يلوح الكاهن بفرع من شجرة السكاكي (أو بورقة منها) على رأس المتعبد. 2- ثم القربان (شينسن Shinsen) الذي يكون من الحبوب أو الشراب. وإن كانت العادة جرت الآن أن يكون من المال أو قد يكون رمزيا في صورة غصن من شجرة السكاكي. 3- وطقوس الصلاة norito. 4- الوليمة الرمزية (neorai) دلالة على تناول الطعام مع كامي. وكثيرا ما يشمل العنصر الأخير رشف قطرات قليلة من خمر الأرز (ميكي Miki المقدس الذي كان يقدم في البداية في عيد من أعياد الحصاد

الذي يقدمه الكاهن أو إحدى الكاهنات من الميكو Miko، ويمكن لجماعات المتعبدين أن تطلب أيضا تأدية الرقصة المقدسة للمعبد (كاجوا kagura) التي يوجد منها خمس وثلاثون رقصة تعبّر عن الأساطير القديمة).

وتكاد صلاة نوريتو Norito أن تكون محصورة تقريباً في موضوع المطالب البشرية. وإحدى هذه الصلوات، على سبيل المثال، تضرع للكامي من أجل محصول وفير: أولا وقبل كل شيء، هناك في حقلك المقدس أيها الإله المهيمن،

.. ليت حبة الأرز الأخيرة التي سيحصدونها،
ليت الحبة الأخيرة من الأرز التي ستحصد،
بحبات العرق المتساقط من سواعدهم،
وتشدّ، مع الوحل العالق بالفخذين،
ليت هذه الحبة تزدهر بفضلك أنت،
وتتفتح سنابل الأرز التي تتوق إليها الأيدي الكثيرة.
فتكون أولى الثمرات في الشراب وأعواد النبات.

(د. ل. فليبي:) «الصلوات» ص D.L.Philippi: Norito 26) وكان على الكهنة في كل هيكل إعداد صلوات يرونها ملائمة لكل مناسبة، وظلت هذه العادة قائمة حتى عصر ميجي Meiji[18]، عندما بدأت الدولة تستخدم ديانة الشنتو لأغراض قومية. لكن الدولة قدمت، منذ عام 1875، صلوات رسمية تؤدى في الأعيار والطقوس المقررة، ومنذ عام 1946 بدأت «جمعية هياكل الشنتو» -التي يرتبط بها أكثر من 000, 80 هيكل في إعداد الصلوات، وإن تركت للكهنة حرية تأليف صلواتهم الخاصة بهم إذا ما رغبوا في ذلك.

8- العبادة في المنزل:

جاءت عبادة الشنتو إلى المنزل من خلال «كامي-دانا Kami-dana(أورفّ-كامي) أو «الإله على الرف» وهو هيكل المنزل. وكان من المألوف أن توجد فيه تمائم مجلوبة من هيكل «آيس Ise» (وهو الهيكل الذي أصبح هيكلا قوميا كلما توحدت الأمة بوصفها أسرة واحدة مع الإمبراطور الذي يقوم بدور الأب) أي هيكل العشيرة أو الهيكل المحلي. ولا بد من تقديم القرابين، كل صباح وكل مساء، لألواح الهيكل وألواح الأسلاف في آن معا. ولا بد للمتعبد الورع أن ينحني، بعد مراسم الوضوء، أمام الهيكل ويصفق بيديه

مرتين، ثم ينحني مرة أخرى في صمت لمدة دقيقة.

9- رموز الشنتو:

تخلو ديانة الشنتو، أساسا، من الصور، أما الرموز فهي وفيرة، وأكثرها شيوعا المرآة التي تربط الأشاطير بينها وبين الإلهة «أماتيراسو Amatersu (إلهة الشمس) فهي واحدة من ثلاثة رموز: أما الرمزان الآخران فهما السيف والجوهرة التي وهبتها لحفيدها عندما هبط إلى الأرض، وقد تعلم «ننيجي- نو-ميكوتو Ninigi-no-mikoto[19] توقيرها وعبادتها بوصفها «روحها» ولهذا أصبحت المرآة هي الرمز المقدس في كثير من الهياكل-لا سيما في هيكل آيس Ise الكبير.

10- أعياد الهيكل:

هناك أنماط كثيرة لأعياد الهيكل، وبغض النظر عن الأعياد الموسمية التي تعكس المجتمع الزراعي، وعن عيد السنة الجديدة، فإنها ترتبط بالتراث وبالظروف المحلية، ويحمل شباب المنطقة أثناء الاحتفال-ميكوشي Mikoshi المحمول (المحفة المقدسة للكامي) على أعمدة طويلة وبمصاحبة قدر كبير من المرح العفوي. وقد يستعيد الموكب بعض الأحداث التاريخية، وقد يكون مجرد إشارة إلى أن «الكامي» موجود مع أتباعه وقد جاء لكي يباركهم.

ولقد ظل هيكل الشنتو مرادفاً لدولة الشنتو حتى عام 1945 عندما سحب الاعتراف به. ولقد تأسست الأخيرة على فكرة أن رخاء الأمة وسلامة البيت الإمبراطوري، وسعادة الشعب هي نعم إلهية توهب عندما تتفق سياسة البشر مع إرادة الآلهة (جمعية هياكل الشنتو: المصطلحات الأساسية للشنتو ص 33) أما مبدأ سايزي إتشي Saisei itchi (حدة الطقوس الدينية والسياسة) فقد استمد من اقتناع ضمني في الشنتوية بأنه لا ينبغي للحياة أن تقسم إلى أجزاء، ولا ينبغي أن تكون هناك تميزات حادة بين المقدس والدنيوي.

11- بدايات البوذية في اليابان:

يبدو أن البوذية دخلت اليابان، لأول مرة عام 539 ميلادية، عندما عقد حاكم مملكة كورية صغيرة تحالفا مع حاكم ياماتو Yamato، ولكي يرضيه أرسل إليه تمثالا صغيرا لبوذا، وبعض النصوص البوذية (السوترا Sutra)

التي وصفها بأنها «أعظم كنوز» يمكن أن يرسلها إليه. وكانت اليابان قد تأثرت بالفعل، إلى حد كبير، بالفكر والثقافة الصينية من خلال إدخال النظام الصيني في الكتابة عام 405، كما أن عبادة الأسلاف الصينية كانت قد أثرت أيضا على مواقف اليابانيين من الماضي، واتحدت مع عناصر السحر التاوي والتنبؤ بالغيب بمعتقدات الشنتو الوطنية.

ربما يكون من الصواب أن نقول إن الفرق البوذية الأولى التي لا تزال ثلاث منها باقية والتي يتألف أعضاؤها من حوالي 130 ألف عضو، قد أثرت تأثيرا كبيرا على أعضاء الجماعة الذين كانوا على استعداد كامل لقبول ثقافة أجنبية. ولقد كانت فرق نارا Nara أجنبية تماما (وقد سميت بهذا الاسم لأن مدينة نارا كانت هي العاصمة حينئذ[20] ولم تبذل إلا أقل الجهد للتكيف مع الثقافة اليابانية أو لتلبية مطالب عامة الناس.

وعلى الرغم من أن دخول البوذية إلى اليابان جاء عن طريق كوريا، فإن استمرار الاتصال كان مع الصين، حيث تكيفت البوذية بالفعل مع صور فكرية من الكونفوشية والتاوية. ومن ثم كان من الطبيعي أن تدخل الصورة الصينية من البوذية إلى اليابان، وهي بوذية المهايانا، حتى وإن امتزجت بعض المدارس بتعاليم «الهنايانا».

عارضت الكهانة الشنتوية، في البداية، بشدة الإيمان الجديد، وعندما انتشر الطاعون نسب الكهنة ذلك إلى أن العبادة اتجهت إلى «كامي» أجنبي، وأدى هذا الاتهام إلى حرق المعابد البوذية، وتحطيم تماثيل بوذا.

غير أن الديانة الجديدة لقيت دعما من دوائر البلاط، فقد أدخل أحد القادة المرموقين في الثورة الثقافية والدينية، وهو الأمير شوتوكو(574-621) Shotoku[21] الذي كان وصيا على العرش، دستورا جديداً يقوم على مبادئ البوذية، فأصبحت البوذية من الناحية العملية، بهذا الدستور، ديانة تعترف بها الدولة. (وظهر ميل، سواء في ذلك الوقت أو بعد ذلك إلى التوحيد بين البوذية والقوانين الوطنية، مما جعل الدولة تتكفل بحماية الدين، وتنال حق التصديق الديني في وقت واحد. وبنى الأمير «شوتوكو» المعابد والأديرة، بوصفه بوذيا ورعا، كما أظهر سعة اطلاعه وقدرته على البحث عندما نشر شروحا على بعض النصوص المقدسة sutra[22]. وبجوار المعابد توجد علامات واضحة على روح التعاطف البوذية، فهناك مستوصفات

للناس وللحيوان،ونزل للمرضى، واليتامى،والمسنين، ولا يزال معبد «هوريوجي Horyuji» الجميل يقف شاهدا على حماسه الديني[23].

وقد عقد أحد الكتاب المحدثين مقارنة بين البوذية الأولى وبوذية العصر الحديث فأكد أن البوذية الراهنة ترتبط دائما بمعابد مكتئبة، وبكهنة يكشفون عن مفارقة تاريخية[24]، وبإنشاد نصوص «السوترا» للموتى.. «بينما كانت البوذية في أيامها الأولى تمثل حركة ثقافية متقدمة، كما كانت النصوص المقدسة (السوترا) تعتبر متقدمة في فكرها في ذلك الوقت، وكذلك ارتبطت الثورة في الفن والأدب والعمارة والموسيقى والسياسة بالبوذية.

12- البوذية الشعبية:

كانت صورة البوذية التي قبلتها العامة، وعلى نطاق واسع، هي الصورة التنترية Tantric[25] التي جعلت لها تأثيرا ظاهراً. لقد كانت الكتابات المقدسة، والتماثيل والمعابد (ولا تزال) لدى الكثيرين وسائل لضمان منافع مادية، سواء في الشفاء من المرض، أو هطول الأمطار على حقول الأرز، أو تحقيق السلام للجماعة أو الأمة ككل. وكانت هناك حاجة (ولا تزال) إلى تثبت العقيدة، وإلى «أتباع العلامات» لنشر الإيمان واحتاج الأمر من البوذية إلى وقت طويل، بلغ سبعة قرون، حتى يستوعبها الناس فلا تظهر بعد ذلك بمظهر الديانة الأجنبية. وكان من أيسر الأمور بالنسبة للغالبية العظمى أن يفهموا الجوانب الثقافية للبوذية أكثر من فهمهم للجوانب الإيديولوجية والميتافيزيقية الأكثر صعوبة.

13- رجال مقدسون:

كان التراث الشاماني في الشنتوية قويا جدا، كما سبق أن رأينا، فقد شعر الناس أنه يمكن أن تكون لهم علاقة بالقوى غير المنظورة من خلال توسط الشامان. ورغم أن دخول البوذية إلى اليابان كان يعني على المستوى الرسمي، تطورا واسع المدى لديانة منظمة، فان التراث غير التقليدي للقائد الملهم ازداد رسوخا وسعى رجال مقدسون من خارج المؤسسات الدينية الرسمية إلى تقديم الحياة الدينية لعامة الناس.

ويسمى هؤلاء الرجال Hijiri(رجال مقدسون)، وهم يركزون كثيراً على

أهمية التقوى الفردية وقد سار كثيرون منهم على نهج النساك البوذيين وأطلق عليهم أوباسكو Ubasku (من الكلمة السنسكريتية Upaseki التي تعني «الناسك» أو «الساحر»). وأصبح نظامهم الصارم أساساً لطريقة شوجندو Shugendo (أي طريقة النساك). وكان الاعتقاد السائد هو أن الناسك يستطيع أن يبلغ قوة سحرية تفوق قوة البشر نتيجة الميزة التي حصل عليها من خلال ممارساته الدينية الصارمة. وكان بعض النساك يتنقلون من قرية إلى قرية، ويعملون كشامانين محليين، وارتبطت طريقة النساك بعبادة الجبال الشنتوية البدائية، ولا يزال اليامابوشي Yamabushi (متسلقو الجبال) في الأساس هم سحرة الجبال الذين يسعون إلى حالة «الإلهام» (بمعنى حالة الوجد الصوفي) أثناء تسلقهم للجبال. وأضيف إلى الفكر البوذي الفكرة التي تقول إن صعود الجبال يوازي الصعود في الطريق ذات الثماني شعب والتي تؤدي إلى الغاية وهي الاستنارة. كان جيوجي Gyogi(749- 670) واحداً من النساك المبكرين غير التقليدين، ثم أصبح بوذيا بدرجة تعادل درجة بطريرك، ومسؤولا عن تشييد معبد «تودايجي»[26]، في مدينة «نارا» الذي يزدان بتمثال ضخم لبوذا «فيروكانا- Vairocanca»[27]، ويقال إن معبد آيس Ise أبدى، بهذه المناسبة، استحسانه لتشييد المعبد عام 742 م، وسرعان ما تم، بعد ذلك، تشييد هيكل داخل مجمع المعبد لـ «هاشمان(Hachman»[28] وهو «كامي» الحرب عند الشنتو. وبترتيب متبادل تم إيداع تمثال بوذا في هيكل المعبد داخل هيكل آيس العظيم. ولقد نظر إلى «جيوجي» حتى أثناء حياته على أنه «بوذا منتظر». وارتبطت صور الشنتو الأقدم عهداً، مع خلفائه، بطقوس السحر البوذية وشعائرها، جنبا إلى جنب مع الخرافات الشعبية للتاوية. ترددت في تراث «الرجال المقدسين» أفكار الاستحواذ على كامي kami أو على بوذا، كما أننا نجد الرجال الأفذاذ أو الملهمين ينتقلون، في بعض الحالات، من جيل إلى جيل داخل الأسر، كما هي ا لحال مع «يا مابوشيYamabushi[29]، أو كما هي ا لحال مع ميكو Miko كاهنة هيكل الشنتو، وقد يعملون وسطاء بفضل موهبة خاصة لديهم.

14- تأسيس فرق التنداي Tendai والشنجون Shingon:

سميت فرقة «التنداي» Tendai على اسم فرقة «تيان تاي Tien Tai»

البوذية الصينية[30]. وأدخلها الكاهن سيكو Saicho (749- 670) إلى اليابان، وهو الذي عرف بعد وفاته باسم «دنجيو دايشي Dengyo Daishi». وقد أقام معبدا على منحدرات جبل هياي Hiei قرب مدينة كيوتو kyoto التي أصبحت عاصمة عام 798 م، وهو المعبد المسمى «أندريا كوجي Engrayakaji» الذي أصبح مركزا للنشاط البوذي في اليابان لمدة ثمانمائة سنة تقريبا، وفي أثناء فترة تأثيره العارم امتلأ منحدر الجبل بالمعابد والرهبان الذين كانوا في استطاعتهم أن يؤثروا كذلك في السياسة عن طريق غزو العاصمة بعصابات مسلحة. كانت فرقة «التنداي» في جوهرها صورة تلفيقية من البوذية سعت لضم التأويلات المتناقضة في الظاهر في طريق واحد هو طريق الخلاص. وذهبت في أساسها إلى أن الحقيقة أو الواقع واحد، ومع ذلك كان هذا الواحد يمكن أن نعرفه عن طريق ثلاثة آلاف من تجلياته. ومن هنا اشتملت تعاليمها على أسرار غامضة، وعلى عنصر التأمل الذي أكد عليه، فيما بعد، تراث «الزن Zen»[31]، مع فكرة الإيمان ببوذا اميتبها Amitabha الذي بعث حيا في فرقة الأرض الطاهرة في القرن الثالث عشر. وتقع نصوص اللوتس Lotus Sutra في قلب تعاليم فرقة التنداي بتأكيدها على أهمية الأيكايانا Ekayana (العربة المفردة) التي تلغى، ومع ذلك تشمل، «المركبات» الأخرى سواء أكانت هي المهايانا (المركبة الكبرى) أو الهنايانا (المركبة الصغرى). ولقد كان التأكيد على حقيقة نهائية واحدة (أكيجيتسو Ichijitsu) مشجعا لفرقة التنداي على البحث عن علاقة بالشنتو على أساس الفهم القائم على أن «الكامي» الياباني تحتل مكانا لها داخل هذه الوحدة النهائية.

15- السر في قلب الكون:

أدخل القديس كوكاي kukai) (835- 774)[32] الذي سمي بعد موته بالكوبو دايشي Kobo Daishi فرقة الشنجون (أي الكلمة الطاهرة) البوذية[33]. وكانت الكلمة السنسكريتية الأصل التي اشتقت منها كلمة شنجون-كانت تعني «الصيغة السحرية»، وبهذا يشير الاسم إلى الطابع المستور لهذه الفرقة. ولقد درس كوكاي-مثلما فعل سيكو-في الصين، وشيد بعد عودته ديرا خاصا به على جبل كويا Koya.

ويكمن السر، طبقاً لتعاليم هذه الفرقة في قلب الكون، وهو سر يُعبر

عنه بالرموز والشعائر الدينية. ولقد ابتكر «كوكاي» اثنين من الماندالا Mandala[34] يقدمان تمثالين رمزيين للكون، فيصور أحدهما عالم الأمور أو الحقائق التي لا تفني ويشير الآخر إلى رحم العالم حيث يكمن صراع الصيرورة والواحدية المثالية التي لم نبلغها بعد.

وينظر إلى «كوكاي» على أنه «بوذا منتظر» وأنه ممثل «ميتريا» على الأرض[35]: (وهو في اللغة اليابانية ميروكو Miroku) أي بوذا المستقبل. ويعد مذهب «شنجون» أكثر صور البوذية حظاً من التوفيقية للبوذية. ولقد قيل إن «كوكاي» هو مؤلف ريبو شنتو Ryobu-Shinto[36]، أو اندماج البوذية مع الشنتوية الذي أصبح سمة للحياة الدينية اليابانية. وهكذا ظهرت نظرية «الهونجي Honji(أي الوطن)، وسويجاكو Suijaku(أي آثار الأقدام)، التي أصبح كامي الشنتو (وكذلك ساكاموني نفسه) بناء عليها مستمدين من الواقع الميتافيزيقي النهائي الذي يمثله الوطن. ولقد كان المدافعون عن العقيدتين الشنتوية والبوذية قادرين على مناقشة وضع «الكامي» ووضع بوذا على الأرض في مقابل بوذا النهائي (المطلق) وفي مواجهة بعضهم بعضاً.

16- بوذية الأرض الطاهرة:

اشتملت تعاليم التنداي بالفعل، كما سبق أن رأينا، على عناصر الإيمان بالأميدا Amida أو الأميتابها التي لخصت جانب التعاطف والرحمة في المهايانا، وأصبحت حركة قوية داخل البوذية اليابانية. فقد عنى بجعل الخلاص في متناول الجميع. ولهذا أكد أنه لكي تصل إلى مرتبة «البوذا» فلا مفر من العون الخارجي (تاريكي-Ta) riki الذي ينفع حيثما يفشل العون الذاتي جيريكي Jiriki). ويأتي هذا العون من بوذا أميتابا (أميدا في اليابانية) أي بوذا صاحب النور اللامحدود، والحياة اللامتناهية، وهو تجسيد للرحمة ذاتها، ومحب البشر والحمى والملاذ.

ولقد قيل إن «أميدا Amida» ليس شخصا آخر غير الراهب «هوزوHozo»[37] الذي نذر، منذ عصور كثيرة مضت، ألا يدخل مرحلة «النزفانا (أي الانطفاء والتلاشي) حتى يصبح من الممكن تعميم مزاياها على نحو شامل. ولقد قيل إن تعاطفه ورحمته التي لا حد لها هي التي خلقت أرضا طاهرة يستطيع كل إنسان بلوغها بفضل نعمته. ويتم الخلاص

من خلال تحول المزايا التي حصل عليها، ونذره الثامن عشر يشير إلى إمكان الميلاد في الأرض الطاهرة من خلال تكرار اسمه. وتذهب فرقة الجودو Jodo (الأرض الطاهرة) التي أسسها أتباع «هونن» إلى ضرورة التوسل باسم أميدا «الذي ينبغي تكراره بصفة مستمرة» نامو-أميدا-بوتسو Namu, Amida, Bustu[38]، فذلك هو الطريق إلى الأرض الطاهرة. وبغض النظر عن هذا التشديد على النعمة التي يهبها «أميدا» فإن فرقة الجودو Jodo، تشجع الأعمال الصالحة لأنها تساعد العضو المتدين على الدخول إلى «الأرض الطاهرة».

ومع ذلك ذهب شنران Shinran(1173- 1262)[39]، الذي كان تلميذا لـ «هونن» -إلى أن ذلك يقيه من «الجيركي Jirki(أي مساعدة الإنسان لنفسه) كما ذهب بتأسيسه لفرقة الجودو سنشو (أي فرقة الأرض الطاهرة الحقة) إلى أن الإيمان سلبية كاملة (أو تقبل تام) وعنده أن رحمة «أميدا» لا تفرق بين الشخص الخير والشخص الشرير[40]. يقول في ذلك «ليس ثمة شرير يبلغ من القوة حدا يجعله يتجنب أن يشمله حب أميدا اللامتناهي». وعلى حين كان «هونن» يقول «حتى الرجل الشرير سوف يقبل في أرض بوذا، ناهيك عن الرجل الطيب!»، فإن شنران عكس الفكرة، فقال إنه، «حتى الرجل الطيب سوف يقبل في أرض بوذا، فكيف بالرجل الشرير» وهكذا أصبح الإيمان هو الشرط الوحيد للخلاص وطرح جانبا كل جهد أخلاقي.

ويذهب شنران إلى أن الإيمان والنذر شيء واحد، فقوة الإيمان تنبثق من النذر، والترديد المستمر لاسم «أميدا» هو نفسه كشف عن وجود الإيمان، أما النمبوتسو Nembutsu (عربة الخلاص) فهي هبة «أميدا» للبشرية، لأنها تذكر الناس بالكارما karma الخاصة بهم أي التفاهة أو الحطة التي تجعل بلوغ الإنسان للخلاص من خلال جدارته الشخصية أمراً مستحيلا: إنها صيحة الفرح، كما يقال، التي تتعرف على نعمة أميدا Amida.

ولقد عقدت مقارنات بين الإيمان «بالجودو شنشو» وتعاليم «لوثر»، لكن هناك فروقا أساسية بينهما، لأن شنران Shinren يظل مشدوداً إلى الفلسفة البوذية، كما أن «أميد» ليس أكثر من وسيلة نافعة، أي تجسيد لمبدأ الرحمة. ولقد كتب الرئيس السابق لإحدى جامعات «شنتو» في كيوتو يقول «من خلال النمبوتسو (عربة الخلاص).. حاول شنران إدراك جوهر المهايانا البوذية الهندية بأسرها، وهي التي تتجمع فيها الحكمة والرحمة لتصبحا

شيئاً واحداً (س. ياما جوشي: بوذا المتحرك، وبوذا الساكن» ص10). غير أن «أميدا» بالنسبة للمؤمن العادي هو موضوع حقيقي للعبادة.

تأتي الأيام وتمضي وأنا مع أميدا.
لتغرب الشمس حيثما شاءت.
فكم أنا ممتن حقا! نامو-أميدا-بوتسو![41]
(د. ت. سوزوكي «متفرقات من تعاليم شن البوذية» ص 74).

ولما كانت هبة «أميدا» بغير شروط تقيدها، فقد أصبحت «شنشو» ديانة العامة ومن أجل العامة بمعنى الكلمة، فليس فيها مقام خاص بأتباعها، بل إن «شنران» قد شجع أطراح مذاهب النسك البوذية القديمة، فقد تزوج هو نفسه، وأدى هذا إلى إقامة نظام الكهانة الوراثية الذي أثر كذلك تدريجيا على الفرق الأخرى. وكان انجذاب الناس إلى تعاليمه عظيما، كما أنك تستطيع أن ترى الطابع الشامل لتعاليمه في واقعة ان الايتا Eta (وهم المنبوذون في المجتمع الياباني) قد أصبحوا أتباعا لهذه المدرسة.

17- بوذية زن:

كلمة زن Zen هي التحوير الياباني لكلمة تشن Chan الصينية، وهذه مشتقة من الكلمة السنسكريتية Dhyana التي تعني «التأمل» أو «التفكر». ولقد كان التأمل دائما جانبا هاماً من جوانب البوذية. وعندما دخلت الصين (على يد «بودي هارما Bodhidharma[42]، كما تقول الرواية، وهو راهب هندي مات عام 528 م) انسجمت مع العناصر المعبرة عن السكينة في تراث التاوية.

أدمجت «بوذية زن» مع تعاليم تنداي Tendai، ولكنها لم تزدهر كمدرسة مستقلة حتى أسس الراهب إيزاي 1215-1141 (Eisai) مدرسة زن «رنزايRinzai»[43] في سنة 1191. وكان «ايزاي» نفسه انتقائياً إلى حد ما، واهتم بالجوانب الثقافية في بوذية زن أكثر من أي جوانب أخرى، وذلك إذا ما قارنا بينه وبين دوجن Dogen(1200-1253)[44]، أحد فلاسفة اليابان العظام الذي لم يكن لديه هو نفسه أية نية لإنشاء مدرسة خاصة، وأن كان البعض قد اعتقد فيما بعد أنه مؤسس مدرسة زن سوتو soto في اليابان[45]

وتنظر بوذية زن إلى تتابع استنارة الرسل، ابتداء من سكاياموني Sakaymuni (بوذا الأكبر) أول مستنير حتى عصر تلميذ شاب وصل في

قاعة التأمل-التي أصبحت سمة يتميز بها كل معبد من معابد الزن-إلى معنى الكوان Koan الذي سأله معلمه[46]. و«الكوان» وسيلة تعليمية قدمت إلى الصين حوالي القرن الحادي عشر، واستخدمتها مدرسة «رن زاي Rin Zai» في الوقت الذي أصرت فيه مدرسة «سوتو Soto» على أهمية التأمل بما هو كذلك، من حيث إنه يؤدي إلى التوصل الفجائي إلى الحقيقة. وبعد أن يقضي الطالب ما يقرب من اثنتي عشرة أو خمس عشرة سنة في الدير في ممارسة التأمل، وبعد أن يقتنع معلمه أنه وصل إلى المعنى الداخلي للبوذية، يستطيع أن يحظى بسمة الإجازة التي تسمح له أن يكون بدوره معلما.

ويدرس صغار الرهبان (الذين لم يرسموا كهنة بعد) ويتأملون تحت إشراف معلم مقيم، كما يتعلمون فن إدارة المعبد، وتأدية الشعائر الرسمية، وهم يعيشون حياة خشنة صارمة. ثم تعقد للراهب المبتدئ مقابلات مع معلمه، في معبد «رن زاي» لكي يكشف عن مدى فهمه «للكوان» كما تلقى عليه محاضرات، لا بقصد التثقيف بل للإيحاء والإلهام.

ويقبل عامة الناس كذلك في دورات تدريبية مؤقتة، ولكنا لا نجد فيها ذلك النوع من الرعاية، بإشراف الكاهن على نحو ما نجده في معابد هو نجانجي Hon ganjiعند بوذيه «شن[47] Shin حيث يحظى الناس، في كثير من الأحيان، بالنصح والإرشاد. غير أن كلمة «زن» ترتبط عند كثير من الناس بالفنون: بتنسيق الزهور، إقامة حفلات الشاي، أو الصفاء الصوفي الهادئ-في حديقة ليس لها شكل محدد في الظاهر. وقد يرى البعض أنه من خلال ذلك يمكن أن يكون هناك» استبصار مباشر، «بصحوة عميقة» أو وثبة حدسية وجودية إلى المطلق.

18- بوذية نشيرين Nichiren[48]

أسس نشرين (1222- 1282) فرقة تحمل اسمه[49]، عندما جمع عام 1253 عدداً قليلاً من الأتباع في «كاماكورا Kamakura» وانتقد جميع الفرق البوذية الموجودة في ذلك الوقت، فاضطهده الرهبان والعامة، كما اضطهده الموظفون الرسميون في الحكومة من أنصار هذه الفرق سواء بسواء، وقد ظهر ولاؤه لبوذية دهما Dhamma[50]، (التي رأى أنها تمثلت بشكل نهائي)، وعلى نحو فريد، في نصوص ولقد تميزت هذه الفرقة اللوتس Lotus Sutra)،

كما ظهر إخلاصه لرخاء بلاده في عنوان أطروحته عام 1260 (ريسشو انكوكو-رون Rissho AnKoku-ron) التي ترى أن «الأمن القومي يعتمد على إقامة القانون البوذي» ذهب إلى أن اليابان لن تبلغ مرحلة السلام الداخلي، ولن تكون آمنة من تهديد الغزو المغولي إلا باستقرار التراث الديني التقليدي. وكان في الوقت ذاته حريصا على أن يرى تعاليم «سوترا اللوتس» تحققا للحركات الدينية القومية. وكانت الماندالا Mandala(51) التي ابتكرها مصنوعة من أشكال الكتابة الصينية المرسومة بالفرشاة، ويلتقي فيها كامي الشنتو Shinto Kami مع آلهة الهند ديفا Devas مع البوذا المنتظر في البوذية بوديساتفا Bodhisattva في أنشودة تسبيح وشكر، معدّة لتكريم الدهما Dhamma» العجيب، كما تقضي تعاليم «نصوص اللوتس» (تبجيل القانون الرائع لنصوص اللوتس).

طوال تاريخها باهتماماتها القومية وميولها التوفيقية، كما تميزت بدعاويها المتطرفة ومطالبها المطلقة. أما دعوة «نشرين» إلى الشاكوبوكو Shakubuku(52)(ضرب من الهداية الجبرية) فقد اعتنقتها بعد ذلك فرقة سوكو جاكايSoka Gakkai(53). وتعتقد معظم جماعات نشرين أن هذا القديس هو التجلي المنتظر لبوذا أو Jogyo الذي صورته نصوص اللوتس وقالت إنه سيظهر في عصر انهيار التعاليم البوذية. أما جماعة «سوكاجاكاي» Soka Gakai فقد زعمت أنه تجسيد لبوذا الأزلي.

ويبدو أن «نصوص اللوتس» تعطي لرجل الشارع وضعا مساوياً للراهب. ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أنه انبثقت داخل تراث نشرين ما سمى بـ Zaike Bukkyo أي بوذية رجل الشارع، وهي ثورة ضد المغالاة في الكهنوتية. فبوذية رجل الشارع هي محصلة التشديد على أن الناس العاديين هم في الواقع البوذيون المنتظرون (البوديساتفا) الذين يحملون في قلوبهم الرحمة ويمكنهم أن يتطلعوا إلى استنارة بوذا. وفي الوقت ذاته فإن الاهتمام بالعامة يعني تبسيط الطقوس والتعاليم، كما أنه محاولة للوصول إلى جوهر هذه التعاليم ووفقا لهذا سعت المجلات الشعبية ومواعظ المعبد معاً إلى إعادة تفسير الإيمان القديم في لغة معاصرة موجهة مباشرة إلى المواقف الفعلية.

19 - العبادة في المعبد:

المعبد هو دائما بناء يحيط به سياج، وقد لا يحتوي المجمع على معبد

واحد. بل سلسلة كاملة من المعابد. ويحرس مدخل المعبد، عادة تماثيل منفردة ذات وجوه عابسة، يعتقد أنها تمنع الشر. وتغطى المعابد، في العادة بالورق، لأن المتعبدين يكتبون التماساتهم على قصاصات من ورق، يقذفون بها، بعد أن يلوكوها بأفواههم، إلى التماثيل، فإذا التصقت بها كان معنى ذلك إجابة الالتماس. وكثيرا ما يحتوى المعبد على «باغودا Pagoda» ترتفع من ثلاثة إلى أربعة طوابق مزخرفة ومنمقة في العادة. ويحتوى المحراب الرئيسي على مذبح به شموع مضاءة مع تماثيل لبوذا، والبوذات المنتظرين (بودساتفا) وآلهة الهند (ديفا) وحول المذبح صناديق تشتمل على السوترا (النصوص). ولن تحصل فرقة واحدة على الشريعة الصينية برمتها، بل سيكون لكل فرقة أن تنتقي منها النصوص التي تعتقد أنها هي النصوص الأصولية المعتمدة. وتختلف الصورة المركزية فوق المذبح تبعا لكل فرقة.

ويقوم الكهنة بإنشاد النصوص، وتلاوة الصلوات بمصاحبة الطبول والأجراس، وحرق البخور، ونادراً ما يحضر المؤمنون العاديون هذه الصلوات، فعبادة هؤلاء شخصية إلى حد كبير، وهي تنحصر في كثير من الأحيان في بوتسودن Butsudan المنزل(54)- وهو صورة مصغرة مما يوجد في المعبد.

وتقدم كثير من المعابد-بصورة أساسية- وجبات وفقا لحاجة الناس، كما تزودهم بتذكارات، وتنقش أسماء المساهمين في موارد المعبد المالية على بعض الأشياء المقدسة أو الزخارف التي يمكن وضعها في مذبح الأسرة في المنزل. ويتأكد الجو الصوفي الغامض للمعبد بتوزيع التمائم والرقى، مع شيء خاص بالمعبد البوذي هو ميدالية تشبه القديس كريستوفر St. Christopher(55)، لسائقي سيارات الأجرة المنهمكين في عملهم في طوكيو. أما الكهنة، في معظم المعابد، فهم على استعداد لتأدية الطقوس العامة والشعائر الخاصة، حيث لا يطلب من التوسل أكثر من التوفير الخرافي لصحة النصوص الدينية.

وبغض النظر عن الحقيقة التي تقول بأن عقيدة الأناتا Anatta (للأرواح)(56) تكمن في قلب البوذية، فإن قوة عبادة الأسلاف. كما تمثل في القيام بالطقوس الجنائزية والتذكارية للمتوفي، تشغل الكاهن أكثر بكثير مما يشغله التعليم المنتظم للبوذية. ونتيجة لذلك كان عيد «أو- بون O- Bon(الذي يقام في اليوم الخامس-عشر من الشهر السابع)-هو أكثر الأعياد

شعبية، إذ يعتقد أن أرواح الموتى قد عادت إلى موطنها الأصلي، فيتم الترحيب بها بالفوانيس والألعاب النارية. لقد ظهرت لوحات الأسلاف في مذبح الأسرة-وهي التي يعتقد أن أرواح الأسلاف تسكنها-ووجدت لها مكانا فيه ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي، فأصبحت تعبد جنبا إلى جنب مع التماثيل الصغيرة لبوذا ونسخ من النصوص المقدسة، وكما أن المتعبد الشنتوي يتطلع إلى أن يصبح روحا Kami عندما يموت، فكذلك ينتظر البوذي أن يصبح بوذا، ومن المشكوك فيه أن يكون هناك أي فرق بين التصورين.

أما بالنسبة لموضوع قرابين النذور، فهناك فارق بسيط على المستوى الشعبي بين ممارسة الشنتو، فهناك نذور للشفاء من المرض، ونذور للحمل السهل أو الولادة الآمنة للطفل، كما يقدم نموذج للثدي قربانا أثناء الصلاة ليكون لبن الأم غزيراً. وتقدم مغرفة للطفل أثناء الصلاة، لكن إذا كان قاع المغرفة غير صالح، فإن الإجهاض يكون موضوع التوسل. وتقدم شخصيات الدهارما Dharma (أي بودي دهرما المؤسس المزعوم لبوذية زن) بغير عيون حتى يستجاب الطلب.

20- ديانات جديدة: خلفيتها:

لم تستطع الحركات الجديدة أن تحظى باعتراف شعبي حتى العصور الحديثة، فقد ظلت البوذية لمائتين وخمسين عاماً خلال حكم أسرة شوجن توكوجاوا[57] هي الديانة الرسمية، على الرغم من حدوث امتزاج على المستوى الشعبي، بين أفكار ديانة شنتي و الأفكار البوذية وقبول هذا الامتزاج على المستوى الرسمي، أما بالنسبة للأخلاق الاجتماعية والعامة، فقد جاء الإلهام من الكونفوشية أكثر مما جاء عن طريق التراث الديني لبوذية الشنتو.

وكان هذا العصر عصر قيود صارمة، فزيارة الهيكل المحلي، أو الاحتفال بأعياد المعبد، أو الحج إلى هياكل مختلفة، خصوصا هيكل آيس Ise الكبير، كانت هي وحدها المناسبات التي يستطيع فيها الشخص العادي أن يخرج على نماذج السلوك المتعارف عليها أو يسافر فيما وراء الحدود المحلية وقد كان أراد الحج بوجه خاص شيئا محببا إلى نفوس عامة الشعب، كما كان يطلق عليه «أوكاجه ما يرى Okage Mairio أي «الذهاب لتقديم الشكر».

وبعد عودة السلطة الإمبراطورية عام 1868، طوّر عامة الناس أغاني

شعبية على غرار «السوترا» البوذية، بل واستخدموها وسيلة لعرض رسالة اجتماعية جديدة، كما طوروا في الوقت ذاته رقصات ذات وصفات سحرية تسمى ee ja naika «إنها طيبة، أليس كذلك؟!. وعندما اتضح أن الإصلاح الاجتماعي والسياسي لن يتم، كان من الطبيعي أن تجرب الجماهير حظها مع الحركات الدينية التي بدأت تظهر في أواسط القرن التاسع عشر، ولم تكن هذه الحركات جديدة تماما، بل لم يكن من الممكن أن يقال عنها إنها ديانات جديدة، لأنها تعكس الطابع البسيط للديانة الشعبية التي تؤثر عليها عناصر الوجد والتجلي تأثيرا كبيرا.

ولقد أدخلت حركة مثل حركة تنريكيو Tenrikyo[58] الرقصات كمصدر للإلهام بينما ظهر اهتمامها بالقضايا الاجتماعية من رؤيتها الطوباوية للمستقبل ونقدها للنماذج المعاصرة.

21- طوائف الشنتو:

عندما قامت حكومة «ميجي Mejii»[59] في عام 1882 بتقسيم التنظيمات الاجتماعية إلى ثلاث فئات هي: البوذية، والمسيحية، والشنتو-فإن التنظيمات التي لم يكن من الممكن تصنيفها مع البوذية أو المسيحية، صنفت مع فرق الشنتو، وكان معنى ذلك هو التفرقة بين شنتو الهيكل jinja وفرقة كيوها الشنتوية kyoha، ولقد كانت هذه الفرق متنافرة تماما، ثم سمح في النهاية بتسجيل ثلاث عشرة فرقة تنتمي إلى خمس جماعات يضم بعضها مثل تايشاكيو Taishukyo أكثر من ثلاثة ملايين عضو تتمركز حول هيكل أزوموتايشا Isumo Taishe القديم[60]، وهي فرق شنتوية خالصة. وبعضها الآخر استلهم الكونفوشية. أما بعضها الثالث فرأى أن أساس العقيدة عنده هو العبادة الجبلية القديمة، ويركز بعضها الرابع على طقوس خاصة بالتطهر.

غير أن أكثر الفرق إثارة للاهتمام هي الفرق الثلاث ذات الأصل الريفي، لأنها تضع نموذجا تحتذيه حركات أخرى كثيرة نشأت في القرن العشرين. وهذه الفرق الثلاث هي: فرقة كروزيميكو Kurozumikyo[61]، وفرقة «تنريكيو Tenrikyo» وفرقة «كونكوكيو Konkokyo»[62]. وهناك فيما يبدو، بعض السمات العامة التي تتميز بها هذه الفرق وتشترك فيها مع ما يسمى بالديانات الجديدة منها:

1- إنها حركات نشأت في زمن الأزمة الاجتماعية.

2- إن لها قائدا يخلب حب الجماهير.
3- لها علامات تنبؤية وكرامات عجيبة.
4- سلوك الوجد بين أعضائها وإطلاق العنان لهم في المشاركة التامة في العبادة، وفي أنشطة العبادة.
5- الميل نحو التلفيق، كما أن طابع الانتشار الخاص بالديانة الشعبية ظاهر فيها. وتذهب فرقة «كوزيميكو» إلى أن نقطة بدايتها هي التجربة الدينية الشخصية لـ «كروزومي مونتادو Kurozumi Munetado (1780-1850) الذي كان لديه ولاء عميق لآلهة الشمس «أما تيراسو» فقد اعتبرها مصدر حياة الكون، واعتقد أنه بلغ مرتبة الوحدة مع كامي kami «فأطلق عليه أتباعه لقب إيكيحامي Ikigami أي كامي الحي. وأطلق على كامي kami اسم أويا Oya أي الأب، وهكذا اعتقد«كروزومي» أن المؤمن قادر، من خلال الصلاة، على النفاذ إلى مصدر الحياة.

22- ديانة الحكمة السماوية:

أسست نكياما ميكي (Nakayama Miki 1798- 1887) فرقة تنريكيو- Ten rikyo (أي ديانة الحكمة السماوية)، ولقد كانت هذه الكاهنة ابنة عصرها وبيئتها بمعنى الكلمة، إذ تتحدث الكيوسودن Kyosoden (أي سيرة حياة المؤسسة) عن صلتها بالمعابد البوذية (لا سيما معبد الجودو شنشو Jodo Shinshu[63] وهياكل الشنتو، وعن اهتمامها بالحج إلى آيس Ise وتوسلها بالإله يامابوشي Yamabushi[64] لشفاء ابنها. وفجأة تلبسها الكامي kami في 26 أكتوبر سنة 1838، وكان ذلك إيذانا ببداية دين جديد، وتشدد كتب الشريعة لديانة «تنريكيو» على الطابع الكشفي لتجربتها الدينية، وتروي أنها عندما أصبحت وسيطا راح الكامي Kami (الإله الروح يتكلم من خلالها، وهذا «الكامي» هو الذي اتحد بها بعد ذلك باسم «كومي توكو-تاشي-نو-ميكيتو Kumi-Toko-Tachi-no-Mikoto» (وهو من أوائل الكامي الذين تحدث عنهم كتاب كوجيكي Kojiki وكتاب «نهونجي-Ni hongi» - وقد ارتبط بفعل الخلق)-وهذا الكامي جعلته «ميكي» مرادفا للقمر، (Tsuki)[65] وقد تلاه كامي آخر تكلم من خلالها أيضا واتحد مع الشمس Hi. وتقول القصة إنه أعقب ذلك ثمانية أزواج من «الكامي» كان آخرها «إزاناجي-Izan agi»

و«إزانامي Izanami[66] وهما الإلهان الخالقان الأولان في أسطورة الشنتو الشعبية، كما أنهما الجدان الأولان للجنس البشري في أسطورة «ميكي» الخاصة بالخلق التي تسمى، عادة، «السجل القديم لبحر الوحل». وبينما أرغمت فرقة «تنريكبو» إتان حقبة المد القومي العارم قبل عام 1945 على أن تتقارب في تعاليمها مع ديانة الشنتو الرسمية، فإن جهودا أكبر تبذل الآن للتوحيد بين الآلهة بحيث تتكامل في ألوهية واحدة. وهكذا أصبح تسوكيهي Tsukihi إلها واحدا، وسمى كذلك باسم «تنري-أو نو-ميكوتو Tenri-o-no-Mikoto كما اعتبر «الكامي» الثمانية الأخر أدوات في يد «تسوكيهي» وليس لها وجود مستقل. أما النصوص المقدسة الأساسية فهي أفيدساكي Ofudesaki الذي كتب في الفترة الممتدة من 1869إلى1882 و «أنشودة الرقص» ميكاجورا-أوتا-Mikagure uta التي كتبت فيما بين 1866 و1882 و«السجل القديم لبحر الوحل» وهو يتألف من تدوينات أخذت من الذاكرة مما روته «ميكي» مشافهة، «والإرشاد أوساشيزو Osahzu الذي يعتقد أنه نبوءات أرسلتها الآلهة. حتى بعد موت ميكي Miki وهو موت وصف بأنه يعني «صعودها إلى السماء». وكلمة تنري Tenri هي الآن اسم المدينة التي يوجد فيها المحراب الرئيسي وهي تسمى أيضا باسم «أوساتو Oyasato» أي مدينة الأصل (أو الأب)، فهم يعتبرونها موضع الخلق، واكتمال الأشياء جميعا في آن واحد، وذلك عندما يسقط الندى السماوي على النصب التذكاري المركزي. وهناك إلى جانب الهيكل الرئيسي مصلى مخصص للكاهنة التي أسست هذه الديانة (ديانة الحكمة السماوية) ومصلى آخر دفن فيه أسلاف أعضاء هذه الفرقة. ويتم التشديد على يوكي جوراشي Yoki Gurashi (أي الحياة المرحة) التي تنتج من النظر إلى الحياة على أنها وديعة من الله. ومن إزالة «الغبار» العالق، كذلك يؤكدون أهمية العمل الإرادي الذي يظهر بوضوح الامتنان لله كما أنه هو المسؤول إلى حد كبير عن برنامج البناء الواسع في مدينة تنري Tenri. فها هنا نجد خدمات تربوية، وطبية، وثقافية، ورياضية، فضلا عن وجود الهيكل الرئيسي. ومهاجع تتسع لعشرات الألوف من الزوار.

23- ديانة المعدن النقي:

بدأت كونكوكيو Konkokyo (ديانة طهارة الطبع أو المعدن النقي) بفلاح

غير مثقف يدعى كاواد Kawade (1814-1883) اشتهر باسم كونكو دايجن Konko Daijin. وادعى عام 1859 أنه «أيكي جامي Ikigami» أي «كامي الحي»- وذهب إلى أنه وسيط «تنشى-كان- نوكامي-Tenchi-Kane-no Kami. وأعلن أن هذا هو الكامي الأعظم، وأنه «أصل الكون» وأن على البشر جميعا أن يقوموا بواجبهم نحو الأب «كامي» وأن ينفوا الطبيعة البشرية التي منحها لهم: كما أعلن في الوقت ذاته أن وجود «الكامي» نفسه يعتمد على البشر. ويشدد «كامي» على الفضل الإلهي: «إذ بفضل النعمة الإلهية تحل البركة على الإنسان ويتم إنقاذه، ويمضي العالم في سلام ورخاء!» . ولقد كانت نتائج الموقف الجديد تجاه الحياة مزدوجة، فهناك، من ناحية سكينة الذهن في الحياة وفي الممات. وهناك، من ناحية أخرى، انسجام في البيت والمجتمع، «لأنه لا يوجد شيء تحت الشمس اسمه اللا-علاقة».

وها هنا نجد باعثا أصبح عاما ومشتركا بين جميع الديانات الجديدة تقريبا-فلا بد لهذه الديانة أن ترتبط بالحياة اليومية ارتباطا وثيقا، ولا بد لها كذلك أن تؤدي إلى الحياة الطيبة.

24- **جماعة أموتو** Omoto **للحركات الدينية**[67]:

بينما يستحيل فحص جميع الحركات الدينية الجديدة، فمان مجموعة ديانات أموتو Omoto هي مؤشر للطابع التلفيقي البارز لقدر كبير من الفكر الديني الحديث في اليابان. وتبدأ قصة «أموتو» بالسيدة «دجوشي ناو Deguchi Nao» التي تلبسها الكامي عام 1892 فظن أنها جنت. وقد كتبت وهي في حالة التلبس هذه نصوصا مقدسة تعرف باسم أفوديساكي Ofudesaki بأسلة من غصن، قام بتفسيرها، فيما بعد، أصغر أتباعها الذي أصبح زوج ابنتها، وتسمي باسم «دجوشي أونيسابورو Deguchi Onisaburo. وتشكل الأفوديساكى التي كتبتها دجوشي و «القصص عن عالم الروح» التي كتبها أونيسابورو النصوص المقدسة الأساسية لهذا المذهب، وقد تحدث أونيسابور عن نفسه في هذه القصص باعتباره يوحنا المعمدان.

وتوحي نبرة تعاليم «أموتو»- في بعض الأحيان. بالوحدانية، ثم نراها تؤكد أن المذهب يقوم على نظرة للإله تشمل في آن معا كل تناقضات الوحدانية، ووحدة الوجود (أو شمول الألوهية) وتعدد الآلهة، وهي تؤكد

الغاية منها عندما تزعم أن جميع ديانات العالم قد بشرت «بالأموتو». وعلى حين أن «أونيسابورو» قد استلهم أساسا ديانة الشنتو-وفرقته الآن تدخل في جمعية فرق الشنتو-فقد قيل إنه أصبح يستضيف روح ميروكو Miroku(أي بوذا المنتظر)، وفي ذلك إشارة إلى «مذهب المخلص المنتصر أو المسيحانية Messianisn»، وهي تقرّبنا من فكرة الإله القاضي والمخلص في آن معا، الذي يطيح بالنظام القديم، ويقيم المملكة القادمة. لقد تطور الاضطهاد الذي تعرضت له فرقة أموتو قبل الحرب إلى أن قامت الحكومة بقمعها عام 1935- ولقد شجّع ذلك الفكرة التي تقول إن «كوارث منتظرة» لا بد أن تسبق مجيء المملكة.

أسس «ناكانو يونوسوك Nakano Yonosuke» عام1934 فرقة «أنانيكو-An-anaikyo» عندما انشق عن فرقة «أموتو» غير أن الجماعة الحالية لا يؤرخ لها قبل عام 1949، وهو أيضا تابع متحمس «لمذهب الروح (أو المذهب الروحي)Spiritism، كما يذهب إلى أنه يتلقى رسائل من العالم الروحي، وأنه خليفة دجوشي أو ينسابورو ويقبل «ناكانو» مذهب المخلص المنتظر لعقيدة «ميتري» داخل البوذية، ويتحدث عن توحيد جميع الأديان حول هذه المسألة. والاسم أناي Ananai نفسه يشير إلى نزعته الكلية، فأحد تفسيرات هذه الكلمة يعني الحبل الذي يربط المؤمن بحقائق العالم الآخر مع العلم بأنها تقال عن حبل من خيوط القنّب تتعلق به الأجراس الموجودة في واجهة هيكل الشنتو. كما تكتب هذه الكلمة مع الأعداد «3» و«5» وأحد التفسيرات أن العد«ثلاثة» يمثل ثلاثة أديان هي الأموتو، وهنج-وان-تسوهوى، والبهائية[68] Omoto, Hung-wan-Tsu-hui Bahai في حين أن العدد «خمسة» يمثل خمسة أديان في العالم هي: المسيحية، والإسلام، والكونفوشية، والبوذية، والتاوية. وتشدد هذه الديانة على التأمل، وإقامة مراصد في جميع أنحاء البلاد، إذ ينظر إليها على أنها وسائل اتصال بالكون Cosmos.

25- القوة في لؤلؤة:

تأسست ديانة سيكايكسكو Sekaikyuseiko (أي ديانة إنقاذ العالم أو العالم المنتظر) على يد «أوكادا موكيشى 1955- 1882(Okada Mokichi) عندما انشق عن فرقة أموتو Omoto. وقد اعتقد أنه وهب القدرة على الأعمال الخارقة، وهي قدرة كانون Kannon (أي بوذا المنتظر صاحب الرحمة)، وتذهب إحدى القصص التي تروى عنه إلى أن هذه القدرة تتضمنها لؤلؤة صغيرة

داخل جسمه، ويشع نور من هذه اللؤلؤة يقتل البكتريا! كما يعتقد أن لديه القدرة على شفاء الأمراض، وإثراء المحاصيل، وبسبب ذلك سُمي هيكارى-سان Hikaii-San أي «رجل النور»، ويزعمون أنه قادر على تحويل القوة الشافية إلى قصاصات من ورق تكتب عليها العلامة اللغوية الدالة على «النور»، وهناك محاولة داخل مراكز هذا الدين لإقامة «المملكة»، فالشغل الشاغل لهذه الفرقة هو «إزالة المرض، والفقر، والحرب من هذا العالم وتحويله إلى جنة أرضية».

ويسمى الإله باسم ميروكو Miroku (بوذا المنتظر) كما يقال إن الصحة والثراء والسلام هي علامات مملكته. وتقول إحدى الترانيم:-

«تعال، يا ميروكو، يا أيها الإله العظيم، مزودا بقوة عظمى،
قوة الثلاثة في واحد: النار، الماء، والتراب.
ميروكو، يا أيها الإله العظيم، لقد أنشأت السماء
فوق الأرض من قديم الأزل،
ميروكو، يا أيها الإله العظيم، حتى عندما يتسلل لص، فإنك
تكون قد ولدت تحته بطريقة خفية.
تاركا خلفك العرش المجد الرفيع،
فأنت دائما ما تولد تحته لكي تجلب الخلاص».
وهو يسمى أيضا كوميو ينواري Komyo Nyorai
(أي بوذا صاحب النور أو أميدا «النور اللامتناهي»).

26- بيت النماء:

تزعم حركة «سيكو-نو-آي Seicho no-le» (أي بيت النماء)، «إنها حركة غير طائفية تسعى نحو الحقيقة، وتقول تعاليمها إن جميع الأديان صدرت عن إله واحد كل». ولقد أسس هذه الجماعة تانجوشي ماساهارو Taniguchi Masaharu عام 1928 عندما اقتنع بأنه لا يوجد سوى كائن واحد حقيقي أطلق عليه اسم «جيسُّو Jisso»[69] ، أما جميع الموجودات الأخرى فهي، ببساطة، من نتاج فكر الإنسان الخاص. ويمكن أن يقال إن هذا الوجود الحقيقي هو «الكامي» عند متعبدي الشنتو، ويمكن أن يكون هو «بوذا» أو أميدا (النور اللامتناهي) عند البوذيين.. إلخ. ولا بد أن يكون هو المسيح عند المسيحيين.

ويمارس «التأمل» عادة في المراكز الرئيسية في مدينة طوكيو في «برج النور» وهو يسمى Shiso Kan (أي رؤية العقل الإلهي). ومن هذه المراكز الرئيسية تخرج إلى نمبا Nempa أي «أمواج» الرغبة الروحية، وتقع «السوترا» المقدسة في قلب تعاليمهم، وتسمى «هطول الرحيق الإلهي من المذاهب المقدس». ويفترض أنها ذات قوة فعالة في تحقيق الإنسان لوضعه الحقيقي.

27- حركات نشرين:

سوف نشير إلى ثلاث فقط من الحركات الكثيرة التي استمدت إلهامها من نشرين وتعاليم اللوتس. تأسست المدرسة الأولى المسماة «ريوكاي Reiyukai»[70]، (أو جماعة أصدقاء الروح) عام 1925 ونالت شعبية واسعة النطاق. ورغم أنها زعمت أنها تسير على التعاليم التقليدية لنشرين، وأنها تستخدم نصوص «اللوتس» في طقوسها اليومية، فإن جاذبيتها الرئيسية تكمن في تشديدها على عبادة الأسلاف، وقد جذب ذلك، بصفة خاصة، النساء المتزوجات اللائى سُمح لهن بإقامة حلقات اتصال بماضي أسلافهن. وقد أظهر من المؤسس وخليفته، وهي السيدة «كوتاني ميكي Kototani Miki» سمات شامانية، فهما يعدان الأتباع بالاتصال بروح العالم من خلالهما. ولم يتم حصر أعضاء «يوكاي»، فمعظم المليونين أو الثلاثة ملايين الذين يدعى أنهم أتباع لها، هو في الوقت ذاته، أعضاء في جماعات بوذية أو شنتوية أخرى.

أما المدرسة الأخرى وهي ريسهو كوزايكاي Risshokosei Kai[71]، فهي جماعة تستهدف إقامة «القانون الحق» في العالم، و«الأخوة» في الإيمان، وتحقيق الكمال، وقد ظهرت الجماعة إلى الوجود عالم 1938 عندما انسحب نيوانونيكيو Niwano Nikyo و«ناجانوما ميوكو Naganima Myoko» من جماعة «رايوكا». واشتهرت السيدة «ناجانوما» بسبب قدراتها الروحية ومواهبها في شفاء الأمراض، فاكسبها ذلك شعبية كبيرة، ونظر الناس إليها على أنها «بوذا الحي». ومنذ وفاتها عام 1957 لم تعد العناصر الشامانية بارزة كما كانت في السابق، وإنما زاد الاهتمام بجماعات الاستشارة (Hoza) وبمحاولة إظهار البوذية في ثوب حديث، بوصفها عقيدة تمنح السلام والإرادة الطيبة.

ومن هنا نجد «نيوانو» يتحدث في شروحه الشعبية لنصوص اللوتس المقدسة عن الناس الذين يتطلعون لبلوغ مرتبة البوذا (أو التحقيق بالبوذا)

عندما تزول سحب الخطأ السوداء. ومن حياة الرجال والنساء اليومية الذين يتحتم عليهم قبول مطالب بوذا لأن هذا وحده يمكن المرء من إظهار التوبة النصوح التي تساعد على تحطيم «الكرماKarma»[72] (أو الولادة الثانية). وحياة الإيمان تعني الاتحاد مع بوذا، الذي هو اتحاد مع «الحياة العظيمة للكون» والدخول إلى عالم بوذا.

لم تبرز هذه الحركة شيئا من خصوصية بوذية نشرين المألوفة، وإنما كشفت عن الرغبة في إقامة علاقات في جميع الاتجاهات، ومن أمثلها الزيارات التي قام بها «نيوانو» إلى الفاتيكان، وجنيف، ولامبيث![73].

وكانت القاعة المقدسة الكبرى في طوكيو التي افتتحت عام 1964- محصّلة لمساهمات أكثر من مليون ونصف المليون من الأعضاء، وهي تشهد اجتماعات حاشدة.

28- نمو رائع:

كان تطور حركة «سوكاجاي Soka Gakkai» أو «جماعة خلق القيم»[74]، تطورا غير عادي أكثر من أي حركة دينية أخرى. فبينما كان عدد أعضائها لا يزيد عن خمسين ألفا عند افتتاح برنامج «شاكوبوكو Shakubuku» عام 1951، فإنهم يبلغون اليوم ما يقرب من 16 مليونا، و «الحزب الحكومة النظيفة» الذي يرتبط بهذه الحركة، ثالث أكبر تمثيل في اثنين من غرف المجالس النيابية (فقد بلغ 59 عضوا عام 1980).

واسم هذه الحركة يعنى «الجمعية العلمية لخلق القيم»، وهي تعكس الهدف النفعي لمؤسسها «ماكي جوشي تسونيسا بوروMakiguchi Tsunesaburo(1871- 1944)»[75]. وقد قامت في البداية كمذهب في التربية يستهدف خلق قيم الخير والجمال والمنفعة. لكنه مع أصغر أتباعه تودا جوزي)TodaJosei 1899- 1958) وقع تحت تأثير جماعة «نشرين شوشو Nichiren Shoshu» (فرع من مدرسة الأرض الطاهرة) وهي جماعة صغيرة، ولكنها متعصبة لتراث نشرين، إذ زعمت أنها الممثل الشرعي الوحيد لتعليم القديس نشرين، وهذه الجماعة هي التي وحدّت بين القديس نشرين وبوذا الأزلي، وأهملتا«سيكاموني» Sakyamuni (بوذا الأكبر)، كما زعمت أن الماندالا Mandala في دايزكجى Daisekiji (وهو معبدها الرئيسي قرب جبل فوجي Fujii) هو المعبد الأصلي الوحيد الذي أنشأه نشرين، ولهذا كان له الأثر

الفعال في خلاص البشرية، وقد كان هدف هذه الجماعة هو الحصول على اعتراف بأن معتقداتها تمثل الديانة القومية.

فلا يوجد من أعضاء «سوكاجاكاي» سوى نسبة ضئيلة تنتمي كذلك لجماعة «نشرين شوشو». ولكن لا شك في أن التطرف ونزعة الخلاص الشديدة اللذين اشتهرت بهما الجماعة الكبيرة مستمدان من تعاليم الجماعة الأصغر، ويرجع نجاح «سوكوجاكاي» في جانب كبير منه، إلى رغبتها في التعبير عن الوعي القومي الياباني، فقد صممت بنية الجماعة تصميما يتيح التخفيف من غلواء الفرد، ومع ذلك يسمح للجماعة بالنمو جماهيريا متخلصة من مساوئ الجماعة الأكبر. ولقد كانت التجمعات الأولى من القوة بحيث أمكن لهذا التنظيم أن يصمد، في حين أن العلاقات المتداخلة للجماعات الأولى ضمنت عدم انقسام الحركة إلى عدد لا حصر له من الجماعات المنشقة، على نحو ما حدث لبوذية شنجون Shingon، وكثير من الحركات الدينية الجديدة. ولما كانت الجماعات الأولى قليلة العدد، فإن الفرد لم يشعر فيها أبدا بالضياع.

29- الحقيقة المطلقة:

يعتمد المبدأ اللاهوتي لهذه الجماعة على أنها حركة تقوم على الحقيقة المطلقة، وأن السعادة تكفلها هذه الحقيقة. وهذه المقدمة كامنة بقوة في تنظيمها، وإن كانت تضم ببراعة العناصر التقليدية مع العناصر الجديدة. (وهي جماعة عملية ينصب اهتمامها على هذا «العالم الديويي»)-كما أنها خالية من أخلاقيات الزهد، ويمكن أن تصل بسهولة ويسر إلى الشخص العادي القادر على التكيف. والصلوات اليومية مطلوبة وأن كانت بسيطة وتتسم بالتكرار، أما الحج إلى ديزكيجي Dosekijii فهو أبعد شيء عن التنسك. وهناك مصدر قوة آخر هو التخلي عن الترتيب الهرمي المألوف في المجتمع، وتحديد مرتبة الفرد في هذه الحركة اعتمادا على جهده الخاص.

30- حركات جديدة أخرى:

وتُعد حركة كيودان Kyodan (أي الحرية الكاملة) مثالا جيدا للحركات الجديدة المتنوعة التي ازدهرت في العشرين سنة الأخيرة. أسسها ميكي

توكوهارو Miki Tokuharu (1871- 1938) باسم «هيتو-نو-ميشي-Guti-Nomichi» (أي طريق الإنسان) بيد أن هذه الحركة قُمعت عام 1937، ثم أعاد ميكي توكوشيكا Miki Tokuchika تأسيسها عام 1946 باسم «جماعة الحرية الكاملة». واستخدام اللغة الإنجليزية نفسه يكشف عن زعم التحديث[76]، وتتبع عقيدتها المقدمة الأساسية التي تقول إن «الحياة فن». ويظهر الجانب العملي في الأنشطة الموجودة في المراكز الرئيسية لهذه الحركة، فهناك ملاعب «للجولف»، وأفران لصناعة الفخار، وملاعب رياضية منوعة، لأن الرياضية، والتربية، والرعاية الاجتماعية، والصلاة هي كلها رموز للتعبير البشري عن الانسجام الذي يكافح الإنسان ليصل إليه. وللنشاط البشرى معنى لأنه يعبر عن الخلق الإلهي، ومن خلال هذا النشاط يتحقق السلام والوئام.

31- الإنسان يعكس الإله:

إن فكرة الموجود البشري بوصفه العالم الصغير Microcosm عامل مشترك بين معظم الديانات. ولكن الديانات اليابانية-نظرا لتأثرها الكبير بتشديد الشنتو على أهمية العالم اهتمت اهتماما بالغا بالنشاط البشرى أكثر جدا من اهتمامها بالفكر البشري. ومن هنا ربطت جماعة الحرية الكاملة بين النشاط والشخصية. فالناس تعكس الإله في نشاطها الخلاق (أو هم مرآة لهذا الإله) وهذا النشاط نفسه يكشف عنهم، كما يحافظ على فكرة الفردية التي ترغب المرحلة الديمقراطية لما بعد الحرب في تجسيدها. وفي استطاعة «الإنسان» أن «يعبّر عن هذه الفردية في كل فعل يقوم به، ولا شيء في شؤون البشر يستعصي على أن يصبح فناً، وحياة الإنسان تبدأ وتنتهي بالتعبير عن الذات». (الحرية الكاملة: كيف تحيا حياة سعيدة ص 17).

يمكن القول بأن الديانات الجديدة استعادت صلابة الجماعة وتماسكها بالنسبة لأناس يعيشون عصر تغير اجتماعي سريع. فقد مروا بتجربة انهيار الأنظمة القديمة التي ظهرت لتحقيق أمان الفرد والجماعة. والفرد بانضمامه إلى الحركة الجديدة يجد دفئا جديداً، وإحساساً جديدا بالجماعة. ويمكن كذلك أن يكون هيكل الشنتو رمزا لتضامن الجماعة. وإن كان تراثها ينقصه تلبية حاجة أولئك الذين يتطلبون قدرا من التحديث. غير أن الإعتمادية ليست هي كل شيء، فهناك أيضا الدعوة إلى التحقيق

الإيجابي للذات الذي يعنى نمو الثقة بالنفس. وهكذا بدأت المشكلات الشخصية تحل. ولا يترك الحج الجماعي، والخدمة الاجتماعية، وقتا للاستبطان الذاتي المرضى الذي يؤدي إلى حالة إلى فيوان Fuan(القلق) في حين أن برامج البناء الشامل الذي جعل البعض يسمون الحركات الجديدة باسم Tatem ono Shukyo(أي ديانات المباني) يعطى الإحساس بالنجاح.

32- إحصاءات دينية:

ليست الإحصاءات الدينية مما يوثق به دائما، ولا يمكن في أية حال أن تكشف عما إذا كان أتباع دين معين حقيقيين أم اسميين، فكثير من الفرق البوذية تحصى الأسر التي توح ألواحها في معابدها ثم بعد ذلك يخصصون خمسة أفراد للأسرة. ومن الواضح أن ولاء الأسرة قد يختلف من الولاء الشخصي وليس غريباً أن يبلغ المجموع الكلي للإحصاء180 مليون عضوا تقريبا، رغم أن العدد الإجمالي لسكان اليابان لا يزيد إلا قليلا عن 110 مليون نسمة!

وتميل هياكل الشنتو إلى تسجيل جميع الداخلين في سلك الجماعة الذين يسهمون في احتفالات الهيكل، وهو ما يفسر العدد التقريبي للأتباع ب 85 مليون نسمة! ومع ذلك فلا يوجد إلا 22 ألفا من الكهنة يقومون بالخدمة الدينية في ثمانين ألف هيكل. والأرقام التي تقول بها الفرق أكثر دقة مع فرقة تنريكو Tenrikyo التي تذهب إلى أنها تضم حوالي 2 مليون عضو لهم 15 ألف كنيسة (أو دار للعبادة) وأكثر من مائة ألف ممن تلقوا تدريبا علي القيام بالخدمات الدينية. وتضم فرقة كونكوكيو Konkokyo أكثر من 600 ألف عضو يؤدون طقوس العبادة في 1, 350 معبد، ويقوم بالخدمة الدينية 3, 600 كاهن. أما فرقة كيروزميكو Kurozumikyo فتذهب إلى أن عدد أتباعها أكثر من 700 ألف، وإن كانت لا تملك سوى 300 معبد يقوم بالخدمة فيها 400 ,3 كاهن.

أما الفرق البوذية (التي تزعم أن مجموع عدد أعضائها يبلغ حوالي 27 مليون عضوا) فهي فرقة جودو شنشو Jodo Shinshu «وفرقة نشرين» وهما أكثر الفرق شعبية، وتضم كل منهما أكثر من تسعة ملايين عضو. وعدد أعضاء الجماعات المختلفة المرتبطة، بالشنجن Shingon أكثر من سبعة ملايين عضو. وفرق الزن Zen أربعة ملايين ونصف المليون، والجودو أربعة

ملايين فما فوق، والتنداي حوالي المليونين. ومن المرجح أن تشمل الأرقام بالنسبة لبوذية نشرين أعضاء ديانات جديدة مثل جماعة رشوكوزيكاي Risshokoseikai وإن كان من الممكن أن ترفع هذه الأرقام لو شملت إحصاءات بأعضاء فرقة سوكا جاكاي Soka Gakkai.

أما الديانات الجديدة مثل حركة «جماعة الحرية الكاملة» فهي تضم حوالي مليون عضو، كما تضم جماعة «سيكاكيو سيكو» أقل من نصف المليون بقليل، وجماعة «سيكو نويمي» أكثر من مليونين ونصف مليون عضو. غير أن هذا المجموع الكلى يشير، ببساطة إلى عدد المشتركين في نشراتها الأدبية! وتضم جماعة أموتو Omoto حوالي مائة ألف عضو، وجماعة أنانيكو Ananaikyo حوالي 200 ألف عضو.

أما المسيحيون فهم يشكلون في اليابان أقلية ضئيلة تزيد قليلا عن ثلاثة ملايين نسمة، أي حوالي 3٪ من السكان.

"معجم بالمصطلحات"

Abhivayatana

أبهيفياتانا-سنسكريتية تعني حرفيا «السيطرة التامة على الحواس» مرحلة تمهيدية للتأمل في البوذية، وهي تنقسم داخليا إلى ثمان مراحل يشعر فيها الإنسان أن العالم المادي أصبح غريبا عنه وبذلك يتحرر من الأشياء الحسية.

Abhidhamna Pitaka

مجموعة النصوص الثالثة التي تشكل شريعة ترافادا Theravada (أي طريق الشيوخ) في بوذية جنوب شرقي آسيا، وهي مجموعة كلمات بوذا نفسه للتلاميذ ولفقهاء البوذية.

Abydos

أبيدوس-مدينة قديمة غرب النيل قريبة من البلينة الحالية في صعيد مصر. كانت المركز الرئيسي لعبادة أوزريس رب الموتى، وسيد العالم الآخر.

Adad

حدد (أو أدد) إله الطقس عند السومريين-يهب الحياة ويمكن أن يدمرها في آن معا، يصورونه ثورا جامحا كالصاعقة، يختلط أحيانا بالإله «بعل».

Addu

أدو-هو نفسه الإله السابق حدد.

Adema

أديما-إلهة مهمتها مراقبة الأطفال في الأساطير الرومانية.

Adi-grant

آدي جرانت-تعنى حرفيا المجلد الأول-المجموعة الأولى من كتب السيخ المقدسة.

Adi-nata

السيد الأول لقب للمخلص في الديانة الجينية في الهند.

Adityas

أبناء أديتي Aditi (اللامحدود) في أساطير الفيدا، عددهم غير معلوم يقودهم فارونا.

Adonis

أدونيس-(أدون= السيد، أدوني= سيدي) شاب رائع الجمال في الأساطير اليونانية، حبيب أفروديت قتله خنزير برّي، توسلت أفروديت عند زيوس فأمر بصعوده من العالم السفلي إلى الأرض ستة أشهر-يرمز ظهوره إلى الربيع والخصب والنماء.

Advaita

اللاثنائية، الواحدية-مدرسة من مدارس الفيدانتا في الهند ترفض الثنائية وترى أن الواحدية هي الحقيقة النهائية، نشأت في القرن السابع الميلادي.

Adyton

ممنوع الدخول، كانت تستخدم عند اليونان لمنع الجمهور من دخول المحراب في الهيكل أو الكهف السري الذي تقيم فيه العرّافة.

Aeneas

إيناس، بطل الإنيادة لفرجيل والحد الأسطوري للرومان

Agape

أجابي-المحبة-الحب الروحي أو الديني في مقابل Eros الحب الشهواني.

Agathe Tyche

تيكي أجاثي أو الصدفة الطيبة في أساطير اليونان.

Akito

عيد رأس السنة الجديدة عند البابليين.

Agni

أجني-إله النار وهو المحور الذي يربط عالم الناس وعالم الآلهة في أسفار الفيدا

Agnosticism

اللاإدرية، موقف فلسفي يتوقف عن الحكم بوجود أي شيء أو معرفته ويكتفي بالجواب «لا أدري!» -وصف به مذهب كونفوشيوس.

Ahimsa

أهمسا-سنسكرتية تعني حرفيا «اللاأذى» مبدأ أخلاقي أساسي في ديانات الهند: الهندوسية والجينية والبوذية-عدم إيذاء الكائنات الحية.

Ahriman

أهرمان-إله الشر أو الشيطان أو إبليس في الديانة الزرادشتية.

Ahura Mazada

أهورا مزدا مكوّن من ثلاث كلمات معناها «أنا الوجود الخالق» إله الخير والإله الخالق في الزرادشتية.

Aite

الإله آيتي إله العالم السفلي في الديانة الرومانية القديمة-هاديس عند اليونان.

Akal

الصفة الثانية لله عند السيخ وتعني الأزلي.

Akal Takht

عرش الواحد الأزلي عند السيخ.

Alakh

إلخ-الصفة الثالثة لله عند السيخ وتعنى «مالا يمكن وصفه».

Albigenes

الألبجنيز-فرقة دينية انشقت عن المسيحية وبشرت بتعاليم ماني الثنائية.

Alcmene

ألكيمنا-انتهز زيوس كبير الآلهة فرصة غياب زوجها أمفتريون Amphitryon في الحرب وتنكر في هيئة زوجها وجامعها وأنجب منها البطل هرقل، ومن هنا جاءت كراهية هيرا زوجة زيوس لهذا البطل.

Allat

اللات-الإلهة الأنثى-أو الإلهة الأم أو «الأم العظيمة» في بعض مناطق الشرق الأدنى.

Amharaspands

الملائكة المقربون في الديانة الزرادشتية.

Amavavati

مدرسة في النحت الهندي ازدهرت فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد والثالث الميلادي-أنشأت الكثير من المعابد لا سيما المعابد البوذية الضخمة في الهند.

Amaterasu

أما تيراسو-إلهة الشمس في اليابان، يعتبرونها الجد الأول للأسرة الإمبراطورية.

Amun Amaunnet

أمون وأمونت، زوجان من الآلهة المصرية القديمة الثمانية التي لعبت دورا جوهريا في خلق العالم في ديانة مصر القديمة.

Amitabha

أميتبها-تعني حرفيا «النور اللامتناهي» الذي هو حقيقة بوذا وماهيته، موضوع الإيمان الأول في البوذية، يفرعون إليه للخلاص في بوذية المهايانا اليابانية باسم أميدا Amida

Amoghavajara

أموجها فاجرا (705- 774م) راهب بوذي هندي أحد ثلاثة يُسمون «بالصوفية النقية» هو الذي أدخل بوذية الكلمة الصادقة إلى الصين.

Amun

آمون-ملك الآلهة ورب الأرباب في الديانة المصرية القديمة ازدهر في الدولة الوسطى في طيبة وفيها شيد معبده الضخم «الكرنك»، هرع الإسكندر إلى معبده في سيوه يتلقى بركاته.

Amurru

أمورو-إله البدو القاطن في الصحراء عند السومريين، وهو نفسه إله الطقس.

An

آن-إله السماء عند السومريين، والكلمة تعنى الأعالي أو السماء وهو زوج الإلهة «كي» أو الأرض، وهو نفسه الإله آنو Anu

Analects of Confucius

مختارات كونفوشيوس-مجموعة من المحاورات والأحاديث لحكيم الصين وتسمى أحيانا شذرات كونفوشيوس-هامة في الديانة الكونفوشية.

Ananaikyo

أنانيكو-فرقة دينية انشقت عن جماعة أموتو-ازدهرت ابتداء من عام 1949 داخل بوذية اليابان؛ تنزع إلى توحيد الأديان.

Anansi

أنانسي-شخصية في الأدب الشعبي الأفريقي تلعب دور المخادع.

Anat

عناة-إلهة الحب والخصب عند السومريين وهي عشتار عند البابليين مذكورة في أسفار العهد القديم يشوع 19: 38 وقضاة 3: 31.

Anatta

الأناتا-اللاذات أو اللاجوهر، وهي في البوذية الاعتقاد بأنه لا يوجد في الإنسان جوهر خالد دائم يسمى «بالروح».

Angad

أنجاد (1504- 1552) المعلم الروحي الثاني للسيخ.

Angas

أنجاس-سنسكريتية معناها أقسام وهي تشير إلى نصوص الشريعة البوذية وأقسامها.

Ani

آني-أحد حكماء مصر القديمة ألف كتابا من أمتع ما خلفه الأدب المصري.

Anicca

الزوال، اللادوام صفة أساسية لكل الموجودات في الديانة البوذية.

Animal Worship

عبادة الحيوان-أخذت بعض الحيوانات في مصر القديمة تجسيدا لقوى معينة كالإخصاب في حالة الثور مثلا-وفي اليونان اتخذت البومة رمزا للحكمة أو الآلهة أثينا لكنه قد يعبد لذاته كما هو الحال في الطوطمية.

Anu

آنو-إله السماء عند السومريين وهو نفسه الإله آن.

Anubis

أنوبيس-إله الموتى عند قدماء المصريين-كان حارسا للجبانة ومشرفا على التحنيط-تخيلوه على هيئة إنسان له رأس ابن آوى-هو نفسه الإله سوكاريس-طغى عليه أوزريس-يعرف أحيانا باسم أنبو Anpu.

Annunaki

أنوناكي-آلهة العالم السفلي عند الأكاديين.

Aphrodite

أفروديت-إله الجمال والحب والجنس عند اليونان هي نفسها فينوس عند الرومان-ولدت من زبد البحر Aphros) = زبد) أو الأعضاء الجنسية لأورانس إله السماء بعد أن قتله ابنه كرونوس وألقاه في البحر-راعية غانيات أثينا-هي نفسها عشتار الآسيوية.

Apis

عجل أبيه أو الإله الثور-عبده المصريون في منف كتجسيد للخصوبة، من أقدم عبادة للحيوان في مصر.

Aplu

أبلو-الإسم القديم لعله أبو للو.

Apollo

أبو للو-إله متعدد الوظائف في أساطير اليونان تأثيره قوى بين الآلهة يجعل الناس يدركون خطاياهم ويطهرهم منها ولهذا سُمي بالمطهر والمضيء-ابن زيوس والإلهة ليتو Leto وشقيق أرتميس.

Arallu

أرالو-الجحيم المظلم أو العالم السفلي، أو دار الأشباح في الأساطير البابلية.

Aranyakas

أرانياكا-نصوص الغابة وهي خاصة بالرهبان لكن يمكن أن تهدى الشيوخ الذين تركوا أهلهم ليقيموا في الكهوف والغابات.

Archontes

الأرشونتيون، حكام الظلام في الديانة المانوية ومن أجسادهم خلق العالم.

Ardha-Magadhi

لغة كتابة النصوص في الديانة الجينية وهي غير لغة براكريت Prakrit أي اللغة الدارجة أو الشعبية.

Ares

آريس-إله الحرب في أساطير اليونان وعشيق أفروديت إلهة الحب والجمال وزوجة هيناستوس-شاهدهما «هليوس» إله الشمس فأخبر الزوج-آرية عند اليونان هو نفسه الإله مارس عند الرومان.

Arhat

راهب البوذية الذي وصل إلى مرحلة النزفانا.

Aritind

الإلهة آرتيمي عند الرومان هي نفسها الإلهة أرتيمس عند اليونان

Arjuna

أحد أبطال المعركة التي روتها ملحمة البهابهاراتا.

Arora

الطبقة الدنيا في مجتمع السيخ.

Artemis

آرتميس إلهة الحيوانات البرية والصيد ازدهرت عبادتها في كريت.

Aruru

أرورو-إلهة سومرية زوجة الإله «أيا» وقد ساعدت زوجها في خلق البشر من الطين بقوة الكلمة الإلهية.

Arydeva

أرياديفا (170- 270 م) فيلسوف بوذي أسس إحدى الفرق البوذية ذات النطرة الوسط.

Aryans

النبلاء-علية القوم-الآريون-الهند-أوربيون.

Aryan-Samaj

الجماعة الآرية، فرقة دينية لإصلاح الهندوسية الحديثة أسسها عام 1875 راهب هندوسي هو «ديا نندا سار سفاتي» للعودة إلى السلطة الروحية للفيدا أقدم الكتب المقدسة في الهند.

Asag

أساج-عفريت الأوبئة والأمراض في الديانة السومرية.

Asanga

أسانجا (في القرنين الرابع والخامس م) راهب بوذي أسس مدرسة مثالية داخل البوذية هي «التطبيق العملي لليوجا».

Asat

العالم السفلي في الديانة الهندوسية.

Asceticism

مذهب الزهد أو النسك أو التقشف-انتشر في كثير من الديانات القديمة نهت عنه الزرادشتية.

Asclepius

إله الطب والشفاء عند اليونان والرومان-ابن زيوس وعروس البحر كرونيس Coronis كان بارعا في فن الشفاء-خشي أبوه زيوس أن يجعل الناس خالدين فقتله بصاعقة وهو والد هيجيا Hygieia إلهة الصحة عند اليونان.

Assuras

أشوراز-آلهة الفيدا صنفان ديفاز وأشوراز والثانية مستمدة من أهوراز الإيرانية.

Astarte

عشتار أو عشتروت إلهة كبيرة في مجمع الآلهة السومري إلهة الحب والجنس والخصب والحرب أحيانا، عبدت باسم أنانا وعشتار وعشتاروت مذكورة في العهد القديم بكثرة ملوك أول 23 ,5:11 وثاني 23: 13- أصبحت إيزيس وحتحور عند المصريين، وأفروديت وأرتميس عند اليونان وفينوس وجونو عند الرومان.

Atar

عتر-إلهة عند عرب الجنوب في اليمن وهي فتاة عند السوريين.

Atargatis

أتارجتيس-الإلهة الأم أو «الأم العظيمة» عند اليونان وهي هيرا.

Atharvaveda

القسم الرابع من أسفار الفيدا في الديانة الهندوسية ويحتوى على ترانيم وتعويذات ورقى سحرية... إلخ.

Atheism

الإلحاد أو الزندقة عكس التأليه Theism..............

Athena

أثينا-إلهة الحكمة عند اليونان، وهي نفسها مينرفا عند الرومان، خرجت من رأس زيوس بعد أن أصيب بصداع شديد-إلهة للحرب أيضا وحامية مدينة أثينا.

Atisha

أتيشا (982- 1054) مصلح بوذي هندي كانت تعاليمه الأساس لإنشاء فرقة بوذية في التبت.

Atman

الروح في أسفار الفيدا الهندية.

Atrahasis

أتراحسيس-ملحمة بابلية قديمة تصف خلق الموجودات البشرية في شيء من التفصيل.

Atum

أتوم-الإله الخالق في الأساطير المصرية القديمة-اسمه يعنى «لإله الذي أتم نفسه بنفسه» فقد خلق نفسه أولا ثم خلق العالم وهو نفسه الإله خبري Khepri.

Augurs

المتطيرون-جماعة العرافين الذين يدرسون إرادة الآلهة بمعرفة اتجاه الطير في تحليقه.

Avalokitesvera

أفالوكيسفارا-سنسكريتية معناها «السيد المنتظر» أو «بوذا القادم» صاحب الرحمة اللامتناهية.

Avasyakas

طقوس إلزامية في الديانة الجينية.

Avatamsajca Sutra

مجموعة أحاديث بوذا-نصوص مقدسة في بوذية المهايانا-أهم تعاليم بوذا الأكبر.

Avatara

أفاتارا-سنسكريتية معناها الحرفي «هبوط» في الهندوسية وهي تعنى تجسد أحد الآلهة في هيئة بشرية أو حيوانية.

Avesta

الأبستاق-فارسية تعني «الأصل» أو «المتن» الكتاب المقدس عند الزرادشتية. وهناك Zend-Avesta

أي الشروح على المتن-يحتوى الكوبنات التانوت-الترانيم-تعاليم زرادشت.... إلخ.

-B-

Ba

با-الروح عند قدماء المصريين، تخيلوها على هينة طائر لقدرتها على ترك الجسم والطواف في أماكن كثيرة.

Bacchus

باخوس-إله الخمر والنشوة عند اليونان (انظر ديونسيوس).

Bahaism

البهائية-مذهب ديني أسسه مفكر فارسي هو بهاء الله (1817- 1892).

Bahubali

باهو بالي-قوى الذراع-ابن المخلص الأول في الديانة الجينية.

Bali

بالي-الشيطان في الديانة الهندوسية.

Basava

باسافا-مصلح ديني.

Bel

بعل-(والكلمة، تعنى حرفيا: السيد أو الزوج) إله المطر والسحاب عند البابليين-ويختلط أحيانا بالإله «حدد».

Benben

بن بن-حجر قديم مخروطي الشكل وجد في معبد الإله رع في هليوبوليس يقال إنه تمت محاكاته بدقة في بناء الأهرامات.

Bhadrahu

بهادراهو-راهب هندي (توفي 298 ق. م) رأس الجينية وأسس جماعة العراة Diambava.

Bhagavantara

بجفانتارو-إله الرعد والمطر عند القبائل الآسيوية.

Bhagavan

بجفان-الإله الذي يهيمن على الكون عند القبائل الآسيوية.

Bhakti

باكتي-حركة دينية داخل الهندوسية تشدد على تكثيف عاطفة المتدين في حبه للإله الذي يعبده.

Bhikkus

الراهب البوذي-أحد جماعة السنغا.

Bhutas

بهوتاز الروح القلقة في الهندوسية-ويمكن أن تكون مؤذية إذا لم تؤد لها الطقوس المناسبة-يخشاها الأطفال والنساء وحديثو الزواج.

Bo

بو-شجرة مقدسة في الديانة البوذية-وصل بوذا تحتها إلى مرحلة الاستنارة.

Badhidharama

بودهدراما-راهب بوذي اشتهر بقدرته الفائقة على البقاء في حالة تأمل فترة طويلة.

Bon

بون-الديانة الأصلية لسكان التبت قبل دخول البوذية.

Book of Change

كتاب التغيرات-من الكتب الأساسية في الكونفوشية-قيل إن كونفوشيوس كتبه بنفسه-لكنه جمعه من تراث الصين القديم ويسمى Iching.

Book of dead

كتاب الموتي-مصطلح أطلقه العلماء على مجموعة من الرقى والتعاويذ التي تحمى الميت وترشده في العالم الآخر اسمه المصري «الخروج من الموت بالنهار».

Brahma

برهما-أحد آلهة الفيدا الرئيسية في الديانة الهندوسية- ثم مع ظهور الفرق والطوائف طغى عليه «فشنو وشيفا» - ولا ينبغي الخلط بين برهما في صورته المذكورة وبين برهمان Brahman المحايد من حيث الجنس الذي هو القوة العليا والحقيقة النهائية للكون، وقد ارتبط بالإله الخالق في الفيدا، وسمى باسم براجباتي. Prajapati

Brahma

الإله الخالق في الهندوسية (انظر المصطلح السابق)-قيل إن براهما ولد من بيضة من ذهب، ثم استدار فخلق الأرض وجميع الأشياء، وذهبت بعض الطوائف الأخرى إلى أنه ظهر من زهره اللوتس Lotus التي خرجت من سره فشنو.

Brahmacarya

العفة-حالة الطالب الديني الهندوسي غير المتزوج، وإحدى المراحل الأربعة في حياته.

Brahman

برهمان: الاسم الذي أعطته الأوبنشاد للموجود الأسمى-وبرهمان محايد من حيث الجنة-وقد تجسد في الإله الخالق براهما (المذكر). ووضع في مثلث مقدس هوبرهما (الخالق) فشنو (الحافظ) وشيفا (المدمر).

Brahmana

البرهمي-في السنسكريتية مالك براهما-أعلى طبقة اجتماعية في الهندوسية وهي طبقة الكهنة، ويرجع وضعهم الرفيع إلى تقسيم الفيدا للسكان إلى أربع طوائف مغلقة. الشروح الملحقة بالفيدا أقدم الكتب المقدسة في الهندوسية وهي تفسر معنى الفيدا على نحو ما تستخدم الطقوس والقرابين، والمضمون الرمزي لأعمال الكهنة. وكلمة براهمانا Brahmana قد تعنى إما أقوال البرهمي Brahmin أو شرح معنى الكلمات المقدسة.

Brahman Aspati

برهمانا سباتي-إله قوى السحر التي تمسك بالكون في الهندوسية. البرهمية-ديانة الهند القديمة وهي مستخرجه من كتب الفيدا-وقد استمدت اسمها من أهمية براهمان بوصفه قوة عليا، ومن وضع طبقة البراهمة (الكهنة في الهندوسية) في آن معا.

Brahmanism

جماعة براهما-حركة دينية داخل الهندوسية تشبه البروتستانتية.

Brahma-Samaj

تأسست في كلكتا عام 1828، لا تعترف بسلطة الفيدا ولا تؤمن بتجسد الآلهة.

Buddha

بوذا (563- 483 ق. م) مؤسس البوذية اسمه الحقيقي سد هارتاجوتاما كلمة بوذي تعنى «المستنير» «المتنور» أو المستيقظ-ابن أحد حكام مقاطعة ساكاس (ولهذا يسمى حكيم ساكاس)، نقطة التحول في حياته مع سن 29 عندما أدرك أن الإنسان يعاني المرض والشيخوخة والموت-أقلع عن حياة الإمارة وتحول إلى ناسك متجول حتى جاءه الإلهام (الاستنارة) تحت شجرة البو Bo.

Buddha-carita

«حديث عن أعمال بوذا» - كتاب يروى حياة بوذا في قصيدة، كتبه أحد شعراء الهند في القرن الثاني الميلادي-نموذج رائع للأدب البوذي.

Buddha-Dhamma

دهمابوذا-الحقيقة الكلية عند بوذا، أو العناصر الأولية التي يتألف منها العالم في ميتافيزيقا البوذية.

Buddha Ghosa

بودا جهوزار مفكر هندي بوذي في أوائل القرن الخامس الميلادي اشتهر بكتابه «الطريق إلى النقاء أو الطهارة» وهو تلخيص للمذاهب البوذية الرئيسية في عمره.

Buddhahood

المرتبة البوذية، حالة الاستنارة التي يمكن أن يصل إليها البوذي وهي مثله الأعلى.

Buddhism

البوذية-ديانة وفلسفة أسسها «سد هارتاجوتاما» في شمال الهند في القرن السادس ق. م ثم انتشرت في وسط آسيا والصين وكوريا واليابان... إلخ تعتمد على تركيز التأمل للوصول إلى حالة الترفانا-وهي تعنى بإنكار الذات وضبط العواطف وقتل الرغبة أكثر من عنايتها بالشعائر.

Buddhist Meditation

التأمل البوذي-ممارسة التركيز الذهني من خلال أربع مراحل (الانفصال عن العالم الخارجي-تركيز الوعي-زوال المتع-السكينة)-يؤدي إلى الحرية الروحية أو «الترفانا» ويحتل التأمل مركزا رئيسيا في البوذية.

Bodhi

المتنور أو المستنير أو المستيقظ آخر مرحلة يأمل البوذي في الوصول إليها بعدها يتخلص من دورة التناسخ ويدخل الترفانا أو يصل إلى التحرر الروحي.

Bodhisattva

بوذا المنتظر-أو الشخص الذي يصل إلى مرحلة ما قبل الاستنارة-أي الشخص الواعد أن يصبح بوذا-وعدد هؤلاء من الناحية النظرية لا حصر له-يحمل أسماء مختلفة في الصين والتبت واليابان.

Bu-ston

فقيه البوذية في التبت (في القرنين الثالث عشر والرابع عشر).

Butsudan

مذبح الأسرة البوذية في اليابان، خزانة في الحائط توضع فيها أشياء مقدسة مع الشموع والبخور.

–C–

Callisto

أحد توابع جوبتر (المشتري) عند الرومان. إلهة صغيرة كانت ترافق أرتميس وترتدي زيها غرر بها

زيوس فمسختها أرتميس دبة لغضبها منها.

Canons of Logic

أحكام المنطق-الكتاب الرئيسي للفيلسوف الصيني موتسو 391- 470(Mo-Tzu ق.م).

Carmentes

آلهة تقدم النور والسحر اللازمين لولادة الطفل السهلة في أساطير الرومان.

Caste System

نظام الطبقات المغلقة في مجتمع الفيدا الهندي وهي أربع: البراهمة (الكهنة)-الكشاترية (المقاتلون) الفيزيا (الزراع والتجار)-الشودرا (أي الخدم).

Castor & Pollucks

كاستور وبولكس: توأم من «ليدا» ملكة طروادة كان الأول من زوجها الملك فكان فانيا، والثاني من زيوس فكان خالدا-أصبحا في الفلك الجوزاء.

Catechism

التعاليم الشفهية في الدين عن طريق السؤال والجواب (انظر الزرادشتية).

Ceres

كيرس-أوسيرس إلهة الأرض والمشرفة على الزراعة-إلهة القمح في أساطير الرومان

Chan

تشين-كلمة صينية تعنى التركيز والتأمل ومنها جاءت كلمة زن اليابانية.

Ch'an Buddhism

بوذية المهايانا في الصين، ركزت على التأمل ولهذا سميت بوذية التأمل وسميت في اليابان بوذية زن (أي التأمل).

Chance

الحظ أو الصدفة إلهة سيطرت في العمر الهلنستي (انظر Tyche).

Chaos

العماء-الفوضى أو الفراغ الأول قبل ظهور الموجودات في أساطير اليونان-ذكره هزيود في أنساب الآلهة.

Centaurs

القناطير-جماعة من الوحوش البرية، في أساطير اليونان، لها رأس إنسان وجسد حصان، وتعيش في الغابات وأعالي الجبال.

Chen Ye Buddhism

بوذية الكلمة الصادقة في الصين-وهي نفسها بوذية شنجون في اليابان-محاولة للوصول إلى الحكمة الخالدة لبوذا التي لم يعبر عنها في كلماته ولم تكن معلنة للناس.

Ching-Tu

مدرسة «الأرض الطاهرة» البوذية في الصين تؤمن بعقيدة بوذا أميتبها (صاحب النور اللامتناهي)- تأسست في الصين في القرن الرابع انتقلت إلى اليابان في القرن الثاني عشر.

Chou Tun-i

فيلسوف صيني من المبشرين بالكونفوشية الجديدة (1017- 1073) وهي المذهب الذي أصبح نموذجا للفكر الصيني لمدة ألف عام تقريبا.

Ch'U

المائدة أو المأدبة التاوية-لقاء مشترك من مجموعة من الأسرة التاوية يرشدها ويوجهها معلم محلي في أيام معينة ومناسبات خاصة.

Chuang-Tzu

شوانج تسو-اسم كتاب يحمل أيضا اسم مؤلفه وهو حكيم صيني ازدهر في القرن الرابع وترجع أهميته إلى تأثيره الكبير في تطور بوذية التأمل في الصين.

Chu Hsi

تشوهسي-فيلسوف صيني (1130- 1200) صاحب نظرية في الكونفوشية الجديدة سيطرت فلسفته في الصين وكوريا واليابان لفترة طويلة.

Chum-Tzu

الإنسان الأعلى أو المتفوق، حرفيا «الإنسان المهذب الكامل» وهو من تطابق تصرفاته وسلوكه المثل العليا للكونفوشية الصينية.

Claros

مدينة كلاروس على ساحل أيونيا، كان بها غرافة شهيرة للإله أبوللو.

Cleanthes

كليانتس (331- 232 ق. م) فيلسوف رواقي كان يتغنى باسم زيوس كبير آلهة اليونان.

Coffin Texts

متون التوابيت، مجموعة من النصوص الجنائزية في مصر القديمة، مكتوبة على التوابيت التي تصنع عادة من الخشب، وهي تتميز بأنها تقدم للاشخاص غير الملكيين.

Confucianism

الكونفوشية-ديانة ومذهب فلسفي أسسه حكيم الصين كونفوشيوس مستمدا عناصر كثيرة من العقائد السابقة-يقوم على مبادئ أخلاقية منها حسن العلاقة بين الأفراد، أواصر الود في الأسرة-حسن التعامل بين الرئين والمرؤوس، اقترحت قيام حكومة عالمية.

Confucius

كونفوشيوس (551-479 ق. م) بالصينية كونج-فو-تسي أي كونج المعلم-أسس الكونفوشية مذهبا أخلاقيا في أساسه إلا أنها تأثرت بعناصر دينية مستمدة من المعتقدات السابقة.

Coressus, Mount

جبل كوريسوس في أفسس أحد القمم التي أقيم عليها معبد زيوس.

Cosmology

الكسمولوجيا أو الكونيات-دراسة عقلية لأصل العالم وطبيعته وقوانينه العامة... إلخ.

Cow Protection

حماية البقرة-على الرغم من أن الثور يضحى به في الديانة الهندوسية ويقدم لحمه قرابين في فترة الفيدا-فإن ذبح البقرة التي تدر اللبن كان محرما، وهناك نصوص في الريج فيدا تشير إلى تقديسها.

Cremation

إحراق جثث الموتي لا الهندوسية في مقابل التحنيط عند المصريين القدماء Embalment، والدفن Burial عند البابلين، أو عرض جثث الموتى فوق «أبراج الصمت - Towers Of Silence Dakhmas» لتلتهما الطيور الجارحة في الزرادشتية حتى تتجنب تلويث الأرض بالدفن أو تلويث الهواء بالإحراق.... إلخ.

Cronus

كرنوس إله الزمان في أساطير اليونان ابن أورانوس (السماء) وجيا (الأرض) خصى والده بناء على نصيحة أمه بمنجل ففصل السماء عن الأرض وتزوج أخته «ريا» فأنجبت له هستيا، وديمتر، وبوزيدون، وهيرا، وهادية، فابتلعهم كرنوس خوفا من أن يفعلوا معه مثلما فعل هو مع والده أورانوس، فيما عدا «زيوس» الذي أخفته أمه «ريا» في جزيرة كريت ووضعت حجرا في لفائف ابتلعها كرونوس على ظن أنها ابنه الأخير الذي أصبح كبيرا للآلهة.

Crocodile-God

الإله-التمساح: ظهرت عبادته في أرض البحيرة في الفيوم في مصر القديمة.

Cunina

كونينا-إلهة المهد عند الرومان وهي مخصصة لهز المهد لينام الطفل.

Cybele

سيبيل-إلهة الأرض أو الإلهة الأم (وأحيانا أم الآلهة)، عرفت بهذا الاسم عند اليونان والرومان وآسيا الصغرى حتى القرن الخاص قبل الميلاد، ثم عرفت بأسماء أخرى كثيرة، عناة، عشتار، إيزيس... إلخ.

-D-

Dadu

دادو-راهب هندوسي أسس فرقة دينية في القرن السادس عشر-رفض سلطة الفيدا أقدم الكتب المقدسة عند الهندوس والتميز بين الطبقات وصور العبادة الخارجية

Dadu Panthis

أتباع دادو وكان معظمهم من الرهبان.

Dagan

دجن-إله الطقس عند البابليين.

Dakhamas

«أبراج الصمت» طريقة للتخلص من جثث الموتى بوضعها فوق الأبراج لتلتهمهما الطيور الجارحة عند الزرادشتية (قارن Cre-mation).

Dalai Lama

الدلاي لاما-الزعيم الروحي للبوذية في التبت.

Darshamas

الكلمة تعنى «يرى أو ينظر» فهي وجهة نظر أو مذاهب ستة في الهندوسية.

Dasam Granth

دسام جرانت-مجموعة من الكتابات مشوبة إلى المعلم الروحي «جوبند سنج» المعلم العاشر وآخر قائد للسيخ، لا يحظى بمرتبة أدى جرانت (قارن)

Davaras

مجموعة من الآلهة (والكلمة تعني العبودية والقصور الذاتي) يقودهم الإله فارونا في أسفار الفيدا.

Dayananda Sarasvati

ديانند اسار سفاتي (1824- 883 م) راهب هندوسي ومصلح اجتماعي أسس عام 1875 حركة تزعم

العودة إلى السلطة الروحية للفيدا أقدم الكتب المقدسة في الهند.

Delos

جزيرة على بحر إيجه-مركز ديني هام في الديانة اليونانية القديمة.

Delphi

دلفي-أقدم وأهم مقر لعبادة الإله أبوللو في اليونان، توجد فيه غرافته الشهيرة-كانوا يعتبرونه مركز الكون.

Demeter

الإله ديمتر ابنه كرونوس وريا وأخت زيوس هي الأرض الأم (اسم الآلهة هيرا في إليوسس) اشتهرت بالبحث عن ابنتها برسفوني التي خطفها هاديس إله العالم السفلي.

Dengyo Daishi

اسمه الحقيقي سيكو (767- 822) راهب بوذي أسس مدرسة تندابي (قارن) في اليابان.

Determinism

الحتمية-نظرية ترى أن سلوك جميع الأشياء، بما فيها الأفعال الأخلاقية، تحددها سلفاً أسباب موجودة، وبالتالي ترفض أن يكون لدى الإنسان إرادة حرة.

Devas

الديفاز-آلهة الفيدا وتصنف حسب قوى الطبيعة، فهناك إله للسماء، والهواء، والأرض (فارونا، اندرا، سوما Soma) بعد تطور الهندوسية وظهور البوذية والجينية أصبحت هذه توابع لوجود سام واحد لا يسمى «ديفا» بل «السيد».

Devourer of Dead

ملتهم الموتى-وحش في أساطير المصريين القدماء يقف في انتظار محاكمة الموتى، فمن كان صالحا كتبت له السعادة الأبدية، ومن يدان يلتهمه الوحش.

Dhamma

دهما سنسكريتية-تعد من المصطلحات الرئيسية ذات المعاني المختلفة، فهي في الهندوسية «القانون الأخلاقي» وفي «البوذية» «الحقيقة الكلية» وفي الجينية «الفضيلة الأخلاقية» والجوهر الأزلي الذي يحرك العالم في آن واحد.

Dhyana

دهيانا سنسكريتية تعني التأمل أو التفكر-تحولت إلى شن في الصينية و «زن» في اليابانية.

Diana

ديانا-إلهة رومانية اتحدت مع أرتميس اليونانية، واسمها يعني «المنير أو المضي» لهذا كانت إلهة القمر وراعية الحيوانات الأليفة-ترتبط بالإخصاب تضرع إليها النساء في الحمل والولادة.

Digambara

فريق العراة في الجينية (الفرقة الرئيسية الثانية إلى جانب فريق الأردية البيضاء) ملتحفو السماء، رهبان الجينية يسيرون عراة باستمرار ويرفضون دخول النساء في سلك الرهبنة.

Di-manes

أرواح الموتى-كان الرومان يشعرون نحوها بالرهبة والإجلال في عبادة الأسلاف عندهم.

Dingir

دنجير-إله الريح في الديانة السومرية.

Dione

الإلهة ديون ابنة الأوقيانوس-زوجة زيوس قبل هيرا-وكثيرا ما يقال إنها أم أفروديت من زيوس.

Dionysus

ديونسيوس هو نفسه الإله باخوس في الديانة اليونانية-إله الخمر ومغذي الكروم وحارسها، وهو ابن زيوس من سميلي Se-mele ابنه ملك ثيبة، مات وبعث من جديد-تحتسي النساء في عيده الخمر بلا حساب في طقوس شديدة الانفعال.

Di-upiter

دي أوبتر-الأب ديوس، الإله الهندو-أوربي الذي تحول إلى جوبتر عند الرومان.

Divi-Filus

ابن الإله-لقب كان يتخذه الإمبراطور الروماني-وهو مثل لعبادة الحاكم.

Dominus & Deus

السيد والإله-لقب اتخذه بعض أباطرة الرومان-وهو يعني أن الحاكم هو مالك للعبيد وإله للفانين.

Dualism

الثنائية القول بوجود مبدأين أو إلهين للعالم، كما هو الحال في المانوية.

Durga

إلهة هندوسية-راعية اللصوص وقطاع الطرق-إحدى صور الإلهة شاكتي تسكن الجبال-اشتهرت بذبحها للشيطان ماهيشا Mahisha الذي تنكر في صورة جاموسة.

Dumuzi

دموزي (أو تموز Tammuz) وهو عند السومريين الشاب الجميل حبيب الإله عشتار وهو أدونيس حبيب فينوس وأفروديت-قتله خنزير برّي فتوسلت حبيبته إلى الآلهة أن يبعث لها ستة أشهر من كل عام. وهكذا أصبحت حياته وموته رمزا لدورة فصول السنة.

Dyaus

ديوس إله السماء وهو الاسم القديم لزيوس كبير الآلهة عند اليونان.

Pitar

أب السماء أو إله السماء في أساطير الفيدا، وهو يقابل زيوس عند اليونان، وجوبتر عند الرومان.

-E-

Ea

إيا-وهو في السومرية أنكى-ثالث عضو في مثلث مع الآلهة السومرى الأكادى إلى جانب آنو (آن) وبعل (أنليل)-إله الأعماق والحكمة.

Ea

آيا-زوجة إله الشمس في الديانة السومرية (وهي غير الإله السابق)

Earth-Mother

الأم الأرض-نظرة دينية ظهرت في الديانات القديمة تجعل من الأرض معينا لا ينضب لكل شيء-قد تصبح في بعض الأساطير شخصية محددة هي الأرض الأنثى وزوجها السماء.

Edusa

إلهة تشرف على نمو الطفل عند الرومان.

Eightfold Path

طريق الثمانية-مذهب بوذا الأكبر في أول موعظة له-يسميه الطريق الوسط بين متع الحس وإماتة الذات.

Eisai

ايزاى (1141- 1215) كاهن ياباني مؤسس فرقة رنيزاى من بوذية زن اليابانية.

Ekayana

ايكايانا سنسكرتية تعني العربة الواحدة أو المفردة، مفهوم اختلف تفسيره باختلاف المدارس الفلسفية في البوذية، وهو يميز «سوترا اللوتس».

En

آن-رئيس الجماعة الدينية في بابل..

Enki

أنكى-إله الأرض والحكمة عند السومريين زوج الإله نينكى.

Enkidu

انكيدو-صديق ورفيق جلجامش في الملحمة الشهيرة.

(Enlili) Elil

أنليل-رئيس مجمع الآلهة السومرى-إله الريح وسيد النسيم وزوج الآلهة نينليل أو الإله الأم.

Ensi

الإنسي-عندما يرتفع المركز الروحي لرئيس الجماعة «اين» في بابل يصبح حاكما أو ملكا أو أنسي.

Enuma Elish

إينمواليش-ملحمة الخلق عند البابليين.

Eos

أيوس-إلهة الفجر في ميثولوجيا الرومان وهي نفسها الربة أورورا في أساطير اليونان أخت هليوس إله الشمس وسيلين إلهة القمر.

Ereshkigal

أريشكيجال-إلهة العالم السفلي في الأساطير البابلية وزوجة الإله نرجال.

Eros

إيروس-إله الحب في الأساطير اليونانية يغلب عليه الارتباط بالجسد والشهوة.

Esagila

إيزاكيل-أي المعبد الذي تناطح ذروته السماء وهو معبد الإله مردوخ في بابل.

Eta

طبقة المنبوذين في اليابان.

Etana

إيتانا-الراعي الذي حاول أن يرقى إلى السماء على أجنحة النسر ففشل. فكان الموت نصيب البشر.

Etemenanki

أتمنانكر-المبنى الذي هو أساس السموات والأرض معبد الإله تنار إله القمر في بابل.

Etemu

إيتمو-الروح في أساطير بابل وكانت تؤذي الأحياء إذا لم يدفن الميت بطريقة مناسبة.

Euhemensm

الأومهيمرية-نظرية أويهيمروس اليوناني في القرن الثالث ق.م تقول إن الآلهة ليسوا سوى أبطال وطنيين أدوا خدمات جليلة فرفعهم الخيال الشعبي إلى مصاف الآلهة.

–F–

Fa-hsein

فا-هسينى (ازدهر حوالي 399- 414) راهب بوذي صيني-زار الهند عام 452 ودرس البوذية مع رهبانها-عاد إلى الصين وترجم النصوص البوذية السنسكريتية إلى الصينية.

Fasti

الفاستي-الأيام المقدسة عند الرومان-الأيام التي يسمح فيها القيام بممارسة الأشغال العامة أو يمنع.

Fatalism

الجبرية-(القدرية) مذهب يرى أن كل ما يحدث لإنسان قد قدر عليه سلفاً.

Fatalist School

المدرسة القدرية في الزرفانية (الزرادشتية) ترى الموجودات البشرية دمى في يد القدر-تنكر الإرادة الحرة.

Fates

إلهات القدر في أساطير اليونان وهن ثلاث كلوتو Clotho ولاخيسس Lachesis وأتروبوس Atropos

Fa-Tsang

فاتسانج (643- 712 م) راهب بوذي يعد مؤسس مدرسة هواين Hua-Yen البوذية في الصين.

Felicitas

فليسيتاس-إله الحظ في أساطير الرومان.

Fertility

الإخصاب-قوة الإنتاج في الطبيعة وعند المرأة-عُبدت في مصر واليونان والرومان-وفي الصين واليابان وفى الديانة الهندوسية على صور مختلفة.

Fetials

الفيتالي-أو المفاوضون الدبلوماسيون-كهنة من الرومان كان اختصاصهم التصديق على المعاهدات.

Fire

النار-من الطقوس الأساسية في الديانة الزرادشتية.

Five K‘s

الكافات الخمسة-خمسة شعارات للخلسا في ديانة السيخ تبدأ كلها بحرف «ك» أهمها كسا Kesa(الشعر) حيث ينبغي عدم قصه. وكان للعدد خمسة مغزى صوفي في البنجاب «أرض الأنهار الخمسة».

Five M‘s

الميمات الخمسة-طقوس هندوسية تبدأ بحرف الميم مثل Madya أي الخمر و Matsya أي السمك و Mamsa أي اللحوم... إلخ.

Five Pecks of Rice

حركة تمرد دينية بدأت في الصين في أوائل القرن الثاني عشر بقيادة شانج لنج Chang Ling الذي كان أول قائد ديني في الكنيسة التاوية في الصين.

Flamen Dialis

كاهن الإله جوبتر في الديانة الرومانية.

Flamen Martialis

كاهن الإله مارس في الديانة الرومانية.

Flamen Quirinualis

كاهن الإله كوبر نيوس في الديانة الرومانية. وهم يساعدون «الحبر الأعظم» في تأدية الطقوس الدينية في روما القديمة.

Flood

الطوفان-مذكور في معظم الديانات القديمة-غرق الأرض والإنسان بالمياه بسبب أفعال الإنسان الشريرة، أشهرها مذكور في ملحمة جلجامش عند البابليين.

Flora

الآلهة فلورا-ربة الزهور في ديانة روما القديمة.

Foamborrn

مولود من زبد البحر-أفروديت في الأساطير اليونانية.

Fortuna

فورتونا-إلهة الحظ والصدفة عند الرومان وهي نفسها تيكي (أوتيخي) عند اليونان.

Fox Deity

الإله الثعلب-رسول «كامي» الذي يحرس حقول الأرز في بوذية اليابان

Fravashi

الفرافاشي-أرواح هادية للبشر ولجميع الأشياء الطبيعية عند الزرادشية.

Funerary Cult

عبادة جنائزية عند المصريين القدماء.

-G-

Gansha

جانيشا-إله هندوسي له رأس فيل-ابن شيفا وبرفاتي-مزيل العقبات-أول من يضرع إليه في بداية العبادة أو في بداية مشروع جديد تجد صورته في مدخل المعابد والمنازل.

Garelamaisama

جاريلا ما يزاما-إلهة ترتبط بالصيد وجمع النباتات الصالحة للأكل عند قبيلة تشنتشو الآسيوية.

Garuda

جارودا-طائر الإله فشنو في الريج فيدا (وهو الحدأة).

Gathas

جاثا-سبع عشرة ترنيمة من ترانيم زرادشت.

Gayatri Mantra

جتري مترا-نصوص من الريج فيدا يتلوها الهندوس في صلواتهم.

(Ge) Gea

الإلهة جي (جيا) إلهة الأرض وزوجة أورانوس (السماء).

Geb

جب-إله الأرض عند المصريين القدماء وزوج نوت إلهة السماء.

Gelug-Pa

«نموذج الفضيلة» وأيضا «القبعة الصفراء» فرقة بوذية في التبت.

Genius & luna

القوة الجنسية للذكر والأنثى عند الرومان وكانا موضع عبادة عندهم.

Ghat

الجوط-درج يهبط عليه الهندوس إلى الأنهار المقدسة في الهند.

Gibil

جيبيل-إله النار عند البابليين ويمكن أن يكون مصدر خير أو شر وفق التأثير الذي تحدثه النار نفسها.

Gilgamesh

جلجامش-من أهم الملاحم القديمة-تروى قصة ملك بابلي أراد ألا يموت فراح يبحث عن سر الخلود.

Girsu

جيرسو-إله الحرب والصيد عند السومريين.

Gitagovinda

جيتا جوفندا-سنسكرتية تعني حرفيا القصيدة التي غنى فيها قطيع البقر وتروي قصة راعي البقر المقدس كرشنا وحبيبته راذا.

Glaucus

جلوكس أو جلوكا مجموعة من عرائس البحر عند اليونان ومنهم إله البحر بونطس Pontius ابن الملك مينوس ملك كريت سقط وهو طفل في جرة عسل فأصبح ناعم الملمس.

Gobin Singh

جو بن سنج (1666- 1708) المعلم الروحي العاشر والأخير للسيخ-مؤسس «الخلسا» رفقة السلاح في ديانة السيخ.

Gokhale

مصلح اجتماعي أسس منظمة لتحرير الهند.

Gnosis

غنوص-كلمة يونانية معناها المعرفة الباطنية لعالم ما فوق الحق.

Gnosticism

الغنوصية-حركة فلسفية ودينية نشأت في العصر الهلنستي تذهب إلى أن الخلاص يتم عن طريق المعرفة أكثر مما يتم بالإيمان.

Gopis Graces

الجوبز أو راعيات البقر رفاق اللعب مع كرشنا في الهندوسية. إلهات النعمة أو الحسن وهي ثلاث

شقيقات أجليا Aglaia (التألق) ويوفروزين Euphrosyne (البهجة) وثاليا ia-Thai (النضارة).

Gramadevata

جراما ديفاتا-سنسكرتية معناها «إلهة القرية» نموذج للإلهة الشعبية الموجودة في ريف الهند-وهي باستمرار أنثى راعية للزراعة.

Granth Sahib

كتاب يحوي مجموعة من التراتيل لمعلمي السيخ.

Great Mother

الأم العظيمة-عبادة الإلهة الأنثى انتشرت في مناطق واسعة من الشرق الأدنى فهي «أنانا» وعشتار، وهيرا وديمتر.. إلخ.

Great Tradition

التراث العظيم (في الصين) ويقصد به الكونفوشية والتاوية.

Gula

الإلهة جولا-إلهة الشفاء عند البابليين.

Gunas

القوى-أو الخصائص الأساسية التي تسبب الخير والانفعالات الطاغية في مذهب سانخيا الهندوسي.

Guna-Vratas

نذور قي الديانة الجينية تحكم سلوك الناس والرهبان على السواء.

Gurdwara

معبد السيخ-دار العبادة في مذهب السيخ.

Guru

الجورو-المعلم الروحي في الهندوسية والسيخ... إلخ.

Gyopi

جيوبي (670- 749) أحد الشاك البوذيين تولى إنشاء معبد تودايجي Tod-aji في مدينة نارا الذي يحوي تمثالا ضخما لبوذا.

-H-

Hachiman

هاشيمان تعني باليابانية الرايات الثمان لقب لإله في ديانة الشنتو يرعى العشائر والمحاربين بصفة عامة.

Hadad

حدد (أو أدد) إله الطقس عند السومريين ويصورونه ثورا جامحا كالصاعقة.

Hades

هاديس (يونانية معناها الحرفي «غير المرئي») إله الجحيم في أساطير اليونان ابن كرونوس وريا وشقيق زيوس وبوزيدون.

Haoma

هوما-نبات مقدس عند الزرادشتيين وشراب يؤخذ منه ما يشبه العنب سام أحيانا ومسكر أحيانا.

Hathor

حتحور-إلهة السماء في الديانة المصرية القديمة.

Hatha Yoga

مرحلة في اليوجا تركز على أوضاع بدنية صعبة حتى يستغرق اليوجي في التأمل.

Hauhet (Hah)

حوح وحوحيت إله وإلهة في الديانة المصرية القديمة يرتبطان باللانهاية..

Hebe

هيبه-ربة الصبا والشباب ابنة زيوس وساقيته وحاملة كؤوسه تزوجها هرقل.

Hecate

الإلهة هيكاتي (توحدت مع برسيفويى) إله تراقية سيطرت على السحر والشعوذة.

Hedonists

اللذيون-من يعتبرون اللذة أو المتعة معيارا للسلوك الجيد.

Helios

هليوس إله الشمس في أساطير اليونان يقود عربته الإلهية وعليها الشمس يوميا ويقطع بها السماء من الشرق إلى الغرب.

Hellenistic Age

العصر الهلنستي-الحقبة اليونانية التي تبدأ بعد وفاة الإسكندر الأكبر.

Hepatoscopy

التنبؤ بالغيب عن طريق تشريح الكبد عند البابليين.

Hephaestus

هيفاستوس-الإله الأعرج الذي ولدته هيرا قبل اكتماله إله الحدادة والبراكين زوج أفروديت-خالق المرأة (برومثيوس خالق الرجل).

Hera

الإلهة هيرا (اسمها يعنى «السيدة») سيدة السماء وزوجة زيوس راعية الزواج والأسرة وأم هيفاستوس أنجبته وحدها في لحظة غضب فكان شائها.

Heracles

هرقل (هيركيوليس عند الرومان) أشهر الأبطال في أساطير اليونان والرومان كانت شجاعته خارقة وقوته جبارة وكانت هيرا تكرهه لأنه ابن زيوس من الكيمينا Alcmene.

Hermes

الإله هرميس-الإله المرشد للمسافرين والتجار-رسول الآلهة الذي يرافق الموتى إلى العالم الآخر-يتصف بالمكر والخداع ولهذا نراه أحيانا يحمى اللصوص وقطاع الطرق.

Hestia

هستيا-ربة المدفأة والمنزل في الأساطير اليونانية وهي نفسها فستا عند الرومان.

Hi

الكامي الذي توحد مع الشمس في بوذية اليابان.

Hibil-Ziwa

هيبل زيوا-مخلص اقتحم العالم السفلي وهزم الأرواح الشريرة عند فرقة المانديين الزرادشتية.

Hieros Gamos

الزواج المقدس عند اليونان كالارتباط في الأساطير بين إله وآلهة الذي يرمز في الأعم الأغلب إلى الإخصاب.

Hijiri

الرجال المقدسون-النساك في ديانة اليابان.

Hikari-San

هيكاري سان أو «رجل النور» لقب أطلق على أوكادا موكيشي مؤسس ديانة سيكايكسكو في اليابان.

Hike

هيكي في الديانة المصرية القديمة تترجم عادة بالسحر أو القوة السحرية لكن معناها الحقيقي مازال غامضا-تجسيد لإحدى صفات رع إله الشمس.

Hinayana

الهنايانا-سنسكرتية تعني «العربة الصغرى» اسم أطلقه أصحاب المهايانا (العربة الكبرى) في التراث البوذي على المدارس المحافظة.

Hinduism

الهندوسية-ديانة معظم شعب الهند تعد الفيدا من أقدم كتبها المقدسة ثم مجموعة شروخ دينية، تؤمن بتعدد الآلهة-أضاف البراهمة مجموعة معقدة من العقائد.

Hiranyaksh

الشيطان، في الهندوسية الذي تجسد للإلهة فشنو في هيئة خنزير بري وقتله.

Hito-no-Michi

طريق الإنسان حركة دينية جديدة ازدهرت في القرن العشرين في اليابان.

Honen

هونن (1133- 1212) راهب بوذي أدخل دفعة قوية في بوذية المهايانا اليابانية عندما جعل الخلاص في متناول الجميع.

Honganji

معابد بوذية في اليابان يقبل فيها عامة الناس في دورات مؤقتة.

Horse Sacrifice

التضحية بالحصان له أهمية خاصة لتاريخه الطويل بالهند.

Horoscope

خريطة البروج كان يستعان بها في علم التنجيم في الديانات القديمة.

Horns

حورس ابن إيزيس وأوزريس الذي يصوره المصريون على هيئة صقر أحد عينيه الشمس والأخرى القمر انتشرت عبادته في مصر كلها.

-I-

Iasion

باسيون (أوجاسيون) إله قديم للزراعة قبل مجيء الإغريق (Jasion) أنجب من الربة ديمتر الإله

بلوتو عندما جامعها في حقل محروث-قتله زيوس بصاعقة عندما علم بذلك.

Ida

جيل إدا-ولد عليه زيوس كبير الآلهة في اليونان.

Igigi

أجيجي آلهة السماء السبعة العظام المسماة بآلهة المصير عند الآكاديين.

Ikigami

إيكيجامي أي «كامي الحي» لقب كان يطلق على مون تادر مؤسس إحدى الفرق الدينية في اليابان.

Inanna

إينانا-إلهة الحب والخصب عند السومريين وهي الإلهة العظمي أنين وإنانا هو الاسم الشعبي لها.
هيكل ياباني مخصص «لكامي» حارس حقول الأرز.

Indra

اندرا-رب كل حي في الديانة الهندوسية أو هو الشمس التي تولد الحي من الحي-إله الحرب والعواصف وملك الآلهة وقائدهم في المعارك في أسفار الفيدا.

Initiation

الترسيم-الاحتفال بدخول عضو في سلك جماعة دينية عن طريق تأدية طقوس معينة.

Innin

سيدة السماء عند السومريين وهي عشتار عند البابليين.

Ino Leucothen

انولوكوثيا-هي ربة البحر التي ساعدت أوديسوس في محنته بعد أن حطم بوزيدون زورقه.

Instruction of Ptah-hotep

«تعاليم بتاح حوتب» كان بتاح حوتب حاكما على منف وكبير وزراء الملك-اعتزل فكتب لابنه كتابا يحوي الحكمة الخالدة.

Ishtar

إشتار-إلهة الحب والأمومة عند البابليين وهى نفسها عشتار.

Ishvara

إشفارا-الإله في مذهب اليوجا-فكرة يجوز للإنسان تأملها لتكون وسيلة للمعرفة.

Isis

إيزيس أشهر معبودات المصريين القدماء ثم زوجة لأوزوريس وأم لولده حوريس في الأسطورة الشهيرة عبدها الإغريق ثم الرومان ونقلوا عبادتها إلى أوربا.

Isimud

إسيمود-رسول الإله إنكي الذي أرسله في أثر الإلهة «أنانا» التي هربت بألواح القدر في الأسطورة البابلية.

Izanagi

إزاناجي-إله هام في أساطير اليابان ولدت الشمس من عينه اليسرى.

Izanami

إزانامي-آلهة هامة في أساطير اليابان خلقت مع شقيقها السابق جزر اليابان.

-J-

Jaina Canon

Vratus = =

مجموعة النصوص المقدسة للجينية-تختلف باختلاف الفرق الأردية «البيضاء» ترى أن هناك 45 كتابا- «فريق العراة» يتشكك فيها كلمة Vrata سنسكريتية تعني «النذر» -النذور التي تحكم سلوك الرهبان وعامة الناس، منها النذر الخمسة الكبرى: (الامتناع عن الإيذاء-وعن الكذب-وعن السرقة-العفة-عدم التملك).

Jainism

الجينية، ديانة هندية ظهرت في القرن السادس ق. م (مع البوذية) يعتقدون أنه ساهم في تأسيسها 24 قديسا آخرهم مهافيرا (البطل العظيم).

Jangames

جانجيس-تحريك اللنجا أو تجسيد اللنجا في الديانة الشيفية المتفرعة عن الهندوسية.

Janus

جانوس-إله البوابات في أساطير الرومان-ثم أصبح إله البدايات بصفة عامة يصورونه بوجهين ليرى الجانبين-منه جاء شهر يناير January لأنه يفتتح سنة جديدة.

Japji

جابجاى-قسم من «آدي جرانت» الكتاب المقدس عند السيخ.

Jat

جات-مصطلح يشير إلى طبقة الهندوس-علية القوم.

Jatakas

الميلاد-مصطلح شائع في البوذية يشير إلى أنواع الحياة الكثيرة التي عاشها «بوذا» في السابق.

Jayadeva

شاعر ازدهر في البنغال في أواخر القرن الثاني عشر اشتهر بقصيدة سنسكريتية «أغنية قطيع البقر» التي تصف حب كرشنا لراذا.

Jen

الود أو العطف أو الشفقة-صفة أخلاقية أساسية في الكونفوشية لا بد من توافرها في الحاكم الصالح.

Jina

جينا-سنسكرتية معناها «المنتصر» أو «القاهر» أو «الظافر» - صفة تطلق على مؤسسي الجينية الذين تغلبوا على رغباتهم الحسية وقهروا شهواتهم-ومن هذا المصطلح استمدت الجينية اسمها.

Jinja Shinto

جنجا-الهيكل أو المعبد أو مستقر الآلهة في ديانة الشنتو.

Jiriki

جيركي-مساعدة الإنسان لنفسه ليبلغ مرحلة الاستنارة بجهوده الذاتية عند بوذية اليابان.

Jisso

الإله الواحد الحقيقي في جماعة سيكونو (بيت النماء) وهو رحيم شفوق بالموتى من الأطفال.

Jiva

جيفا-الجوهر الحي أو «الروح» في مقابل الجوهر المادي عند الجينية.

Jizo

جيزو-بوذا المنتظر في اليابان-الذي يساعد الموتى-وهو المخلص في بوذية الصين.

Jnana

جينانا-المعرفة الشاملة في الهندوسية-معرفة الوجود الأعلى.

Jnanadeva

جينانا ديفا-(1255- 1296) راهب هندوسي-مؤسس مدرسة صوفية هي «مدرسة الحج» في الهندوسية التي تشدد على أهمية الحج للاماكن المقدسة.

Jnaneshvari

كتاب الراهب السابق شرح «لأنشودة الرب».

Jodo Sect

فرقة الجودو البوذية، وهي في اليابان «مدرسة الأرض الطاهرة»، التي تعتقد أن ترديد اسم بوذا أميدا Amida (أي صاحب النور اللامتناهي) تخلص الإنسان من تكرار الولادة.

Jodo Shinshu

جودو شنشو أي «مدرسة الأرض الطاهرة الحقة» مدرسة بوذية كبيرة في اليابان أسسها شنران(1173- 1262).

Jogyo

بوذا المنتظر الذي تجسد في القديس نشرين (1222- 1282).

Juno

جونو-إلهة كبرى عند الرومان زوجة جوبتر (هيرا عند اليونان) راعية النساء وحامية الأنوثة والزواج، الزواج في شهرها «يونيو» يكون سعيدا، يبدو أن القوة الجنسية عند المرأة Uno مشتقة من اسمها.

Jupiter

جوبتر (المشتري) كبير الآلهة في الديانة الرومانية هو نفسه «زيوس» عند اليونان-إله السماء والمطر والصواعق... إلخ.

-K-

Ka

كا-مقطع باليابانية يعبر عن التعجب أو الحيرة من المخيف أو مالا يمكن الإحاطة به جاءت منه كلمة كامي Kami.

Kabir

كابر (1440- 1518) شاعر صوفي هندي في العصر الوسيط وضع عدة ترانيم وأناشيد دينية استلهمها السيخ في مذهبهم الصوفي.

Kacch

سروال يرتديه جنود «الخلسا» من السيخ كشعار يميزهم (الكافات الخمسة).

Kagura

كاجورا-رقصة صوفية تقوم بها النساء المشرفات على هياكل ديانة الشنتو اليابانية ترمز إلى اتحاد المؤمنين مع إله المعبد.

Kalamukha

كلاموكا-فرقة شيفجة ازدهرت حب جنوب الهند بعض الوقت.

Kali

كالي-الآلهة القبيحة المتعطشة للدماء (وجه لزوجة الإله شيفا) والوجه الآخر العروس الجميل «بارفتي».

Kalkin

كالكين-(إنسان برأس حصان) التجسد العاشر للإله قشنو.

Kalpa

يوم برهما في الهندوسية وهو يساوى أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرون ألف من السنوات البشرية.

Kalpa-sutra

نصوص دينية تنظر إليها «فرقة الأردية البيضاء» في الجينية بتقديس كبير وهي تروى حياة 24 جينا («المنتصر» «القاهر» «المخلص») كما تروى حكايات ثلاثة منهم ويقوم الرهبان بتلاوة «سوترا الكلبا» بين عامة الناس وهم يعتقدون أن في الاستماع إليها فائدة كبرى.

Kami

كامي-مصطلح عسير التعريب (إله-روح-عفريت) القوة الروحية التي تسيطر على الأشياء (حيوانات-نباتات-طيور-ظواهر طبيعة) والبشر-عددها لا حصر له، في ديانة الشنتو اليابانية.

KamiAni-zuki

شهر أكتوبر الذي يجتمع فيه الآلهة (الكامي) في الهيكل-المصطلح يعني حرفيا «الشهر مع كامي» في ديانة شنتو اليابانية.

Kami non-a-zuki

الشهر بدون كامي (بقية أشهر السنة).

Kamgakari

الاستحواذ على كامي-أو تلبس كامي للإنسان.

Kami-gakari

حالة صوفية في ديانة الشنتو تتجلى في رقصة الوجد التي تقوم بها كاهنات المعبد (انظر كاجورا).

Kannon

كانون-بوذا المنتظر صاحب الرحمة في بوذية اليابان.

Kapalika

كاباليكا-فرقة شيفية من النساك المرموقين اسمها يعني «حملة الجماجم»،- فريق من نساك الهندوسية يحملون وعاء التسول على هيئة جمجمة.

Kara

سوار من الصلب يضعه عضو جماعة «الخلسا» من السيخ على كتفه الأيمن (من الكافات الخمسة).

Karma

الكرما-سنسكريتية معناها الحرفي «الفعل» - مصطلح أساسي في الديانة الهندية-هذه الحياة حلقة في سلسلة حياة يحياها المرء، يحددها فعله في الحياة السابقة يتضمن المصطلح «الجزاء» و«التناسخ».

Karma-pa

المدرسة الثالثة في بوذية التبت.

Kartti Keya

كارتيكيا-إله الحرب في الهندوسية.

Keraunos

كيرانوس-الصاعقة لقب اتخذه بعض حكام اليونان.

Keshab Chandersen

كيشاب شاندرسن (1838- 1884) قائد لحركة دينية في البنغال في القرن التاسع عشر.

Khalsa

الخلسا من الكلمة الفارسية Khales أي الطاهر أو النقي جماعة منتقاة من القديسين المقاتلين السيخ يلتزمون بخمسة مبادئ (الامتناع عن السكر-وعن التدخين-والمخدرات-الإلتزام بالصلاة-والجهاد من أجل الاستقامة).

Khandha

العناصر الخمسة في البوذية التي يتألف منها وجود الفرد المادي والنفسي وهي (الجسد، المشاعر، الإحساس، الذهن، الوعي).

Khentamenthes

خنتمانتيس-أحد الآلهة التي تساعد الموتى عند المصريين القدماء.

Khepri

خبري هو نفسه الإله أتوم-أسماء لإله الشمس الذي عرف أيضا باسم رع.

Ki

كي-إلهة الأرض عند السومريين-والكلمة تعني «الأسفل» - زوجة الإله آن.

Kingo

الإله كينجو-اختارته تعامة زوجا لها وهي الأفعى التي قتلها مردوخ ومن دم زوجها خلق الإنسان بعد أن مزجه بالطين في أساطير البابليين.

Khnum

الإله خانوم-الإله الصانع في الديانة المصرية القديمة-خلق البشر عندما جلس إلى دولابه الفخاري-والد الملك خوفو.

Koan

كوان-سؤال ملغز يعبر عن مأزق عقلي يطرحه المعلم الروحي على الراهب المبتدئ مثال «عندما تصفق اليدان تحدثان صوتا» - هل تستطيع الإصغاء إلى صوت اليد الواحدة ؟!

Kojiki

كوجيكي- إي «سجلات الآثار القديمة» - كتاب هام مصدر موجز للعادات والطقوس والممارسات السحرية في اليابان.

Konkokyo

كونكوكيو-فرقة دينية جديدة في اليابان أسسها فلاح في القرن 19 زعم أن الإله «كونكو Konko» عينه وسيطاً بين الله والناس أسس فرقة «المعدن النقي».

Kore

الآلهة كورى-وهي نفسها برسفوني، زوجة هاديس إله العالم السفلي عند اليونان.

Krishna

كرشنا-واحد من أكثر آلهة الهند توقيرا وشعبية عبده الهنود على أنه التجسيد الثامن للإله فشنو- جذب عددا من الفرق التي نظمت له الأشعار والأغاني والقصص الكلاسيكية، كلمة كرشنا تعني حرفيا «الأسود» أو «الداكن» مما يدل على أنه كان إلها للهنود الأصليين المائلين إلى السواد.

Ksatriya

طبقة الكشاترية «الجنود» أو «المقاتلون» الطبقة الثانية في مجمع الفيدا الهندي.

Kuan-yin

كوان ين-الصورة الصينية لبوذا المنتظر.

Kuk & Kauket

كوك وكوكيت-إلهة الظلام في الديانة المصرية القديمة.

Kurma

السلحفاة التي ركبتها الآلهة واستولوا على قمة جبل مندارا-التجسيد الثاني للإله فشنو في الهندوسية.

Kurozumikyo

حركة دينية تُعد نموذجا للحركات الدينية الجديدة في اليابان أسستها كاهنة في القرن التاسع عشر.

Kushti

الكوشتي-رمز ديني عند الزرادشتيين لأسفار اليسنا.

-L-

Lakshmi

لاكشمي، إلهة الثروة والحظ السعيد زوجة فشنو اتخذت صورا متعددة لتكون معه في تجسداته الكثيرة.

Lakula

لاكولا راهب هندوسي في القرن الأول الميلادي اعتبر نفسه تجسيدا للإله شيفا أسس أقدم فرقة لشيفا في التاريخ هي «أباشوباتا».

Lama

لاما، معناها «المعلم أو المرشد الروحي» - القائد الروحي لبوذية التبت.

Lao Tzu

لاوتسو، أعظم فلاسفة الصين قبل كونفوشيوس وإن كان قد عاصره اسمه يعنى حرفيا «المعلم العجوز»- أسس «التاوية» أي السبيل أو المنهج أو الطريق.

Lures

اللار-أحد الآلهة المحليين في روما القديمة-أصبح راعيا للأسرة وحارسا للحقول.

Manu

مانو-الإنسان الأول في أساطير الهند (يربطون بينه وبين كلمة Man الإنجليزية) يظهر في الفيدا على أنه أول من قام بالتضحية الأولى تنسب إليه مجموعة من القوانين والشرائع التي تنظم الحياة الاجتماعية في الهند.

Laya-yoga

ليا يوجا-ضرب من التمرينات على اليوجا داخل الهندوسية تعرف باسم «يوجا الانحلال» تُعبر عن جناح اليسار الذي يمارس طقوسا سرية بعيدة عن الأخلاق.

Le ctisterniuns

الاحتفال بأعياد الآلهة في روما القديمة.

Left-Hand Tantric

الجناح اليساري في التانترية-فرقة بوذية تؤكد أهمية السحر وممارسته.

Liber

ليبر-إله العنب في أساطير الرومان وهو نفسه ديونيسوس أوباخوس عند اليونان.

Libera

ليبرا-إلهة رومانية ابنة كيرس وأخت ليبر.

Lieh-Tzu

ليه تسو أحد ثلاثة فلاسفة عملوا على تطوير الفكر التاوي ازدهر في القرن الرابع ق. م.

Linga

اللنجا-سنسكريتية معناها «العلامة» وهى رمز للقضيب في الهندوسية وهو رمز الإله شيفا-موضوع العبادة الرئيسي في المعابد الشيفية.

Lingayat

فريق اللنجا-فرقة هندية واسعة الانتشار في جنوب الهند-استمدت اسمها من أن الرجال والنساء فيها يضعون «اللنجا» على صدورهم بخيط حول الرقبة-باسافا Basava في القرن الثاني عشر وهى نفسها فرقة الفيزاشيفا.

Lotus School

مدرسة اللوتس هي نفسها مدرسة الأرض الطاهرة في البوذية.

- Sutra

سوترا اللوتس-نصوص مقدسة للمدرسة البوذية السابقة.

Lucina

لوسينا-إحدى إلهات الولادة الآمنة عند الرومان.

Ludlul

لدلول-إله الحكمة عند البابليين.

Luperci

إخوان الذئب-كهنة في روما القديمة مهمتهم الإشراف على احتفالات السنة الجديدة.

–M–

(Ma) Me

ما (أومه) القوى الإلهية في السومرية-تشمل وظائف الكهنة والملوك-تسمى أحيانا ألواح القدر.

Maat

ماعت ربة العدالة والحقيقة عند المصريين القدماء.

(Mabon) Maponus

مابون-مابونس حورية البحر عند الرومان.

Madhva

مادهيفا-فيلسوف هندوسي (1199- 1278) صاحب فلسفة ثنائية تضع اختلافا أساسيا بين الله والروح الإنساني.

Madhyamika

مدرسة مادهياميكا-من أهم مدارس المهايان-العربة الكبرى البوذية-تقف موقفا وسطا بين الواقعية والمثالية في الفلسفة البوذية.

Magi (Magus)

المجوس-أتباع زرادشت-مصطلح يوناني اشتق منه كلمة السحر Magic.

Mahabharata

ماهبهاراتا-ملحمة هندية عظيمة تشبه إلياذة هوميروس عند اليونان تروي قصة صراع فرعين من الأسرة المالكة حول مقتل زوجة.

Mahakala

«الواحد العظيم الأسود» إحدى صور الإله الهندوسي شيفا.

Mahavira

مهافيرا (أومهاويرا) (599- 527 ق. م) آخر شخصية من 24 أسسوا الجينية والكلمة تعني «البطل العظيم».

Maharratas

النذور الخمسة الكبرى في الجينية (عدم الإيذاء-أو السرقة أو الكذب-العفة-عدم الاقتناء).

Mahayana

مدرسة المهايانا (العربة الكبرى) إحدى مدرستين كبيرتين في البوذية انتقلت من الهند إلى الصين وكوريا واليابان والتبت... إلخ.

Maitreya

ماتريا- تعن «بوذا المستقبل» - كان هناك أكثر من بوذا في الماضي وسيكون هناك أكثر من بوذا في المستقبل-نحن في الحاضر في انتظار «بواذ المنتظر» وهي نفسها كلمة ميروكو Miroku اليابانية.

Mama

ماما-الإلهة الأم في الديانة البابلية وقد ساعدت في خلق البشر من الطين والدم.

Manda d'Haye

مانداهايى- أو «معرفة الحياة» اسم المخلص عند المانديين ومنه استمدت هذه الفرقة اسمها.

Mandala

مندالا-تعنى حرفيا «حلقة أو دائرة» وهي رمز تخطيطي يرمز إلى الكون وسيلة التأمل عند بوذية اليابان.

Mandate of Heaven

أمر السماء-حق الإمبراطور في الحكم تعطيه السماء في الكونفوشية.

Mandeanism

فرقة زرادشتية صغيرة لا تزال تعيش في جنوب العراق بجوار إيران ويطلق عليهم أيضا اسم«النازريون» Nazoreans.

Mani

ماني بن فاتك مؤسس الديانة المانوية-كلمة ماني فارسية تعني الفريد أو النادر.

Mancheanism

المانوية-ديانة فارسية أسسها ماني مزيجا من الزرادشتية واليهودية والمسيحية ثنائية تؤمن بوجود إلهين للخير والشر.

Manjushri

لقب لبوذا المنتظر الذي تتجسد فيه الحكمة العليا.

Mantra

مانترا-الأقوال المقدسة في الهندوسية والبوذية ذات الفاعلية الخفية.

Maca

الشيطان في البوذية ظهر متنكرا لبوذا وهو تحت شجرة «البو» في انتظار الاستنارة وحاول منعه بطرق شتى لكنه فشل.

Marduk

مردوخ-الإلهة القوي في أساطير البابليين في عهد حمورابي ابن الإله أنكى.

Macmar

مرمار-إله الزراعة والحرث عند الرومان الذي عرف فيما بعد باسم الإله «مارس» إله الحرب.

Mars

مارس إله الحرب عند الرومان.

Maruts

الماروت في أساطير الفيدا الهندية أبناء الإله المرعب رودرا إله المرض والشفاء وحلفاء أندرا إله العاصفة ولهذا يمتطون السحاب ويوجهون العواصف.

Matsya

السمكة-التجسد الأول للإله فشنو عندما أنقذ مانو (الإنسان الأول).

Maya

مايا-وهم-خداع-صورة العالم في الهندوسية.

Mazdaism

المزدية-هي نفسها الديانة الزرادشتية ويطلق عليها أحيانا اسم المزدكية نسبة إلى أهورا مزد إله الخير في هذه الديانة.

Menes

مينا-الملك الذي وحد الوجه القبلي والوجه البحري فكان أول ملك لمصر الموحدة واتخذ منف عاصمة له (في محافظة الجيزة الآن).

Mercury

عطارد-إله التجارة عند الرومان هو نفسه الإله هرمس عند اليونان.

Mi-chiao

مدرسة التعاليم السرية البوذية وهى نفسها مدرسة «الكلمة الصادقة» وكانت تعاليمها غامضة.

Mi-Kagura

الطقوس الموسيقية لديانة الشنتو في اليابان-الرقصة المقدسة في معبد الشنتو (35 رقصة تعبر عن الأساطير القديمة).

Miko

كاهنة معبد الشنتو تقوم بتأدية الرقصات السابقة.

Mikoshi

ميكوشى-حرفيا «المحمول» المحفة المقدسة لكامى.

Mi-Lo-Fu

مي-لو-فو-بوذا الرسول الذي يعيد تعاليم بوذا مرة أخرى إلى الأرض عندما تنسى شريعته.

Mimamsa

ميممسا (حرفيا دراسة الطقوس)-مدرسة في الهندوسية لتفسير الفيدا.

Min

مين-إله الإخصاب في مصر القديمة الذي يسرق النساء وهو سيد العذارى.

Minerva

منيرفا-إلهة الحكمة عند الرومان وهى نفسها أثينا عند اليونان.

Mithra

مترا-إله آرى الأصل كان يعبد في إيران بوصفة إله العقود والاتفاقات وهو محارب قوى جبار قتل الثور المقدس وخلق من دمه جميع الكائنات الحية وهو الذي يساعد أهورا مزدا في حربه ضد أهرمان عند الزرادشتيين.

(Mohism (Moism

الموهية-الموية-مدرسة قديمة في الفلسفة الصينية (أسسها في القرن الخامس ق. م مو-تسو Mo-Tzu ترى ضرورة الخضوع لمشيئة السماء. كانت ضد الكونفوشية في رفضها للحب الخاص (حب الوالدين مثلا) وتبنيها للحب الكلي أو الشامل.

Moira

ربات القدر والحظوظ في الأساطير اليونانية والقاطنات في العالم السفلي «هاديس Hades» يجرى قضاؤهن على زيوس نفسه.

Mokichi, Okada

أوكادا موكشى (1882- 1955) مؤسس ديانة العالم المنتظر من الحركات الدينية الجديدة في اليابان.

Moksha

موكشا-سنسكريتية تعنى حرفيا «الانعتاق» - الفرار من التكرار الملل لتجدد الموت وتجدد الميلاد في الهندوسية.

(Monism (Monotheism

الواحدية أو الوحدانية (عكس الشرك أو التعدد والثنائية) القول بيته واحد لا شريك له، المحور الأساسي للدين الإسلامي.

Monju

مونجو لقب لبوذا المنتظر.

Mos Maiorum

المعيار الأخلاقي لروما القديمة وهو يعنى «طريق الأسلاف» تعبير عن عبادة الأسلاف.

Musrs

ربات الفنون عند اليونان عذارى أو على الأقل لم يتزوجن «كليو» ربة التاريخ، «اراتوربة الشعر» أو رانيا ربة الفلك... إلخ

Mut

الإلهة موت سيدة السماء في مصر القديمة وزوجة الإلهة آمون-كانت تعبد في طيبة (الأقصر) وهي أم الإله خنسو إله القمر.

-N-

Nabu

إله الحكمة وراعي العلم وحامي الأدباء في الديانة البابلية-ابن مردوخ.

Naganuma

ناجانوما-كاهنة يابانية اشتهرت بقدرتها الروحية على شفاء الناس فاعتبروها «بوذا الحي» ماتت عام 1957.

Nagarjuna

ناجار جونا-راهب وفيلسوف من بوذية الهند (150- 250 م) مؤسس مدرسة «الطريق الوسط».

Nam

نام-اسم من أسماء الإله في الهندوسية.

Nana

إله القمر وهو نفسه ننار عند السومريين.

Namdev

نامديف-قديس وشاعر هندي (1270- 1350) من قادة مدرسة الحج.

Nanak

ناناك (1469- 1539) معلم روحي هندي مؤسس ديانة السيخ كان في بداية حياته من الهندوس وتأثر بقوة بالشاعر الهندوسي الصوفي كابير، Kabir الذي دعا إلى الأخوة بين الهندوس والمسلمين ونبذ عبادة الأصنام.

Nanak Panthis

ناناك بانيتز-أي المتحدون مع ناناك، وهم أتباع المعلم الروحي ناناك الذين تسموا بعد ذلك باسم «السيخ».

Nannar

ننار-إله القمر عند السومريين-هو نفسه الإله سن.

Nao, Deguchi

دجوشى ناو-فلاحة يابانية تلبسها «الكامي» فكتبت نصوصا مقدسة-جذبت قدرتها على شفاء المرضى كثيرا من الأتباع-أسست جماعة «أموتو».

Naorrai

وليمة دينية رمزية في اليابان ترمز إلى تناول الطعام مع «الكامي».

Narva sect

فرقة نارا-جماعة بوذية اتخذت من مدينة «نارا» اليابانية مركزا لها.

Narsimha

الإنسان الأسد-الصورة الرابعة التي تجسد فيها الإله فشنو وقتل الشيطان.

Narrayana

نارايانا-الشخصية التي تجدد فيها الإله فشنو لكي يخلق العالم.

Nataraja

إله الرقص-إحدى صور الإله شيفا في الهندوسية-تمثال من المعدن أو الحجر للإله شيفا وهو يرقص في معظم المعابد الهندوسية في جنوب الهند.

Nayanars

مجموعة من التراتيل والترانيم مخصصة للإله الهندوسي شيفا.

Neith

الإلهة نايت إلهة الحرب عند المصريين القدماء.

Nembutsu

نداء في مدرسة الأرض الطاهرة لاسم بوذا المنتظر وهو. Namu, Amida, Butsu.

Nemesis

إلهتان للانتقام في أساطير اليونان.

Nempa

نمبا-مركز رئيسي للتأمل لرؤية العقل الإلهي في طوكيو.

Neo-Confucianism

الكونفوشية الجديدة-في القرن الثاني الميلادي قامت محاولات لتفسير أفكار كونفوشيوس بطريقة جديدة-في القرن السابع ظهرت صورة جديدة للكونفوشية.

Neokoros

المدينة راعية المعبد في الإمبراطورية الرومانية.

Nephthys

نفتيس-إلهة مصرية قديمة أخت إيزيس وأوزوريس وست من الإله جب الأرض-والإلهة نوت السماء.

Neptune

نبتون-إله المياه العذبة في أساطير الرومان-زوجته «سلكيا» ربة الينابيع اتحد مع الإله بوزيدون فيما بعد.

Nemi

تيمي-هو الجينا (أي المنتصر) الثاني والعشرون في سلسلة مؤسسي الجينية.

Nereids

الناريدات-مجموعة من حوريات البحر تزعم الأسطورة الإغريقية أنهن من بنات إله البحر نيروس Nereus.

Nergal

الإله نرجال-إله بابلي زوج الإلهة أريشكيجال.

Nestorianism

النسطورية-نسبة إلى نسطورس بطريرك القسطنطينية ق 5م ذهب إلى أن الطبيعتين البشرية والإلهية في المسيح ظلتا منفصلتين.

Nibbana

هدف ديني في الهندوسية مثل النرفانا.

Nichiren

القديس نشرين (1222- 1282) أسس فرقة بوذية تحمل اسمه في مدينة كاماكورا اليابانية.

Nidana

نداتا-سنسكريتية حرفياً «المقدمة أو المدخل» تمهيد في النصوص البوذية يبين الغرض منها.

Nigantha

فيلسوف هندي يتحد في التراث الجيني مع ماهافيرا. مؤسسو الجينية المستقلون-معلمو الجينية القدماء.

Nihongi

كتاب نيهونجى معناها الحرفي «الأحداث التاريخية لليابان» أو سجل مكتوب في اليابان.

Nike

نيكي-إلهة النصر في أساطير اليونان وابنة العملاق بلاس.

Nikko

نيكو-راهب بوذي ياباني من تلاميذ نشرين في القرن الثالث عشر.

Nimrod

نمرود-في الكتاب المقدس ابن حام بن نوح وكان جباراً-تك 8:11- 10.

Ningal

ننجال-زوجة الإله آنو عند السومريين وأم إله الشمس.

Ningursu

ننجرسو-وتعني سيد جرسو وهو إله سومري زوجته الإلهة بابا.

Ninhursag

ننخرساج إلهة الأرض عند البابليين وهي نفسها ننماح.

Ningi

الإله ننجى حفيد إلهة الشمس «أماتراسو» وجد أول إمبراطور لليابان الموحدة.

Ninki

الإلهة ننكى-سيدة الأرض زوج الإله أنكى سيد الأرض عند البابليين.

Ninlil

نينليل-إلهة آشورية زوجة انليل ورفيقته.

Ninmah

ننماح (السيدة المبجلة)-إلهة الأرض عند البابليين وقد تسمى «ننتو» و «مامي» و«ماما» وهي نفسها ننخرساج.

Ninti

ننتى-تعني حرفيا «سيدة الضلع» وهي إلهة سومرية تذكرنا بخلق حواء من ضلع آدم في الكتاب المقدس تك 2: 21.

Nintu

نينتو إلهة الأرض عند البابليين قد تسمى «ماما» و«مامي».... إلخ.

Ninurta

نينورتا-إله الحرب والصيد عند السومريين ابن الإله إنليل.

Nio

الملكان-في أساطير البوذية اليابانية هناك حارسان يقفان عند مدخل المعبد البوذي لحمايته الأول

اسمه كونجو Kongo (العاصفة) لأنه يمسك في يده عاصفة يقتل بها الشر وهو يقف على يمين المدخل والحارس الثاني اسمه «مسهاكو» وهو يقف على يسار المدخل.

Niqu

نيكو لحوم القرابين التي تقدم إلى الآلهة في أساطير البابليين.

Niranker

نرانكر-أول صفة لله عند السيخ تعني «مالا شكل له».

Nirankari

حركة إصلاح ديني داخل السيخ قام بها دايال داس Dayal Das(توفي 1855).

Nirguna

نيرجونا-سنسكريتية تعني حرفيا «اللاتمايز» مفهوم هام في الفلسفة الهندوسية يطرح سؤالا عن براهما الموجود الأعلى: هل له صفات تميزه أم لا؟

Nirvana

نيرفانا-سنسكريتية تعنى حرفيا «الانطفاء» أو الإخماد الهدف الأسمى في الفكر الديني الهندي من تأمل التلاميذ-يميز البوذية أكثر من غيرها وهو عندها يعني الوصول إلى حالة سامية من التحرر عن طريق إخماد رغبات الفردووعية.

Norito

نوريتو-طقوس الصلوات أو الكلمات التي يتوجه بها المؤمنون إلى الله في صلواتهم في عبادة الشنتو القديمة في اليابان.

Numina

الأرواح-القوى الروحية في روما القديمة.

Nun

نون-المحيط الذي خرجت منه جميع الكائنات في الأساطير المصرية القديمة.

Nusko

نوسكو إله النار عند السومريين وهو نفسه الإله جيرسو.

Nut

نوت-إلهة السماء في الديانة المصرية القديمة وزوجة الإله جب إله الأرض أنجبا إيزيس وأوزوريس وست ونفتيس.

Nyaya

نيايا-مدرسة من المدارس أو «المذاهب» الست في الهندوسية، اهتمت بالمنطق ونظرية المعرفة.

Nymphs

آلهات الطبيعة في أساطير اليونان عذارى يعشن في الجبال والغابات والمروج والوديان والمياه.



Ofudesaki

أفيدي ساكي-النصوص المقدسة الأساسية في ديانة الحكمة السماوية اليابانية إحدى طوائف ديانة الشنتو اليابانية.

Ogdoad

أوجدود-جماعة الثمانية وهم الآلهة الأول الذين تعاونوا في خلق العالم في الديانة المصرية القديمة.

Ohrmazd

أهورا مزدا-إله الخير في الزرادشتية.

Okage Mairi

تعني حرفيا «الذهاب لتأدية الشكر» وهو معنى الحج في ديانة الشنتو اليابانية.

0-mi-to

أوميتو-في الصينية «أميتبها» بوذا صاحب الحياة اللامتناهية.

Omoto

أموتو-جماعة دينية من الحركات الدينية الجديدة في اليابان أسستها فلاحة تدعى دجوشى ناو عام 1892.

Onisaburo, Deguchi

دجوشى أونيسابور-تولى جماعة أموتو بعد وفاة مؤسستها وهو زوج ابنتها نبذ الحرب والتسلح توفي 1948.

Opening the Mouth

طقوس فتح الفم في مصر القديمة-كان الكاهن يقوم بفتح فم الجثة حتى يستطيع الميت أن يأكل ويشرب ويتكلم من جديد، كما فعل أبناء حوريس الأربعة الذين فتحوا فم جدهم أوزوريس بعد وفاته بأصابعهم النحاسية ليتمكن من أن يأكل ويتحدث ثانية.

Oracles

العرافة-وسيط بين الإله والناس-تجيب على لسان الإله عن أسئلة السائلين حول الزواج أو التجارة أو المستقبل، قد يكون كاهنا أو كاهنة-لكل إله عرافة خاصة من أشهرها غرافة الإله أبوللو في دلفي-وعرافة زيوس في دودونا في أساطير اليونان.

Orpheus

أورفيوس-موسيقى ومنشد عظيم من تراقيا ابن ربة الشعر كاليو وأبوللو كانت ألحانه تسحر الوحوش والطير-تزوج الحورية بورديكا فلما ماتت حزن عليها وهبط إلى عالم الموتى (هاديس) ليبحث عنها، مؤسس النحلة الأورفية.

Orthia

أورثيا-الإلهة الأم أو ديمتر في اسبرطة.

Osashizu

نصوص «الإرشاد» من النصوص المقدسة عند ديانة الحكمة السماوية إحدى طوائف ديانة الشنتو اليابانية.

Osiris

أوزوريس-واحد من أعظم الآلهة في مصر القديمة زوج الآلهة إيزيس دبر له أخوه ست مؤامرة وقتله، أصبح إلها للموتى وحاكما للعالم الآخر وأصبح ابنه حوريس إلها للسماء.

Oya

الأب-لقب للإله (أو الكامى) في ديانة الشنتو اليابانية.

Oyasato

«مدينة الآباء» في اليابان موضع الخلق واكتمال الأشياء.

-P-

Padmasam

بادماسا مهافا-راهب بوذي هندي ازدهر في القرن الثامن أدخل البوذية إلى التبت وشيد أول دير بوذي هناك.

Pagoda

الباغودا-معبد أو هيكل هندي يختلف عن الـ «ستوبا Stupa» الهندوسية القديمة متعدد الأدوار ظهر في الصين واليابان أيضا.

Pad Hsien

الخالدون الثمانية مجموعة متنوعة من الشخصيات المقدسة في الديانة التاوية في الصين.

Pales

بالس-إله الرعي عند الرومان وهو يوجد في هيئة رجولية وأنثوية معا.

Pallas

بالاس-لقب من ألقاب الإلهة أثينا العذراء-وكان الجبار أبلاس قد حاول مغازلتها فقتلته وحملت اسمه، وظلت عذراء.

Pan

الإله بان إله الرعاة والقطعان والغابات في الأساطير اليونانية كانوا يصورنه نصف إنسان ونصف جدي.

Panchamakara

البانشماكارا-طقوس الميمات الخمسة في الهندوسية (انظر).

Pandora

بندورا-المرأة الأولى (حواء) خلقها هيفاستوس الإله الأعرج الشائه جلبت معها الكوارث للرجل الذي خلقه برومثيوس (المتيصر) في أساطير اليونان.

Pantheism

مذهب شمول الألوهية (أو وحدة الوجود) مذهب فلسفي يوحد بين الوجود الإلهي ووجود العالم.

Parshva

أول مخلص في الديانة الجينية التي تؤمن بوجود أربعة وعشرين مخلصا.

Parthenon

البارثنون-هيكل الآلهة أثينا-المعبد الرئيسي على تل الأكروبول في أثينا.

Pharmakos

فارماكوس (أي العقار أو الدواء) ضحية بشرية كان اليونان القدماء يلقون بها من الجبل تكفيرا عن ذنوب الجماعة في حالة الكوارث!

Partula

بارتولا-إلهة المخاض في الديانة الرومانية القديمة.

Parvati

بارفاتى-الإلهة الكبرى عروس الإله شيفا الجميلة في الهندوسية.

Pashu

باشو-الحيوان صفة تطلق على الأشخاص تبعاً لكفاءاتهم الروحية.

Pashupa

باشوبا-في الفيدا الهندية-حامي القطيع.

Pashupata

باشوباتا-أقدم فرقة لشيفا في التاريخ أسسها لاكولا الذي عاش تقريبا في القرن الأول أو الثاني الميلادي-كان يعتبر نفسه تجسيدا لشيفا.

Pasiphae

باسيفى-زوجة الملك مينوس تولدت في نفسها رغبة شاذة نحو الثور الذي وعد زوجها بذبحه قربانا للآلهة ثم عاد واحتفظ به لينتج له سلالة من الثيران على شاكلته.

Patimokha

باتيموكا-فرقة الدير البوذي-227 قاعدة تحكم سلوك رهبان البوذية في الدير.

Pax Deorum

السلم الإلهي-تأمين رضا الآلهة عن طريق تقديم القرابين وتأدية الطقوس وإقامة الاحتفالات المناسبة في روما القديمة.

Pax Romano

السلم الروماني-إقامة السلام بين القوميات المختلفة داخل الإمبراطورية الرومانية الشاسعة.

Pe-har

إله شعبي في التبت يقدسه البوذيون لا سيما فريق «القبعة الصفراء» يعتبرونها «المدافع عن الإيمان».

Phoebus, Apollo

فوبس أبوللو-أي أبول لو المطهر-لقب للإله أبوللو عند اليونان واللقب يعني أيضا المنير أو المضيء.

Penates

ربات المدفأة أو آلهة المنزل عند الرومان.

P.L.Kyodam

جماعة الحرية الكاملة ترى أن «الحياة فن» («انظر المصطلح التالي»).

Perfect Liberty Association

جماعة الحرية الكاملة أو التامة-مثال جيد للحركات الدينية الجديدة في اليابان-باليابانية كيودان Kyodan أسسها ميكى توكوهار (1871- 1938).

(Persephone = (Persipanai

الآلهة برسفوني (برسبناى) ابنة زيوس. وهي زوجة «هاديس» إله الجحيم وملك العالم السفلي-كانت تجمع الزهور في الوادي عندما اختطفها هاديس وهبط بها إلى العالم الآخر.

Perseus

برسيوس (أو فرساوس) بطل في أساطير اليونان ذبح المدوسا Medusa وحش البحر المخيف وأنقذ أندروميد-An dromedce.

Pinda

البندا-كرات الأرز تقدم في عبادة الأسلاف الهندية القديمة.

Polytheism

الشرك-تعدد الآلهة (عكس الوحدانية) سمة للديانات القديمة كلها باستثناء فترة إخناتون في مصر القديمة.

Potifex Maximus

الحبر الأعظم-كبير الكهنة في روما القديمة كانت له مكانة سياسية عالية.

Pontus

بونطس-إله البحر في الأساطير اليونانية، ليس له ملامح محددة.

Poseidon

بوزيدون-إله البحر وشقيق زيوس-مزواج وله عدة عشيقات من عرائس البحر وحوريات الينابيع.

Prajapati

برجباتى-الإله الخالق عند الهندوس الذي خلعه الإله أندرا عن عرشه.

Priapus

بريابوس إله الخصب والحدائق-ولد نتيجة اتصال ديونسيوس بأفروديت في أساطير اليونان-كان الفنانون يزتنون الزهريات بصورته.

Prometheus

بروميثيوس-تعني حرفيا «المتبصر أو المتروي»، خالق الرجل-خدع زيوس وهو يوزع لحم القرابين فأعطاه الشحم بدلا من اللحم-غضب زيوس وأخفى النار عن الإنسان-سرقها بروميثيوس فعاقبه كبير الآلهة بتكبيله بالأغلال.

Proteus

بروتيوس-إله صغير من آلهة البحر في الأساطير اليونانية-يذهب هوميروس إلى أنه كان في الأصل جنيا مصريا يخدم بوزيدون إله البحر-كانت له القدرة على التشكل في مختلف الهيئات.

Ptah

الإله بتاح-وهو الإله الخالق لمدينة منف (أو منفيس) أقدم عواصم العالم أسسها الملك مينا واتخذها عاصمة للملكة المتحدة القديمة.

Puranas

المأثورات الشعبية في الهندوسية تشمل الحكايات والخوارق والأساطير....إلخ.

Pure Land

مدرسة الأرض الطاهرة في البوذية.

Purusha

بروشا-أرواح الأفراد من جنب الذكر في الهندوسية (عكس براكريتى المادة أو أرواح الأنثى).

Pyramid Texts

متون الأهرام-نصوص دينية منقوشة على جدران المدفن والممرات بباطن الأهرام وقصد بها أن تكفل للملك حياة هانئة في الدارا الآخرة-عرفت عام 1880 ونشرها ماسبيرو عام1882.

Pythia

بثيا الغرافة-كاهنة أبوللو تجلس على مقعد ذي ثلاثة أرجل وتروح في شبة غيبوبة وتجيب عن الأسئلة.



Queen of Heaven

ملكة السماء إلهة الحب والخصب-عشتار.

Quietism

السكينة-مطلب ديني واسع الانتشار في الديانات الهندية.

Quirinus

كويرينوس-إله كبير في الديانة الرومانية يقترب في مكانته من مارس وجوبتر.

–R–

Radha

راذا-حبيبة كرشنا عبدت معه في الهندوسية.

Rahula

راهولا-ابن بوذا الأكبر-ازدهر في القرن السادس ق. م.

Rama

راما صاحب الفأس-التجسيد السادس للإله فشنو الذي دافع عن البراهمة ضد النهب الملكي في الهندوسية.

Rama Ayodha

راما أيوذا بطل الرمايانا الذي قتل الشيطان الذي يقطن سري لانكا-التجسيد السابع لعله فشنو في الهندوسية.

Ramayana

رمايانا-(تعني حرفيا قصة راما) ملحمة سنسكريتية تروي مغامرات راما-وقد تجسد فيه الإله فشنو في سبيل الوصول إلى عرشه المسلوب.

Ram Das

رام داس (1534- 1581) المعلم الروحي الرابع للسيخ.

Ramman (Rimmon)

رامان (ريمون) إله العاصفة في الديانة السومرية هو نفسه الإله حدد-يسمى «بالمرعد».

Rashnu

راشنو-إله العدالة والحق في الديانة الزرادشتية.

Ravana

شيطان له عشرة رؤوس قتله راما بمساعدة زوجته سيتا في ملحمة الرمايانا السابقة.

Re

رع-إله الشمس أعظم الآلهة في مجمع الآلهة المصري يعبر السماء يوميا في قاربه الشمسي، وفي المساء يسافر في قارب آخر عبر العالم السفلي-أصبح الإله الرسمي عند الفراعنة فكان فرعون ابن «رع» أو تجسيدا له.

Re-Atum

رع-أتوم صيغة تعبر عن اتحاد الإلهين المصريين معا.

Reiyukai

ريوكاى-حركة أصدقاء الروح تأسست في اليابان عام 1925 استمدت إلهامها من مدرسة نشرين.

of Metal Lustre Religion

ديانة طهارة الطبع أو نقاء المعدن أسسها مزارع غير متعلم في اليابان اسمه كاواد (1814- 1883).

Remus & Romulus

رومولوس وريموس شخصيتان أسطوريتان أسسا روما وأصبحا شخصية مقدسة لروما.

Rhea

ريا-إلهة قديمة في أساطير اليونان ابنة أورانوس وجى (السماء والأرض) تزوجت شقيقها كرونوس الذي خلع والده «أورانوس» وحل محله، ثم خشي أن يخلعه واحد من أبنائه فبلعهم (بلع هستيا، ديمتر، هيرا، هادس، وبوزيدون) فأخفت عنه ريا مولد زيوس.

Rig-Veda

ريج فيدا سنسكرتية معناها «الفيدا النارية أو المنسوبة إلى النار» وهي قسمان أدعية وصلوات ثم تعاليم تتعلق بالعبادات والواجبات الدينية.

Rinzai School

مدرسة رينزاي البوذية في اليابان-واحدة من الفرقتين الرئيستين في بوذية زن اليابانية-تأسست في الصين في القرن التاسع ثم انتقلت إلى اليابان في القرن الحادي عشر.

Rishabhanatha

الإله الثور المخلص الأول في الديانة الجينية.

Rissho Ankoku-ron

رسالة كتبها القديس نشرين عنوانها «الأمن القومي يعتمد على إقرار القانون البوذي».

Ris sho-Kosei Ki

جماعة دينية يابانية تعني حرفيا «جماعة إقرار الاستقامة والعلاقات الأخوية» تفرعت عن حركة القديس نشرين.

Rita

ريتا-النظام الطبيعي والأخلاقي للكون يحرسه الإله فارونا في الديانة الهندوسية.

Rudra

رودرا-إله هندي يجلب المرض والشفاء معا.

Rumina

رومينا-إلهة الرضاعة في الأساطير الرومانية.

Ryobu-Shinto

ريوشنتو-تعني حرفياً «وجهان للشنتو» الاسم الذي استخدم في وصف تعايش ديانة الشنتو مع البوذية.

–S–

Sabazius

سبازيوس هو نفسه الإله ديونسيوس.

Sacred Fire

النار المقدسة عند الزرادشتيين.

Sacrifices

الأضاحي-القرابين تختلف باختلاف الديانات والأساطير.

Sadre

سدرة-قميص يرتديه الزرادشتيون منذ سن البلوغ.

Sahaj-dhari

طائفة السيخ التي لم يلتزم أفرادها بمبادئ «الخلسا».

Sahajiya

فرقة من أتباع فشنو الهندوسية ظهرت في القرن السادس عشر.

Saicho

سايكو-كاهن ياباني (767- 822) أسس فرقة «التنداي» درس الفكرة في الصين ثم أدخلها إلى اليابان.

Saisei itichi

«مبدأ وحدة الطقوس الدينية مع السياسة» في ديانة الشنتو اليابانية.

Sakyamuni

ساكيامونى-تعنى حرفياً «حكيم ساكياس» وهو بوذا الأكبر.

Salii

الساليون أو القفازون (الوثابون) كهنة في روما القديمة يستقبلون العام الجديد بألوان من الرقص المقدس، ومازال الناس يتبعون هذا التقليد حتى الآن!

Samavartana

سمافرتانا-سنسكرتية تعني الاحتفال بعودة الشاب إلى بيته من عند المعلم الروحي ليصبح رب البيت وتسمى أيضا Smana.

Sama-Veda

سامافيدا-تعني الفيدا الشمسية أي المنسوبة إلى الشمس وهي قسمان أحدهما مزامير دينية والآخر مجموعة من العبادات والواجبات الدينية.

Samayika

الاتزان، رباطة الجأش-أحد المثل العليا في الديانة الجينية.

Samhitus

المجموعة الرئيسية من الترانيم في الفيدا عند الهندوسية.

Samsara

سمسارا حلقة مفرغة رهيبة تمر بها النفس البشرية عندما تموت ثم تولد من جديد على نحو متكرر، عقيدة في الهندوسية.

Samskaras

طقوس المراحل الحاسمة في حياة الفرد الهندوسي، من الحمل حتى الوفاة-تختلف باختلاف الطبقة والأسرة-يقوم بها الأب داخل الأسرة.

Sanal

سنال-روح المتوفى عند القبائل البدائية في آسيا.

Sangha

السنغا-جماعة الرهبان البوذيين في الدير-نظام لسلوك الرهبان في الدير-نبذ الحياة الدنيوية والإصغاء لكلمات بوذا وتعاليمه-تشمل الرجال والنساء معا.

Sankara

سنكارا (700-750) فيلسوف ولاهوتي هندي-مصدر لكثير من التيارات الحديثة في الفكر الهندي.

Sapindas

المشاركة في تناول البندا (كرات الأرز) مع سلاف يترتب عليه أن تكون خمسة أجيال سن ناحية الأب وسبعة من ناحية الأم محرماً عليهم الزواج.

SapindiKarma

سابندا كرما-طقوس تجعل الميت يتناول أقراص الأرز مع الأسلاف.

Sarapis

سرابيس إله مصري ثم يوناني-إله الشمس يعبد في منفيس ثم اتحد مع عبادة الثور «أبيس» - كان في الأصل إله العالم السفلي.

Sarasvati

إلهة هندوسية للثقافة والفنون ثم اتحدت مع الإلهة فاك Vac إلهة الحديث.

Samath

موضع في شمال الهند تروي الروايات أن بوذا بدأ يعلم فيه أتباعه.

Sarpanit

صربنتيو-تعني بالاكادية «الفضة اللامعة» - زوجة مردوخ وإلهة بابل الرئيسية المختصة بشئون الحمل والولادة-تسمى في البابلية «ذربنيتو» أي بانية الذرية أو خالقة النسل.

Savastivada

مدرسة بوذية من أوائل المدارس في الفلسفة البوذية، تعني حرفيا «مذهب كل ما هو موجود» مدرسة مثالية ترى أن كل ما هو موجود من الأشياء المادية وهم.

Sat

سات-سنسكرتية تعني «الموجودة» - في الفكر الهندوسي «العالم المرئي» الذي يتبع العالم الآخر غير المرئي Asat (أو نصف الكرة الأرض والسماء في مقابل نصفها الآخر العالم السفلي).

Sati

ساتي-سنسكرتيية تعنى «المرأة الفاضلة» في أساطير الهندوسية-إحدى زوجات الإله شيفا-إبنة الحكيم «دكشا» تزوجت شيفا ضد رغبة والدها، ماتت وولدت من جديد على أنها بارفاتري Parvatri.

Sati=(Sutte)

ساتي (سوتي) عادة دفن الأرملة مع زوجها المتوفي في الهند.

Sattva

أقدم المذاهب الستة في الفلسفة البرهمية-يسمى أحيانا «سانخيا».

Saturn

ساترن (زحل) إله بذر البذور في أساطير الرومان.

Satyrs & Sileni

الساطير والسلينات-إلهة الغابات في أساطير اليونان الساطير لها ذيل وأذنا فرس ووجه إنسان، والسلينات نصف إنسان ونصف ماعز.

Saviour

المخلص-شخصية هامة في مختلف ديانات العالم-وهو بوذا في البوذية ثم «بوذا المنتظر». كما أنه

موجود في الزرادشية والمسيحية... إلخ.

Scipio

قائد متصوف نقل «الأم الكبرى» (سبيل) من فريجيا إلى روما على هيئة «الحجر الأسود».

Sebek

الإله سبيك-الإله التمساح في ديانة مصر القديمة انتشرت عبادته حول بحيرة الفيوم.

Sed

سد-عيد في مصر القديمة-الاحتفال الطقسي بتوحيد الوجهين في مصر على يد الملك مينا.

Sekhmet

سخميت - إلهة الحرب الشرسة في مصر القديمة-دمرت أعداء رع فسميت «عين رع» رفيقة الإله بتاح.

Seicho-no-le

«بيت النماء»- جماعة دينية يابانية تأسست عام 1928 ترى أن جميع الأديان تصدر عن إله واحد كلي.

Seshat

سشات-إلهة مصرية مختصة بأرشيف الحوليات الملكية.

Seth

ست الإله الشرير الذي قتل أوزريس في الأساطير المصرية القديمة.

Shiva

شيڤا-سنسكريتية «الواحد الميمون أو السعيد» - أحد الآلهة ي الرئيسية في الهندوسية-يحمل صفات متناقضة فهو «المدمر» و«المنشئ»، والناسك ورمز الشهوة.. إلخ.

Shaivism

الشيفية-عبادة الإله شيفا تشكل إحدى الصور الرئيسية الثلاث في الهندوسية الحديثة (إلى جانب الفشنوية والشاكتية).

Shaktas

المتعبدون للربة الكبرى شاكتي.

Shakti

شاكتي-الإلهة الرئيسية الثالثة في الديانة الهندوسية (إلى جانب فشنو وشيفا) والكلمة تعني «القوة» أو «النشاط» - يقال أنها زوجة شيفا.

Shakubutu

شاكوبوتو تعني باليابانية «إكسر ولطف» ضرب من الهداية الجبرية وسيلة استخدمها البوذيون في اليابان لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية.

Shaman

الشامان شخص يشتغل بالتطبيب والكهانة والسحر عند الشعوب البدائية والكلمة نفسها تعني «ذلك الذي يعرف» !

Shamanism

الشامانية-ظاهرة دينية تعتمد على الشامان الذي يقال إن لديه قوة خارقة لشفاء المرضى والاتصال بالعالم العلوي تنتشر في آسيا.

Shamash

شماش-إله الشمس عند البابليين وهو الذي أوحى إلى حمورابي بشريعته.

Shambhu

لقب للإله شيفا (الرءوف المحسن) عندما يضرع إليه أتباعه.

Shangu

شانجو-اسم الكاهن المحترف في بابل.

Shankara

شانكارا-لقب للإله شيفا (المحسن-المبشر بالخير) عندما يفرغ إليه أتباعه.

Shao-Young

شاويونج (1011- 1077) فيلسوف صيني أثر تأثيراً قويا في تطور الكونفوشية الجديدة.

Shedu

شدو-الأرواح الحارسة عند البابليين.

Shih-shia-fu

شيه شيا فو-صورة بوذا الأكبر في الصين.

Shin Buddhism

بوذية شن - «مدرسة الأرض الطاهرة الحقة» إحدى المدارس البوذية في اليابان «كلمة Shin تعني الحقة أو الصادقة».

Shingon

فرقة شنجون-جماعة بوذية سرية كان لها انتشار ملحوظ في اليابان-شنجون تعنى «الكلمة الطاهرة، أو الصادقة»، أسسها الراهب كوكاي في القرن 9 م.

Shinran

شنران (1173- 1262) فيلسوف بوذي ومصلح ديني أسس مدرسة جودوشنشو Shinshu (أي الأرض الطاهرة الحقة).

Shinsen

القربان في ديانة شنتو اليابانية قد يكون من الحبوب أو المال أو الشراب... إلخ ويقدم إلى «كامي» (الإله أو القوة الروحية).

Shinshoku

كاهن ديانة الشنتو في اليابان.

Shinten

مجموعة النصوص المقدسة لديانة الشنتو، الديانة الأصلية لليابان.

Shinto

الشنتو-الديانة الأصلية لليابان ويمكن ملاحظتها في الحياة الاجتماعية للشعب الياباني، محور الديانة الإيمان بوجود قوي روحية هي «الكامي».

Shintai

«الرمز المقدس للكامي» أو الإله في ديانة الشنتو اليابانية.

Shradha

شراذا-عقيدة قيام الأحياء بتقديم الطعام إلى الأسلاف الذين يقطنون عالم الآباء-كرات الأرز والماء الرابطة بين الأحياء والأموات.

Shramanas

المعلمون الروحيون القدماء أو النساك المتجولون في الهند-حركة تميزت عن البراهمة بعقيدتهم في الخلاص عن طريق الزهد والإلحاد.

Shu

شو-إله مصري قديم-والكلمة تعني «الفضاء» يصورونه على هيئة رجل يقف فوق الأرض ويسند السماء بيديه-هو الذي زج بنفسه بين إلهة السماء نوت وزوجها إله الأرض جب وبذلك فصل السماء عن الأرض.

Shudra

طبقة الشودرا طبقة الخدم والعبيد في مجتمع الفيدا الهندي.

Shugendo

طريق النساك في الديانة اليابانية القديمة.

Shun

شون-إمبراطور أسطوري في الصين في العصر الذهبي القديم أشار إليه كونفوشيوس على أنه نموذج الاستقامة والفضيلة المتألقة.

Shunyata

شنياتا-المطلق عند البوذيين وهو يخلو من كل صفة.

Shidhas

السيدها-طبقة من نساك الإله شيفا ينتشرون في شمال الهند-يتميزون بقوة روحية وسحرية خارقة.

Sikhism

السيخ جماعة دينية في الهند وباكستان أسسها المعلم الروحي (ناناك 1469) نادت بالوحدانية والتقارب بين جميع الأديان، عارضت نظام الطبقات المغلقة بالهند والنظام الكهنوتي.

Sin

سن-إله القمر عند السومريين وهو زوج الإلهة ننجال وابن إنليل ونينليل.

Sirens

السرينات-مجموعة من كائنات أسطورية نصفها الأعلى جسد امرأة والأسفل جسد طائر كانت تسحر الملاحين بغنائها فتوردهم موارد الهلاك، ولهذا اضطر أديسيوس إلى إغلاق آذان رجاله بالشمع عندما مر بجزيرتهم عند عودته من حرب طروادة.

Soko Gakkai

سوكو جاكاي-جماعة خلق القيم-إحدى الفرق الدينية البوذية في اليابان التي ارتبطت بفرقة نشرين.

Sokaris

سوكاريس-إله الموتى في مصر القديمة وهو نفسه أنوبيس.

Sol

إله الشمس-عبادة قديمة في روما.

Soma

السوما-شراب مقدس عند الهنود يصاحب تقديم الأضاحي والقرابين وهو «الهوما» عند الإيرانيين.

Soter

المخلص في أساطير اليونان لقب كان يطلق على بعض الآلهة أو الملوك الذين يؤلههم الناس.

Soto

فرقة سوتو-مدرسة بوذية يابانية كبيرة تعتمد على الجلوس في هدوء وسكينة للوصول إلى مرحلة الإستنارة.

Sthanakava

شعبة من فريق الأردية البيضاء في الجينية يتميزون بوضع قطعة من القماش على الفم لكي يتجنبوا إيذاء الحشرات والهوام رغما عنهم.

Sthanakavasis

سكان القاعات-حركة إصلاح ديني داخل الجينية قامت عام 1653 ترفض الأيقونات وطقوس المعبد لأنها لا تتفق مع تعاليم «مهافيرا» مؤسس الجماعة.

Stupa

ضريح-هيكل في الهند ثم تطور إلى «الباغودا» في الهندوسية والبوذية لا سيما في جنوب شرقي آسيا.

Sulis

سوليز-آلهة الينابيع الحارة عند الرومان.

Sutra

سوترا-سنسكريتية تعني «الخيط» ثم أصبحت تعني الخيوط المرشدة-مجموعة من النصوص الهادية في الهندوسية والبوذية.

Svetambara

الرداء الأبيض، فريق الأردية البيضاء في الجينية. إحدى فرقتين رئيستين في الجينية يرتدي رهبانها أردية بيضاء في المعبد وهم عكس «فريق العراة» اللذين لا يرتدون شيئا ويرفضون وجود النساء في سلك الرهبان.

-T-

Taboo

تابو-مصطلح عام يطلق على ما هو محرم دينيا-ظهر في أواخر القرن الثامن عشر أثناء المناقشات حول أصل الدين-قد يحمل صفات متعارضة مثل المقدس والخطر، والطاهر والدنس.... إلخ.

Taishakyo

تيشاكيو، فرقة في ديانة الشنتو في اليابان تتألف من 3 مليون عضو، في زعمهم، تتمركز في منطقة إزمو Izumo.

Taisha Shrine

هيكل تيشا-أو مزارتيشا-أقدم مزار في منطقة أزومو أنشئت مبانيه في القرن التاسع على مساحة أربعين فدانا.

Tamil

اللغة التاميلية-لغة ولاية مدارس في الهند.

Tammuz

تموز-إله بابلي قديم-هو نفسه دموزي الشاب الراعي الوسيم الذي أحبته عشتار لكنه قتل-وهو نفسه أدونيس عند اليونان-وأنديموت الراعي عند الرومان.

Tantalus

تنتالوس-ابن زيوس في أساطير اليونان عاقبته الآلهة إما لأنه

أفشى للناس الأسرار التي تعلمها من السماء أو لأنه، على الأرجح، سرق طعام الآلهة وشرابهم وكانت عقوبته في «هاديس» (العالم الآخر) أن يقف في الماء حتى رقبته وأن تتدلى أغصان الفاكهة حتى شفتيه فإن حاول أن يأكل أو يشرب ارتدت بعيدا عنه، ومن هنا كان الافتراض الثاني أرجح.

Tantra

تنترا-سنسكرتية معناها «خيوط الطيف»، وهي مجموعة من النصوص المقدسة التي تشبه «سوترا»، مع فارق هام أن الأولى وثائق لا يطلع عليها سوى المختصين أما «السوترا» فهي عامة وشائعة وفي متناول الجميع.

Tantric Buddhism

البوذية التنترية-تطور هام في بوذية الهند والبلاد المجاورة-لا سيما التبت-تستخدم لغة موغلة في الرمزية.

Hinduism

الهندوسية التنترية نظام من الطقوس السرية يستخدم لتحقيق التجارب الروحية وإشباع الرغبات في آن معا.

Tantaricism

التنترية-مصطلح يشير إلى الديانة التي تعتمد نصوصها على الحوار بين الإله شيفا والربة شاكتي.

Tao

التاو-كلمة صينية معناها «الطريق» أو «النهج» أو السبيل ويقصد بها أسلوب الحياة أو الطريق الصحيح، طريق السماء.

Taoism

التاوية أو الطاوية-ديانة ومذهب فلسفي لا وقت واحد-أسسها في القرن السادس قبل الميلاد «لاو-تسو» يخاطب العواطف وينزع إلى التأمل الصوفي، حاول أنصاره فيما بعد العناية بالكيمياء بهما عن أكسير الحياة.

Tao-Te-ching

تاو-تي-كنج معناها الحرفي «تعاليم التاو» كتاب صغير يطلق عليه أحيانا اسم «الكتاب ذي الخمسة آلاف كلمة» لصغر حجمه، كلاسيكيات طريق القوة، من أعظم الكلاسيكيات الصينية يقال إنها من تأليف «لاو- تسو» كان تأثيره في الفكر الصيني هائلا.

Tao-yuan-ming

تاو-يوان-مني (375- 427) أحد الشعراء الصينيين الذين تأثروا بالتاوية.

Tariki

تاريكي-مساعدة الإنسان من الخارج تأتي لتعينه على بلوغ مرتبة بوذا وهي غير الجيركي (أو مساعدة الإنسان لنفسه).

Tartarus

طار طاروس-العام السفلي أو الجحيم في الأساطير اليونانية.

Tathagata

تثاجيتيا-عيد الإله أبوللو حيث تلقى خطايا الجماعة على فرد واحد يختارونه، ويلبسونه ثيابا كهنوتية ثم يلقون به من فوق صخرة، لعله يكفر بذلك عن سيئاتهم. ويسمون هذه الضحية فارماكوس Pharmakos.

Taurobolium

التوروبوليوم-التعميد بدم الثور الذي يجلب حياة أبدية في ديانة روما القديمة-وكان الفرس يعبدون الثور الذي مات ثم بعث حيا، ووهب الجنة البشري دمه ليسبغ عليه نعمة الخلود وسموه «هوما».

Te

تي- «فضيلة» في الكونفوشية: النية الحسنة والسلوك السليم تجاه الآخرين وهى في التاوية قوة «التاو» الغامضة التي لا يمكن تعريفها.

Tefenet

تفنت-تف نوت-زوجة الإله شو في الديانة المصرية القديمة-عبدها المصريون على شكل أسد-خلقت بطريقة البصق-ومازال العامة في مصر يستخدمون كلمة «تف» بمعنى بصق.

Tellus Mater

تلوس ماتر-إلهة الأرض أو الإلهة الأم في ديانة مصر القديمة.

Temenos

قاعة الأسرار الدينية في معابد اليونان القديمة-الراب.

Tendai

تنداي-فرقة بوذية يابانية أدخلها الكاهن سيكو (767- 822) إلى اليابان واستمدت اسمها من فرقة «تيات تاي» الصينية البوذية، انقسمت إلى فرقة «سامون» و«جيمون».

(Temoism) Temoism

التموية-أو التموية من temo التي تعني «الملك السماوي» لقب لحاكم الدولة في اليابان ثم أصبحت لقبا للإمبراطور، نظرية ترى أن الحاكم يستمد سلطته من السماء.

Tenrikyo

تنريكيو-عبادة الحكمة الإلهية-فرقة دينية في اليابان أسستها كاهنة يابانية في القرن التاسع عشر.

Terminus

ترمينوس-إله الحدود في الديانة الرومانية القديمة وهو يجلس على صخرة الحدود.

Teshub

تشوب-إله الجو والطقس عند البابليين وهو نفسه الإله.

Theism

التأليه-القول بوجود إله مستقل تعتمد الأشياء في وجودها عليه.

Themis

تيمس-إلهة النظام والعدالة والمشورة الطيبة ابنة أورانوس (السماء) وجيا (الأرض).

Theocracy

التيوقراطية-الحكم الديني، حكم الكهنة أو رجال الدين.

Theodicy

التيوديسا-من Theos إله و Dike عدالة في اليونانية، التوفيق بين وجود إله خير لا يفعل الشر ووجود الشر في العالم.

Theogony

أنساب الآلهة-تسلسل الآلهة كما رواه الشاعر اليوناني هزيود.

Theology

اللاهوت-العلم الذي يبحث في الله وصفاته وعلاقته بالعالم، علم الكلام علم الربوبية.

Theosphy

التيوصوفية، فلسفة دينية صوفية ترى أن معرفة الله تتم عن طريق الكشف الصوفي أو التأمل الفلسفي، تشدد على التجارب الصوفية السرية.

Theravada Buddhism

بوذية ترافادا- «أو طريق الشيوخ» فرع كبير من البوذية ينشر في سرى لانكا وبورما وتايلند.. الخ يردون أنفسهم إلى شيوخ أو كبار أو قدامى الرهبان في البوذية.

Thoth

تحوت-إله مصري في الديانة المصرية القديمة يقال إنه مخترع الكتابة والنظام الاجتماعي وخالق اللغات وممثل إله الشمس «رع». يرمز إليه بالطائر «أبي منجل».

Timat

تعامة-أو تيمات (تنين البحر) الذي حاربه مردوخ في أسطورة الخلق البابلية وشقه نصفين صنع منهما السماء والأرض.

Tien Tai

فرقة تيان تاى البوذية الصينية استمدت اسمها من اسم جبل «تيان تاى» الذي كان مركز ا لتعاليمها في جنوب شرقي الصين.

Tinia

تنيا-إله للصواعق والعواصف عند الأتروسكان اتحد بعد ذلك مع زيوس عند اليونان وجوبتر عند الرومان.

Tirthankara

تيرنكارا-صانعو المخاوض أو مرشدو الأرواح لعبور نهر التناسخ-وهم معلمو الجينية.

Titans

التيتان وهم الجبابرة أو المردة في الأساطير اليونانية وعددهم اثنا عشرة ستة بنين وست بنات كانوا آلهة قدامى يتصفون بالوحشية أصغرهم كرونوس وأخته «ريا» والدا زيوس كبير الآلهة.

Totem

الطوطم-مشتقة من كلمة هندية الأصل تعني علامة الدم بين الأخ وأخته ثم أطلقت في الغالب على الحيوان الذي تنحدر منه العشيرة ويعتبر لحمه محرما، كذلك تحرم الصلات الجنسية بين أفراد الطوطم الواحد.

Totemism

الطوطمية-نظام ديني عند الشعوب البدائية لا سيما أهل استراليا وأفريقيا يجعل العشيرة منحدرة من نبات أو حيوان، وهو الأغلب، فيكون لحمه محرما على أفرادها كما يحرم الزواج الداخلي.

Transmigration

تناسخ الأرواح، انتقال الروح بعد الوفاة إلى جسد آخر ثم ثالث... الخ، في الديانة الهندوسية.

Trishala

ترشالا، والدة مهافيرا مؤسس الجينية، ثم أصبحت أما للأربعة وعشرين قديسا أو مخلصا في الجينية.

Triton

تريتون، نصف إله من آلهة البحر عند الإغريق له جسم رجل وذيل سمكة ابن إله البحر بوزيدون وزوجته أمفتريت-<Am hitrite يعيش مع والديه في قصر من ذا في أعماق البحر.

Tsuki

إله القمر في أساطير اليابان.

Tulsidas

شاعر هندوسي (1543- 1623) كتب «البحيرة المقدسة وأعمال راما» أعظم إنجاز للأدب-الهندوسي في العصر الوسيط.

Tutankamun

توت عنخ آمون حكم من 1361 إلى 1352 ق. م في عهده استعاد الدين التقليدي في مصر القديمة مكانته ثانية بعد ثورة التوحيد التي قام بها في تام العمارنة الملك إخناتون.

Tvashtri

تفاشترى-الإله الصانع البارع الذي يعد الصواعق في الديانة الهندوسية.

Tyche

تيكى (أوتيخى) إلهة الحظ والصدفة في أساطير اليونان.

Tyche Agathos

تيكى أجاثوس-الصدفة الطيبة، زوجة الإله أجاثوس.

Tzu-Szu

فيلسوف صيني (483- 402 ق. م) حفيد كونفوشيوس مؤلف كتاب «عقيدة الوسط».

-U-

Ubasku

أوباسكو-الناسك البوذي في اليابان.

Ujigami

يوجى جامى-هيكل العشيرة أو الهيكل المحلي في ديانة الشنتو اليابانية.

Ujiko

أطفال العشيرة، مصطلح يطلق على أعضاء العشيرة، في ديانة الشنتو من حيث علاقتهم بالكامي الذي يقوم مقام الأب.

Uni

يوني-إلهة قديمة للاتروسكان زوجة الإله تنيا-اتحدث بعد ذلك مع الآلهة يونو أو جونو Juno عند الرومان وهيرا عند اليونان.

Ushas

أوشاس-إلهة الفجر في الهندوسية وهي ايوس Eos عند اليونان.

Utnapishtim

أوتنابشتيم الملقب بالبعيد وهو الذي صنع السفينة وهرب بها من الطوفان في أساطير بابل.

-V-

Vach

فاش-سنسكريتة تعني «الكلمة» بواسطتها ثم خلع الإله أندرا عن عرشه في الهندوسية.

Vagitanus

فاجيتانوس-إلهة وظيفتها استخراج الصرخات الأولى للطفل عند ميلاده في أساطير الرومان.

Vairagin

ناسك هندوسي يعبد إحدى صور الإله فشنو في الهندوسية.

Vairo Cana

فايروكانا-سنسكريتة تعني المستنير لقب يطلق على بوذا الأكبر.

Vaisheshika

فيشيشكا أحد المذاهب الست في الهندوسية يذهب إلى أنه ليس في العالم«إلا ذرات وفراغ».

Vaishnavism

القشنية عبادة الإله فشنو إحدى الصور الرئيسية الثلاث للهندوسية (إلى جانب الشيقية والشاكتية).

Vaisya

طبقة الفيزا-الطبقة الثالثة في ترتيب الطبقات المغلقة في الهند وهي تعني بمسائل الحياة الضرورية، الزراعة، التجارة الحرف.

Vajrayana

عربة الماس-تسمى أيضا البوذية التنترية، وهي فرقة تمثل تطورا هاما في بوذية الهند والبلاد المجاورة لا سيما التبت.

vallabha

فالا بها (1479- 1531) فيلسوف هندوسي مؤسس فرقة تعرف باسم «طريق النعمة الإلهية».

Vamana

فمانا-القزم الذي تجسد فيه الإله فشنو (التجسيد الخامس) ليهزم الشيطان بالى في الهندوسية.

Varaha

فراها-الخنزير البري الذي تجسد فيه الإله فشنو (التجسيد الثالث) وقتل هيرانيكاشا وأنقذ الأرض.

Varna

الطبقة المغلقة في الهند-والكلمة تعني أصلا اللون-الطبقات أربع: الكهنة (أو البراهمة) خرجت من رأس الإله، والمقاتلون (أو الكشاترية) خرجت من ذراعيه. وطبقة التجار (أو الفيزا) خرجت من فخذيه. أما طبقة الخدم (الشودرا) فقد خرجت من قدميه.

Varuna

فارونا-إله السماء المهيمن في الهندوسية وحافظ القانون الطبيعي والأخلاقي.

Vasubandhu

فازدباندو-(ازدهر في القرن الرابع) فيلسوف بوذي هندي وعالم في المنطق.

Vasudeva

من أقدم الحركات الدينية في الهندوسية-جماعة دينية تعبد كرشنا.

Vayu

فايو-إله الريح في الهندوسية.

Veda

الفيدا-الكتب المقدسة في الهندوسية كتبت بالسنسكرتية تضم أربعة أسفار (1) الريج فيدا (أنشودة لتمجيد الآلهة)(2) السمافيدا ترانيم لتقديم القرابين (3) اليايور فيدا إضافات مرتبة حسب القرابين (4) أثرافيدا سفر الفقراء.

Vedanta

الفيدانتا-أجزاء من الأوبانيشاد تشمل ستة مذاهب تهدف إلى إزالة الألم بواسطة اليوجا-والمصطلح يعني في السنسكرتية «خاتمة الفيدا».

Vegetarianism

النباتيون-مذهب يعيش أصحابه من نساك الهنود على الخضروات والفواكه والحبوب ويحرمون اللحوم والأسماك والطيور، بينهم اختلافات كبيرة.

Venus

فينوس إلهة الحب والجمال والجنس عند الرومان هي نفسها أفروديت عند اليونان وهى عشتار، أو اشتار في أساطير البابليين والسومريين.

Verethra

فيرتيرا-إله هندوسي، اسمه يعني الغلاف أو الغطاء يقود مجموعة الآلهة المسماة بالديفاز.

Vertumnus

فيرتومنوس-إله قديم في الديانة الرومانية ارتبط اسمه بتغير السنة وتفتح الأزهار ثم ارتبط في النهاية بالآلهة بومونا-Po mona إلهة أشجار الفاكهة.

Vesta

فستا إلهة المدفأة أو الموقد في الديانة الرومانية القديمة وهي نفسها الآلهة هستيا عند اليونان-توجد عبادتها في كل منزل.

Vestal Virgins

عذارى فستا-ستة من العذارى يعملن كاهنات للآلهة فستا يرتدين ثيابا بيضاء ويقسمن أن يبقين عذارى في خدمة الآلهة ثلاثين سنة.

Victoria

فيكتوريا-إلهة الانتصار في الديانة الرومانية وهي نفسها الإلهة نيكى عند اليونان-كان يعبدها الجيش بصفة خاصة.

Vijnana

فيجنانا سنسكرتية تعني «المعرفة» - مصطلح هام في بوذية الهند.

Vijnana Vada

نظرية فلسفية في الهندوسية تذهب إلى أن الواقع الحقيقي الذي يدركه الإنسان لا وجود له، بل هو أقرب إلى الصور التي يدركها الراهب في تأملاته.

Vinaya

فينايا-نظام سلوك الراهبات في الدير في البوذية.

Vinaya Pitaka

مجموعة الشرائع التي تنظم سلوك الرهبان في الدير في البوذية.

Vindidad

الونديداد-تعني حرفيا القانون المضاد للشياطين في الزراد-شتية وهي تشبه سفر اللاويين في العهد القديم من حيث أنها تضع التعاليم التي يخضع لها رجال الكهنوت.

Vira

فيرا-سنسكرتية تعني البطل-تصنيف الأشخاص تبعا لكفاءتهم الروحية في الهندوسية.

Vira Shaiva

الفيراشيفا-هي نفسها فريق اللنجا (انظر المصطلح).

Vishnu

الإله فشنو-أحد الهين رئيسيين في الديانة الهندوسية وتصوره الفيدا على أنه قزم صغير عبر الكون بثلاث خطوات عملاقة (يشكل مع الإله شيفا الآلهة الرئيسية في الهندوسية إلى جانب الإلهة شاكتى).

Vishtaspa

فشتاسبا-الحاكم المحلي الذي كان تلميذا لزرادشت.

Vishvakarman

فيشفاكارمن-مهندس الآلهة في أساطير الهندوسية صانع المدن وإله الحرفيين، وصانع الأسلحة والعربات الحربية.

Visundhi-magga

«الطريق إلى النقاء أو الطهارة» - كتاب ألفه أحد حكماء البوذية في القرن الخامس.

Vulcan

فولكان-إله النيران والبراكين واللهب-له صفات الإله هفاستوس عند اليونان-عبادته قديمة عند الرومان.

– Y –

Yajura-Veda

ياجورا فيدا-الفيدا الهوائية المنسوبة إلى الهواء، وهي مجموعة من الترانيم المقدسة في الهندوسية.

Yak

ياك-ثور يستخدم الهندوس ذيله في طقوس العبادة داخل المعبد.

Yaksha

ياكشا-مجموعة من أرواح الطبيعة عادة ما تكون ذات علاقة حسنة بالإنسان-تختبئ في جذور الأشجار.

Yama

ياما-إله الموت عند بعض القبائل الآسيوية-وتقول الفيدا إنه أول إنسان مات ففتح طريق الفناء أمام البشر، وهو حارس منطقة الجنوب (منطقة الموت).

Yama no Kami

آلهة الجبال في الديانة الشعبية اليابانية.

Yamabushi

يامابوشي تعني حرفيا «الواحد الذي ينام في الجبال» هو إله كان يعمل مرشدا للحجاج الذين يقومون بزيارة الجبال المقدسة التي تسكنها آلهة الشنتو في اليابان.

Yashts

اليشتا-سفر المديح عند الزرادشتين-إحدى وعشرون ترنيمة تتلى في مديح الملائكة المشرفين على أيام الشهور.

Yasma

اليسنا-سفر العبادة أو التسابيح عند الزرادشتين.

Yazatas

اليازات-الملائكة الذين خلقهم أهورا مزدا في الديانة الزرادشتية ليساعدوه في حربه ضد أهرمان وأعوانه من الشياطين.

Yellow hat

فرقة بوذية في التبت هي «نموذج الفضيلة» أطلق عليها ابتداء من القرن السابع عشر اسم «أصحاب القبعة الصفراء» تشترط على الراهب أن يكون أعزب-وتحرم الخمر واللحوم. تسمية القبعة الصفراء أطلقها عليهم الغربيون لأنهم يضعون غطاء أصفر تمييزا لهم عن الصينيين الذين يضعون غطاء أحمر.

Yoga

يوجا (سنسكرتية معناها «النير» أو «الاتحاد» مدرسة هامة في الفلسفة الهندوسية أثرت بقوة في الفكر الهندي، نصوصها الأساسية هي «سوترا اليوجا» جانبها العملي أهم من النظري، ضبط التنفس، الجلوس في وضع معين، الامتناع عن الجنس... الخ.

Yogacara

ممارسة اتحاد اليوجا-مدرسة مثالية في بوذية المهايانا هاجمت المدارس البوذية الأخرى.

Yokigurashi

يوكى جوراشى أي الحياة الروحية المرحة التي تنتج من النظرية القائلة بأن الحياة وديعة من الله.

Yoni

يونا-رمز لعضو الجنة عند الأنثى (رمز للآلهة شاكتى زوجة

الإله شيفا في الهندوسية) وهذا الرمز مع «اللنجا» تعبر عن تلازم الجنسين إلى الأبد.

-Z-

Zaike Bukkyo

زيكى بوكيو-بوذية رجل الشارع ثورة ضد المغالاة في الكهنوتية تفرعت داخل مدرسة نشرين في اليابان.

Zen Buddhism

بوذية زن-أي بوذية التأمل مدرسة هامة في اليابان تذهب إلى أنها تمثل جوهر البوذية وهو الوصول إلى مرحلة الاستنارة التي بلغها بوذا الأكبر. كلمة Zen يابانية تعنى التأمل وهي نفسها كلمة شن Ch‘en الصينية.

Zeus

زيوس-كبير الآلهة في أساطير اليونان (جوبتر عند الرومان) إله السماء والجو لا يخضع إلا لربات القدر-كان أبوه كرونوس يبتلع أبناءه لكن زوجته «ريا» أنقذت زيوس الذي قاد الآلهة والناس-كانت غرامياته كثيرة.

Ziggurat

زيجورة أو زقورة أو زكورة-تعني المكان المرتفع-معبد هرمي على شكل مصاطب في بابل.

Zoroaster

زرادشت نبي الإيرانيين القدامى، قال إنه تلقى وحيا من أهورا مزدا إله الخير ليبشر بالحق.

Zoroastianism

الزرادشتية-الديانة التي أسسها زرادشت في إيران في القرن السادس ق. م. ذات ملامح ثنائية-

يرى البعض أنها ديانة توحيد وأن «أهرمان» ليس إلها وإنما هو الشيطان أو إبليس.

Zurvan

زرفان-إله الزمان اللامتناهي عند الزرفانية وهو أيضا إله القدر الذي يحدد مصير البشر.

Zurvanism

الزرفانية-صورة معدلة من الزرادشتية ظهرت في فارس خلال الفترة الساسانية (من القرن الثالث إلى السابع الميلادي)، عندهم أن الزمان وحده هو اللامتناهي الأزلي غير المخلوق وهو مصدر كل شيء.

الهوامش

هوامش المقدمة

(1) هيجل «موسوعة العلوم الفلسفية» ص 47- 48 ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير بيروت عام 1983، ط 1 دار الثقافة بالقاهرة عام 1985 ط 2.

(2) ولتر ستيس «الزمان والأزل مقال في فلسفة الدين» ص 45 ترجمة الدكتور زكريا إبراهيم ومراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر بيروت عام 1967.

(3) العجيب أن كلمة «الكفر» في اللغة العربية تؤيد هذا المعنى! فكفر يعنى غطّى وستر، والكافر: الزارع لستره البذر بالتراب، وهو الليل المظلم لأنه ستر بظلمته كل شيء وبهذا المعنى يكون «الكافر» بالمعنى الديني-هو الذي يغطى إيمانه ويحجبه ويمنعه من الظهور، قارن مثلا «لسان العرب لا بن منظور» المجلد الخامس ص 3899 دار المعارف بمصر-والمعجم الوسيط «المجلد الثاني» ص 797.

(4) قارن مقالنا «الخبرة الدينية والإيمان» في مجلة الفكر المعاصر العدد 61 مارس 1970.

(5) قارن ول ديورانت قصة الحضارة المجلد الثالث عشر ص 186 ترجمة الأستاذ محمد بدران-لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

(6) قام على نشر هذا السفر العظيم عام 1887م المستشرق الألماني إدوارد سخاو E.Sachau.

(7) الملل والنحل، ص 23 طبعة مصطفى الحلبي عام 1961.

(8) المرجع نفسه ص 19.

(9) منها مثلا ما كتبها «ابن حزم» في كتابه الشهير «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وإن كان قد وقف من المخالفين موقف المهاجم!

هوامش الفصل الأول

(1) أوروك (وهي المساة آرك في التوراة والمعروفة الآن باسم الوركاء) مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين على الفرات بالقرب من مدينة أور، كانت عاصمة بابل السفلى، وكشف التنقيب عن معبد «نانا»، وهو مبنى على قمة هرم غير منتظم من ثلاث درجات «زيجورات» وكان جلجامش هو الملك الخامس عليها بعد الطوفان (المترجم).

(2) يعنى هذا الاسم في اللغة السومرية الأعالي أو السماء ويعنى رمزه بالخط المسماري الإله بصفة عامة ويسبق هذا الرمز كل أسماء الآلهة وآن هو الإله الرئيسي في مجمع الآلهة السومري (المترجم).

(3) «كي» تعني الأرض أو الأسفل وهي زوجة الإله آن ويظهر الزوجان معا في النصوص البابلية القديمة.، ولقد كان «آن» إله السماء المذكر، «وكي» إلهة الأرض المؤنثة ملتصقين في البداية ثم تزوجا وأنجبا إبنهما إنليل، وهو إله الجو والعواصف وسيد النسيم عند السومريين (المترجم).

(4) «مه» من أصعب المصطلحات في الديانة السومرية وهي تعنى القوى الإلهية، وهي بهذا المعنى تشمل مؤسسات الوجود، ونظام الكون الدنيوي والسماوي، وبواسطتها تتحكم الآلهة في أمور العالم؟ والقائمة تضم مهام ووظائف «مه»، وقد تزيد عن المائة، وهي تشمل وظائف الكهنة

والملوك مع شعائرهم بالإضافة إلى مصطلحات أخلاقية كالعدل والظلم، ومصطلحات من الحياة الجنسية والفنية والمهنية والأسطورية (المترجم).

(5) فاره موقع أثري في جنوب الرافدين والاسم السومري القديم له هو شورباك (المترجم.

(6) إله الريح (المترجم).

(7) إنليل Enlil هو إله الهواء والعاصفة عند السومريين، واسمه يعنى في اللغة السومرية «سيد النسيم» وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد آنو إله السماء ورئيس مجمع الآلهة، إلا أن قيام «إنليل» بتنظيم الكون وإخراجه من لجة العماء أعطاه أهمية كبرى في مجمع الآلهة، فحاز لنفسه ما كان لآنو من هيبة، وكذلك بعد أن قام بفصل السماء عن الأرض بعد أن كانا ملتصقين. واستمر إنليل فيما بعد عضوا في مجمع الآلهة البابلي، ولكن في مركز ثانوي لأن مردوخ استولى على المركز الأول في ذلك المجمع لا (المترجم).

(8) هو الإله آن،أول السابق ذكره الذي يعنى في اللغة السومرية السماء، وهو يلفظ بالأكادية آنوم أو آنو (المترجم).

(9) انكى هو سيد الأرض ويقابله في الأكاديه اسم (أيا)، وهو إله الحكمة والتعويذات وسيد محيطات المياه العذبة في جوف الأرض، وبذا يكون الإله أنكى هو إله الخير والعذوبة ومانح الخصب ومفجر الينابيع وزوجته نينكي. وإنكى هو الذي يدير شؤون القوى الإلهية «مه» وبذلك يدير شئون الكون ويحدد نظامه (المترجم).

(10) يبدو أن اسمه في الأصل «مار-دوكو» أي ابن الإله «دوكو» ويذكر حمورابي أنه ابن الإله انكى وهو إله مدينة بابل، ثم صعد إلى قمة مجمع الآلهة البابلية لأسباب سياسية خالصة، فبعد أن كان إلها هامشيا أصبح الإله القومي للشعب البابلي في عهد حمورابي (المترجم).

(11) إينانا، Inanna إلهة الحب والخصب عند السومريين، اختارت أن تهبط درجات الموت السبع في العالم السفلي، فكان في نزولها غياب لمظاهر الخصوبة في التربة، وغرس الأشجار، وموت النبات، وفي صعودها بعد أن قهرت الموت انتعاش لقوى الخصوبة الممثلة فيها وانبثاق الخفرة والحياة في مملكة النباتات انظر في أسمائها المختلفة وأماكن عبادتها وانتشار طقوسها «قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين» لادزارد وبوب ورولينغ وترجمه محمد وحيد خياطة ص 53- 58 (المترجم).

(12) تتخذ الإلهة «إينانا» عند البابليين اسم «عشتار» وهي تهبط إلى العالم السفلي لتحرير زوجها تموز الأسير هناك. وذلك عكس «إيانا» التي أرسلت زوجها «دوموزي» للموت مكانها بعد أن صعدت من ذلك العالم، وذلك كشرط أساسي لتحريرها. (المترجم).

(13) لفظ «أيا» هو الاسم الأكادي للإله أنكى السومري. (المترجم).

(14) إنليل هو ابن الإله آن أو آنو إله السماء وزوجته هي الإلهة يننليل أو الإلهة الأم التي تبرز في نصوص العصر البابلي القديم كما سبق أن أشرنا. (المترجم).

(15) كان يطلع البشر على خطط الآلهة ومن هنا فقد أفشى للإنسان س الطوفان، كما علم الناس طقوس التعاويذ (المترجم).

(16) هو إله الحكمة فهو إله الكتابة وحامي حمى الأدباء والمدافع عنهم، وبهذا اكتسب صفة الحكمة ويرمز إليه، عادة، بالقلم وهو المذكور في التوراة باسم نبو (المترجم).

(17) «حدد» إله المطر والصواعق والسحاب والرعد، وهو بصفة عامة إله الطقس يكتب أحيانا أدد (المترجم).

(18) لفظ سن هو اسم القمر في اللغة الأكادية ويقال إنه ابن الإلهين إنليل ونينليل وقرينته هي

الآلهة يننجال وولداها الرئيسيان (أنانا-عشتار) و(أوتو-شمش إله الشمس). (المترجم).

(19) هو إله المطر والسحاب وكل مظاهر الخصب ويختلط أحياناب «حدد» وتحت هذا الاسم دخل مجمع الآلهة البابلي، وبعل هو السيد (وهو في اللغة العربية الزوج)، وفي التنزيل «أتدعون بعلا وتذرون، أحسن الخالقين».. الصافات 125 (المترجم).

(20) ننخرساج هي الأرض-الأم عند البابليين، انبثق عنها كل الأحياء من نبات وحيوان وبشر، وهي النموذج الأمومي الأول، واسمها السومري «كي» - كما سبق-ولها ا أسماء أخرى منها «ننماخ» و «ننتو» و «ما مي» و «ما ما» (المترجم).

(21) ننجال: إلهة سومرية يعني اسمها «السيدة الكبرى»، وهي زوجة إله القمر السومري «نانا» أو نَنار، والأكادي «سن» وأم إله الشمس. أما «أنانا» فهي أيضا إلهة سومرية تدعى في اللغة الأكادية «عشتار». وأصل الاسم في اللغة السومرية «نين-أنا» ويعنى سيدة السماء. ومن الأسماء الأخرى الثانوية «أنين» وتدعى بصفتها إلهة الزهرة «فينوس» نينسيانا-راجع في ذلك كله «قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين» تأليف. إدزارد وترجمه محمد وحيد خياطة ص 52 و53 وأيضا ص 136 (المترجم).

(22) مدن قديمة في بابل على نهر الفرات (المترجم).

(23) إلهة شعبية انتشرت عبادتها في العالم القديم كله وهي إلهة الحب والحرب معا. وقد ذكرتها أسفار العهد القديم بالصفتين معا الأولى حيث توضع أسلحة شاؤول وأبنائه التي غنموها في الحرب في معبد الإلهة «ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروت وسمروا جسده». صموئيل الأول 10: 31. وكان سليمان يقدسها بالصفة الثانية وبنى لها معبدا شرق القدس فقد: «أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة. فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب. فذهب سليمان وراء عشتاروت.. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل.. لأنهم تركوني وسجدوا لعشتاروت». سفر الملوك الأول 11: 1 و 4 و5 و33 كذلك: «المرتفعات التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتاروت (الملوك الثاني 23:11) وما زال هذا المعنى الجنس في اللغة العربية: عشرت الناقة وأعشرت حملت. وعبدت هذه الإلهة عند اليونان باسم أفردديت وعند الرومان باسم فينوس» (المترجم).

(24) قارن العهد القديم «الأبناء يلتقطون حطبا، والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكا لملكة السماوات» إرميا 7: 18 وأيضا 44: 19. (المترجم).

(25) عبدها عرب الجنوب في اليمن كإله ة ذكر باسم عثتر أو «إله نجم الصباح»، وقد ذكرت أيضا في أسفار العهد القديم باسمها العربي (المترجم).

(26) كانت تعبد عند اليونان باسم أفروديت Aphrodite ويرى بعض الباحثين أنها تحريف يوناني للاسم السامي عشتروت وهي ربة الخصب (خصب الأرض وخصب المرأة). وبالتالي ربة الحب. انظر مثلا «التاريخ اليوناني» جـ 1 ص 279 للدكتور عبد اللطيف أحمد علي. (المترجم).

(27) دوموزي وهو اسم سومري يعنى «ابن شرعي» وانتقل إلى اللغة الأكادية بلفظ تموز كما عرف بهذا الاسم في الروايات الآرامية وأسفار العهد القديم. وقد روى جيمس فريزر، الصور المختلفة لعلاقة دوموزي أو تموز أو أدونيس بعشتار أو عشتاروت أو أفروديت في كتاب «أدونيس أو تموز، وهو قسم من الجزء الرابع من كتابه الضخم الغصن الذهبي»، وترجم هذا القسم إلى العربية جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية بيروت 1982. (المترجم).

(28) احتفظ الأكاديون باسم «أنوناكي» ليطلقوه على إلهة العالم السفلي مقابل «أجيجي» أو آلهة

السماء السبعة العظام وهي المسماة بإلهة المصير. (المترجم).

(29) إله سومري يعنى اسمه «سيد الأرض» وهو ابن الإله إنليل اكتسب شخصيته القتالية عندما بدأت شعوب جبلية تهدد أمن الدولة البابلية واستقرارها. (المترجم).

(30) نمرود في الكتاب المقدس ابن حام بن نوح وكان جبارا «نمرود الذي ابتدأ يكون جبارا في الأرض والذي كان جبار صيد أمام الرب. ولذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب». سفر التكوين الإصحاح العاشر 8- 10(المترجم).

(31) نوسكو: إله سومري قديم معروف بوصفه ابن الإله إنليل وهو يظهر في النصوص الأكادية إلها للضوء والنار. (المترجم).

(32) جبيل هو إله النار الذي يمكن أن يكون مصدر خير أو شر وفق التأثير الذي تحدثه النار نفسها. (المترجم).

(33) أمورو-وهو أيضا «مارتو» الاسم السومري لإله البدو القاطن في الصحراء، وهو أيضا إله الطقس الذي يعصف بالمدن والقرى مسببا الخراب. وكان السومريون يشبهون هجوم البدو بالصاعقة. (المترجم).

(34) إله الشمس عند البابليين. وقد كان إلها للعدل أيضا وهو الذي أوحى إلى حمورابي بشريعته. (المترجم).

(35) جولا-ومعناها «الكبيرة» هي إلهة الشفاء ويرمز لها بالكلب كشعار، وفي بعض الأحيان يصورونه كلبا مجنحا ذا رأس بشرى. (المترجم).

(36) هي القوى الروحية أو القوانين الثابتة للكون ومن يحصل عليها يتحكم في الأشياء ولهذا تسمى أحيانا «ألواح القدر» وقد وضعت الإلهة أنانا نصب عينيها الحصول عليها. (المترجم).

(37) أنكى هو إله الحكمة كما ذكرنا ولهذا كان يسيطر على القوى الروحية «مه» وعندما زارته الإلهة أنانا في مدينة أريدو المركز الرئيسي لعبادته، استقبلها بحفاوة بالغة وعندما لعبت الخمر برأسه وهبها ألواح القدر فأسرعت بها قبل أن يفيق من سكره، لكنه أرسل خلفها وزيره «إسيمود» للبحث عنها في المحطات السبع التي تتوقف فيها، وزوده بمجموعة من العفاريت، لكن سفيرتها نينشوبور تساعدها حتى تصل سفينة الألواح المسروقة إلى شاطئ الأمان في أوروك سالمة. (المترجم).

(38) ملحمة التكوين البابلية «الاينوما ايليش» والاسم يعنى حرفيا «عندما في الأعالي». وهي الكلمات الافتتاحية التي تبدأ بها الملحمة «عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء.. وفي الأسفل لم يكن هناك أرض».. لم يكن في الوجود سوى المياه الأولى ممثلة في ثلاثة آلهة هي أبسبو وتعامه وممو، أما أبسيو فهو الماء العذب، وتعامه زوجته هي الماء المالح، وأما ممو فيعتقد البعض أنه الأمواج المتلاطمة وقد ترجمها أنيس فريحه مع ملحمة جلجاميش بعنوان «ملاحم وأساطير من الأدب السامي» بيروت 1967، كما ترجمها فراس السواح في كتابه مغامرة العقل الأولى-دراسة في الأسطورة-سورية وبلاد الرافدين-دمشق، العربي للطباعة والنشر، 1987، ص 51- 89 (المترجم).

(39) انكي في السومرية هو نفسه «أيام في الأكادية» (المترجم).

(40) أتراحسيس في اللغة الأكادية يعنى الرجل الحكيم، ويبدو أنه أحد أبطال الأسطورة التي تتحدث عن خلق الإنسان بواسطة الإلهة الأم «مامي» فيغضب انليل بسبب الضجيج الذي يحدثه البشر ويرسل الطاعون وسبع سنين عجاف إلا أن أتراحسيس يتمكن بمساعدة أنكى من تجنيب البشر هذه المصائب في كل مرة، عندها يقرر إنليل التخلص من البشر بواسطة الطوفان. لكن

أتراحسيس يبنى سفينة بناء على نصيحة الإله أنكى لحفظ أرواح البشر (المترجم).

(41) الإله كينغو هو الذي اختارته تعامة أو تيمات زوجا لها وقائدا لجيوشها في حربها مع مردوخ، وبعد أن قتلها مردوخ وسجن زوجها، خلق الإنسان من دماء الإله السجين كينغو عندما قتله وفرج عن بقية الأسرى كما خلق النباتات والحيوانات.. الخ (المترجم).

(42) تصور أسطورة العمر الذهبي الإنسان في الفردوس قبل هبوطه إلى الدنيا حيث كان سيد نفسه وسيد الطبيعة. (المترجم).

(43) تصف الأسطورة أرض دلمون بقولها «أرض دلمون مكان طاهر، أرض دلمون مكان نظيف، أرض دلمون هي الجنة». (المترجم).

(44) تذهب الأسطورة إلى أن «أنكى» أخرج ماءه وسقى تربة زوجته الأرض فحول دلمون إلى جنة إلهية خضراء. ومن اتحاد الماء (أنكي) والتربة (ننخرساج) امتلأ الفردوس بالحقول والأشجار والثمار، وتظهر مجموعة من إلهات النباتات ويقوم «إنكي» بإغوائهن تاركا زوجته! غير أن ننخرساج تقوم بخلق ثمانية أنواع من النباتات العجيبة، وقبل أن تفرح بزرعها يرسل إنكى رسوله «إيسمند» ليقطف له تلك النباتات ويأكلها جميعا. وما أن تعلم زوجته ذلك حتى تغضب غضبا شديدا وترسل على إنكي لعنة مقيمة «إلى أن يوافيك الموت لن أنظر إليك بعين الحياة»، فتهاجمه ثمانية علل بعدد النباتات التي أكلها. لكن تخضع ننخرساج في النهاية لمشيئة الآلهة، وتقوم بشفاء إنكى عن طريق خلق ثمانية من الآلهة يختص كل إله بشفاء أحد أعضاء إنكي العليلة. (المترجم).

(45) كلمة «تي» في اللغة السومرية تعني «الضلع» كما تعنى أيضا «أحيا» أو بعث فيه الحياة. أما كلمة «نن» فهي تعنى سيدة-انظر مغامرة العقل الأولى-فراس السواح ص 193 (المترجم).

(46) تروى أسطورة سومرية أن بستانيا اسمه «شوكاليتودا» زرع شجرة تعهدها بالرعاية والعناية حتى كبرت ونشرت ظلها الواسع على معظم أجزاء حقله، وحدث أن دخلت الإلهة «أنانا» البستان متعبة بعد رحلة طويلة قامت بها، وغلبها النوم، فرآها البستاني فضاجعها، وتنتقم الإلهة لنفسها بأن ترسل ثلاث مصائب متلاحقة إلى بلاد سومر الأولى: تجعل الآبار تنبع دما عوضا عن الماء، والثانية تغرق سومر بالسيول والعواصف، والثالثة غير واضحة. قارن المرجع السابق ص 157 والقاموس ص 62 (المترجم).

(47) سبق أن ذكرنا أن الإله إنكى هو صديق الإنسان وهو أشبه بالإله بروميثوس في الميثولوجيا اليونانية في مساعدته المستمرة للجنس البشرى (المترجم).

(48) أوتنابشتيم «الملقب بالبعيد» هو الشخص الذي كان يبحث عنه جلجامش بعد عبوره نهر العالم السفلي ليعرف منه سر الحياة الأبدية التي وهبتها له الآلهة (المترجم).

(49) أرسل في البداية حمامة لكنها عادت، ثم أرسل سنونو ولكن ما لبث أن عاد، ثم جاء بغراب وأطلقه في السماء، فكان الغراب بعيدا، ولما رأى الماء قد انحسر أكل وحط ولم يعد. قارن ذلك بما جاء في سفر التكوين «وحدث من بعد أربعين يوما أن نوحا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها وأرسل الغراب، فخرج مترددا حتى نشفت المياه من الأرض. ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض. فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها فرجعت إليه في الفلك فلبث أيضا سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون في فمها، فعلم نوح أن المياه قد قلت من الأرض. فلبث أيضا سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضا..» سفر التكوين الإصحاح الثامن 6- 13 (المترجم).

(50) نينورتا-إله سومري يعنى اسمه «سيد الأرض» وهو ابن الإله إنليل. وزوجته هي آلهة الشفاء «جولا». وهو يجسد الخصوبة في أقدم مظاهرها. أما «أساج» فهو عفريت سومري يعني اسمه «الذي يضرب الذراع» وتحول هذا الاسم إلى «إسباكو» في اللغة الأكادية. وكان في الأصل عفريت الأوبئة والأمراض ثم أصبح عفريت-أعداء سومر-القاطن في الجبال. والقصة التي يشير إليها المؤلف تروي الحملات التي كان الإله نينورتا يشنها ضده في الجبال (المترجم).

(51) «إتان» هو الملك الثاني عشر من الملوك السومريين بعد الطوفان البابلي وهو يوصف «بالراعي الذي صعد إلى السماء». وكان عقيما فنصحه إله العدالة (شمش) أن يتوقف خلال بحثه عن نبتة الإنجاب عند حفرة كانت حية قد حبست فيها نسرا وأن يحرره منها. وعرفانا بالجميل يقوم النسر بحمل «إتانا» الذي أعتقه من الأسر، على ظهره، وينطلق به تجاه السماء إلى المكان الذي توجد فيه النبتة المقصودة، وعندما تغيب الأرض عن ناظريه يتملك «إيتانا» الشعور بالخوف والقلق، فيقرر الكف عن البحث والعودة إلى الأرض، إلا أن النسر وإيتانا يسقطان على الأرض. انظر قاموس الآلهة ص 27 (المترجم).

(52) لهذه الأسطورة الكثير من الصور «فدموزي» الراعي الذي تختاره الإلهة أنانا عشيقا وزوجا يصطحب عروسه إلى بيت أهله، وفي الطريق يلقنها آداب السلوك وكيف ينبغي عليها أن تتصرف تجاه والديه فتشعر الإلهة أن زوجها قد حط من شأنها وقلل من أهميتها وعاقبته الإلهة وتخلت عنه وهو في العالم السفلي، وقد عاقبت عشتار تموز أيضا في النص الأكادي لملحمة جلجامش. أما أسطورة أدونيس وأفروديت فقد كان قرار زيوس هو الذي حكم بأن يقضى أدونيس شطرا من السنة تحت الأرض وشطرا فوقها وهو شكل آخر من الأسطورة عبّر فيه الإغريق عن احتجاب أدونيس وعودته إلى الظهور مرة أخرى-قارن مثلا جيمس فريزر، أدونيس أو تموز ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ص 23 (المترجم).

(53) «آرالو» أو «أزالي» هو العالم السفلي أو عالم الأموات وهو «الوطن بلا عودة»، وهو عالم مظلم موحش وإن كان إله الشمس يقوم برحلة ليلية إليه عبر بوابته بعد أن يفرغ من دورته النهارية على الأرض، وأشعته هي البصيص الوحيد من النور الذي يدخل إلى هذا العالم (المترجم).

(54) الإقامة في العالم السفلي جبرية، لا مفر منها حتى إن الآلهة نفسها لا تستطيع مغادرته إلا بعد أن تضمن البديل، حتى العظماء والأبطال من الحكام الأرضيين الذين ارتقوا إلى مصاف الآلهة يتحولون إلى آلهة من آلهة العالم السفلي مثل جلجامش وإتانا. وحياة الأموات حياة قاتمة مظلمة غير مبهجة ويحمل إله الشمس الضوء والطعام والشراب خلال رحلته الليلية. وللعالم السفلي نهر يشكل حدوده وعلى الآلهة أن تعبر سبع بوابات للوصول إليه. قارن في ذلك كله قاموس الآلهة ص 114 (المترجم).

(55) اريشكيجال هي آلهة العالم السفلي وزوجها هو الإله نرجال وابنها ووزيرها الإله تمتار «وحارس بوابتها نتى وأمينة سرها وكاتبتها هي الإلهة بعلة صيرى أو بلت صيرى في الرواية الأكادية»(المترجم).

(56) أشوم إله أكادي تذكر الروايات البالية أنه بطل ومستشار الإله نرجال وهو صديق البشر (المترجم).

(57) كانوا يعتقدون أن الميت إذا لم يدفن على خير وجه عذّب الأحياء، وإذا لم يدفن قط حامت روحه حول البالوعات تطلب الطعام (المترجم).

(58) الزقورة أو الزكورة-تعنى حرفيا «المكان المرتفع» وهو هيكل بابلي وآشوري يتكون من طبقات

مكعبة الشكل بعضها فوق بعض تتناقص كلما علت ويحيط بها سلم من خارجها (المترجم).

(59) أقدم برج مدرج هو الذي شيد في مدينة أور لعبادة الإله العظيم إنليل (المترجم).

(60) بنيت الأبراج السومرية على هيئة طوابق متتابعة متناقصة في السعة. وتشيد الواحدة فوق الأخرى.وهذه الأبراج ذات سلالم خارجية عريضة، أو ذات سطوح خارجية مائلة تلتف صاعدة حول البرج كاللولب لصعود الكهنة والتابعين لهم للوصول إلى القمة «جورج سارتون» تاريخ العلم جـ3 ص174- 175 المترجم).

(61) نينجرسو: يعني اسم هذا الإله في اللغة السومرية «سيد جرسو» ويذكر ضمن أسماء آلهة مقاطعة لجش وزوجته هي الآلهة بابا. (المترجم).

(62) صربنيتو: والاسم يعني في اللغة الأكادية «الفضة اللامعة» وهي زوجة «مرودخ»، وإلهة بابل الرئيسية المختصة بشؤون الحمل والولادة. وفسر هذا اللقب فيما بعد في اللغة البابلية (ذر بنيتو) أي بانية الذرية أو خالقة النسل «قاموس الآلهة والأساطير» ص 109، ترجمة محمد وحيد خياطة (المترجم).

(63) دراسة التدبير الإلهي في الكون وأهم عناصر التيوديسية هو محاولة نفي حقيقة الشر أو التوفيق بين وجود الشر ووجود العناية الإلهية، وقد أطلق علماء الآشوريات اسم «التيوديسية البابلية» على أحد نصوص الحكمة البابلية المشهورة وهو نص الحوار بين المعذب والصديق (المترجم).

(64) رسم للسماء كان المنجمون يستعملونه لكشف الطوالع (المترجم).

(65) كان الاعتقاد السائد في الأمم القديمة أن الكبد هو مركز العقل في الحيوان والإنسان على حد سواء. ومن هنا كانت دراسته أساسية في التنبؤ بالغيب. ولم يكن الملك يجرؤ على شن حرب أو الاشتباك مع جيرانه في قتال، إلا إذا استعاذ بكاهن أو عراف يقرأ له طالعه. بل لم يكن المواطن البابلي العادي يجرؤ على البت في أمر من الأمور إلا إذا فعل الشيء نفسه، وهي عادة قديمة سوف نجدها في معظم الحضارات القديمة كما أنها بارزة عند اليونان على نحو ما سنعرف فيما بعد (المترجم).

(66) من الكلمة اليونانية.. Teras التي تعني العلامة أو التنبية على أمر عجيب. فهو علم دراسة الانحرافات الخطيرة والأشكال الشائهة، والكائنات العجيبة بين موجودات العالم (المترجم).

هوامش الفصل الثاني

(1) «المصطبة» لفظة عامية تقال على البناء غير المرتفع الذي يتم الجلوس عليه، وقد أطلقته العامة على بعض قبور الفراعنة، وقبل علماء الآثار الاسم فغدا من المصطلحات الأثرية (المترجم).

(2) كان معبد الإله «رع» في هليوبوليس ولم يكن في المعبد صورة لهذا الإله بل حوى قطعة مخروطية من الحجر تسمى «بن بن» توضع في فناء مكشوف واعتقد المصريون أن الشمس يجب أن ترسل أشعتها الأولى على هذا الحجر (المترجم).

(3) كان للإله تحوت زميلة تقاسمه وظيفته ككاتب وعالم هي الإلهة «سشات» الكاتبة وسيدة دور الكتب، أي المكتبات، وكانت هي الإلهة الأولى التي كتبت وقد كانت في الأصل هي الإلهة «نفتيس» ووظيفتها أن تسجل أعمال الملوك وتنقش أسماءهم على شجرة في معبد هليوبوليس، بينما يقوم تحوت بتسجيل سني كل ملك على غصن طويل. راجع «ديانة مصر القديمة» أ. أرمان ترجمة عبد المنعم أبو بكر ص 68 واللوحة رقم 2(المترجم).

(4) أحد الحكماء ألف كتابا من أمتع ما خلفه الأدب المصري يحوي مجموعة كبيرة من الآداب العامة. انظر «ديانة مصر القديمة» ص. 180-182(المترجم).

(5) كان «سيرابيس» هو الإله الرئيسي في مملكة البطالمة، وهي التسمية التي أطلقها الإغريق على الإله المصري أوزريس (المترجم).

(6) الغنوصية Gnosticism نسبة إلى Gnosis أي «المعرفة». وهى حركة فلسفية ودينية نشأت في العصر الهلنستي (بعد وفاة الإسكندر) وأساسها أن الخلاص يتم عن طريق المعرفة أكثر مما يتم بالإيمان والأعمال الخيرة، تأثرت بها بعض الفرق اليهودية والمسيحية. وبعبارة أخرى: الغنوص هو المشاهدة الباطنية لعالم ما فوق الحق عن طريق المشاهدة أو الرؤية الإلهية. والغنوصيون فلاسفة ورجال دين عاشوا في القرون الأولى للمسيحية، وتعرفوا على الأسرار الخفية لإيمان من خلال التأمل الفلسفي. (المترجم).

(7) الطوطم (حيوان في الأعم الأغلب، وقد يكون نباتا) يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية ويعتبر لحمه محرما على أفرادها الذين يعتقدون أنهم انحدروا منه ويحملون لذلك اسمه. ويحرم نظام الطوطم الصلات الجنسية بين أفراد الطوطم الواحد لأنهم أخوة وأخوات لانحدارهم من طوطم واحد (المترجم).

(8) الحروف الأصلية في كلمة «أتوم» تعني الإله الذي أتم نفسه بنفسه أي أنه خلق نفسه أولا ثم خلق العالم. ومن صفاته «ذلك الذي جاء للوجود من تلقاء ذاته» (المترجم).

(9) «نون»- هو المحيط الذي خرجت منه جميع الكائنات (المترجم).

(10) هوتل موغل في القدم، كان أول ما ظهر على سطح الماء وكانوا يسمونه «التل المزدهر الذي ظهر في أول العصور» (المترجم).

(11) كلمة «شو» تعني في اللغة المصرية القديمة الفضاء، وقد صورته اللغة، والفن، على أنه رجل يقف فوق الأرض ويسند بيديه السماء (المترجم).

(12) هي زوجة الإله شو وعبدها المصريون على شكل الأسد وزوجته في الدلتا، وشاركت «تفنت» زوجها أعباء مهمته السلمية في حمل الأفق وهذان الإلهان خلقا كما يدل اسمهما بطريقة البصق الأول أشش والثانية تف ولا يزال المصريون يستخدمون كلمة «تف» العامية بمعنى بصق (المترجم).

(13) تخيل المصري الأرض على أنها ذكر، على عكس ديانات العالم القديم، والسبب في ذلك هو أن كلمة السماء في اللغة مؤنثة، وكلمة الأرض مذكرة. وهكذا صور إله الأرض «جب» مستلقيا على بطنه وقد نبتت المزروعات فوق ظهره. أما المرأة التي تنحني فوقه فهي زوجته «نوت» إلهة السماء (المترجم).

(14) أنجب شو وتفنت جب إله الأرض ونوت إلهة السماء، ثم أنجب الأخيران أوزيرس وست وأيزيس ونفتيس، ولقد حكم هؤلاء العالم في أول الأمر قبل أن تتجمع السلطة في يد حوريس فكانوا الآلهة العظام. ولأن عددهم بلغ التسعة، فقد سماهم المصريون التاسوع العظيم لهليوبوليس. (المترجم).

(15) كان أتوم الذي يعبد في هليوبوليس هو نفسه الإله خبرى وهي أسماء إله الشمس الذي عرف أيضا باسم الإله رع (المترجم).

(16) انتشرت في كثير من الأساطير المصرية القديمة طريقة اللعب بالألفاظ فمثلا تقول إحدى الأساطير إن الإله رع قال مرة: «نادوا لي تحوت» فأحضروه إليه في الحال، فقال له «سوف

أجعلك تحتضن Ionh السماء بجمالك وبأشعتك فنشأ عن ذلك القمر <iohثم في مناسبة أخرى قال له «سأرسل Hob إليك من يفوقك عظمة فنشأ أيبس Hib طائر تحوت». وينسب المؤرخون هذه الظاهرة إلى شغف المصريين بتحميل اللفظ الواحد معاني كثيرة يحوي كل معنى شيئا من كنه هذا الاسم، ومن هنا كان إله الشمس «أتوم» يحمل صفتين «الذي خلق نفسه» و«الذي أنشأ اسمه». راجع «ديانة مصر القديمة» تأليف أدولف أرمان ص 77 وما بعدها (المترجم).

(17) هي مدينة منف (ومنفيس تسمية ترجع للإغريق) من أقدم عواصم الدنيا أسسها الملك مينا واتخذها عاصمة للمملكة المتحدة القديمة، لم يبق منها غير أطلال من مختلف العصور حول قرية «ميت رهينة» الآن بمحافظة الجيزة بالقاهرة (المترجم).

(18) تسمى أيضا «تعاليم منف الكهنونية» التي اعتبرت من أهم الوثائق التي حفظت بين كنوز معبد منف آلافا من السنين وهى تبدأ بالحكمة التي تقول «أن بتاح خلق من نفسه ثمانية آلهة أخرى سميت باسم بتاح وقد أطلق عليها البشر أسماء أخرى». (المترجم).

(19) وقارن أيضا إنجيل القديم يوحنا «في البدء كان الكلمة Logos»... (المترجم).

(20) هي مدينة شمون واسمها يعني «الثمانية» ففيها كان ذلك التل القديم الذي ظهرت فوقه المعالم الأولى للحياة والكائنات التي ظهرت في البداية: الليل، والظلام والاختفاء والذبذبة وغير ذلك وعددها ثمانية (المترجم).

(21) اللفظ المصري «آمون»، يعني الخفي وكان هذا الإله الخفي يتجلى في أشكال كثيرة والبعض يفسر هذه الآلهة الثمانية على النحو التالي: لعبت هذه الآلهة دورا جوهريا في مولد العالم وهي ثمانية من ذكر وأنثى وكان يطلق عليها نون ونونت، والمحيط الأول وحح وححت، الفراغ الذي لا نهاية له، وككو وككت، الظلمات، وآمون وأمونت الذي لا يمكن تعريفه، وكانت تصور برؤوس ضفادع وثعابين تثير ذكرى الحياة الصاخبة، آلهة مصر ص 67- فرنسو دوماس وترجمة زكي سوس (المترجم).

ترجمة لاسم جماعة الثمانية وهم الآلهة الأول الذين تعاونوا في خلق العالم، ويقابلها Ogdoad(22)
(في اللغة العربية «ثمان» (المترجم.

(23) ما يحط عليه الطير بعد طيران طويل (المترجم).

(24) عندما يظهر هذا النجم في آخر شهر يوليو في السماء صباحا يكون ذلك بمثابة البشير بوصول الفيضان، واعتبر هذا رمزا لبدء السنة الجديدة للمزروعات (المترجم).

(25) ظهر التمساح كمعبود محلي يعطي الحياة للنباتات فوق الشاطئ، وانتشرت عبادته في أرض البحيرة في الفيوم، إذ اعتاد الناس الاحتفال هناك بظهور الفيضان كل عام، ولهذا يرى البعض أن «سبك» كان إلها للماء «ديانة مصر القديمة» ص 54- 55 (المترجم).

(26) كان حوريس ابن الإله أوزريس الذي قتل نتيجة مؤامرة «ست» وكان فرع «حوراختى» ومعناه «سيد الجميع» يرأس جلسات المحكمة التي تحاكم ست (المترجم).

(27) كان أوزريس إله الموتى عند المصريين جميعا. لكن كان لكل مدينة إله محلي لرعاية جبانتها وكثيرا ما يتخذ شكل «ابن آوى» الحيوان الذي يجوب المناطق الصحراوية ليلا حيث تقع المقابر كما اتخذ أيضا شكل الكلب والذئب.... إلخ (المترجم).

(28) كانت الإلهة نايت تمثل إلهة الحرب ورمزها المعروف يتكون من قوسين ودرع، ومن بين ألقابها «التي تمهد الطريق» وهذا يعنى أنها كانت تتقدم الملك في المعركة (المترجم).

(29) هو إله الإخصاب الذي يسرق النساء، وسيد العذارى، لكنه أيضا حامى طرق الصحراء ويمثل هذا الإله واقفا وقضيبه منتصب وعلى رأسه ترتفع ريشتان عاليتان، ولعلهما ما يقصده المؤلف. (المترجم).

(30) في بلاط بطليموس الأول والثاني كان يعيش الكاهن «مانيثو» الذي تم على يديه تأويل رؤيا الملك، فتحول أوزريس-أبيس إلى سيرابيس. ومنذ ذلك الوقت أصبح سيرابيس الإله الرئيسي في مملكة البطالمة، وكان على الإغريق والمصريين على حد سواء تقديسه وعبادته (المترجم).

(31) كانت تماثيل هذا الإله الجديد تنحت في الهينة التي شاهده عليها الملك في رؤياه بشعر ولحية أشعثين وعلى رأسه مكيال الحبوب (المترجم).

(32) اتخذ «بتاح» إله منف أن «سخمت» -الإلهة القوية التي عبدت في منف أيضا ومثلت على شكل لبؤة-زوجة له، وأنجبا ذلك المعبود الصغير «نفرتم» الذي لم يكن سوى زهرة. وهكذا تكون الثالوث من الزوج والزوجة والابن (المترجم).

(33) هذا ثالوث آخر من مدينة طيبة يتألف من الإله «آمون» والإلهة «موت» وابنها الإله «خنسو» وكانت موت Mut سيدة السماء. وقد عبدت في طيبة تحت هذا الاسم، وإن كانت كلمة موت تعني «الأم». وقد لقبت في النقوش المتأخرة بلقب «أم الشمس» التي تشرف منها. أما الإله «خنسو» فهو إله القمر. وقد عبده الناس في طيبة أيضا. وكلمة خنسو «تعني» الذي يجوب السماء. «وقد صوروه طفلا آدميا وبذلك أصبح ابنا للإلهة المحلية التي تمثل السماء» موت (المترجم).

(34) كان سوكاريس إلها للموتى-في منف كما سبق أن ذكرنا، ثم اندمج في جاره الكبير وأصبح يسمى «بتاح، سوكاريس». وعندما أصبح أوزريس بعد ذلك هو إله الموتى الكبير سمي باسم «أوزريس-سوكاريا». (المترجم).

(35) يقولون أحيانا إنها «عين الشمس» وأحيانا أخرى إنها «عين القمر» التي تصغر رويدا رويدا ثم لا تلبث أن تنمو بشكل عجيب حتى تكتمل (المترجم).

(36) كلمة أوبت هي اسم معبد الأقصر وهي تعني أيضا «الحريم» ولهذا يظن الباحثون أن ذلك العيد الذي ينتقل فيه الإله إلى الأقصر ثم يعود إلى الكرنك يشير إلى أن الإله كان يذهب إلى هناك كل عام ليحتفل بزواجه (المترجم).

(37) يبدأ الاحتفال بتقدمه يرفعها الملك أمام قارب أمون-أي أمام محرابه المحمول قبل أن يغادر هذا المحراب معبد الكرنك، ثم يخرج الموكب من صرح المعبد والكهنة يحملون القوارب فوق أكتافهم، ويجب ألا يقل عدد الذين يحملون قارب أمون عن ثلاثين. ويصحب الموكب الغناء ودق الطبول ويتقدم المشهد جندي ينفخ في النفير. أما على الشاطئ فكان هناك موكب طويل يرافق الحملة المقدسة والناس تصيح صياح الغبطة والتهليل، ومنهم المكلفون بسحب القوارب في اتجاه مضاد للتيار... إلخ. راجع هذا العيد بالتفصيل في كتاب «ديانة مصر القديمة» أدلف أرمان ص 223- 224 (المترجم).

(38) منذ أن أقام ملوك الأسرة الأولى في أبيدوس ودفنوا فيها، نشأ الزعم بأن أوزريس هو أول الموتى الذين سكنوا الغرب الذي هو «دار المثوى»! وكان يعبد في هذه المدينة التي يوجد فيها أهم أشلائه وهو رأسه المدفونة في صندوق صغير (المترجم).

(39) كان شكل الإله الميت يصنع من الرمل والشعير في هذه الاحتفالات، ثم يُروى بالماء فإذا ما نبت الشعير واكتسى جسد الإله بالخضرة. كان هذا دليلا على عودة الحياة للإله (المترجم).

(40) فتح الفم والعينين أهم الطقوس جميعا، فكان وجه الميت يمس بقدومين صغيرين حتى يستعيد الميت قدرته على تناول الطعام (المترجم).

(41) كان الكاهن يقوم بفتح فم الجثة حتى يستطيع الميت أن يأكل ويتكلم من جديد كما فعل أبناء حوريس الأربعة الذين فتحوا فم أوزريس بعد وفاته بأصابعهم النحاسية ليتمكن من أن يأكل ويتحدث ثانية (المترجم).

(42) كان أنوبيس، وهو الابن الرابع للإله رع.إلها للدفن منذ عهد الدولة القديمة. وقد احتل هذه المكانة لأن والده «رع» أرسله من السماء ليدفن أوزريس بعد أن قتله أخوه ست، فجمع أنوبيس أشلاء الإله الذي لم يبق منها سوى العظام ثم طواها في لفائف وأتم كل المراسيم التي أصبحت فيما بعد نموذجا يحتذيه المصريون (المترجم).

(43) مجموعة من نصوص الأدب الجنائزي القديم ظهرت في عهد ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة وهي معروفة منذ عام 1880، وقد نشرها ماسبيرو عام 1882 (المترجم).

(44) يقول ديورانت عن «تعاليم بتاح حوتب» إنها من المؤلفات الفلسفية، ويرجع تاريخها إلى 2800 ق. م أي ما قبل كونفوشيوس وسقراط وبوذا بألفي عام وثلثمائة. وكان «بتاح حوتب» حاكما على منف وكبير وزراء الملك في الأسرة الخامسة، فلما اعتزل منصبه قرر أن يترك لولده كتابا يحتوي على الحكمة الخالدة قصة الحضارة جـ 2 ص 149 (لمترجم).

(45) هي ربة الحقيقة التي تعّرف أهل الطبقة الممتازة على آلهتهم، حظيت بتقدير كبير في أوساط المتعلمين، والحقيقة باستمرار هي أهم دعامة للكمال الخلقي في عالم تسوده الفضيلة. قال عنها أحد الملوك المصريين «هي خبزي. وإني أشرب من نداها»! وكان القاضي الأول والوزير يسمى نفسه كاهنها، ويحمل صورتها فوق صدره كشارة لوظيفته (المترجم).

(46) الإله العظيم وسيد القضاء هو الإله أوزريس (المترجم).

(47) كان ينبغي على كل ميت وهو يلج مملكة الموتى أن يعلن أنه طاهر مبرأ من كل إثم حتى يمكن أن يستقبله الإله العظيم سيد القضاء «اوزريس» وهو أشبه بإعلان المتهم الآن أمام المحكمة أنه «غير مذنب» حتى يمكن محاكمته (المترجم).

(48) تصور المصريون الروح وكانوا يسمونها «با Ba» في مختلف الأشكال، ولما كانت قادرة على أن تترك الجسد وتنفلت منه عند الموت فقد تخيلوها عادة كأنها طائر. (المترجم).

هوامش الفصل الثالث

(1) مذكورة في أسفار العهد القديم «بيت عناة، وبيت شمس تسع عشرة مدينة.. إلخ». يشوع 19 : 38، وسفر القضاة 3:31..... إلخ (المترجم).

(2) يقال إن مقطع متر Meter في اسمها مشتق من ماتر Mater بمعنى الأم، وفي تفسيرات القدماء إن «دى» هي صيغة من «جى» الأرض، وبذلك يكون معناها أمنا الأرض أو الأرض الأم. (المترجم).

(3) كانت كالليستو رفيقة صغيرة لأرتميس وكانت ترتدي دائما زي الربة نفسها وتشاركها هواية الصيد، وقد غرر زيوس بهذه الفتاة وجامعها وهو متنكر في صورة دب. وقد مسختها أرتميس دبة لغضبها الشديد عظ ما اكتشفت وهي تستحم معها في الينابيع أنها حبلى، وانتزع زيوس الطفل من بطن أمه قبل مصرعها (المترجم).

(4) رحلت أفروديت-التي انبثقت من زبد البحر الذي اختلط بقضيب أورانس إله السماء بعد أن

مزقه أبناؤه إربا-رحلت إلى قبرص حيث شيد لها في مدينة بافوس أقدم معبد في العالم اليوناني كله (المترجم)..

(5) بوتشيلي، ساندر Sandro و Botticelli (1510- 1445) رسام إيطالي من مواليد فلورنسا استوحى الوثنية القديمة في لوحاته من أشهرها أفروديت وهي تخرج من البحر عارية ناضحة الأنوثة (المترجم)...

(6) استرابو (64- 23 ق. م) جغرافي ومؤرخ يوناني تعد آثاره مرجعا معتمدا في دراسة التاريخ القديم (المترجم).

(7) تعرف أيضا باسم الديانة الكريتية وتسميتها بالمينوية نسبة إلى مينوس Minos الملك، أو البيت الحاكم الذي سيطر على جزيرة كريت لفترة طويلة (المترجم).

(8) باسيفي هي زوجة الملك مينوس (انظر الهامش التالي) وقد تولدت في نفسها رغبة شاذة نحو الثور الذي وعد زوجها بذبحة قربانا للآلهة، ثم عاد واحتفظ به لينتج له سلالة من الثيران على شاكلته (المترجم).

(9) ايروبا Europa ابنة ملك مدينة صور-وهي التي سميت باسمها قارة أوروبا-رآها زيوس فهام بها حبا، ولكي يفوز بها تقمص شكل ثور وديع، وراح يقفز حولها وهي تمشي على الساحل الفنيقي. وأخيرا تمكن من إغرائها بالركوب فوق ظهره وقفز في الماء حاملا حبيبته إلى كريت، وهناك أنجب منها ثلاثة ذكور منهم مينوس Minos الذي أصبح حاكما للجزيرة (المترجم).

(10) ياسيون Jasion إله قديم للزراعة قبل مجيء الإغريق، ويروي هزيود أنه أنجب من الربة «ديمتر» الإله «بلوتو» الذي يظهر في الاحتفالات على هيئة طفل يحمل ثمار المحصول رمزا للوفرة والغنى. ويروي هوميروس في الأوديسة أن ياسيون جامع ديمتر في حقل محروث ثلاث مرات، وأن زيوس قتله بصاعقة عندما علم بذلك (المترجم).

(11) الكلمة في الأصل تعني السماء (المترجم).

(12) لقب من ألقاب أثينا شاع منذ هوميروس ذلك أن الجبار بلاس حاول مغازلتها فقتلته وأضافت اسمه إلى اسمها ليكون ذلك نذيزا لغيره من الخطاب، وهكذا ظلت أثينا عذراء (المترجم).

(13) كانت العذراء بلاس واحدة من خادمات المعارك الاثنى عشرة، تطوف أرض المعركة، وتختار من القتلى من تقودهم إلى العالم الآخر (المترجم).

(14) الأورستيا: ثلاثية للشاعر اليوناني أسخيلوس 456- 525(Aeschylus) كتبها في ثلاث مسرحيات هي أجاممنون ويصور القائد بعد عودته من حرب طروادة وخيانة زوجته. ثم مسرحية «حاملات القرابين» وهن جماعة من النساء يأتين بالقرابين إلى قبر الملك بعد أن قتلته زوجته مع عشيقها، وفيها أيضا نجد أورست يقتل أمه انتقاما لأبيه. أما المسرحية الثالثة فهي «ربات الرحمة» أو «الراجيات الخير» وفيها يتضرع أورست إلى«الإلهة أثينا» أن تنجيه، وتحتج ربات الانتقام، فتنعقد محكمة من الآلهة لمحاكمته.. إلخ. وتعد الأورستيا أورع آيات الأدب اليوناني في نظر كثير من الباحثين (المترجم).

(15) خطيب وبلاغي روماني (35- 96 م) أنشأ في روما معهدا لتعليم الخطابة، وألف كتابا ضخما عن أسس الخطابة في 12 جزءا (المترجم).

(16) بعد أن انتصر زيوس على أبيه كرونس في حرب طاحنة، راح يورع ملكوت العالم على أخوته، فنصب أخاه بوزيدون ملكا على الماء واتخذ من هيرا زوجة وحامية للأسرة ومن ديمتر راعية للحصاد...إلخ (المترجم).

(17) لقب فوبس الذي يخلعه عليه هوميروس يعني المضيء والمنير كما يعني المطهر (المترجم).

(18) اسم هرمز مشتق من لفظ Herma أو هرمايون Hermaion بمعنى كومة من الحجارة، أو نصب حجري، وكانت الأكوام الحجرية تستخدم كعلامات على جوانب الطريق تحديدا لها وهداية للمسافرين (المترجم).

(19) وصف هرمز بأنه محتال مخادع ومكار ومن هنا نشأت شهرته في اللصوصية ورعاية اللصوص وهي حرفة أعانته عليها خفة حركته ومعرفته التامة بالطرق والدروب، ونظرا لمعرفته بهذه الطرق فقد أصبح إلها للتجار (المترجم).

(20) القيوط ذئب صغير ماكر في أمريكا الشمالية، والأنانسي شخصية تلعب دور المحتال في الأدب الشعبي الأفريقي (المترجم).

(21) كان هرمس أيضا «إله الخطر»، ولما كان يرمز إليه بعمود حجري يحيط بقاعدته كومة من الحصى، فقد أخذ العمود والإله يقتربان من الصورة الآدمية في أذهان الناس حتى شبهوه بعضو الذكورة استجلابا للخصب والوفرة (المترجم).

(22) هام حبا بأفروديت وبادلته الربة هذا الحب، فكان يزورها في قصر زوجها هيفايستوس من وراء ظهره. لكن هليوس Helios إله الشمس الذي لا يخفى عليه شيء رأى العشيقين في خلوتهما فأخبر الزوج الذي كان آخر من يعلم فصنع شبكة من حديد وألقاها عليهما ليضبطا متلبسين! (المترجم).

(23) ألواح من الطين مكتوبة بخط يسمى الكتابة الخطية ب Linear B(حوالي 1200 ق. م) اكتشفت بإقليم مسينا وفي ميكياس وقد سميت كذلك تميزا لها من الألواح المكتوبة بالخطية أ Linear A التي لم تكتشف إلا في كنوسوس بجزيرة كريت (المترجم).

(24) العمر الميكيني (حوالي 1550ق. م) وسمي كذلك لأن مدينة ميكيناي Mycenae بالبلبونيز كانت أقوى مدن هذه الفترة وأغناها وأوسعها نفوذا (المترجم).

(25) في الاحتفال بموت ديونسيوس وبعثه، كانت النساء تصعد التلال في فصل الربيع لرؤية الإله حين يولد من جديد. وكن يقضين يومين كاملين في احتساء الخمر بلا حساب حتى يفقدن العقل من شدة السكر، وكن يرقصن أثناء الشراب بطريقة هستيرية ويمسكن بماعز أو ثور يمزقنه إربا وهو على قيد الحياة إحياء لذكرى تمزيق ديونسيوس، ثم يشربن من دمه، ويأكلن لحمه معتقدات أن الإله سيدخل بهذه الطريقة أجسامهن، ولفظ الحماس الإنجليزية Enthusiasm مشتقة من انثيوس-Entheos أي «إله في الداخل» أو أن يتملك إله جسم الإنسان (المترجم).

(26) كان زيوس ملك الملوك، وسيد الإلهة، يطيعه كل شيء إلا ربات القدر أو المقادير Fates القاطنات في العالم السفلي هاديا واللائي يجري قضاؤهن على زيوس نفسه! (المترجم).

(27) بريابوس إله الخصب والحدائق ولد نتيجة لاتصال ديونسيوس بأفروديت وكان الفنانون يزينون المزهريات بصورته، وقد نشأت عبادته أصلا في بلدة لابساكوس على الدردنيل (المترجم).

(28) الإله بأن هو إله الرعاة والقطعان والغابات والمراعى. وكانوا يصورونه نصف إنسان من الرأس حتى الفخدين، ونصف جدي (فيه من الجدي ساقاه وأذناه وقرناه) تسمع صفارته في كل جدول وواد، وتبعث صيحته الفزع. وكلمة Panic الإنجليزية التي تعني الفزع مشتقة من الإله بان(المترجم).

(29) الساطير: آلهة الغابات في أساطير الإغريق لها ذيل وأذنا فرس، وتميل إلى العربدة

والانغماس في الملذات (المترجم).

(30) القناطير: جماعة من الوحوش البرية. يقال إن لها رأس إنسان وجسد حصان، وكانت تعيش في الغابات وأعالي الجبال. وهم من نسل اقنطورس بن اكسيون Ixion، ويقال إنه كان يجامع الأفراس قرب جبل بيليون (المترجم).

(31) بروتيوس: إله صغير من آلهة البحر، كان في البداية راعي قطعام البحر كالأسماك وكلاب البحر.. إلخ. وعند هوميروس أنه كان جنيا مصريا يخدم بوزيدون إله البحر، وكانت له القدرة على التشكل في أشكال الوجود (المترجم).

(32) جلوكا أو جلوكس واحدة من عرائس البحر، وكانت تسمى بالرمادية المائلة إلى الزرقة، وهذا هو معنى الكلمة (المترجم)

(33) كانت حورية البحر «ليوكوثيا» هي التي ساعدت أوديسيوس في محنته بعد أن هشم بوزيدون زورقه، فأعطته وشاحا لفه حول وسطه واستطاع أن يسبح به ثلاثة أيام حتى وصل إلى الشاطئ (المترجم).

(34) الناريدات: مجموعة من حوريات البحر تزعم الأسطورة الإغريقية أنهن من بنات إله البحر نيريوس Nereus (المترجم).

(35) التريتون: نصف إله من آلهة البحر عند الإغريق له جسم رجل وذيل سمكة. (المترجم).

(36) مجموعة من كائنات أسطورية لها رؤوس نساء وأجسام طيور كانت تسحر الملاحين بغنائها فتوردهم موارد الهلاك. ولهذا اضطر أوديسوس إلى إغلاق آذان رجاله بالشمع عندما مر بجزيرتهم أثناء

عودته من طروادة(المترجم).

(37) هو الفيلسوف اليوناني انكساجوراس 427- 496(Anaxgoras ق. م) ذهب إلى أن الشمس ليست إلها وإنما هي حجر ملتهب تفوق في الحجم شبة جزيرة المورة وأن القمر مسكون وفيه جبال ووديان..إلخ (المترجم).

(38) في بداية المحاورة يبحث فايدروس وسقراط عن مكان منعزل على ضفة نهر اليوسس «فهناك ظل ونسيم عليل وحشائش خضراء نجلس أو نستلقي عليها إن شئنا» 279 س ترجمة د. أميرة مطر ص 44 (المترجم).

(39) ديوتيما امرأة من «مانت» صاحبة أعمال جليلة وهي على ما يروي سقراط في «المأدبة». هي التي علمته فن الحب. (المترجم).

(40) عالم سويدي متخصص في الحضارة الإغريقية (المترجم).

(41) ابنة ديمتر التي اختطفها هاديس إله العالم السفلي، وعرفت بعد زواجها منه باسم برسيفوني-Per sephone وهي ربة الربيع (المترجم).

(42) ميجالوبوليس مدينة رئيسية في الجزء الغربي من إقليم أركاديا وتقع على نهر الفيوس Alpheus (المترجم).

(43) أورست هو ابن أجاممنون الذي انتقم من أمه وعشيقها لقتلهما لأبيه وقد سبق أن أشرنا إليه عند الحديث عن ثلاثية «الأورستيا» لايسخيلوس (المترجم).

(44) اسم شهر من الأشهر اليونانية، والتراجيليا عيد حصاد الحب (المترجم).

(45) كانوا إذا داهم المدينة قحط أو مرض قدموا للآلهة ضحية بشرية تطهيرا للمدينة، ففي عيد «الثارجيليا» يأتون بمواطن فقير ويطعمونه ويلبسونه ثيابا كهنوتية ويزينونه بالأغصان المقدسة

ثم يلقون به من فوق صخرة ويدعون من حوله أن يكفر بعقابه هذا عن سيئات مواطنيه! أما كلمة-Phar makos فكانت تعنى في الأصل «رقية سحرية» ثم أصبح معناها «العقار الشافي» (المترجم).

(46) إليوسيس هي المدينة التالية لأثينا وكانت تقع على خليج شبه مقفل على سهل ساحلي خصيب. وكانت تقام فيها أسرار عبادة ديمتر وكورى (برسيفونى) التي كان يفد إليها الناس من جميع أرجاء اليونان. (المترجم).

(47) يقال إن كورى أكلت حب الرمان وهى في العالم السفلي، لهذا كانت تنام نصف العام في العالم السفلي وتصحو نصفه الآخر فوق سطح الأرض! أما الاحتفالات بالطقوس السرية الكبرى باليوسيس فهي تقام في شهر سبتمبر لمدة ستة أيام. وكانت تقترن بذكرى عودة كورى إلى أمها ديمتر في مستهل الخريف عندما تكون الخضرة قد عادت إلى الحقول بعد جفاف الصيف (المترجم).

(48) كانت كورى تمثل الروح المودعة في القمح والحبوب، تجيء بمجيئها وتختفي باختفائها. ومن هنا كانت صلتها بالعالم السفلي تحت التربة حيث تدفن البذور. ومن هنا أيضا جاء ارتباطها بإله العالم السفلي «بلوتو» أو «هاديس» الذي اختطفها ونزل بها إلى دولته تحت الأرض وبحثت ديمتر عن ابنتها دون جدوى حتى بلغت اليوسس... إلخ (المترجم).

(49) كانت الاحتفالات تصل إلى ذروتها بزواج خفي بين كاهن يمثل زيوس وكاهنة تمثل ديمتر، وكان هذا الزواج رمزيا (المترجم).

(50) «ترنيمة إلى ديمتر» منسوبة إلى هوميروس، وفيها وردت قصة اختطاف هاديس إله العالم السفلي للعذراء كورى وهبوطه بها إلى مملكته تحت الأرض. (المترجم).

(51) هم الجبابرة أو المردة وعددهم اثنا عشر، ستة بنين وست بنات كانوا آلهة قدامى بدائيين يتصفون بالوحشية أصغرهم كرونوس وأخته «ريا» وهما والدا زيوس (المترجم).

(52) كان «أبامينونداس» قائدا فذا لإقليم «بويوتيا»، وعاصمته طيبة، في منتصف القرن الرابع (371- 362 ق. م) (المترجم).

(53) ميناندر شاعر يوناني كان زعيما للكوميديا في عصره، امتاز برقة أسلوبه وسلامته وتصويره للشخصيات وتحليل مواقفها عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل الثالث ق. م وعثر في مصر على مخطوطات بعض مسرحياته المفقودة (المترجم).

(54) سوف يذهب الفلاسفة الذريون فيما بعد إلى أن حركة الدوامة هي التي تجعل الذرات المتشابهة تتجمع فتتكون العناصر الأربعة التي ظهرت منها جميع الموجودات، ويريد المؤلف أن يقول إن طاليس وضع قدمه على بداية الطريق الفلسفي الذي أنهى التفكير الأسطوري فحلّت الفلسفة، ثم العلم، محل الدين في تفسير ظواهر الطبيعة (المترجم).

(55) كان بحر «الاوقيانوس الأعظم» في الأساطير اليونانية هو ذلك البحر الذي لا تثيره ريح، وهو مصدر جميع الماء الذي تفيض به البحار والأنهار والقنوات والينابيع والعيون، ويجرى باستمرار في حلقة دائرية حول الأرض (المترجم).

(56) اكزينوفان 480-570(Xenophanes ق. م) فيلسوف يوناني كبير كان من أقوى الفلاسفة الذين هاجموا النزعة التشبيهية بعنف حيث يقول «إن الناس هم الذين استحدثوا الآلهة، وأضافوا إليها عواطفهم، وصورتهم وهيئتهم، فالأحباش يقولون عن آلهتهم إنهم سود فطس الأنوف، ويقول أهل تراقيا إن آلهتهم زرق العيون حمر الشعور. ولو استطاعت الثيران والخيول لصورت

الآلهة عل مثالها.. إلا أنه لا يوجد غير إله واحد هو أرفع الموجودات السماوية والأرضية، ليس مركبا على هيئتنا، ولا مفكرا مثل تفكيرنا... إلخ» (المترجم).

(57) نظرية أو يهيميروس أحد مواطني مسّينا، عاش في أواخر القرن الثالث ق.م، وكان يرى أن أبطال الأساطير كانوا بشرا في الأصل، أدوا للناس خدمات جليلة، فنسج الخيال الشعبي القصصي تمجيدا لهم ورفعهم إلى مصاف الآلهة، اعترافا بفضلهم أو تزلفا إليهم (المترجم).

(58) العرّافة Oracle مشتقة من اللفظ اللاتينيOraculum بمعنى النبوة والمقصود إجابة الإله عن طريق كاهن أو كاهنة على أسئلة السائلين فيما يتعلق بمستقبلهم كالزواج والتجارة، والمشروعات بالنسبة للدول، وإقامة المستعمرات!... إلخ وكانت الآلهة تتميز بقدرتها على كشف الغيب (المترجم).

(59) كانت «بيثيا» كاهنة أبوللو تقدّم الإجابات عن أسئلة المتسائلين عن المستقبل، تجلس على مقعد ذي ثلاثة أرجل وتروح في شبه غيبوبة بطريقة لا تزال خافية وتتقمصها روح الإله أبوللو فتهذي بإجابات تحتمل في الأعم الأغلب تأويلات شتى. (المترجم).

(60) يقال أحيانا إن الكاهنة التي تتلقى الوحي، كانت تجلس فوق نضد عال وتستنشق رائحة كريهة مقدسة تنبعث من غار عجيب يخرج من فتحة في الأرض تحت الهيكل ويعزوه الناس إلى تحلل الأفعى التي قتلها أبوللو في ذلك المكان. (المترجم).

(61) كان معنى الإجابة غامضا ويحتمل تأويلين، ذلك لأن الإله الذي تتحدث الكاهنة بوحي منه، معصوم من الخطأ، فإذا حدث ولم تتطبق النبوءة، فإن ذلك لا يرجع إلى خطأ الإله وإنما يرجع إلى أن السائل لم يفهم الإجابة على وجهها الصحيح (المترجم).

(62) إشارة إلى ما جاء في المسرحية حيث يسأل أيون المرأة وزوجها «أجئتما من أجل محصول التربة أم من أجل الذرية؟!» وكانا قد جاءا إلى معبد دلفي لاستشارة الكاهنة. انظر الترجمة العربية للدكتور عبد المعطي شعراوي ص 48 المسرح العالمي عدد 181(المترجم).

(63) المقصود بالسلم الروماني في الأصل هو إقامة السلام بين القوميات المختلفة داخل الإمبراطورية الرومانية الشاسعة (المترجم).

(64) عرافة مدينة ايف Ife في النيجر شهيرة بين شعب يوربا Yoruba وكانت تستخدم 256 تمثالا صغيرا مرقمة على لوحة من الرمل يقوم خبراء التنجيم بتأويلها. وقد سبق للمؤلف أن تحدث عنها في فصل خاص بالديانة الأفريقية ورأت هيئة تحرير السلسلة حذفه (المترجم).

(65) كانت شجرة البلوط مقدسة عند زيوس كما ذكر المؤلف من قبل. وفي بعض الأحيان كانت تعلق في الشجرة أوان نحاسية لتجعل الحفيف أكثر وضوحا ورنينا. وفي أحيان أخرى كانت الإجابات على أسئلة السائلين تقوم على تفسير هديل الحمام الواقف على أغصان الشجرة.. (المترجم).

(66) الكوركيريون: اسم قديم لسكان جزر أيونيا (المترجم).

(67) تروفونيس: كان في الأصل مهندسا معماريا عظيما قام بالاشتراك مع أخيه ببناء معبد أبوللو في دلفي ثم رفعه الناس إلى مرتبة التقديس (المترجم).

(68) ديديما: مدينة يونانية تقع على الساحل الأيوني وتبعد عن ملطية مسافة أحد عشر ميلا تقريبا(المترجم).

(69) تقع مدينة كلاروس على ساحل أيونيا بالقرب من مدينة كولوفون (المترجم).

(70) دالماتيا: إقليم بيوجوسلافيا يمتد بحذاء شاطئ الأدرياتي. (المترجم).

(71) نوميديا : إقليم قديم شمال غرب أفريقيا وهو على وجه التقريب الجزائر الحديثة (المترجم).

(72) ثاوفراسطوس (272- 287 ق. م) فيلسوف يوناني خلف أستاذه أرسطو في زعامة المدرسة الأرسطية. كتب في موضوعات كثيرة وكتابه «الطباع» رسم فيه عدة شخصيات من أنماط مختلفة صور بها معاصريه (المترجم).

(73) إلهة جاءت في الأصل من تراتيا ويقال إنها ابنة برسيس Presss واستريا Asteria ثم توحدت مع الإلهة برسيفوني فيما بعد، ومن هنا كان ينظر إليها على أنها تسيطر على طقوس السحر والشعوذة (المترجم).

(74) عندما عاشرت أفروديت هرمس أنجبت منه مولودا يجمع بين صفتي الذكورة والأنوثة كما يتضح من اسمه «هرمفروديت» فهو مخلوق خنثى (المترجم).

(75) نكياس (توفي 413 ق. م) سياسي أثيني وقائد عسكري في حرب البليوثيز تفاوض من أجل السلام لكنه كان سلاما مؤقتا فحسب وسمي باسمه (المترجم).

(76) أي أن عليه أن ينتظر سبعة وعشرين يوما، ولقد كان ذلك القول هو نص نصيحة النبوءة (المترجم).

(77) كان عامة الناس يتشاءمون من العطس، فكانت عطسة أو عثرة قدم تكفي في بعض الأحيان لحمل العاطس أو العاثر على العدول عن سفر أو عمل هام (المترجم).

(78) ديمتريوس الأول الملقب بفاتح المدن (337- 283 ق. م) قائد على جانب كبير من الكفاية. استطاع أن يطرد بطليموس من أثينا ويهزم الأسطول البطلمي عند سلاميس (المترجم).

(79) قارن: «ملوك الأمم يسودونهم، والمتسلطون عليهم يدعون محسنين» إنجيل لوقا إصحاح 25: 22 (المؤلف).

(80) ايسكلوبس هو إله الطب في العالم القديم، ويقال إن عبادته الأصلية كانت في أبيدوس ثم اختار الثعبان المقدس رمزا لإله جزيرة التيبر مقرا له فبنى له فيها معبدا (المترجم).

(81) «لم يكن سيرابيس سوى أوزيريس-أبيس، ومنذ ذلك الوقت كان سيرابيس هو التسمية الإغريقية لاوزريس»-إرمان «ديانة مصر القديمة» ص 427.

(82) أرخيلوخوس: أشهر شعراء اليونان في الهجاء عاش في منتصف القرن السابع قبل الميلاد (المترجم).

(83)أعظم الشعراء والغنائين عند اليونان (518- 438 ق. م) نظم أناشيد كثيرة لأبطال الألعاب الرياضية ضمنها أسطورة تتصل بالفائز (المترجم).

(84) شاريتون أو خارتون روائي يوناني ازدهر في القرن الثاني الميلادي في آسيا الصغرى وتعتبر قصته أقدم رؤية رمانسية في الأدب الغربي. (تدور حول زوج وزوجة يمتحن حبهما سلسلة من الأحداث في صقلية وفارس ومصر وتنتهي نهاية سعيدة (المترجم).

(85) كاتب لاتيني من أصل أفريقي اشتهر في القرن الثاني الميلادي، وتعتبر قصته من أهم ما وصل إلينا من القصص الروماني، وقد ذاعت شهرتها في العالم القديم (المترجم).

(86) أنطيوخوس الأول الملقب بالمنقذ ابن سلوقس الأول (324- 262 ق. م) آخر حكام سوريا من خلفاء الإسكندر الأكبر (المترجم).

(87) الكسندر بوب (1688- 1744) شاعر إنجليزي من أشهر الشخصيات الأدبية في القرن الثامن عشر وأبعدهم تأثيرا لا تطوير الشعر (المترجم).

(88) له قصيدة مشهورة وجهها لزيوس يقول فيها «تحية لك يا أعظم الخالدين، أيازيوس المعبود بألف

اسم، هذا العالم الكبير يتحرك بإرادتك ويطيع أوامرك أيها الإله الرحيم... إلخ» (المترجم).
(89) نيومينوس: فيلسوف يوناني سوري الأصل في القرن الثاني الميلادي كان فيثاغوريا ورائدا أيضا للافلاطونية المحدثة (المترجم).

هوامش الفصل الرابع

(1) سكان «أترووريا» وهي بلاد قديمة غرب إيطاليا. (المترجم).
(2) إقليم قديم غرب آسيا الصغرى ازدهر حوالي/687- 450 ق. م. كانت حضارته راقية، وقد ارتبط بعلاقات وثيقة بالمدن الإغريقية. وعندما انتصر الفرس على ليديا أدمجوها في إمبراطوريتهم (المترجم).
(3) كان العبيد أو الأسرى في روما القديمة يدخلون في صراع دموي حتى الموت مع الحيوانات المفترسة، أو مع بعضهم البعض لإمتاع الناس، وكانت العروض الثانية بصفة خاصة تسمى عروض المجاليد (المترجم).
(4) لوكريتس: فيلسوف وشاعر لاتيني (95- 55 ق. م) عرض فلسفته بعنوان «في طبيعة الأشياء» شرح فيه مبادئ الفلسفة الأبيقورية قصيدة طويلة مضيفا إليها «حلاوة عسل الشعر» على حد تعبيره (المترجم).
(5) مقاطعة في شمال إيطاليا على نهر البو (المترجم).
(6)إمبراطور روماني حكم روما عشر سنوات 69- 79 أعاد الاستقرار والازدهار إلى الإمبراطورية (المترجم).
(7) جوليان (331- 363) هو كلوديوس جوليانوس الملقب بالمرتد حكم روما من 361 إلى 363 (المترجم).
(8) هذه الكلمات اللاتينية تعني لغويا عمليات زراعية مختلفة، لكنها تشير كذلك إلى آلهة أو قوى روحية، تسيطر على هذه العمليات يبلغ عددها اثني عشر إلها هي على التوالي: إله الحرث الأول، إله الحرث الثاني، إله الأخاديد،إله بذر البذور، إله تغذية النبات،إله تسوية التربة،إله عزق التربة،إله الحصاد، إله جمع الحصاد،إله التخزين، إله الصرف من المخازن (المترجم).
(9) الأرض التي تحرث ثم تترك موسما كاملا من غير زرع لإراحتها ثم يعاد حرثها وزراعتها مرة أخرى (المترجم).
(10) «اللار» - أحد الآلهة المحليين وهو أتروسكاني الأصل، غير أن الرومان جعلوه فيما بعد أحد الآلهة الراعية للأسرة، وهو يحرس الحقول والمباني فضلا عن إشرافه على سعادة الأسرة (المترجم).
(11) كانت «يونو» ملكة السماء وحامية الأنوثة والزواج، ولهذا اعتقد الرومان أن الزواج في شهرها وهو شهر يونيو، يكون زواجا سعيدا (المترجم).
(12) كان الرومان يستقبلون العام الجديد بألوان من الرقص المقدس، ومازال الناس يتبعون هذا التقليد حتى الآن! لكن الساليين كانوا يقفزون إلى أعلى إيحاء للإله لإطالة ساق النبات! (المترجم).
(13) كان يسمى في بعض الأحيان بعيد «السو-أوفي- طوريلية» والكلمات الثلاث تعني على التوالي: الخنزير-الشاة-الثور وهي القرابين التي كانت تقدم للإله مارس (المترجم).
(14) كلمة Quirinus تعني المواطن الروماني الحر-وكانت في الأصل اسم قبيلة انضمت إلى اللاتين، والظاهر أنها أخذت اسمها من اسم هذه الروح التي كانت تشرف على الطقوس

السرية، وتروي الأساطير أن روميلوس مؤسس روما عندما مات صعد إلى السماء في عاصفة، وأصبح بعد ذلك إلها من آلهة الرومان المحبوبين يعبدونه باسم كويرينوس Quirinus (المترجم).
(15) تقل الكابتول هو أعلى تلال روما السبعة والمركز الديني للمدينة القديمة شيد عليه المعبد الكبير للإله «جوبتر كابتولينوس» والقلعة ومبنى سجلات الدولة (المترجم).
(16) آلبا لونجا: مدينة قديمة في لاثيوم تروي القصص أنها كانت مسقط رأس روميليوس وريموس المؤسسين الأسطورين لمدينة روما (المترجم).
(17) كانت طائفة العذارى الفستية ذوات الثياب البيض، والخمر البيض، يقسمن أن يبقين عذارى في خدمة الإلهة فستا ثلاثين سنة (المترجم).
(18) هو نفسه الإله هرميس رسول الآلهة، وإله التجارة، والمكر واللصوصية عند اليونان (المترجم).
(19) ديانا هي إلهة القمر والغابات وكان الرومان يزعمون أنها كانت في الأصل روح شجرة جيء بها من أريكيا Aricea حينما خضع هذا الإقليم لروما وكان بالقرب من أريكيا بحيرة نيمي Nemi وأيكتها حيث معبد ديانا. وتذهب الأسطورة إلى أن هذه الآلهة ضاجعت في هذا المكان فربيوس Virbiusملك الغابات الأول، وكان الكهنة يعوذون أنفسهم بغصن من شجرة البلوط المقدسة يسمى عندهم «بالغصن الذهبي» ومنه أخذ فريزر اسم كتابه (المترجم).
(20) شاعر روماني عاطفي أقوى من عبّر قديما عن الحب (84- 54 ق. م)(المترجم).
(21) سيرجيمس فريزر (1854- 1941) أنثروبولوجي اسكتلندي كتب «الغصن الذهبي» في 12 مجلدا وهو دراسة عميقة للسحر والدين تقوم على معرفة وثيقة وإلمام واسع، حيث يرجع الكثير من الأساطير والشعائر إلى بداية ظهور الزراعة (المترجم).
(22) أوفيد (63 ق. م-17 م) شاعر لاتيني كتب الكثير من القصائد الغنائية والأسطورية منها قصائد«الحب»، و«فن الحب». وأشعاره في الأساطير أهمها «ميتامورفيسس» أي التحولات أو مسخ الأشكال. وقد ترجمها الدكتور ثروت عكاشة وراجعها الدكتور مجدي وهبه (المترجم).
(23) اختير قيصر عام 64 ق. م رئيسا أعلى للدين الروماني وكان منصب الحبر الأعظم يمكنه من السيطرة على الشؤون الدينية (المترجم).
(24) كانت أعظم طوائف الكهنة نفوذا هي جماعة العرافين التسعة الذين يدرسون إرادة الآلهة ومقاصدهم بمعرفة اتجاه الطير في تحليقه. والتطير في اللغة العربية هو التفاؤل أو التشاؤم من حركة الطير (المترجم).
(25) هي الكتب التي كانت الحكومة الرومانية تدّعي أنها تعرف ما تريده الآلهة عن طريق الرجوع إليها، لأنها سجلت فيها تنبؤات سيبيل Sibyl أو كاهنة أبوللو (المترجم).
(26) إخوان الريف أو أصدقاء الحقل (المترجم).
(27) السابيين: شعب قديم من شعوب أواسط إيطاليا حارب روما طويلا، لكن في القرن الثالث ق. م أصبح أهله مواطنين رومانيين (المترجم).
(28) أو المفاوضون الدبلوماسيون (المترجم).
(29) تقع حياته تقريبا فيما بين 203- 120 ق. م دعا إلى الحياد بين روما ومقدونيا، وانتصرت روما، فأخذ سجينا سياسيا سبعة عشر عاما، ثم أصبح صديقا لأسرة سيبيو وكتب في رعايتها تاريخ عالم البحر المتوسط في 40 مجلدا ا يتبق منها سوى الخمسة الأولى (المترجم).
(30) كانت «كيريس» في وقت من الأوقات إلهة الأرض، والأم المشرفة على الزراعة، وهي ابنة

الإلهة «ساترن» وأخت جوبتر وبلوتو. والإله ليبر إله روماني قديم اتحد فترة مع إله اليونان باخوس أو الإله ديونسيوس، وليبرا هي ابنة كيرس وأخت ليبر وهي أحيانا إريان زوجة باخوس، أو الإلهة برسيفوني عند اليونان (المترجم).

(31) في عام 205 ق. م أعلن مجلس الشيوخ أن الكتب السبيلية تتبئ أن هانيبال سيغادر إيطاليا إذا ما جيء «بالأم الكبرى»، وهي صورة من الإلهة سبيل Cybele من «بسينوس» في فريجيا-إلى روما. وكان الحجر الأسود في اعتقادهم يمثل جسد الأم الكبرى (المترجم).

(32) كان كلوديوس بللكر قنصلا عام 249 ق. م وقائدا للأسطول الروماني في الحرب مع القرطاجيين وهزم في ميناء دربانون Drepanum (المترجم). (2) قائد وسياسي روماني من أسرة شعبية كان قنصلا عام 223 ومرة أخرى عام 217 هزمه هاينيال وقتله عام 217 (المترجم).

(33) سميت بهذا الاسم لأنها لم تكن تقام إلا على فترات متباعدة (المترجم).

(34) إينياس ابن فينوس وبطل الانيادة لفرجيل، والجد الأسطوري للرومان (المترجم).

(35) «ربات المدفأة» وهو الاسم الذي يطلق على آلهة المنزل اللاتينية القديمة على اعتبار أنهم يحرسون مدفأة البيت (المترجم)

(36) من أعظم شعراء الرومان في القرن الأول قبل الميلاد، كان صديقا لفرجيل الذي قدّمه إلى مايكناس وزير البلاط في عصر أغسطس الذي كان يشجع الآداب. (المترجم).

(37) يعدّ فرجيل، هوميروس الرومان، عاش في القرن الأول قبل الميلاد وكتب ملحمة الانيادة على غرار إلياذة هوميروس كما كتب الرعويات والزراعيات وقصائد أخرى كثيرة (المترجم).

(38) أوفيد 42 ق. م- 18م شاعر غنائي لاتيني كتب «القصائد الغرامية» و«قصائد الحب»، و فن الحب «و دواء الحب» كما سبق أن ذكرنا (المترجم).

(39) تيتوس 81- 45 أحد أباطرة الرومان وهو الابن الأكبر للإمبراطور فسيبسان وشريكه في الحكم عام 71- اشتهر بمنشآته لا روما واستمتع الناس بالرخاء في عهده حتى سموه «أنوار البشر» (المترجم).

(40) جايوس فيروس-سياسي روماني، كان حاكما على قبرص، اشتهر بالابتزاز والاغتصاب وفرض ضرائب باهظة واحتقار حقوق المواطن الروماني، حوكم وأمر مارك أنطونيو بإعدامه (المترجم).

(41) طرود Troad مدينة قديمة في آسيا الصغرى جنوب مدينة طرواده ويرى البعض أنها المنطقة المحيطة بمدينة طروادة القديمة (المترجم).

(42) قائد روماني (106- 48 ق. م) أدى خدمات جليلة في ساحات القتال فمنح لقب (الأكبر) عام 89 ق. م ولعل هذا هو ما يعنيه المؤلف من أن بومبى حاكى الإسكندر الأكبر (المترجم).

(43) أشهر الأبطال في أساطير اليونان والرومان، كانت شجاعته خارقة وقوته جبارة، فهو ابن الإله زيوس من الكمينا، قام باثني عشر عملا خارقا رفعته إلى مصاف الآلهة الخالدة. (المترجم).

(44) ناد «دوميتيان» بتأليه أبيه وأخيه وزوجته وأخته وطلب إلى الموظفين ألا يذكروه في وثائقهم إلا بلقب «سيدنا وإلهنا» (المترجم).

(45) انظر إنجيل يوحنا (أجاب توما وقال له ربي وإلهي) 20: 28 (المترجم).

(46) قال هذه العبارة ثم وقف على قدميه وهو يكاد يغمى عليه وقال «إن الإمبراطور يجب أن يموت واقفا»!! (المترجم).

(47) المفروض أن «آينياس» - بطل الايناده-هو أحد أبطال طروادة، ظهر له شبح هكتور القتيل، ومدينة طروادة تحترق، وطلب منه أن يستعيد من اليونان ما كان في طرواده من «أشياء مقدسة

والهة منزلة» ويركب مع أبيه وابنه سفينة تقف بهم في أماكن مختلفة ويقوم بمغامراته أشبه بأوديسيوس في الأوديسه- وهو يصل في النهاية إلى نهر التيبر. ولهذا ينظر إليه الرومان على أنه مؤسس مدينتهم (المترجم).

(48) أورليان (212- 275) إمبراطور روماني خلف كلوديوس الثاني ودافع دفاعا مجيدا عن الإمبراطورية (ا لمترجم).

الأم إلى ربات القدر. أما جوبتر أفضل الآلهة وأعظمهم فقد أصبح له مكانة هامة في العبادة الكلتية الرسمية، وكان من الطبيعي أن توجد عبادة للإمبراطور، ولا يزال من الممكن

(49) الإمبراطور قسطنطين، إمبراطور روماني أصدر منشور ميلان الذي أقر التسامح مع المسيحية، اعتنق المسيحية وهو على فراش الموت فأصبحت لأول مرة الديانة الرسمية لروما (المترجم).

(50) مدينة في جنوب غرب إنجلترا (المترجم).

(51) مدينة جنوب شرقي إنجلترا في مقاطعة اسكس (المترجم).

(52) مملكة قديمة شرقي فرنسا (المترجم).

(53) فيلسوف يوناني رواقي في بداية القرن الأول ق. م، ولد في سوريا وتعلم في رودس وكتب في التاريخ العام، والفلسفة الطبية، كما كتب مقالا عن الآلهة (المترجم).

(54) تبروس (42 ق. م-37) إمبراطور روماني ابن أغسطس بالتبني خلفه على العرش واتخذ كابري مقرا له(المترجم).

(55) مدينة إغريقية قديمة على بعد 16 ميلا من بحر إيجه، وجدت منذ القرن الخامس ق. م لكنها لم تصبح ذات أهمية إلا في العصر الهلنستي (323- 330 ق. م) وكانت مدينة مزدهرة اشتملت على أسواق وملاعب ومعابد لا سيما معبد الإلهة هيرا ومعبد آخر للإله دمتر (المترجم).

(56) أديب متفلسف من القرن الثاني الميلادي اشتهر بكتابين هما «التحولات» و «الحمار الذهبي» وهي قصة يتحول فيها البطل إلى حمار، ويقوم بعدة مغامرات ثم يستعيد شخصيته في نهاية القصة بمساعدة الإلهة إيزيس (المترجم).

(57) بلينوس الأكبر (23- 79) عالم نبات روماني مات مختنقا عندما ذهب لرؤية بركان فيزوف، كتب عن التاريخ الطبيعي (37جزءا) تكلم فيه عن الكون والجغرافيا وعلم الأجناس والحيوان والنبات مما يدل على سعة الاطلاع وتنوع المعارف مما أثار دهشة النقاد وإعجابهم (المترجم).

(58) «طريق ابيا» نسبة إلى القنصل الروماني «أبيوس كلوديوس» وكان هو الذي بدأ في إقامة هذا الطريق الذي يؤدي من روما إلى كابوا Capua ثم امتد أبعد من ذلك. (المترجم).

(59) اريان ابنة مينوس Minos ملك كريت (المترجم).

(60) كاستور ابن تينداروس Tyndarus ملك طروادة وليدا Leda وتوأم بولكس وشقيق هلن، وكان آدميا. أما أخوه بولكس فكان خالدا. ولما مات الأول حصل الأخير على تصريح من جوبتر أن يتناوب الشقيقان الحياة معا (المترجم).

(61) لويكبوس: والد فويب Phoebe وهيليرا Hilaia اللتين فاز بهما كاستور وبولكس (المترجم).

(62) اندميون Endymion الراعي هو أجمل شباب الميثولوجيا الرومانية، أحبته سيلين إلهة القمر وأيقظته من نومه بقبلة (المترجم).

(63) الناريدات مجموعة من حوريات البحر والتريتون تصفه إله من إلهة البحر بجسم رجل وذيل سمكة. وقد سبقت الإشارة إليها (المترجم).

(64) منطقة قديمة لم تتضح معالمها أبدا بتميز وهي تمتد على ساحل البلقان (المترجم).

(65) مدينة بعلبك على سفح جبل لبنان الشرقي على بعد 85 كم شمال بيروت وشيد بها معبد الإله بعل (المترجم).
(66) من Helios في اليونانية بمعنى الشمس و Polis بمعنى مدينة (المترجم).
(67) إمبراطور روماني من (206- 222) وكان في شبابه كاهنا في معبد إله الشمس (المترجم).
(68) سيفيروس Severus أسرة من أباطرة الرومان، ولهذا فاسم سيفيروس يطلق على أربعة منهم هم فلافيوس (306- 307)، وليفيوس (461- 465) ولوشيوس (193- 211) ثم ماركوكوس (222- 235) (المترجم).
(69) هليوجابوس هو نفسه الإمبراطور الروماني السابق ذكره أنطونينوس فقد نصبه الجنود إمبراطورا تحت اسم ماركوس أورليوس أنطوينيوس عام 218 (المترجم).
(70) اسمه اللاتيني بالكامل لوشيوس دوميتوس أورليانوس كان إمبراطورا لمدة خمس سنوات (275- 275) كان في الأصل جنديا ثم ارتقى إلى أعلى المناصب العسكرية اختاره الجيش إمبراطورا عام 270 (المترجم).
(71) إرنست رينان (1823- 1892) مؤرخ وناقد ومستشرق فرنسي اهتم بالدين من الناحية التاريخية لا من الناحية العقيدية فكتب «تاريخ نشأة المسيحية»، «وتاريخ شعب إسرائيل» وألف رسالة عن ابن رشد والرشدية.. إلخ (المترجم).
(72) إله الشمس أو النور عموما وقاهر الظلام عند الفرس (المترجم).
(73) مدينة بومبى جنوب شرق نابلي دمرت في إحدى ثورات بركان فيزوف واكتشفت آثارها في ق 16(المترجم).
(74) عبد الفرس القدامى الثور الذي مات ثم بعث حيا ووهب الجنس البشري دمه شرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود وسموه «هوما» (المترجم).
(75) مدينة على الساحل في كمبانيا شهيرة بالمياه المعدنية وهي منتجع مفضل عند الرومان (المترجم).
(76) شاعر مسيحي لاتيني في القرن الرابع كتابه الشهير «المراع بين الفضيلة والرذيلة» (المترجم).

هوامش الفصل الخامس

(1) جوي Gobi صحراء رملية تقع في الصين ومنغوليا جردتها الرياح من معظم تربتها (المترجم).
(2) كلمة «الجاثا» معناها الغناء أو الإنشاد وهي أهم أجزاء الابستاق وأكثرها قداسة (المترجم).
(3) «الأبستاق» هي الترجمة العربية القديمة لكلمة Avesta الفارسية التي تعنى الأصل أو المتن. (المترجم).
(4) فقدت جميع نسخ الأبتساق بعد غزو الإسكندر لفارس عام 330 ق. م وفقدت معها تفاسيره والمؤلفات التي كانت تشتمل على شيء من أجزائه. ثم بدأ ملوك فارس في القرن الأول الميلادي في تدوين ما بقي من حوافظ الناس أن الأبستاق، وأكملوا هذا العمل في القرن الثالث ثم في القرن الخاص وهكذا (المترجم).
(5) سفر «اليسنا» ومعناها العبادة أو التسبيح، يشمل أدعية وصلوات كان يتجه بهما إلى الله وملائكته والكائنات المقدسة (المترجم).
(6) «الونديداد» تعني حرفيا القانون المضاد للشياطين، وهو يشبه سفر اللاويين في العهد القديم من حيث أنه يوضح التعاليم التي يخضع لها رجال الكهنوت من الزرادشتيين كما يتضمن

وجهة نظر الزرادشتية في الموت والزواج وغيرها من المشكلات الاجتماعية (المترجم).
(7) إحدى وعشرون ترنيمة تتلى في مديح الملائكة المشرفين على أيام الشهر (المترجم).
(8) «تعاليم المجوس» ترجمها ر. ك. تسنير ونشرها د. م. مارن، لندن 1956 ص 194 (المؤلف).
(9) «أهوامزدا» مركبة من ثلاث كلمات هي «هو» - «را»، «مزدا» ومعناها على التوالي «أنا الوجود خالق» أو أنا خالق الكون ولقد أطلق الله على نفسه في سفر الخروج اسم الوجود أيضا إصحاح 3: 14، أما أهرمان فهي تعني الخبيث أو القوى الخبيثة (المترجم).
(10) الفرافاشي أرواح مرشدة نقية للبشر، فهي تقود الإنسان في هذه الحياة الدنيا ثم ترشد الميت إلى مستقره الأخير. ولقد جاء في الأبستاق أن هناك فرافاشي لجميع الأشياء الطبيعية، لكن لا يوجد للأشياء المصنوعة، فمثلا يوجد للأشجار ولا يوجد للكرسي أو المنضدة (المترجم).
(11) مودى-المرجع السابق ص 29 وما بعدها (المؤلف).
(12) رشن: اسم اليوم الثامن عشر من كل شهر شمسي-المعجم الذهبي للغة الفارسية ص 297 د. محمد التويخي (المترجم).
(13) انظر كتاب تسينر «تعاليم المجوس» السالف الذكر ص 108 (المؤلف).
(14) المرجع السابق ص 25 (المؤلف).
(15) تسمى بالفارسية سدرة وهي مريول يلبسه الزردشتيون منذ سن البلوغ «المعجم الذهبي في الفارسية» ص 328 (المترجم).
(16) فرضت على اتباع الزرادشتية أن يؤدوا خمس صلوات في اليوم هي صلاة الصبح «كاه هاون»، وصلاة الظهر «كاه رقون» وصلاة العصر «كاه إزيرن» وصلاة الليل «كاه عيوه سرتيرد» وصلاة الفجر «كاه إشهن» وهناك صلوات خاصة أخرى (المترجم).
(17) البارسيون هم أتباع الديانة الزرادشتية أو المجوس كما أطلق عليهم اليونانيون عندما فتحوا فارس (المترجم).
(18) هوم: نبات بدون أوراق ثمر يشبه عنب الثعلب وهو سُمي «المعجم الذهبي» السالف الذكر (المترجم).
(19) زرفان هو إله الزمان المتناهي والقدر المسيطر الذي يؤثر من بعيد في مصير البشر. والزرفانية صورة معدلة من الزرادشتية بعد أن أصبحت الأخيرة ثنائية (المترجم).
(20) الأخمينيون أسرة حكمت فارس أكثر من قرنين (550- 330 ق. م) ويرجع اسمها إلى جدها الأكبر أخمينيس الذي كان حاكما على قسم جبلي بجنوب غربي إيران (المترجم).
(21) هي الفترة التي خلفت السلوقيين في فارس في منتصف القرن الثالث ق. م (المترجم).
(22) هي الفترة التي تلت عمر البارثيين حيث قامت إمبراطورية جديدة حوالي 266 ق. م تحت حكم الأسرة الساسانية وازدهرت حتى استولى العرب على حضارة فارس وحل الإسلام مكان مذهب زرادشت حوالي عام 642 (المترجم).
(23) انظر جبرشفتش «أنشودة أبستاقية لمترا» ص 145 (المؤلف).
(24) كانت هناك نبؤات من هذا النوع بمولد السيد المسيح إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق..؟! وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي، فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا. إنجيل متى الإصحاح الثاني 1-2 و9- 10 (المترجم).
(25) هذه الطقوس موجودة في الديانة المسيحية فيما يسمى بالتناول أو العشاء الرباني الذي

يتناول فيه الشخص المسيحي مع القسيس خبزا وخمرا ليتحد مع المسيح، وذلك اعتمادا على ما قاله السيد المسيح «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه» إنجيل يوحنا 5604(المترجم).

(26) أرض أو بلاد البارثيين أو الفرثيين شمالي إيران، وقد حكموا من250 ق. م إلى 247 بعد الميلاد (المترجم).

(27) معنى كلمة ماني بالفارسية «الفريد، النادر»، وهو ماني بن فاتك مؤسس الديانة المانوية التي كانت مزيجا من الزرادشتية واليهودية والمسيحية. وكان أبوه من رجال همدان هاجر إلى بابل وولد ماني هناك، ادعى النبوة بعد أن اطلع على الأديان الموجودة وسمى نفسه «فارقليط» الذي أخبر عنه المسيح ومن أقواله «يبشر الأنبياء بأوامر الإله أحيانا من الهند بواسطة زرادشت والآن أرسلني الله لنشر دين الحق في بابل» و «أرسلني الله نبيا من بابل حتى تصل دعوتي العالم أجمع» (المترجم).

(28) مجموعة من أعضاء فرقة دينية انشقت عن المسيحية وبشرت بتعاليم ماني الثنائية في جنوب فرنسا في الفترة الممتدة من القرن الحادي عشر حتى الثالث عشر. وجاءت التسمية من أن الحركة بدأت في مدينة Albigensis في مقاطعة آلبى Albi شمال شرق مدينة تولوز (المترجم).

(29) كلمة المجوس Magi كلمة يونانية الأصل Magos أطلقها اليونانيون على كهنة زرادشت عندما دخلوا فارس بقيادة الإسكندر الأكبر، والكلمة معناها العظيم أو الهائل، وذلك لأنهم برعوا في السحر Magic ولهذا اشتقت الكلمة الأوربية التي تعني السحر من اسمهم (المترجم.

(30) إله البحر في الأساطير اليونانية وليست له ملامح محددة (المترجم).

(31) لا نعرف شيئا اسمه «المعابد» في الإسلام لأن مكان العبادة هو المسجد، كما أن تكيف هذه المعابد الإسلامية المزعومة مع الزرادشتية كلام لا معنى له، لأن الزرادشتية ثنائية في حين أن الفكرة المحورية في الإسلام هي التوحيد «إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» النساء: 48. أما كلمة «شاه» الفارسية فهي تعني ملك أو سلطان، وكذلك كملة «بهلوي» التي تعني ملكي، ولا علاقة للإسلام بهذه الألقاب فهي مجرد كلمات فارسية! (المترجم).

(32) مرة أخرى لا نستطيع أن نفهم ما الذي يقصده المؤلف بهذه العبارة الغريبة، فالمعروف تاريخيا أن الفتوحات الإسلامية بدأت في عهد الخليفة أبى بكر عندما بعث بأربعة جيوش إلى الشام عام 633 م، وبجيش آخر بقيادة خالد بن الوليد إلى العراق ولم ينته عام 634 م حتى سيطر خالد على شاطئ الفرات الغربي ثم اتجه إلى فلسطين، وانتصر على البيزنطيين في موقعة أجنادين 634 م، ودخل دمشق 635 م وقضى على أعدائه في معركة اليرموك 636 م. واستمرت الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب في الميدان الفارسي بقيادة سعد ابن أبي وقاص، وأحرز العرب نصرا باهرا في القادسية عام 637 م، وسار عمرو بن العاص من فلسطين لفتح مصر عام 639 م وآلت البلاد كلها للمسلمين بمقتضى معاهدة الإسكندرية عام 642 م. واستؤنفت الفتوحات في عهد معاوية فهاجم القسطنطينية وغزت جيوشه أفريقيا... إلخ دون أن نجد أثرا لإيران، كما يقول المؤلف، في هذه الفتوحات ولا فيما بعد ذلك من انتشار للإسلام.! وفضلا عن ذلك كله فالإسلام بطبيعته دين عالمي شامل، لم ينتظر مساعدة إيران لينتقل إلى العالمية (المترجم).

هوامش الفصل السادس

(1) الهندوسية بالفعل ليست عقيدة محددة لأنها أسلوب لا الحياة أكثر منها مجموعة من العقائد، ولهذا فليست لها صيغة محددة المعالم. ومن هنا كانت تشمل من العقائد ما يهبط

إلى عبادة الحجارة والأشجار، وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة (المترجم).

(2) هذا هو ما يسمى في المنطق التعريف بالسلب وهو أضعف أنواع التعريفات كلها (المترجم).

(3) نسبة إلى الفيدا Veda كتاب الهندوس المقدس، وهي كلمة سنسكريتية معناها العلم أو المعرفة (المترجم).

(4) الدرافيديون، اسم أطلق على أكبر مجموعة من سكان الهند قبل مجيء الآريين إليها. ويطلق اليوم على مجموعة بشرية كبيرة تعيش بجنوبي الهند، ويفترض أنهم من سلالة درافيدي ما قبل التاريخ ويتميزون بخصائص زنجية واضحة (المترجم).

(5) الريج فيدا-سنسكريتية معناها الفيدا النارية أو المنسوبة إلى النار وهي قسمان: الأول أدعية وصلوات وأوراد منظومة تتلى في بعض المناسبات نثرا والآخر يشتمل على تعاليم تتعلق بالعبادات والواجبات الدينية ويسمى براهمانا (المترجم).

(6) ساما فيدا ومعناها الفيدا الشمسية أي المنسوبة إلى الشمس، وهي أيضا قسمان أحدهما مزامير دينية يتغنى بها في بعض المناسبات (منترا) ويشتمل الآخر على تعاليم متعلقة بالعباد والواجبات الدينية براهمانا (المترجم).

(7) ياجورا فيدا و معناها الفيدا الهوائية أي المنسوبة إلى الهواء، وهي مجموعتان يطلق على إحداهما اسم ياجورا فيدا البيضاء وعلى الأخرى ياجورافيدا السوداء, (المترجم).،

(8) ربما جاءت التسمية نسبة إلى حكيم من حكماء الهند يدعى «أثارا». وهي أيضا قسمان، الأول يحتوي على أوراد وأدعية للاستغفار والرقي ضد السحر والأرواح الشريرة المدمرة والخبيثة (تترا) ويشتمل الآخر على طائفة من شرائع الديانة البرهمية (براهمانا)(المترجم).

(9) الأرانياكا أو نصوص الغابة، وهي خاصة بالقديسين الرهبان أساسا، لكنها يمكن أن تكون هداية للشيوخ والمعمرين الذين تركوا أهلهم ليقيموا في الكهوف والغابات. وهي تهديهم إلى أعمال سهلة يقومون بها بدل القرابين التي أصبحوا يعجزون عن تقديمها (المترجم).

(10) اليوبانيشاد مؤلفة من مقطعين «يوبا» ومعناها: وبالقرب من.. «وشاد» معناه اجلس أو مجلس، فهي حرفيا تعني «الجلوس بالقرب من المعلم» ثم أصبحت تطلق على المذهب الغامض الذي أسره المعلم إلى خيرة تلاميذه. وفيها 108 محاوره مما جرى بين المعلم وتلاميذه، ألفها كثير من القديسين والحكماء فيما بين سنتي. 800 و500 ق. م (المترجم).

(11) كان الهنود يقدمون طعاما لأرواح الأسلاف آنا بعد أن حتى لا تفنى أرواحهم إذا امتنع عنها الطعام (المترجم).

(12) لم يكن للديانة الفيدية في أولى مراحلها معابد، بل كانت المذابح التي تقدم أمامها القرابين، تنصب لكل قربان يراد تقديمه (المترجم).

(13) الجوط Ghat درج يهبط عليه الناس إلى أحد الأنهار في الهند لا سيما الأنهار المقدسة مثل نهر الكنج (المترجم).

(14) الترسيم هو مجموعة من الطقوس التي يتم بواسطتها دخول فرد ما في جماعة دينية، فهي تعني الاحتفال-بطريقة ما-بدخوله سلك الديانة المعنية (المترجم).

(15) الزواج في النظام الهندي إجباري للجميع، والرجل الأعزب طريد الطبقات ليس له في المجتمع مكانة ولا اعتبار، وكذلك الفتاة، إن طال بها الأمد وظلت عذراء بغير زواج (المترجم).

(16) أب السماء أو إله السماء في أساطير الفيدا، وهو يقابل «زيوس» عند اليونان، و جوبتر عند الرومان (المترجم).

(17) السوما هو الشراب المقدس عند الهنود، وهو يتلازم مع تقديم الأضاحي والقرابين. ويعد في الأساطير الهندية سبب خلود الآلهة. وهو يستخرج من نبات القنب الهندي بأن يعصر باليد أو يطحن بحجر ثم تسيل منه العصارة نقطة نقطة ليتجمع في قنينة ثم تخمر (المترجم).

(18) كان الفرس يحتفلون بشرب عصير «الهوما» المقدس مع ملاحظة أن حرف «سي» في اللغة السنسكريتية يقابل «الهاء» الفارسي. ومن هنا نجد أن «سوما» كما أصبحت «هوما»: ما أبحت السند، هي الهند عند الفرس (المترجم).

(19) يقال إن الآريين جلبوه معهم في الهند وهو «ميتهرا» في إيران، ووظائفه الرئيسية هي ضمان المعاملات التجارية والعقود والاتفاقات ونحوها وكلمة مترا تعني الصديق (المترجم).

(20) انتشرت ديانة مترا وعبادته في الإمبراطورية الرومانية في القرون الأولى للمسيحية وكانت المنافس الرئيسي الخطر لها، ولهذا ذهب رينان إلى أن العالم يمكن أن يصبح من أتباع مترا لو انهارت المسيحية (المترجم).

(21) الإسم الذي أعطته الأوباتيشاد للموجود الأسمى، و«برهمان» محايد من حيث الجنس (المترجم).

(22) كان النشيد الذي يتغنى به نساك الهنود: «في البدء لم يكن ما هو موجود، أو ما لم يوجد، ولم يكن هناك ما تثبته وما تنفيه». «لا أجواء، ولا سماء وراء الأجواء. لم يكن موت ولم يكن خلود». «لم يكن ثمة نهار ولا ليل. لم يكن سوى «الأوح» يتنفس حيث لا أنفاس و «لا شيء سواه!»(المترجم).

(23) بعض آلهة «الفيدا» مثل «أندرا» و«مترا وفارونا» مذكورون في معاهدة عقدت بين الحيثيين و الآريين والميتانيين في بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد (المترجم).

(24) وهو رب كل حي. ويقال إنه الشمس التي تولد الحي من الحي، وقد تحول إلى عظيم جديد اتخذ اسم «برجاباني» وحل محل إندرا. (المترجم).

(25) هناك أسطورة هندية ترى أن «الروح الكوني» تشكل في الوجود الإنساني، لكن خاف الوحدة والعزلة فمزق نفه قطعتين، قطعة تحولت إلى امرأة فكانت زوجته وقطعة بقيت كما هي. وهكذا بدأ تسلسل خلق الإنسان. ولكن هناك أسطورة أخرى ترى أن الإنسان الأول كان رجلا هائلا ضحى بنفسه وجسده على مذبح الآلهة فحول جسده ذرات صغيرة عادت جزئياتها تتحد ومنها تكونت الأرض وكل ما يحيط بها (المترجم).

(26) يقول ديورانت «اللنجايات هم أخلص عباد اللنجا عقيدة، وهم يمثلون أشد مذاهب الهند تزمتا وطهرا». قصة الحضارة جـ 3 ص 224 (المترجم).

(27) شاكتي معناها القوة التي تبعث النشاط (المترجم).

(28) سلسلة من الجبال في شمال الهند موازية لنهر نارباد Narbada(المترجم).

(29) هذه الطقوس كلها تبدأ بحرف الميم ولهذا تسمى بالميمات الخمسة وهي على التوالي Madya أي الخمر و Matsya أي السمك وممسا (اللحوم) Mamasa ثم الحبوب Madia وأخيرا العملية الجنسية Maithuna (المترجم).

(30) الأتباع اليساريون هم الذين ينظمون عبادتهم عن طريق طقوس سرية بعيدة عن الأخلاق. أما الأتباع اليمينيون فهم الذين ينظمون عبادتهم التي تتركز في تقديس الآلهة والحياة والصحة (المترجم).

(31) تروي القصة أن الشاب كرشنا راح يغازل فتاة بكرا تحلب اللبن من بقرة، ثم وقع في حبها وهذه الفتاة هي راذا (المترجم).

(32) كان كمشا ملكا ظالما يقتل كل طفل ذكر وفقا لما تقوله النبوءة (المترجم).

(33) يقول «ديورانت» إنها بمثابة العهد الجديد في الهند (وأن الهنود) يبجلونها بعد كتب الفيدا نفسها ثم يستعملونها لحلف الإيمان في المحاكم كما يستعمل الإنجيل والقرآن. قصة الحضارة جـ3 ص 298 (المترجم).

(34) طبقة الزراع والتجار (المترجم).

(35) طبقة الخدم (المترجم).

(36) كانت أول هجمات المسلمين على ملطان غرب البنجاب عام 664 م ثم قاموا بغارات مختلفة على مدى القرون الثلاثة التالية حتى انتهى بهم الأمر إلى توطيد سلطانهم في وادي نهر السند. على أن الفتح الإسلامي الحقيقي لم يقع إلا بعد نهاية الألف الأولى من التاريخ الميلادي. (المترجم).

(37) لعله يقصد محمود الغزنوي سلطان وادي غزنة التي تقع في الجزء الشرقي من أفغانستان وقد غزا الهند عام 997 م ثم قامت قبيلة تركية من الأفغان عام 1186 بغزو الهند والاستيلاء على دلهي بقيادة السلطان قطب الدين أبيك (المترجم).

(38) يستخدم المؤلف هنا لفظ Pirs وهي كلمة فارسية معناها مشايخ الطرق، انظر المعجم الفارسي السابق (المترجم).

(39) طائفة الفيشناقا معبودها الأعلى «فشنو» وبعض أتباعها يجد شبها بين التجربة البشرية والعشق البشري (المترجم).

(40) «فلابها» من شراح الفيدا، عاش في القرن السادس عشر، وقد جمع حوله عددا كبيرا من التلاميذ فكوّن مدرسة، ثم تولى ابنه فيتهال هذه المدرسة من بعده (المترجم).

(41) كان توكارام من الصوفيين المارثيين الذين يكتبون باللغة العامية (المترجم).

(42) إمبراطور المغول الذي حكم الهند من 1055- 1605 م واسمه الأصلي جلال الدين ولقب بالأكبر لما قام به من جلائل الأعمال، لكنه كان مستبدا شديد القسوة، أمكنه شن حروب متواصلة لتوسيع رقعة إمبراطوريته. وكان أكبر أميا لكن بلاطه كان مقصد العلماء ورجال الأدب والفنون (المترجم).

(43) إمبراطور المغول (1618- 1707) والتاريخ الذي يذكره المؤلف هو فترة حكمه. كان محبا للاطلاع والعلم. وتشدد في إقامة العدالة بين رعيته والتمسك بأهداب الإسلام. كان عصره أزهى عهود الأباطرة المغول في الهند (المترجم).

(44) المارثيون شعب يقطن في وسط الهند ويتكلم اللغة المارثية أعلن زعيمهم الكبير سيفاجي (1627- 1680) استقلاله عن إمبراطورية المغول في القرن 17 ثم حل المارثيون مكان إمبراطورية المغول بوصفهم القوة التي عقدت لها الزعامة في الهند حتى أخضعتهم بريطانيا عام 1818 (المترجم).

(45) كلمة Raja تعني الأمير في الهند، وكان «رام موهن روى» (1774- 1833) أحد المصلحين الدينيين الهندوس ومؤسسي فرقة «براهمو سماج» ولد في البنغال ونشر عام 1790 كتاب ضد الوثنية وعمل في الخدمة البريطانية (1800-1814) ثم استقر في كلكتا عام 1814 وكرس نفسه للإصلاح الديني فكون جماعة روحية عام 1816 تطورت فيما بعد عام 1830 إلى «براهمو سماج». لعبت دورا بارزا في إلغاء عادة «سوتي Sutte» عام 1830 (دفن الأرملة) ومنحه إمبراطور دلهي لقب راجا أو أمير ثم زار إنجلترا عام 1831 حيث توفي هناك عام 1833(المترجم).

(46) معناه الحرفي «جمعية براهما»، واسمها الكامل هو جمعية المؤمنين ببراهما الروح الأعلى. (المترجم).

(47) هو والد الشاعر العظيم رابندرات طاغور (1861- 1941) الذي نال جائزة نوبل في الآداب

لعام 1913 (المترجم).

(48) كشاب شادرا سن (1838- 1884) مصلح ديني هندوسي تعلم في كلكتا وعمل في أحد البنوك في البنغال ثم كرس نفسه للدين والفلسفة من عام 1861 والتحق بجماعة «براهمو سماج» وأصبح قائدا نشطا له كتب «مرآة الهند» وغيره (المترجم).

(49) معناها الحرفي «الجمعية الآرية» وهي جمعية إصلاح ديني أخرى أسسها واحد من البراهمة (المترجم).

(50) ديند اسار سفتى (1817- 1883) أحد البراهمة، أسس جمعية لإصلاح الحركة الدينية في ديانة الفيدا عرفت باسم الجمعية الآرية، وكانت تعاليمها تتلخص في أن هناك ثلاثة جواهر أزلية هي: الله، والروح، والمادة، كما تذهب إلى أن الترانيم الفيدية هي وحدها الكتب المقدسة الملهمة، كما دعت إلى إصلاح نظام الطوائف ونشر التعليم وإلغاء زواج الأطفال (المترجم).

(51) كان فيفيكانندا (1863- 1902) في البداية تلميذ «براهما كرشنا» لكنه أعطى للعقيدة الجديدة منحى فلسفيا ويقال أنه أصبح ناسكا بعد موت أستاذه عام 1886 وألقى محاضرات في الولايات المتحدة وبريطانيا أدهشت الكثيرين نشرت مؤلفاته في 8 مجلدات عام 1972 (المترجم).

(52) حركة روحية حديثة نشأت في الولايات المتحدة عام 1875 وبنيت في المقام الأول على أساس التعاليم البوذية والبرهمية (المترجم).

(53) بلافتسكي 1891- 1831(Blavatsky) رحالة روسية ابنة نبيل ألماني، تزوجت جنرالا روسيا لكنها هجرته وزارت التبت والهند واهتمت بالحياة الروحية، ثم سافرت إلى الولايات المتحدة عام 1973 وأسست الجمعية الثيوصوفية عام 1875 ثم فرعا لها-في الهند-بومباي عام 1879. أصدرت جريدة خاصة هي الثيوصوفي، وعندما ماتت كان لها أكثر من مائة ألف من الأتباع في مختلف أنحاء العالم. كتبت الكثير من المؤلفات مثل «إيزيس بلا قناع» في مجلدين عام 1877 والمعتقدات السرية، في مجلدين عام 1888والطريق إلى الثيوصوفية عام 1889 و«صوت الصمت» عام 1889 (المترجم).

(54) «آني بزنط» 1847- 1933 ثيوصوفية إنجليزية وزعيمة سياسة في الهند تزوجت من فرانك بزنط عام 1867 ثم انضمت إلى الجمعية الثيوصوفية عام 1889، وأصبحت تلميذة مخلصة، «لمدام بلافتسكي» رئيسة الجمعية، أسست كلية هندية في بنارس Benares ورأست المؤتمر القومي الهندي عام 1917. كتبت الكثير من الكتب منها «تناسخ الأرواح» عام 1892 «والكرما» والثيوصوفية وعلم النفس الجديد 1904، والمشكلة الدينية في الهند 1902 (المترجم).

(55) جورج كيرزن (1859- 1925) سياسي إنجليزي وعضو البرلمان عن المحافظين عام 1885 سافر كثيرا إلى آسيا، وعين بالخارجية لشؤون الهند (1891- 1892) ثم حاكما عاما للهند (1899- 1905) وهو الذي نظم العلاقات المالية بين المقاطعات الهندية والحكومة، وتقاعد بسبب خلافه مع لورد كتشنر، وعاد إلى مجلس اللوردات 1908 فوزيرا للخارجية عام 1919. له الكثير من المؤلفات منها مشكلات الشرق الأقصى عام 1894 وكتاب «لورد كيرزن في الهند» 1906... إلخ (المترجم).

(56) أهمسا أو أهمشا Ahimsa كلمة سنسكريتية معناها الحرفي «لا أذى» أو الامتناع عن إيذاء أي كائن حي وهي الفضيلة الأخلاقية الأساسية التي أذاعتها الهندوسية والبوذية في الهند عبر عصور طويلة، ثم طورها المهاتما غاندي إلى نظريته المعروفة في المقاومة السلبية (المترجم).

(57) هنري ديفيد ثورو 1862- 1817(H.D.Thoreau) أديب ومفكر أمريكي، عمل مدرسا في بداية حياته وتعرف على الشاعر الأمريكي «أمرسون» وأصبحا صديقين حميمين. اعتزل المجتمع

في كوخ بجوار بحيرة والدن حيث كرس نفسه لدراسة الطبيعة والكتابة، كان يميل إلى العزلة والتأمل، والدفاع عن قيمة الفرد في مجتمع مادي جمعت مؤلفاته بعد وفاته في عشرين مجلدا، ونشرت عام 1906 (المترجم).

(58) جون رسكن 1900-1819(John Ruskin) كاتب ومفكر وناقد إنجليزي، ولد في لندن ودرس في أكسفورد وأراد أبوه إعداده للكنيسة فتأثر تفكيره وذوقه بلغة الإنجيل في سن مبكرة. نشر كتابا بعنوان «يالرسامون المحدثون» دافع فيه عن الرسام الإنجليزي ترنر وأسلوبه في الفن وأصبح أول أستاذ للفن في إنجلترا (أكسفورد 1870) حيث كان يلقي محاضراته في حشد من الطلاب (المترجم).

(59) ليون تولستوي (1828- 1910) روائي وفيلسوف من أعظم أدباء العالم، مر بأزمة روحية عنيفة كانت نتيجتها ارتداده إلى الإيمان بالمحبة المسيحية، واعتناقه مبدأ المقاومة السلبية للشر،، وأدت الاعتبارات الخلقية والاجتماعية دورا أخطر في مؤلفاته التي ألفها بعد ارتداده (المترجم).

هوامش الفصل السابع

(1) تعني حرفيا الطاهر أو النقي (المترجم).

(2) المايا Maya هي أيضا الوهم أو العدم أو اللاوجود. (المترجم).

(3) الإمبراطور جهانكير Jahangir 1569- 1627 الملقب «بقاهر العالم» إمبراطور هندوستانو رابع إمبراطور مغولي وهو ابن أكبر العظيم (المترجم).

(4) النقشبندية طريقة من طرق الصوفية أسسها بهاء الدين النقشبندي (1367- 1389) في فارس وألف فيها مجموعة من الكتب «كالأنوار البهائية» و سلك الأنوار و«هدية السالكين» واهتمت بالذكر وكان لها أفرع في الصين والهند وتركستان وتركيا (المترجم).

(5) أسس جوبند سنغ (1666- 1708) قوة عسكرية وأصبح قائدا عسكريا وأضاف إلى اسمه سنغ أو أسد وكون قوة أخوية تحمل اسم «خلسا» الطاهر (المترجم).

(6) كلمة الخلسا تعني حرفيا الطاهر أو النقي، والمقصود بها هنا «جماعة الأبرار الأنقياء» وتلك صورة جماعة السيخ في أواخر القرن السابع عشر على يد المعلم العاشر الذي أسس من ناحية أخرى قوة عسكرية للجماعة! (المترجم).

(7) المقصود أنها كلها تبدأ بحرف «ك» مما يصعب نقله إلى اللغة العربية على هذا النحو (المترجم).

(8) يتخذ كل سيخي ينتمي إلى جماعة المحاربين أو ينتسب إلى طائفة الخلسا لقب سنغ أي أسد (المترجم).

(9) الجوردوارا: هو المعبد عند السيخ (المترجم).

(10) أي إلى المزارعين أو الفلاحين من السيخ (المترجم).

هوامش الفصل الثامن

(1) تترجم أحيانا بالمستنير الكامل أو الحكيم، أو «المنقذ المنتظر» وهي تعني حرفيا باللغة السنسكرتية..«الشخص الذي حضر» وهو أحد أسماء «بوذا» الثلاثة إلى جانب باجبفا أي السيد .(المترجم).

(2) تشبه جدا تجربة الأربعين يوما في المسيحية حيث كان الشيطان يحاول غواية السيد المسيح

«أخذه إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك العالم، ومجدها. وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد» متى 4: 7- 8 (المترجم).

(3) سمعت صوتا بداخلي يقول بقوة: «نعم في الكون حق أيها الناسك، هناك حق لا ريب فيه، جاهد نفسك حتى تناله» (المترجم).

(4) تسمى أحيانا «شجرة العرفان» التي تحتها أشرقت شمس الهداية على بوذا، ويرى البعض أنها شجرة من فصيلة التين وقد عنى البوذيون بأمرها عناية كبيرة. جعلوها موضع تقدير إلى درجة التقديس. ويرى البعض أنها كانت فصيلة التين. ويربطون بينها وبين الآية الكريمة «والتين والزيتون* وطور سنين» فالتين رمز لبوذا الأكبر، والزيتون رمز لعيسى عليه السلام، وطور سنين لموسى-وتقديم التين على الزيتون إشارة إلى أن ظهور بوذا كان قبل ظهور عيسى..إلخ. راجع في ذلك كله الأستاذ حامد عبد القادر في كتابه «بوذا الأكبر» ص 54- 57. (المترجم).

(5) أو موعظة دوران عجلة الحقيقة على اعتبار أن الحقيقة هنا هي فلسفة بوذا الأكبر التي تقدم تفسيرا لأسرار الحياة، وبداية دوران العجلة أو تحريكها يعني أن بوذا انطلق مبشرا بديانته الجديدة (المترجم).

(6) سبق أن ذكرنا أنها تعني الجلوس بالقرب من المعلم (المترجم).

(7) السنغا هي جماعة المتصوفة دعاة البوذية (المترجم).

(8) كانت جماعة الرهبان البوذيين، وفقا للتقليد البوذي، تستخدم الكهوف منذ أقدم الأزمنة لا سيما كملاجئ في موسم الأمطار، ومع أن هذه الملاجئ استبدل بها تدريجيا أديرة مبنية فقد استمر التقليد القديم في بعض أجزاء الهند، حيث كشفت الحفريات عن عدد من الكهوف التي لم تكن تستعمل للسكن بل للعبادة (المترجم).

(9) تقول الرواية إن بوذا ومعه أتباعه ذهبوا إلى مقر الملك، وألقى عليه بوذا مواعظ «ذاب لها قلبه» فقبل الدين الجديد وأصبح من أشد تلاميذه إخلاصا ! (المترجم).

(10) الخندات هي المجموعات، وهي خمس مجموعات رئيسية تنقسم إلى مجموعات فردية يتألف منها الفرد عند البوذيين (المترجم).

(11) وهي على الترتيب: فينايا-بيتاكا Vinaya-Pitaka، سوتا-بيتاكا Sutta-Pktaka، وأبهيدهاما-بيتاكا Adhidamina-pitaka (المترجم).

(12) كلمة Rupa تعني الشكل والمادة معا، وهي هنا تعني التمثال الذي يجسد هيئة بوذا (المترجم).

(13) المعنى الحرفي للكلمة هو «القريبون من اليقظة» أو الذين هم على أعتاب الصحوة، على اعتبار أن كلمة «بوذا» تعني «المستيقظ على الحقيق» في بعض معانيها. وبالتالي «فالبوذيستفا» هم الذين على وشك بلوغ هذه المرحلة، ويسميهم البعض «البوذات الصغرى»، على اعتبار أنهم أقل درجة من بوذا الأكبر «المترجم».

(14) تعرف أحيانا بمذهب «أهل الحل الوسط» (المترجم).

(15) أي مدرسة اليوجا العملية (المترجم).

(16) لم تكن هذه المراكز مجرد أديرة للرهبان كغيرها، بل كانت جامعات دينية بمعنى الكلمة، فقد احتوت على معابد، وكليات متعددة ذات تأثير بالغ، وكانت المناقشات الحامية تدور بين هذين المركزين الكبيرين حول الطريقة التنترية (المترجم).

(17) يريد المؤلف أن يقول إن المؤسسات البوذية كانت تترنح بالفعل فجاءت الضربة مجهزة عليها،

ولهذا يستخدم تعبير «coupdegrace» أي رصاصة الرحمة، كما تترجم أحيانا، وهي الرصاصة التي تطلق على من تم إعدامه فعلا للتأكد من موته السريع بحيث لا يترك يتعذب (المترجم).

(18) كونز «تاريخ موجز للبوذية» عام 1960ص 86(المؤلف).

(19) سيلان في السابق (استقلت عام 1948) وهي جزيرة استوائية آسيوية في المحيط الهندي، وفي القرن السادس ق. م أقيمت فيها أول مملكة سنغالية، وقد دخلتها البوذية في القرن الثالث ق. م وأصبحت أنورا ضابورا مركزا بوذيا عظيما (المترجم).

(20) لغة هندية آرية كان يتحدثها أهل الهند في الشمال في القرنين الثاني والثالث ق. م. وأصبحت لغة الجزء الأكبر من الكتابات البوذية المقدسة ثم انتقلت إلى سري لانكا وبورما (المترجم).

(21) شجرة من فصيلة التين أشرقت تحتها شمس الهداية على بوذا الأكبر، عنى البوذيون بأمرها عناية كبيرة وجعلوها موضع تقدير إلى درجة التقدير، وقد سبقت الإشارة إليها في بداية الفصل (المترجم).

(22) عاصمتها الآن كولمبو وهي أهم موانيها (المترجم).

(23) انظر قصة نقل هذه الفسيلة عام 254 ق. م وغرسها في مكانها الحالي، وانظر أيضا عن الربط بين شجرة التين والزيتون أو البوذية والمسيحية كتاب الأستاذ حامد عبد القادر «بوذا الأكبر» ص 54 وما بعدها (المترجم).

(24) بوذا جايا قرية شمال شرقي الهند في إقليم بيهار (المترجم).

(25) كانت عاصمة بورما العليا من 1860 حتى 1885 وأصيب قصرها الملكي ومعابدها المشهورة بالقنابل في الحرب العالمية الثانية (المترجم).

(26) الباغودا معبد بوذي مكون من عدة طوابق ذات تصميم خاص (المترجم).

(27) عاصمة جمهورية بورما الآن (المترجم).

(28) ستوبا Stupa الهيكل أو الضريح الذي كان يقام على رفات بوذا ثم تطور إلى الباغودا البوذية في جنوب شرق آسيا (المترجم).

(29) الجنس التابي أو السيامي هو الذي يؤلف العنصر السائد في تايلاند التي كان اسمها سيام من قبل (المترجم).

(30) هي نفسها أسرة شاكري Chakkri حكم راما الأول (1782- 1809) والرابع 1859- 1868) وهو الذي بدأ تحديث سيام وعقد معاهدة مع إنجلترا عام 1855) (المترجم).

(31) يطلق هذا اللفظ على رهبان الصين واليابان بصفة خاصة (المترجم).

(32) هو معبد فخم بالقرب من مدينة جاكارتا «بجاوة» حيث ترقد حفنة من رماد بوذا (المترجم).

(33) لعله يقصد «بنمط الحياة الدينية» هنا الحياة الصوفية التي تتشابه في جميع الديانات (المترجم).

(34) نادى في حركته الإصلاحية بأن يعود رجال الدين إلى التقاليد البوذية فيحرموا على أنفسهم الزواج ويلبسوا الملابس الخشنة تقشفا. ولكي يميز أنصاره دعا مريديه من رجال الدين إلى ارتداء أردية صفراء أو برتقالية كما كان يفعل بوذا، فأطلق الناس عليهم اسم «أصحاب القبعة الصفراء» (المترجم).

(35) كلمة لاما Blama-هكذا بلغة التبت، وحرف الباء ساكن-تعني راهب الدير. أما الدلاي Dalai فهي تعني الكبير، وعلى ذلك «فالدلاي لاما» تعني حرفيا «الراهب رئيس الدير» لكنها تدل اصطلاحا على الزعيم الروحي في التبت (المترجم).

هوامش الفصل التاسع

(1) كانوا يستخدمون صدف السلحفاة، فيقوم العراف بإحداث ثقب فيها، ويعرضها للحرارة فتظهر شروخ يفسرها العراف بأنها إجابة عن سؤاله، قارن مثلا حكمة الصين للأستاذ فؤاد

شبل جا ص 32 دار المعارف بمصر (المترجم).

(2) مصطلح عسير التعريب ولهذا يفضل د. أحمد أبو زيد أن يكتبه كما هو «الأنيمزم» انظر كتابه عن تايلور ص 100 وما بعدها من نوابغ الفكر الغربي. ويترجم أحيانا بالمذهب الحيوي وهو بعيد عن المعنى الدقيق الذي يشير إلى نظرة الإنسان إلى مظاهر الطبيعة من حوله بوصفها مليئة بالأرواح أو الأشباح أو الآلهة (المترجم).

(3) أو هكذا شاءت السماء كما يقولون أحيانا (المترجم).

(4) حوليات الربيع والخريف: كتاب جمعه كونفوشيوس من محفوظات مملكة «لو» وسجل فيه تسجيلا موجزا خاليا من التنسيق أهم ما وقع من الأحداث لا هذه الولاية أو مملكة «لو» وهي مسقط رأسه. ولما كانت نصوص الحوليات مختصرة وغامضة، دأب الكتاب الصينيون على شرحها وتفسيرها والتعليق عليها (المترجم).

(5) ترك كونفوشيوس وراءه خسة مجلدات كتبها أو أعدها للنشر أصبحت تعرف في الصين باسم الجنجات الخمسة «أو كتب القانون الخمسة» وكان من بينها هذه الحوليات (المترجم).

(6) المصفار آلة موسيقية بدائية تتألف من سلسلة من الأنابيب المتدرجة في طولها (المترجم).

(7) كانت هذه أيضا هي فكرة كونفوشيوس الذي يقول عن نفسه «إنه ناقل وليس مبدعا». وقد سبقت الإشارة إليها، قارن في ذلك الأستاذ فؤاد شبل حكمة الصين ج 1 ص 81، دار المعارف بمصر (المترجم).

(8) ملكان من أعظم الملوك الخمسة الذين حكموا الصين في العهود الغابرة (المترجم).

(9) كان المبدأ المتبع من قبل أن يعين الإمبراطور قبل وفاته من يخلفه على العرش. غير أن يو جعل الملك، لأول مرة، وراثيا في أسرته (المترجم).

(10) تقترب من قول السيد المسيح «لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» إنجيل متى 5: 45 (المترجم).

(11) «التاو» من أهم مصطلحات الفلسفة الصينية ومعناها الطريق أو النهج أو أسلوب الحياة (المترجم).

(12) قارن الترجمة العربية للكتاب المقدس للطاوية بعنوان «تاو تي- كنج - كتاب الطريق إلى الفضيلة» ترجمة وتقديم د. عبد الغفار مكاوي، ومراجعة د. مصطفى ماهر-القاهرة سلسلة الألف كتاب رقم 643- مؤسسة سجل العربي عام 1967 (المترجم).

(13) من كبار فلاسفة التاوية، بل يعتبر المؤسس الثاني لهذه المدرسة، انتقد بعض آراء «موتسو» وعاب عليها مناهضتها للطبيعة البشرية (المترجم).

(14) تترجم أحيانا بالجانب السلبي والجانب الإيجابي، أو الجانب القمري والجانب الشمسي انظر مثلا حكمة الصين خاص 45 (المترجم).

(15) أي من بارثينا Parthia منطقة قديمة في إيران (المترجم).

(16) أسماء لشعوب قديمة فالسوجديان كانوا يسكنون واديا في جمهورية أزبكستان الحديثة والبارثيون سكان منطقة خورسان في إيران قديما.. الخ (المترجم).

(17) هسوان تسانج (596- 664 م) حكيم صيني يعد من أعظم الفلاسفة والأدباء الذين أنجبتهم الحضارة الصينية (المترجم).

(18) أميتبها Amitabha تعني حرفيا «النور اللامتناهي» وهو موضوع الإيمان الأول في بوذية المهايانا اليابانية، وهم يضرعون إليه للخلاص باسم «اميدا Amida» (المترجم).

(19) كانت هذه المدينة عاصمة في عهد كثير من الأسر التي حكمت الصين: شو، وهان..

وغيرهما، وهى مدينة صناعية كبيرة ومركز تجارى هام في الصين (المترجم).

(20) «هوى- يوان». كاهن بوذي صيني شهير كوّن جماعة من الرهبان، ومن عامة المتعبدين لعقيدة بوذا أميتبهما. وهي الجماعة التي تفرع عنها بعد عدة قرون (في القرنين السادس والسابع) مدرسة «الأرض الطاهرة» التي أصبحت اليوم اكثر صور البوذية شعبية في شرق آسيا. وكان «هوى- يوان» في بداية حياته منتميا إلى التاوية ثم انتقل إلى الكونفوشية وأخيرا اهتدى إلى البوذية (المترجم).

(21) ساكياموني تعني حرفيا حكيم ساكياس Sakyas وهو «بوذا جوتاما» التاريخي أو بوذا الأكبر (المترجم).

(22) كوان-ين Kuan-yin هو الصورة الصينية لبوذا المنتظر الرحيم الشفوق الذي عرف في اليابان باسم كانون Kannon وينظر إلى هذا المصطلح عادة على أنه الترجمة الحرفية للكلمة السنسكريتية-Av alokites vara التي تعني «السيد المنتظر» أو، بوذا القادم الذي يتحلى بصفات الرحمة والشفقة (المترجم).

(23) سنسكريتية معناها الحرفي «رحم الأرض» وهي تشير إلى بوذا المنتظر على نحو ما عُرف في الهند في القرن الرابع الميلادي، ثم أصبح شخصية شعبية في الصين باسم- «تي- سوانج» وفي اليابان باسم جيزو Jizo وهو مخلص المضطهدين والمحتقرين، نذر نفسه ألا يوقف نشاطه حتى يخلص أرواح الموتى الذين حكم عليهم بالبقاء في الجحيم. ولهذا نظروا إليه في الصين على أنه صاحب السيطرة على الجحيم، وكان يضرع إليه المحتقرون، أما في اليابان فقد أصبح جيزو الإله الرحيم الشفوق الذي يهتم بالموتى من الأطفال (المترجم).

(24) سلسلة من الجبال تمتد إلى ما يقرب من 675 ,1 ميلا من الاتحاد السوفيتي غربا حتى التبت، وهي تُعد أطول سلسلة جبال في آسيا الوسطى.

(25) مدرسة «تيان تاي» مدرسة عقلية في الفكر البوذي استمدت اسمها من سلسلة جبال «تيان تاي» في جنوب شرقي الصين حيث كان يعيش مؤسسها ويلقى تعاليمه في القرن السادس، ثم انتقلت إلى اليابان وعرفت باسم تنادى«TandaI» والكتاب المقدس الرئيسي عندها هو «سوترا اللوتس» أو نصوص اللتوتس. وتستند عقيدتها إلى حقيقة ثلاثية هي: 1- تفتقر الأشياء جميعا إلى حقيقة أنطولوجية. 2- ومع ذلك فللأشياء وجود مؤقت عابر. 3- الأشياء جميعا موجودات غير حقيقية ومؤقتة في آن معا وكل واحدة من هذه الحقائق تتضمن الأخرى. وكان أول من علّم هذه الحقيقة الثلاثية «هوى-ون Hui-Wen» (550- 577). لكن الرئيس الثالث لهذه المدرسة «تشيه يي» هو الذي ينظر إليه على أنه مؤسسها لأنه هو الذي نظم الشريعة البوذية بطريقة جديدة (المترجم).

(26) كلمة Chan صينية من السنسكريتية Dhyama التي تعني التركيز في التأمل، وهي صورة من بوذية المهايانا نشأت في الصين، وشددت على أهمية الوعي أو الإدراك الحدسي المباشر لطبيعة بوذا، وهي التي انتشرت انتشارا واسعا في العصور الحديثة في اليابان باسم بوذية زن Zen(المترجم).

(27) راهب بوذي هندي وأحد ثلاثة يطلق عليهم اسم «الصوفيون الأطهار» هو الذي جلب فرقة «الكلمة العادقة» البوذية إلى الصين في عهد أسرة تانج Tang(المترجم).

(28) فرقة بوذية سرية كان لها تطور في اليابان منذ أن قدمت إلى الصين في القرن التاسع. وشنجون تعنى الكلمة الصادقة وهي بالصينية «شن ين» ترجمة لكلمة مانترا Mantra السنسكريتية، وهي محاولة للوصول إلى حكمة بوذا الأزلية التي لا يعبّر عنها بكلمات ولا تكون

موضوعا لتعاليم عامة (المترجم).

(29) مادة كان قدماء الكيمائيين يعتقدون أنها قادرة على تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب (المترجم).

(30) مجموعة من الكتابات الصينية الكلاسيكية وهى تعنى «الطريق إلى القوة» وكانت تسمى قبل ذلك كتابات «لاو- تسو» على اعتقاد أنها من تأليفه، وهي ترسم طريقا في الحياة لاستعادة الانسجام والسكينة في المملكة التي فرقتها الاضطرابات (المترجم).

(31) ولاية هندية تقع شمال شرق الهند على حدود بنجالاديش (المترجم).

(32) شاو يونغ (1011- 1077) فيلسوف صيني كان له أثر كبير في تطوير الجانب المثالي من الكونفوشية الجديدة. ويقال أن أبحاثه في الرياضة أثرت في الفيلسوف الألماني ليبنتز. انتمى في بداية حياته إلى التاوية ن ورفض جميع المناصب الحكومية، مفضلا الاعتزال في صومعة متواضعة قرب مدينة «لو يانج» يناقش الأصدقاء ويعكف على النظر الصوفي. ثم اهتم بالكونفوشية من خلال دراساته للكتابات الكلاسيكية الكونفوشية.فطور نظرياتها على نحو رياضي عندما ذهب إلى أن الأعداد هي أساس الوجود كله (المترجم).

(33) «شوتون - آي»(1017- 1073) فيلسوف صيني يعد من المبشرين بالكونفوشية الجديدة، وهو المذهب الذي أصبحت أفكاره الأخلاقية والميتافيزيقية ممثلة للفكر الصيني لما يقرب من ألف عام (المترجم).

(34) «الأخوان شنج» - هما «شنج هاو Cheng Hao» «وشنج آي Cheng I» ولد الأول في مدينة لو يانج عام 1032 وتوفي بها عام 1085. ولد الثاني عام 1033 وتوفي عام 1107. وقد عملا معا على تطوير الكونفوشية الجديدة في صورة مدرسة فلسفية منظمة. وعلى الرغم من أن فلسفتهما تكاد تكون واحدة، فإن الأول أثر في الجانب المثالي من الكونفوشية الجديدة، في حين كان للثاني أثره في تطوير مدرسة عقلية تلخصها حكمته الشهيرة «المبدأ واحد، لكن تجلياته متعددة» (المترجم).

(35) شوهسي (1130- 1200) أعظم الفلاسفة الصينيين أثرا طوال ألف عام حيث سادت الكونفوشية الجديدة التي طورها وسيطرت على الحياة العقلية في الصين ثم امتد أثرها إلى كوريا واليابان ولا بد من دراسة شروحه للكتابات الكلاسيكية الصينية لكل من أراد أن يعرف الكونفوشية الجديدة، فقد كان فقيها وعالما وشارحا ! أكمل في عام 1189 شروحه الأربعة للنصوص الكونفوشية، وقد عرفت هذه الشروح باسم «الكتب الأربعة للكونفوشية الجديدة». (المترجم)

(36) القديس توما الأكويني (1225- 1274) فيلسوف ولاهوتي إيطالي، ومن أشهر وأهم ممثلي الفكر الكاثوليكي، يلقب باسم «الدكتور الملائكي» دلالة على صفاء ذهنه. كتب «الخلاصة اللاهوتية» وهي عرض شامل للعقيدة المسيحية و«الخلاصة ضد الأمم» وهي دفاع عن المسيحية ضد اليهود (المترجم).

(37) نسبة إلى نسطورس بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس الميلادي، وقد ذهب إلى أن الطبيعتين الإلهية والبشرية ظلتا منفصلتين في المسيح-وألف مذهبا أثار الكثير من الجدل بين الكنائس المسيحية (المترجم).

(38) مذهب المانوية هو ديانة ماني بن فاتك الفارسي، وقد ظهرت في القرن الثالث الميلادي وانتشرت في أنحاء الإمبراطورية الرومانية وآسيا تأثرت بالزرادشتية فقالت بإلهين أحدهما

للنور والآخر للظلمة-أو الخير والشر-وأن الصراع قائم بينهما (المترجم).

(39) هي نفسها الديانة الزرادشتية ويطلق عليها أحيانا اسم «المزدية» نسبة إلى أهورا مزدا إله الخير في هذه الديانة (المترجم).

(30) الدلاي لاما هو الزعيم الروحي للبوذية اللامية في التيبت، ويقع في عاصمتها لهاسا قصر بوتالا وهو المركز الرئيسي للدلاي لاما. ولما استولى الشيوعيون الصينيون على التيبت حرموه من معظم حقوقه عام 1950 (وكان قد جلس على عرش بلاده منذ 22 فبراير 1940) فاضطر إلى مغادرة بلاده عام 1959 وأقام حكومة بالمنفى في الهند (المترجم).

هوامش الفصل العاشر

(1) الشنتو: مجموعة المعتقدات الدينية الأصلية في اليابان، والمعتقد الرئيسي فيها هو الإيمان بالقوى الغامضة المسماة «بالكامي»، وتوجد في أشكال منوعة انظر الهامش الخاص بها. (المترجم).

(2) الأينيون هم العنصر البدائي الأبيض الذي وفد إلى اليابان من منطقة نهر أمور في العصر الحجري ثم جاء عنصر أصفر مغولي من كوريا في نحو القرن السابع قبل الميلاد (المترجم).

(3) كتاب «كوجي» أو «سجلات الآثار القديمة» مصدر هام موجز للعادات والطقوس والممارسات السحرية في اليابان، ويشمل على حكايات وأساطير، وأحداث من البلاط الإمبراطوري من أقدم العصور، هو مكتوب بلغة شبه صينية، وقد ترجم إلى الإنجليزية لأول مرة عام 1882 (المترجم).

(4) كتاب «نيمونجي» ومعناها الحرفي «الأحداث التاريخية لليابان» يؤلف مع الكتاب السابق، أول سجل مكتوب لليابان، وللنصوص المقدسة لديانة الشنتو، وهو يتألف من ثلاثين فصلا تغطي تاريخ اليابان كله منذ بداية العالم حتى عام 697 م ويتناول الجزء الأول منه كثرة من الأساطير والحكايات الخرافية عن اليابان القديمة، وهو مصدر هام لفكر الشنتو. أما الفصول الأخيرة فهي تروي أحداثا تاريخية وسياسية أكثر دقة، كما تتحدث عن العشائر والأسرة الإمبراطورية. وقد كتب الكتاب باللغة الصينية، وهو يعكس أثر الحضارة الصينية المبكرة على اليابان (المترجم).

(5) تعني حرفيا، «مدونة فترة إنجي»، وهي مجموعة من القواعد الإدارية الدقيقة التي سادت اليابان في فترة قانون العقوبات الإداري من القرن السابع حتى القرن التاسع وأهملت المدونة وأصبح يعمل بها في المحاكم عام 1967، وتعد الأجزاء الأولى منها مصدراً هاما لطقوس وشعائر ديانة شنتو القديمة (المترجم).

(6) الوريتو Norito أي الكلمات التي يتوجه بها المؤمنون إلى الله في صلواتهم في عبادة الشنتو القديمة. وكان الاعتقاد السائد هو أن فاعلية الصلاة تعتمد على قوة الكلمات فالكلمات الجميلة، والمناسبة تجلب الخير، أما الكلمات الفظة القبيحة فإنها تجلب الشر، والتالي فإن «النوريتو» يتألف من مجموعة من الكلمات الجميلة الأنيقة على غرار لغة كتاب «إنجيشيكي» (المترجم).

(7) هو القديس فرانسيس إكسافير (1506- 1552)، وهو مبشر أسباني قام على رأس بعثة تبشيرية تتألف من سبعة من الجزويت بالعمل على إدخال المسيحية إلى الهند التي وصلها عام 1542 وحقق نجاحا مذهلا بعد ثلاث سنوات، وافتتح مركزا لتدريب القساوسة ثم وصل إلى اليابان في أغسطس عام 1549وعاد إلى الهند عام 1551 ومات وهو ينتظر دخول الصين (المترجم).

(8) الإمبراطور «تويتومي هديوشي» Toyotomi Hideyoshi(1537 - 1598)هو الذي أكمل وحدة اليابان في القرن السادس عشر. ولقد أصدر هذا الإمبراطور أمرا للبعثة التبشيرية المسيحية بمغادرة البلاد خلال عشرين يوما: «وعلى من يعصى الأمر تقع عليه عقوبة الإعدام.. ذلك لأنهم

أرغموا الناس على اعتناق المسيحية، بل ذهبت بهم الجرأة إلى تحطيم معابد الآلهة القديمة». على حد ما جاء بالمرسوم الإمبراطوري (المترجم).

(9) أسرة من الشوجن Shogun(أي الحكام) العسكريين أسسها ايياسو توكوجاوا (1543- 1616) بعد أن ظفر لنفسه بالسلطات بقوة السلاح. وقد استشاط غضبا عندما عرف أن المبشرين المسيحيين كانوا أحيانا يستخدمون طلائع للفاتحين، فأمر سنة 1614 بتحريم العبادة المسيحية أو التبشير بها في اليابان. وطالب المعتنقين لهذه الديانة: إما أن يغادروا البلاد وأما أن يرتدوا عن عقيدتهم. وعندما مات تولى ابنه «هيديتاما توكوجاوا» (1579- 1632) فاحكم قبضته على البلاد وواصل سياسة أبيه تجاه المسيحية، وشهد حكمه موجة وحشية من الاضطهاد الديني كان من أثرها أن محيت المسيحية من اليابان محوا تاما تقريبا. كما اتخذ أولى الخطوات نحو عزلة البلاد وانغلاقها فمنع التجارة أو الاتصال بالدول الأجنبية-وباختصار كان عهد هذه الأسرة الديكتاتورية مليئا بالأفكار الرجعية المختلفة (المترجم).

(10) الطابع الحدسي يعني الإدراك الباطني السريع للحقيقة بغير مقدمات، وهو عكس الاستدلال العقلي الذي يسير خطوة خطوة من المقدمة إلى نتيجتها (المترجم).

(11) أي أسئلة تتعلق بطبيعة الوجود بصفة عامة مثل: هل هذا الوجود الذي نعيش فيه يتألف من عنصر واحد أو عنصرين أو أكثر؟. وهل هو عنصر روحي أو مادي أو محايد.. إلخ (المترجم).

(12) كامي Kami هو موضوع العبادة في الديانة الشنتوية اليابانية، وكثيرا ما تفهم الكلمة بأنها تعني «إله» أو «روح» لكنها تشمل قوى أخرى كثيرة في الطبيعة خيّرة وشريرة معا، وأصبحت هذه القوى لتفوقها أو سموها، موضوعا للتوقير والاحترام. فالأرواح الخالقة والأسلاف العظام، والأشياء الحية وغير الحية كالنباتات والطيور والوحوش والأسماك والصخور يمكن أن تكون أمثلة للكامي. ولقد كان الكامي السماوي في الشنتوية المبكرة أكثر سموا من الكامي الأرضي أو يقيم في موضوعات رمزية كالمرآة التي يعبدونه على صورتها يخا هياكل الشنتو، وتتحدث أساطير الشنتو عن أكثر من «800 عشرة آلاف» من الكامي للتعبير عن العدد اللامتناهي، بل تظهر أعداد جديدة من الكامي بصفة مستمرة. (المترجم).

(13) روبرت بللا R.bellah ولد عام 1927 (عالم اجتماع أمريكي، ومن أكبر المتخصصين في تراث اليابان والشعوب الأسيوية (المترجم).

(14) الميكو Miko كاهنة كانت تلحق بمبعد الشنتو الياباني، وتقوم بتأدية الرقصات الدينية، ومساعدة الكاهن في حفلات الزواج، وهي في العادة فتاة عذراء تخدم المعبد من خمس إلى عشر سنوات قبل أن تتزوج. وقد تكون امرأة تقوم بدور الوسيط وإبلاغ كلمات الإله للناس وهي في حالة غيبوبة (المترجم).

(15) Ise مدينة أيس على خليج آيس على المحيط الهادي وهي تضم أعظم هياكل ديانة الشنتو وأكثرها أهمية وقد شيد في القرن الثالث الميلادي، ويتألف من هيكل داخلي وهيكل خارجي. أما الداخلي فهو مخصص لعبادة الآلهة «أماتيرا سو» آلهة الشمس وللجد الأول في الأسرة الإمبراطورية اليابانية، وهو يضم «المرآة المقدسة» التي هي جزء من الرموز الملكية وتجسيد للآلهة. أما الهيكل الخارجي فقد تأسس في أواخر القرن الخامس الميلادي وخصص للآلهة إلهة الزراعة وتربية دودة القز. وكان التقليد أن يكون القيم Toyouke Mikami «تويوك ميكامي» .(أو الحارس لهذه الهياكل أميرة غير متزوجة (المترجم

(16) كانت مدينة «أزومو» في بدايتها سوقا تجاريا هاما للمنتجات الزراعية المحيطة بها. لكن

ترجع شهرتها إلى أنها مركز ديني هام للشنتوية، وفي ضاحية «تيشا» التي تبعد خمسة أميال في الشمال الغربي يقع أقدم هيكل لديانة الشنتو في اليابان وهو يجذب الحجاج طول العام. وهناك هياكل كثيرة في منطقة «أزومو»، وكان يعتقد أن آلهة الشنتو تجتمع في شهر أكتوبر من كل عام في أحد الهياكل الصغيرة ولهذا كانوا يسمون أكتوبر «شهر بلا آلهة» (المترجم).

(17) هو الإله الذي يحمي زراعة الأرز في الأساطير اليابانية، وهو أيضا إله الرخاء، وكانوا يصورونه على هيئة رجل ملتح يمتطي ثعلبا أبيض أو امرأة طويلة الشعر تحمل حزم الأرز. وكان الثعلب هو رسول «أناري»، ولهذا توجد تماثيل كثيرة للثعلب داخل الهياكل المخصصة لإله الأرز وخارجها (المترجم).

(18)-عصر ميجي في تاريخ اليابان (868 ١- 1912) نسبة إلى الإمبراطور ميجي (1852- 1913) الذي تولى عرش اليابان عام 1867. وهو عمر تحديث اليابان وإضفاء الطابع الغربي عليها. وفتح الموانئ اليابانية أمام الأجانب. وقد بدأ هذا العصر بالإطاحة بحكم أسرة «توكوجاوا» القديمة التي سبق أن تحدثنا عنها، والتي كانت فترة حكم عسكري رجعي، وبدأت الأفكار الغربية عن الحياة النيابية وحقوق المواطن تدخل اليابان. ومن ثم فهو عصر النهضة اليابانية وخروجها من العصور الوسطى (المترجم).

(19) حفيد إلهة الشمس، ومنه نشأت سلسلة مقدسة من البشر هم كل أباطرة اليابان (المترجم).

(20) كانت مدينة «نارا» قديما مركزا ثقافيا ودينيا هاما ثم عاصمة لليابان من 710 إلى 784 ويوجد بها أقدم المعابد البوذية التي ترجع إلى القرن السابع الميلادي (المترجم).

(21) «تايشي شوتوكوShotoku, Taishi» (574 -621) واحد من أعظم الشخصيات اليابانية الحاكمة، عين وصيا على العرش عام 593 وظل في هذا المنصب حتى وفاته. لكنه كان مثقفا نشطا عمل على تطوير البوذية والكونفوشية، وأنشأ الكثير من المعابد البوذية من أهمها المعبد الذي أقامه عام 607 قرب مدينة «نارا» وأصبح أقدم بناء خشبي في العالم. كما جمع الأحداث التاريخية الهامة في تاريخ اليابان، على غرار ما كان يفعل الصينيون، وألف أول كتاب في تاريخ اليابان، فضلا عن شروحه الدينية الكثيرة (المترجم).

(22) sutra كلمة سنسكريتية تعني حرفيا «الخيط» ولم يكن فلاسفة الهند الأول يميلون إلى تأليف الكتب، ثم ظهرت حاجة ماسة إلى إعداد شروح دينية موجزة تهدي المؤمنين فظهرت خيوط وهي مجموعة النصوص الموجزة التي أصبحت هامة وأساسية في sutra مرشدة هي السوترا البوذية بغض النظر عن استخداماتها الهندوسية. ومن هنا أصبحت كلمة «سوترا» تدل على .(كتب العقائد أو النصوص الشارحة لها في آن معا (المترجم

(23) «أي حماس الأمير» شوتوكو ومعبد هوريوجي هو المعبد الخشبي الذي سبق أن تحدثنا عنه وقد شيده عام 607- انظر الهامش السابق (المترجم).

(24) المفارقة التاريخية Anachronism أن تتحدث عن شيء في غير زمانه، كأن تتحدث عن السيارة قديما فتقول مثلا أن قيس بن الملوح كان يستخدمها في تنقلاته أو أنه كان يتحدث إلى ليلى بالتليفون.. (المترجم).

(25) Tantra سنسكريتية معناها «خيوط الطيف» وهو اسم عام يطلق على نصوص بعض الفرق الهندوسية والبوذية والجينية، وتعمل هذه النصوص على تحرير المرء من الجهل، والولادة الثانية... إلخ وهي تشبه نصوص «السوترا» مع فارق أساسي هو أن «التنترا» وثائق خاصة سرية لا يستخدمها سوى المختصين، في حين أن السوترا نصوص عامة شائعة في متناول الجميع (المترجم).

(26) معبد رئيس ضخم أقيم في مدينة «نارا» عام 745 م ثم اكتمل عام 752 م، و يعد أوسع وأضخم دير للبوذية في اليابان، شيدت في وسطه «قاعة بوذا الأكبر» على مساحة ميلين مربعين تحيط بها باغودات ومباني جانبية، ويقع في القاعة الرئيسية المبنى الخشبي الكبير الذي يتوسطه تمثال بوذا الضخم المصنوع من البرونز ويبلغ ارتفاعه أكثر من 53 قدما (حوالي 17 مترا)(المترجم).

(27) فيروكانا Vairocana كلمة سنسكريتية معناها «المستنير» وهو لقب كان بوذيو المهايانا في الشرق الأقصى والتبت ونيبال يطلقونه على «بوذا الأكبر» (المترجم).

(28) «هاشيمان» وتعني باليابانية «الرايات الثماني» - وهو لقب أطلق على أكثر آلهة الشنتو شعبية، وهو الإله الذي يرعى العشائر والمحاربين، بصفة عامة، وكثيراً ما يشار إليه على أنه إله الحرب (المترجم).

(29) يا مابوشي-تعني حرفيا «الواحد الذي ينام في الجبال» وهو إله كان يعمل مرشداً للحجاج الذين يقومون بزيارة الجبال المقدسة التي تسكنها آلهة الشنتو (المترجم).

(30) Tendai مدرسة بوذية هامة دخلت إلى اليابان من الصين، واستمدت اسمها من اسم جبل «تيان تاي» في جنوب شرق الصين الذي كان مركزا لتعاليمها. وقد أسس هذه المدرسة في وكان قد سافر إلى الصين معلنا أنه ذاهب صراحة لدراسة806اليابان الكاهن سيكو عام وإنشين Ennin ويرأسها الراهبان إنين Jimon ، والثانية فرقة جيمونSam mon-تعاليم فرقة سامون Enchin (غير أن الفوارق بينهما لم تكن جوهرية (المترجم.

(31) Zen تعني حرفيا «التأمل» وهي مدرسة من أهم المدارس البوذية في اليابان، وتزعم أنها تعبر عن جوهر البوذية وروحها عندما تحاول المرور بتجربة الاستنارة التي بلغها «بوذا الأكبر». وقد وهي صورة من Chan نشأت هذه المدرسة في الصين في القرن السادس باسم مدرسة شان (صور المهايانا البوذية ثم انتشرت في اليابان منذ القرن الثاني عشر (المترجم.

(32) كوكاي (Aro_Vvt)Kukai واحد من أشهر وأحب القديسين البوذيين في اليابان، أسس مدرسة شعبية هي مدرسة شنجون التي تؤمن بالرقى والتمائم والسحر... إلخ. كما أسهم مساهمة كبيرة في تطوير الفن والأدب اليابانيين، إذ كان نحاتا ومصورا وأديبا وقديساً في آن واحد! (المترجم).

(33) شنجون Shingon فرقة بوذية خفية كان لها انتشار ملحوظ لا اليابان منذ أن قدمت من الصين في القرن التاسع الميلادي، وتعني كلمة شنجون «الكلمة الصادقة» وهي ترجمة للكلمة السنسكريتية مانترا Mantra. ويمكن أن نعتبرها محاولة لتعليم الحكمة الخالدة لبوذا التي لا يمكن التعبير عنها في كلمات، وبالتالي لم يقلها في تعاليمه المعلنة. وتعتقد هذه المدرسة أن هذه الحكمة يمكن تطويرها وتحقيقها من خلال وسائل شعائرية خاصة تستخدم الجسد، والكلام، والذهن... إلخ وذلك مثل استخدام الإيحاءات، والإيماءات الرمزية، والمقاطع الصوتية، والتركيز الذهني (اليوجا) ويستهدف ذلك كله إيقاظ الإحساس المباشر بالحضور الروحي لبوذا الذي يكمن في كل كائن حي (المترجم).

(34) تعني حرفيا «حلقة أو دائرة» وهو رسم تخطيطي رمزي في تأدية الشعائر المقدسة كأداة للتأمل. وتمثل «الماندالا» أساسا للكون أو منطقة تصلح لمشاهدة الآلهة. ويدخل الإنسان أو العالم الصغير ذهنيا إلى «الماندالا» التي ترمز بصريا إلى العالم الكبير (أو الكون) ويتقدم نحو مركزه. وقد ترسم الماندالا على ورق أو قماش بغرض التأمل كما ترسم على أرض معدة بعناية بخطوط بيضاء أو ملونة. ويبدو أنها قريبة الشبه بكلمة «المندل»العامية (المترجم)

(35) Maitreya تعني «بوذا المستقبل» فقد كان هناك، على ما يقول تراث البوذية، أكثر من بوذا في الماضي، وسوف يكون هناك أكثر من بوذا في المستقبل، وميتريا موجود الآن في الحاضر بوصفه «بوذا المنتظر» وهو يسكن واحدة من السماوات الست الدنيا التي يسكنها أيضا مجموعة من الآلهة والإلهات، ومعهم يوجد «بوذا» منتظرا أن يظهر إلى الدنيا ليعلم الناس شريعة بوذا. وكلمة «ميتريا» مشتقة من السنسكريتية التي تعني «الصداقة» وهي نفسها الكلمة التي تحولت في اليابانية إلى ميروكو Miroku (المترجم)

(36) تعني حرفيا «وجهان للشنتو» وهو الاسم الذي يستخدم للتعايش الياباني بين البوذية والديانة الأصلية الشنتو، وهو يطلق بتخصيص أكثر على مدرسة توفيقية ألفت بين الشنتو وتعاليم مدرسة شنجون البوذية (وهي تعرف أيضاً باسم سنجون-شنتو) (المترجم).

(37) كاهن بوذي ياباني هو الذي أسس فرقة «الأرض الطاهرة» في اليابان باسم «الجيدوjudoo» (المترجم).

(38) أي منشدا باسم بوذا المنتظر (المترجم)

(39) شنران: فيلسوف بوذي ومصلح ديني أسس مدرسة «جودو شنشو» Jodo Shinshu (أي مدرسة الأرض الطاهرة الحقة)، وهي من أكبر المدارس البوذية في اليابان الحديثة (المترجم).

(40) نفس الفكرة المسيحية التي تقول إن الأب «الذي في السموات يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين» إنجيل متى الإصحاح الخامس: 45 (المترجم)

(41) «نامو-أميدا- بوتسو» هي الصيحة التي تحدث عنها المؤلف من قبل وهي نداء لـ «اسم بوذا» المنتظر! (المترجم).

(42) بودي هارما Bodiharma راهب هندي ازدهر في القرن السادس الميلادي أسس فرق زن البوذية. وتردد الكثير من الحكايات عن إخلاصه للتأمل، منها أنه جلس متأملا فترة طويلة جدا حتى ضمرت ساقاه ومنهما أنه قطع جفون عينيه في نوبة غضب لأنه راح في النوح أثناء التأمل، ومن جفنيه، بعد أن سقطا على الأرض تحت شجرة الشاي، وكانت هذه الحكاية هي الأساس التقليدي لرهبان بوذية زن الذين اعتادوا شرب الشاي ليظلوا في حالة يقظة (المترجم).

(43) مدرسة أسسها الراهب البوذي «إيزاي» وهي إحدى فرقتين رئيستين في بوذية زن اليابانية، وتركز على بلوغ الاستنارة بطريقة مفاجئة عن طريق إيقاظ الوعي المتبصر. ثم انقسمت هذه الفرقة حديثاً إلى خمس عشرة فرقة فرعية لها ما يقرب من ستة آلاف معبد عام 1975 (المترجم).

(44) كجين دوجن dogen أحد قادة البوذية اليابانية في حقبة «كاما كورا» (1192- 1333) وهو الذي أدخل بوذية زن إلى اليابان على شكل فرقة «سوتو» وكان شخصية مبدعة جمعت بين ممارسة التأمل والنظر الفلسفي. ولد من أسرة نبيلة وأصبح يتيما في السابعة، ورسم راهبا في الثالثة عشرة، ودرس الكتب المقدسة البوذية ولكنها لم ترو تطلعاته الروحية، كما درس التأمل في الصين فيما بين 1223- 1233، وقد وصل إلى مرحلة الاستنارة بعشرات أحد معلمي الزن، ثم عاد إلى اليابان وعاش في معابد مختلفة كما عمل على نشر ممارسات التأمل، وألف كتابا عن هذه الممارسات (المترجم).

(45) فرقة «سوتو» الفرقة الثانية الكبيرة في بوذية زن اليابانية، وهي تتبع أسلوب التأمل الهادئ للوصول إلى الاستنارة وقد تأسست في الصين في القرن التاسع وعرفت باسم فرقة تستوتنج نسبة إلى الدير الرئيس المقام على جبال تسوتنج، ثم أدخلها كوجن إلى اليابان وأسس لها معبدا عام 244 وأصبحت شعبية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (المترجم).

(46) الكوان Koan سؤال موجز أو عبارة مقتضبة، تعبر عن مأزق عقلي أو حيرة ذهنية يستخدمه الراهب المبتدئ في تأملاته ويبذل جهدا في حله. والهدف إنهاك العقل والإرادة حتى يصبح الذهن مهيئاً لتلقي الجواب بطريقة حدسية. ومن أمثلته السؤال الآتي: «عندما تصفق اليدان تحدثان صوتا، فهل تستطيع الإصغاء إلى صوت اليد الواحدة؟!». ويقال إن هناك 1,700 كوان جمع معظمها الراهب الصيني فوان ووVuan-wu(المترجم).

(47) كلمة Shin معناها «الحقيقي» أو «الصادق» وهي الفرقة التي أسسها «شنران» في القرن الثالث عشر في اليابان تحت اسم «مدرسة الأرض الطاهرة الحقة» وكانت ترى الخلاص من خلال الإيمان ببوذا المنتظر، والإيمان وحده يكفي عندها، وذلك بترديد اسم «المنتظر» كثيراً، ولهذا تقوم فيها الموسيقى والأناشيد بدور هام (المترجم).

(48) ولد «نشيرين» في 30 مارس 1222، ودخل الدير في سن الحادية عشرة ورسم كاهنا بعد ذلك بأربع سنوات، ثم ذهب إلى مدينة «كاماكورا» لدراسة المذاهب الدينية الرئيسية، وانتهى عام 1253 إلى أن تعاليم «سوترا اللوتس» هي وحدها العقيدة الحقة، وأن جميع المذاهب الأخرى زائفة، فطرد من الدير، وراح يعظ الناس في مفترق الطرق المؤدية إلى «كاماكورا» وجمع حوله الأتباع فحوكم وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف الحكم إلى النفي إلى جزيرة سادو sado. وفي هذه الجزيرة كتب مؤلفاته الرئيسية، ومات في نوفمبر 1282 (المترجم).

(49) مدرسة نشرين-وهي مدرسة من أوسع المدارس البوذية انتشارا في اليابان في القرن الثالث عشر وسميت باسم القديم نشرين، وبلغ أتباعها في تعداد سبعينات القرن الحالي أكثر من ثلاثين مليونا وهي تؤمن بأن جوهر تعاليم بوذا تكمن في «سوترا اللوتس» (أو الكتاب المقدس لـ «لوتس» قانون الخير)، وبالتالي فإن بقية الفرق أساءت فهم الحقيقة، لهذا عارضتها بقوة كما عارضت الحكومة التي تساند هذه الفرق. وأعلنت أن خلاص الأمة اليابانية يعتمد على الإيمان بالمضمون الحقيقي الكامن في اللوتس ونصوصها المقدسة. واعتبر «نشرين» نفسه بوذا المنتظر الذي يعاني من أجل إعلان الحقيقة وسط بحر من الظلام. وانقسمت المدرسة بعد موته فرقتين أهمهما فرقة «نشرين شو» التي مازالت تسيطر على المعبد الرئيسي. (المترجم).

(50) كلمة Dhamma سنسكريتية، تعد مصطلحا رئيسيا ذا معان متعددة في الهندوسية والبوذية والجينية، فهو في الهندوسية: القانون الأخلاقي والديني الذي يحكم سلوك الفرد. أما في البوذية فهي الحقيقة الكلية التي يشترك فيها جميع البشر في كل العصور والتي أعلنها بوذا الأكبر. أما في الجينية فهو الفضيلة الأخلاقية، فضلا عن أنه-وهذا خاص بالجينية وحدها هو الجوهر الأزلي الذي يحرك الموجودات جميعا (المترجم).

(51) كلمة ماندالا Mandala (أو المندل) سنسكريتية معناها «حلقة أو دائرة» وهي رسم تخطيطي رمزي يستخدم في تأدية الشعائر المقدسة كأداة للتأمل وقد سبق أن تحدثنا عنها (المترجم).

(52) تعني حرفياً باليابانية «اضرب ولطّف» وهي وسيلة استخدمتها البوذية في اليابان لإجبار العامة على اعتناق البوذية لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية (المترجم).

(53) تعني حرفيا باليابانية «جماعة الخلق القيم» وهي إحدى الفرق الدينية التي ارتبطت بفرقة «نشرين» ونمت بسرعة في خمسينات القرن الحالي. وتعد من الحركات الدينية الجديدة الناضجة في اليابان، والمؤمنة بتعاليم نشرين. وقد بدأت بثلاثة آلاف عضو ازدادوا إلى نصف مليون، وأصبحوا الآن ستة عشر مليونا. (المترجم).

(54) مذبح الأسرة البوذية في اليابان-وهو أشبه بخزانة الحائط التي تشمل مجموعة من الأرفف،

يوجد فيها عادة ما يسمى «بإله الرف» كما تحتوي على ألواح لذكرى الأسلاف ومجموعة من الشموع والبخور كما تقدم إليه الزهور في الطقوس اليومية وفي المناسبات (المترجم).

(55) القديس كريستوفر-شخصية ازدهرت في القرن الثالث الميلادي لقديس يرعى المسافرين، ثم أصبح في القرن العشرين راعيا لركاب السيارات أو سائقيها، ورغم أنه من أشهر القديسين وأكثرهم شعبية، فليس ثمة ما يؤكد وجوده التاريخي (المترجم).

(56) الأناتا Anatta «اللاذات» أو «اللاجوهر» - وهي في البوذية الاعتقاد أنه لا يوجد في الإنسان جوهر خالد ودائم يسمى« الروح» وتمثل هذه الفكرة ابتعادا عن معتقدات الهندوسية (المترجم).

(57) Tokugawa وهي آخر فترة في1868- 1603توكوجاوا حقبة استمرت في تاريخ اليابان من اليابان التقليدية قبل دخولها العصر الحديث، وكلمة «شوجن» تعني المحارب أو الحاكم العسكري، وهو لقب اتخذه لنفسه الإمبراطور«إياسو» مؤسس الأسرة. وسوف يرد الحديث عن خصائص هذه الحقبة فيما بعد (المترجم

(58) تريكيو Tenrikyo أو عبادة الحكمة الإلهية في اليابان، وهي أوسع وأنجح فرق الشنتو الحديثة. وعلى الرغم من أنها تأسست في القرن التاسع عشر فإنه ينظر إليها بوصفها من الديانات الجديدة المعاصرة في اليابان. أنشأت هذه الفرقة الكاهنة ميكي نكاياما Miki Nakayma (1817- 1887) التي كانت امرأة ذات قدرة كبيرة على اجتذاب العامة. وقد زعمت وهي في سن الأربعين إن روحا تلبستها وهي روح «سيد الحكمة الإلهية» فأنشأت عبادة تتميز برقصات وجد وممارسات شامانية. وكانت النبوءات تصل عن طريقها مركزة على الإحسان والصدقات وشفاء المرضى، واشتهرت الفرقة في حياتها رغم أنها كانت تتعرض بين الحين والحين لاضطهاد السلطات الحكومية (المترجم).

(59) ميجي (1852- 1912) إمبراطور ياباني حكم من 1867 وحتى وفاته. ازدهرت اليابان في عصره حتى تحولت إلى واحدة من القوى العظمى في العالم الحديث (المترجم).

(60) مكان واسع يبعد عن مدينة «أزومو» ثمانية كيلو مترات، ويقع فيه أقدم هيكل للشنتو في اليابان، ويجذب الحجاج طوال العام، أنشئت مبانيه في القرن التاسع عشر على مساحة أربعين فدانا، ويضم مجموعة من المعابد تحتوي على آيات فنية ثمانية. كما يوجد في هذه المنطقة عدد كبير من الهياكل الأخرى حيث يعتقد أن جميع آلهة الشنتو يجتمعون في واحد منها في شهر أكتوبر من كل عام، ولهذا يسمونه «شهرا بلا آلهة»! (المترجم).

(61) كروزيميكو-حركة دينية تعد نموذجا للحركات الدينية الجديدة، أنشأها في القرن التاسع عشر كاهن من الشنتو وهو كيروزومي (1780-1850) والمؤمنون بهذه الحركة يجلون آلهة الشمس أما تراسو ويعتبرونها أسمى الآلهة وخالقة الكون، أما جميع الآلهة الأخرى فليسوا سوى تجليات لها (المترجم).

(62) الكونكوكيو حركة دينية نموذجية للديانات الجديدة أسسها فلاح غير مثقف في القرن التاسع عشر زعم أن الإله كونكو Konko عيّنه وسيطا بين الله والناس، وبذلك أصبح قادرا على أن يحمل عن الناس عذابهم وآلامهم لينقلها إلى الإله. ولقد شددت هذه الديانة على الاعتماد المتبادل بين الإله والناس، وهي نفسها العلاقة بين الأب والابن. وهي أساسا فرقة من فرق الشنتو (المترجم).

(63) أي معبد مدرسة الأرض الطاهرة الحقة-وقد سبق الحديث عنها (المترجم).

(64) يامابوشي-تعني باليابانية حرفيا «الواحد الذي ينام في الجبال» وكان هذا الإله يرشد الحجاج الذين يقومون بزيارة الجبال المقدسة التي تسكنها آلهة الشنتو (المترجم).

(65) تسوكي Tsuki إله القمر ولد من عين إزاناجي اليمني (ويقال إن الشمس ولدت من عينه

اليسرى!) وهو في بعض الأساطير شقيق إلهة الشمس أما تيراسو، وشقيق إله العاصفة سوسانوو Susanowo (المترجم).

(66) إله وإلهة، وهما شخصيتان رئيستان في أسطورة الخلق اليابانية، وهما ضمن ثمانية أزواج من الآلة والإلهات-أخوة وأخوات-تظهر بعد انفصال السماء والأرض عن العماء ChaoS وكانت الآلهة تنجب ذكرا وأنثى ثم تموت، حتى صدر الأمر في النهاية من شيوخ الآلهة إلى اثنين منهما هما «ازاناجي» و «إزانامي»وهما أخ وأخت من الآلهة-بأن يخلقا اليابان، فوقفا على جسر السماء العائم، وقذفا في المحيط برمح مرصع بالجواهر، ثم رفعاه إلى السماء فتقطرت من الرمح قطرات أصبحت هي «الجزرة المقدسة». وشهدت الآلهة ما تصنعه الضفادع في الماء فتعلمت منها سر اتصال الذكر بالأنثى، ومن ثم التقى أزاناجي وأزانامي التقاء الزوجين وأنسلا الجنس الياباني (المترجم).

(67) تقوم تعاليم «أموتو» على نبوءات إلهية كانت الإلهة تبعث بها من خلال فلاحة يابانية تدعى «دجوشي ناو Deguchi NaO» جذبت قدرتها على شفاء المرضى كثيرا من الأتباع في مرحلة مبكرة. وكان أول وحي تلقته عام 1892 ينبئ بانهيار العالم، وظهور المخلص المنتظر. ثم تولى قيادة المذهب وتنظيمه زوج ابنتها «دجوشي أوينسابورو» (1871- 1948) الذي نبذ الحرب والتسلح، وأعلن نفسه قائدا لنظام جديد في العالم. وجذب أكثر من مليونين من الأتباع في ثلاثينات هذا القرن. لكنه عادى الحكومة فاعتقلته مرتين الأولى عام 1921 والثانية عام 1935، وهدمت معابد المذهب، ثم عادت وأفرجت عنه عام 1945 فأعاد بعث الفرقة التي عرفت بأسماء كثيرة (المترجم).

(68) البهائية مذهب ديني أسسه مفكر فارسي هو بهاء الله. وتولاه من بعده ابنه عبد البهاء (1841-1921) وهو مذهب شديد القرب من البابية، ومتأثر بالكثير من المذاهب الصوفية والغنوصية-يدعو إلى وحدة الأديان بضرب من التربية والدعوة إلى السلام على الأرض، والأخذ بلغة عالمية واحدة. (المترجم).

(69) إله رحيم يهتم بالموتى من الأطفال، وقد سبقت الإشارة إليه (المترجم).

(70) ريوكاي Reiyukai أو جماعة أصدقاء الروح وهي جماعة دينية يابانية تقوم على تعاليم مدرسة نشرين البوذية أسسها عام 1925) نجار يدعى كوبوكالوتا Kubo Kakutero وتولت قيادتها سيدة تدعى كوتاني ميكي Katani miki عام 1944 بعد وفاة «كوبو» ووصلت إلى قمة نشاطها في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية وبعدها. ولقد كانت هذه الجماعة هي الأصل الذي تفرع عنه سبع ديانات جديدة كانت أكثر منها نجاحا منها الجماعة المسماة «رسهو كوزاي كاي» Rissho-Kosei-Kai. وتشدد جماعة أصدقاء الروح على عبادة الأسلاف، وفعالية نصوص اللوتس وهي لا تعتمد على كهانة بل على معلمين من عامة الشعب، يعقدون لقاءات مع الأعضاء في منازلهم، وهي تزعم أنها تضم أكثر من أربعة ملايين عضو (المترجم).

(71) Rissho-Kosei Kai

جماعة دينية يابانية تقوم على تعاليم مدرسة نشرين البوذية. واسمها يعنى حرفيا«جماعة إقرار الاستقامة والعلاقات الأخوية». وهو فرع من جماعة «ريوكاي» السابقة وانفصلت وقد أسسها بائع لبن هو «نيوانو نيكيو» وزوجة ورعة هي «ناجنوما»-وقد1938عنها عام وهذه الجماعة، مثلها مثل الجماعة الأخرى التي انشقت عن مدرسة1957توفيت عام نشرين-تشدد على أهمية نصوص اللوتس والترنم بها (المترجم.

(72) Karma سنسكريتية معناها «الفعل»، وقد سبقت الإشارة إليها من قبل. وهي من أهم

مصطلحات الفلسفة الهندية، وتعكس اعتقادا عاما، بأن هذه الحياة ليست سوى حلقة في سلسلة من الحيوات Samsara تحددها أفعال المرء في الحياة السابقة. وهم يعتقدون أن ذلك هو قانون الطبيعة الذي لا يحتمل أي نقاش، ويكشف هذا القانون عدم كفاءة المخلوقات، ففي مجرى سلسلة الحياة وحلقاتها المتعددة يستطيع المرء بكفاءته، وكماله الخلقي أن يرتفع إلى مصاف الإله براهما أو أن ينحط بنفسه ليولد من جديد حيوانا، وسلوك المرء هو الذي يحدد سعادته أو شقاءه (المترجم).

(73) حي من أحياء مدينة لندن يقع فيه مقر كبير أساقفة كانتربري (المترجم).

(74) جماعة خلق القيم-جماعة دينية ارتبطت في اليابان بفرقة نشرين البوذية، ونمت نموا سريعا منذ خمسينات القرن الحالي حتى أصبحت أنجح حركة دينية في اليابان، وإن كانت تنتمي، من حيث ارتباطها بالقديس نشرين، إلى تراث القرن الثالث عشر، وقد أنشأت عام 1964 حزبا سياسيا هو «حزب الحكومة النظيفة» فاز بمقاعد كثيرة في المجلسين التشريعين في اليابان (المترجم).

(75) ناظر مدرسة سابق-اهتم بالجانب البرجماتي (العملي) للدين، فوضع نصب عينيه تحقيق ثلاثة أهداف هي قيم «الجمال» و«الخير» والربح أو المنفعة. عانى من اضطهاد الحكومة أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد وفاته قام تلميذه «تودا» وإحياء الجماعة عام 01946 أما الرئيس الثالث «ايكيوا» فهو الذي يتولى قيادة الجماعة منذ عام 1960 (المترجم).

(76) انفردت جماعة «كيودان» - والكلمة اليابانية تعني كنيسة أو جماعة دينية-باستخدامها للكلمات الإنجليزية، وهي ترى أن هدت الإنسان هو التعبير عن نفسه على نحو ممتع، ولهذا جعلت النشاط البشري كله فنا. (المترجم).

المؤلف في سطور:

جفري بارندر

* أستاذ مقارنة الأديان في جامعة لندن. رسّم قسيسا في الكنيسة الإصلاحية، قضى فترة طويلة في أفريقيا، كما طاف بكثير من بلدان الشرق الأوسط. درس الديانات المختلفة ونشر عنها أكثر من عشرين كتابا ترجم بعضها إلى سبع لغات منها: «الديانات التقليدية في أفريقيا»، «السحر في أوربا وأفريقيا»، «المسيح في القرآن»، «النفس التي لا تبلى»، «الإنسان وآلهته».

المترجم في سطور:

أ. د إمام عبدالفتاح إمام

* رئيس قسم الفلسفة بجامعة الكويت عن عام 1992.
* ولد بمحافظة الشرقية بمصر-نال درجة الدكتوراه سنة 1972.
* له عدد من المؤلفات منها: «المنهج الجدلي عند هيجل» 1969- كيركجور جـ 1، جـ 2 (1982- 1986)- توماس هوبرز (1985) ودراسات هيجلية (1981).

والمترجمة منها: فلسفة هيجل (1980) محاضرات في فلسفة التاريخ (1980-1984) وأصول فلسفة الحق(1982) وفي هذه السلسلة ترجم «الوجودية» عدد 58 أكتوبر 1982- ومراجعة «الموت في الفكر الغربي» عدد 76 أبريل 1984.



الهندسة الوراثية والأخلاق

تأليف:

ناهدة حسن البقصمي

المراجع في سطور:

د. عبدالغفار مكاوي

* من مواليد جمهورية مصر العربية عام 1930

* حصل على الدكتوراه في الفلسفة والأدب الألماني الحديث من جامعة فرايبورج بألمانيا عام 1962.

* نشر أكثر من عشرين مسرحية. ونشر ثلاث مجموعات قصصية.

وله في الفلسفة مدرسة الحكمة، لم الفلسفة ؟، المنفذ-قراءة لقلب أفلاطون ونداء الحقيقة وغيرها. وفي هذه السلسلة «قصيدة وصورة» عدد ١١٩، وترجمات لنصوص من أرسطو وكانط وهيدجر.

*يعمل في الوقت الحاضر أستاذا بكلية الآداب-قسم الفلسفة جامعة الكويت.

هذا الكتاب

يعالج هذا الكتاب المعتقدات الدينية بين شعوب العالم من أقدم العصور إلى العصر الحاضر. والفكرة الرئيسية التي يؤكدها أنه لا توجد جماعة بشرية، مهما تكن بدائية، ليس لديها أفكار عن موجودات تعلو على الطبيعة يعتمد الإنسان في وجوده عليها. فإذا كانت الديانات البدائية تمثل المعتقدات البسيطة، كما هي الحال عند قبائل الصيد وجامعي الطعام، فإن الكتاب يتناول الحضارات المبكرة في الشرق الأدنى القديم حيث أصبح الدين أكثر تنظيما، ثم في الحضارات المصرية، واليونانية، والرومانية، حيث تظهر الطقوس المعقدة، وطبقة الكهنة ونظام الدفن كما تظهر الأفكار الأخلاقية المختلفة.

كذلك يعرض الكتاب لديانات الهند: الهندوسية، والسيخ، والبوذية محللا أفكارها الأساسية عارضا لتطورها وانتشارها في آسيا (على نحو ما حدث للبوذية في الصين واليابان) ومسايرا هذا التطور حتى العصر الحاضر. وهو يذكرنا بالموسوعات الدينية في تراثنا «الملل والنحل» للشهرستاني، و«الفِصَل»، لابن حزم، و«تحقيق ما للهند من مقولة» للبيروني، وغيرها من أمهات الكتب التي عالجت معتقدات الشعوب الدينية.